

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

الرسالة الأولى
الجزء الأول



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الدراسات اللغوية في نهج البلاغة في رسائل الجامعات العراقية وأطاريحها

دراسة في المنهج والتقويم

1965م - 2011م

أطروحة يتقدم بها الطالب

أحمد حسين عبد السادة الجحيشي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل دكتوراه فلسفة في

اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

سامي علي جبار المنصوري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

سورة البقرة: (269)

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (الدراسات اللغوية في نهج البلاغة في رسائل الجامعات العراقية وأطاريحها دراسة في المنهج والتقويم 1965م - 2011م) التي تقدم بها الطالب (أحمد حسين عبد السادة) جرى بإشرافي في قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه.

التوقيع:

المشرف: أ.د. سامي علي جبار المنصوري

التاريخ: / / 2014م.

بناء على التوصيات أعلاه نرشح هذه الأطروحة للمناقشة

التوقيع:

د. علي عبد رمضان

رئيس قسم اللغة العربية

ورئيس لجنة الدراسات العليا

التاريخ: / / 2014م.

قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا قد اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة
(الدراسات اللغوية في نهج البلاغة في رسائل الجامعات العراقية وأطاريحها دراسة في
المنهج والتقويم 1965 – 2011م) للطالب (أحمد حسين عبد السادة الجحيشي) وقد
ناقشناه في محتوياتها وفي ما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الدكتوراه
في فلسفة اللغة العربية وآدابها بتقدير (جيد جدا)

التوقيع

أ. د. حامد ناصر عبود

التوقيع

أ. م. د. قاسم محمد كامل

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة

كلية الآداب / جامعة ذي قار

رئيساً

عضواً

التاريخ: 2014 / 9 / م

التاريخ: 2014 / 9 / م

التوقيع

أ. م. د. مرتضى عباس فالح

التوقيع

أ. م. د. رافد مطشر السعيدان

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة

كلية التربية / جامعة ذي قار

عضواً

عضواً

التاريخ: 2014 / 9 / م

التاريخ: 2014 / 9 / م

التوقيع

أ. م. د. صاحب منشد عباس

التوقيع

أ. د. سامي علي جبار

كلية التربية الأساسية / جامعة المثنى

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة

عضواً

عضواً ومشرفاً

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة البصرة

على ما جاء في قرار اللجنة أعلاه .

التوقيع

أ. م. د. حسين عودة هاشم

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

التاريخ: 2014 / /

الإهداء

إلى:

شيخَيَّ الكيرين:

الأستاذ الدكتور سامي علي جبار المنصوري

والأستاذ الدكتور علي كاظم مشري

شيءٌ من غرسكما...

عائلي:

أمي وأبي... زوجتي وأولادي... أخوتي

محبةً ووفاءً وعرفاناَ بعظيم جهدكم وجميل صبركم...

أحمد حسين عبد السادة

المحتويات

5 – 1	المقدمة
82 – 7	الفصل الأول: الدراسات الصوتية
8 – 7	مدخل
31 – 9	المبحث الأول: الدلالة الصوتية في اللفظ المفرد
13 – 10	الدلالة الصوتية
31 – 14	دلالة الصوت في اللفظ المفرد
31 – 30	جدول بالألفاظ التي درسها الباحثون
82 – 33	المبحث الثاني: المكونات الصوتية للإيقاع
34 – 33	الإيقاع
52 – 35	النسق الصوتي للتكرار
49 – 39	أولاً: تكرار الصوت
51 – 49	ثانياً: تكرار الألفاظ
53 – 52	ثالثاً: تكرار الجملة
56 – 53	الدلالة الصوتية للجناس
74 – 56	السجع والتوازن وأثرهما الوظيفي
67 – 66	أولاً: التوازن والتوازي في الأبنية والألفاظ
69 – 67	ثانياً: التوازن والتوازي في الجمل الإيقاعية
74 – 69	ثالثاً: التوازي التركيبي
80 – 75	استنتاجات
75	أولاً: الملاحظات المنهجية
80 – 76	ثانياً: الملاحظات التقويمية
82 – 80	جدول بالمواضيع الصوتية التي تناولها الباحثون
156 – 84	الفصل الثاني: الدراسات الصرفية

86 – 84.....	مجالات الدراسة الصرفية
108 – 88.....	المبحث الأول: صيغ الأفعال ودلالاتها
96 – 91.....	أولاً: الفعل المجرد
94 – 91.....	أ - الفعل الثلاثي المجرد
96 – 94.....	ب - الفعل الرباعي المجرد وما ألحق به
108 – 96.....	ثانياً: الفعل المزيد
106 – 96.....	أ - الفعل الثلاثي المزيد
108 – 106.....	ب - الفعل الرباعي المزيد وما ألحق به
130 – 110.....	المبحث الثاني: صيغ المصادر ودلالاتها
121 – 112.....	مصادر الأفعال الثلاثية المجردة
124 – 121.....	مصادر الأفعال الثلاثية المزيدة
126 - 125.....	مصادر الفعل الرباعي المجرد والمزيد
127 – 126.....	صيغ المصدر الميمي
128.....	مصدر المرة
128.....	مصدر الهيئة
129.....	المصدر الصناعي
130 – 129.....	ملاحظات منهجية
156 – 132.....	المبحث الثالث: صيغ المشتقات ودلالاتها وصيغ جموع التكسير ودلالاتها
133 – 132.....	مدخل
138 – 134.....	اسم الفاعل
142 – 139.....	صيغ المبالغة
143 – 142.....	الصفة المشبهة
145 – 143.....	اسم المفعول
147 – 145.....	العدول والتحويل في صيغ اسم المفعول
149 – 147.....	اسم التفضيل

اسما الزمان والمكان	150 - 149
اسم الآلة	150
صيغ جموع التكسير ودلالاتها	156 - 150
الفصل الثالث: الدراسات النحوية	229 - 158
مدخل	159 - 158
المبحث الأول:	177 - 161
١ - أقسام الجملة	173 - 161
٢ - الدلالة الزمنية للجملة	177 - 174
المبحث الثاني: الدلالة التركيبية للجملة	208 - 179
مدخل	180 - 179
أولاً: الأنماط التركيبية (الشكلية) للجملة	185 - 180
ثانياً: الوظيفية الدلالية للظواهر التركيبية	208 - 185
التقديم	197 - 189
الحذف	206 - 198
الزيادة	208 - 206
المبحث الثالث: الأساليب التعبيرية	229 - 210
مدخل	212 - 210
الأساليب الإنشائية الطليعية	218 - 212
أسلوب الأمر	214 - 213
أسلوب النهي	215
أسلوب الاستفهام	218 - 215
أسلوب النداء	218
الأساليب الخبرية	229 - 219
أسلوب النفي	220 - 219
أسلوب الشرط	228 - 220

١ - أدوات الشرط	223 – 222
٢ - الأنماط التركيبية لأسلوب الشرط	225 – 223
٣ - الظواهر التركيبية لأسلوب الشرط	228 – 225
أسلوب التوكيد	229 – 228
الفصل الرابع: الدراسات الدلالية	313 – 231
مدخل	231
المبحث الأول: دلالة الألفاظ	261 – 233
١ - الدلالة المعجمية	245 – 233
٢ - الدلالة المجازية	246 – 245
٣ - الغريب	254 – 246
٤ - العلاقات الدلالية للألفاظ المفردة	261 – 254
المبحث الثاني: دلالة التراكيب	280 – 263
١ - الدلالة الحقيقية والمجازية في الجمل التراكيب	268 – 263
٢ - دلالة التصوير البلاغي في التراكيب	280 – 268
المبحث الثالث: مصادر لغة الإمام	313 – 282
الخاتمة	319 – 314
المصادر والمراجع	345 – 321
الملاحق	351 - 347
ملخص باللغة الانكليزية	A - C

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله
الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين إلى يوم الدين.
أما بعد.

فهذه قراءة عُنيّت بالدراسات اللغوية التي اشتملت عليها رسائل الجامعات العراقية
وأطاريحها والتي مثّل نهج البلاغة ميدانا تطبيقيا لها، وإن هذه العناية امتدت من عناية الباحثين
أنفسهم في دراسة النهج، إذ وجدوا أن جلّ المباحث اللغوية متمثلة في كتاب نهج البلاغة للإمام
علي (عليه السلام)، فضلا عن ذلك أنه لم يعن بكلامه (عليه السلام) درسا لغويا فحسب؛ بل عني بكلامه - قبل
أن يجمعه الشريف الرضي في كتاب أطلق عليه اسم نهج البلاغة - حفظا، ورواية، وتدوينا، وشرح
مفردات، واحتذاء معان، من المشتغلين بصناعة الأدب وتأليف الكلام، فلم يبلغ كلام من العناية
والاهتمام مثل كلام الإمام (عليه السلام) سوى القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، حتى قيل فيه "دون
كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين" ^(١)؛ لما فيه من مسحة جمالية وعبق من الكلام الإلهي المشرق
بألفاظ لها من القوة والبيان في التأثير بمكان، وأما كلام الإمام بعد أن جمعه الشريف الرضي فقد
نال من عناية الباحثين، وإقبال الدارسين، وشغف المطالعين، مبلغا يصعب فيه الحصر، ويعجز
الباحث عن جمع ما قيل في فصاحته، وإبداعه، وجماليته، وشموليته، وفنيته، وقديسيته،... ف " منذ
أن صدر هذا الكتاب عن جامع، سار في الناس ذكره، وتألّق نجمه، أشأم وأعرق، وأنجد وأتهم،
وأعجب به الناس حيث كان، وتدارسوه في كل مكان، لما اشتمل عليه من اللفظ المنتقى، والمعنى
المشرق، وما احتواه من جوامع الكلم، في أسلوب متساق الأغراض محكم السبك، يعد في الذروة
العليا من النثر العربي الرائع " ^(٢) وقد اقتبست أقوالا كثيرة من مظان متفرقة دليلا على تأثير نهج
البلاغة في الناس، وانتحاء سمت كلامه (عليه السلام) بشكل منقطع النظير تأكيدا لهذه العناية، بيد أنني
ضربت صفحا عن هذا الموضوع؛ فالإطالة فيه تخرجنا عن بحثنا، مجتزئين منه بذكر الدراسات
اللغوية التي جعلت نهج البلاغة ميدانا لها، والذي نخلص إليه أن الإمام علي (عليه السلام) تمكن من أن

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 1 / 24.

(٢) مقدمة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم لشرح ابن أبي الحديد: 7.

يمنح موضوعاته الخلود والبقاء كما تمكن أن يعطيها الشمول والاتساع بحيث نستطيع أن نقول: إن أدب الإمام أدب إنساني عالمي خالد.

فقد سجل كتاب نهج البلاغة حضوراً في ميادين البحث الأكاديمي في جامعاتنا العراقية منذ بواكيرها الأولى، وبه افتتح باب الدراسات الجامعية، إذ إن أول رسالة في هذا الكتاب كانت عام (1965م) في جامعة بغداد/ كلية الآداب للباحث كامل حسن البصير، ومن ثم تعاقب عليه الباحثون في تلمس شواهد، وبيان مقاصده ومضامينه، والوقوف على صورته وتراكيبه، وإظهار غريبه، على الرغم من كثرة الصعوبات التي كانت تواجههم، وفي مقدمتها التشكيك في نسبة هذا الكتاب، وظروف سياسية أحاطت بالبلد إلا أن ذلك لم يحل بين الباحثين وبين دراسة هذا الكتاب الخالد.

إن الغاية من هذه القراءة هي رغبتني الملحة في إظهار جهود الباحثين العراقيين في ميادين الدرس اللغوي، والوقوف عليها في ضوء مرجعياتها، وفي إجراءاتها، وفي آلياتها، وفي ما أفرزته من مشكلات ومظاهر، ومن ثم قامت منهجية هذه القراءة على وصف هذه الدراسات وتقكيكها، ومقابلتها بما قرّ في المدونات النحوية والصرفية والبلاغية، وفي الدرس اللغوي الحديث، وذلك بالاستناد إلى مبدئين اثنين:

أحدهما: الإقبال الكبير من الباحثين على دراسة نهج البلاغة.

والآخر: النظر لهذه الدراسات على أنها رؤوس أموال فكرية يمكن الاشتغال عليها حفراً وتقكيكاً، مفاهيم وإشكاليات، لاستثمار مكتسباتها، وصرفها عملة قابلة للتداول، تسهم في فهم مشكلاتنا اللغوية، وفي اجترار مفاهيم وآليات أخرى في مقاربتها، إذ تعددت اتجاهات الباحثين في عرض الموضوعات اللغوية، واختلفوا في طرائق تبويبها، وتباينوا في أساليب تناولها، الأمر الذي جعل دراساتهم تنهج مناهج مختلفة، تتباعد أحياناً في مسالكها، وتفترق شعابها، وقد تقترب بعضها من بعض متشابهة ومتماثلة في كثير من خصائصها وسماتها المشتركة.

وقد توزعت مادة هذه الدراسات على أربعة مستويات كل مستوى منها أصبح عنواناً لفصل من فصول هذه الدراسة، على أن هذه الدراسات لم تكن كل واحدة منها مستوعبة هذه المستويات جميعها، فمن هذه الدراسات ما اشتمل عليها، ومنها ما اشتمل على مستويين، ومنها ما اشتمل على مستوى واحد، ومنها ما اشتمل على مفردة واحدة تصنف ضمن مستوى من هذه المستويات

الأربعة، ولذا سعت جاهدة إلى تفكيك هذه الدراسات وإعادة قراءتها بما يتلاءم ومستويات هذه الدراسة ضمن منهج تحليلي تقويمي يوازن بين هذه الدراسات وبين مرجعياتها.

فالفصل الأول: تناول جهود الباحثين في الدراسات الصوتية وضمّ مبحثين، المبحث الأول: دلالة الصوت في اللفظ المفرد، والمبحث الثاني: عناصر الإيقاع، وكان حقّ هذا المبحث أن يقسم على أكثر من مبحث، بيد أنني آثرت جمع موضوعاته تحت عنوان واحد وهو عناصر الإيقاع؛ لأنها تتسم بصفات مشتركة كثيرة لعلّ من أظهرها التكرار والتناسب، ومن ثمّ كان حجم هذا المبحث أكبر من حجم المبحث الأول، لكثرة الموضوعات الصوتية فيه ذات الطبيعة التكرارية.

وأما الفصل الثاني: فقد خصص للدراسات الصرفية وضمّ ثلاثة مباحث، المبحث الأول:

صيغ الأفعال ودلالاتها، والمبحث الثاني: صيغ المصادر ودلالاتها، والمبحث الثالث: صيغ المشتقات ودلالاتها، وصيغ جموع التكسير ودلالاتها، وقد قلبت النظر والفكر في مواضيع هذا الفصل وودت أن أخرجه بغير الصورة التي هي عليه، بيد أن منهج الباحثين في دراسة هذه المواضيع من جهة، وطبيعة البحث في الصيغ الصرفية لما ينماز به من جفاف من جهة أخرى دفعني إلى الوقوف على جهود الباحثين من خلال عرض هذه الصيغ، لبيان مدى استيعابهم لها، والكشف عن الدلالات التي أضافوها.

وأما الفصل الثالث: فقد تناول الدراسات النحوية وضمّ ثلاثة مباحث، المبحث الأول: جهود الباحثين في أقسام الجملة، والدلالة الزمنية للجملة، والمبحث الثاني: الدلالة التركيبية للجملة وشمل: الأنماط التركيبية (الشكلية) للجملة، والدلالة الوظيفية للظواهر التركيبية في التقديم، والحذف، والزيادة، والمبحث الثالث: الأساليب التعبيرية وشمل: الأساليب الإنشائية، والأساليب الخبرية.

وأما الفصل الرابع: فقد تناول جهود الباحثين في الدراسات الدلالية، وضمّ ثلاثة مباحث، المبحث الأول: دلالة الألفاظ، وشمل: الدلالة المعجمية، والدلالة المجازية، والغريب، والعلاقات الدلالية في الألفاظ المفردة، والمبحث الثاني: دلالة التراكيب، وشمل: الدلالة الحقيقية والمجازية في الجمل والتراكيب، ودلالة التصوير البلاغي في التراكيب، والمبحث الثالث: الأثر الدلالي لمصادر لغة الإمام (عليه السلام). وقد سبقت هذه الفصول مقدمة وتلتها خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقد كتبت تمهيدا - أخذ مني وقتا غير قليل - يقوم على وصف الرسائل والأطاريح التي تمثل مادة هذه الدراسة، إلّا أنني وجدته قد أخذ مساحة كبيرة، فخشيت أن يؤدي إلى تضخم

حجم الدراسة وترهلها، فأبعدته مستعيضا عنه بملاحق تشتمل على عناوين هذه الدراسات جعلتها في نهاية البحث.

واني لأعلم بصعوبة مركبي، وقد حاولت جاهدا ألا أعيد ما كتبه الباحثون منصرفا إلى التحليل والتقويم، بيد أن هذا الأمر لا يستقيم على الدوام، إذ كيف أقوم عملا من دون إعطاء صورة - ولو موجزة - عن ذلك العمل وما أنا في ذلك إلا "كراكب الصعبة، إن أشنق لها حرم وإن أسلس لها تقحّم"^(١) وربّ قالة مفادها أن الباحث قد تتبع الدراسات اللغوية في رسائل وأطاريح خرجت عن ميدان دراسته، وأجيب عن ذلك أنني تعرضت لمثل هذه الدراسات إتماما للفائدة.

ويبقى أن أشير إلى أشياء ثلاثة تتعلق بمصادر هذه الدراسة: أولها: تنوع مصادر هذه الدراسة بتنوع المستويات التي تناولتها، فضلا عن كثرة الدراسات التي تمثل مادة هذا البحث إذ بلغ عددها الخمسين ونيفاً^(٢)، مما أدى إلى كثرة المصادر التي أحلت عليها، وثانيها: إن قسما من هذه الرسائل والأطاريح قد طُبِعَ على شكل كتب، وحرصا مني على أن أؤكد أنها دراسات جامعية في الأصل أشرت في هامش هذه الدراسات إلى ذلك، مع اعتمادي على النسخ المطبوعة في تخريج النصوص أو الإحالة عليها، وثالثها: إني رتبت المصادر التي استعنت بها في هذا البحث جميعها في (قائمة المصادر) حسب حروف المعجم من دون أن أفرد للرسائل الجامعية أو البحوث العلمية قوائم خاصة بهما؛ ليسهل على القارئ الرجوع إلى أي مصدر من دون مشقة أو عناء، فضلا عن رغبة التمسثها عند الأستاذ المشرف في استحسان هذا المنهج.

وإذا كان من تمام الفضل ذكر ذوبه وشكرهم فإنني أشهد الله أنني ممتن لكل من كانت له يد في إتمام هذه الدراسة، وأنني مدين كلّ الدين، من دون زعم ووفاء، إلا الدعاء والذكر لأساتذتي الذين تتلمذت على يديهم، وأنني مدين لأستاذي الدكتور سامي علي جبار المنصوري فقد كان لتحليله المبدع وإشاراته البارعة فضلا عن وعي نقدي نافذ أبلغ الأثر في البحث والباحث، ولاسيما

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 1 / 162.

(٢) لم أستطع الحصول على دراسة بعنوان (كتاب نهج البلاغة دراسة أسلوبية) للباحث مرتضى عباس فالح، على الرغم من اتصالي بالباحث وبالمشرف إذ أخبرني الباحث أنه لا يملك نسخة منها، فضلا عن ذلك أنني لم أدخر وسعا ولم أتوان عن بذل جهد في البحث عنها في مكتبات الجامعات العراقية في سبيل الحصول عليها ولكنني لم أوفق إلى ذلك، كما تمكنت من الحصول على مجموعة من الدراسات غُنيّت بشروح نهج البلاغة إلا أنني لم أتناولها؛ لأنها تخرج عن حدود دراستي فهي معنية بدراسات النهج لا بدراسات شروحه، ولذا اكتفيت بإيرادها في الملاحق إتماما للفائدة.

أن موضوع البحث قد نضج على يديه، وقد زادني في هذا البحث حبا، فإذا كان واجبه - بوصفه مشرفا - يقتضي ما فعله فقد زاد - والله - على ذلك الواجب كرما في النفس والوقت والجهد، وحرية في الرأي، وكرامة في الحوار، وثقة علمية بالباحث، أظنها لازمة لكل باحث، فقد فاق ما وجدته عند شيخي، ما يرجوه كل باحث من شيخه، فجزاه الله وأسألتني كلهم عني أوفر الجزاء وأتمه خيرا وصحة وعلماء، والشكر موصول للباحثين الذين أمدوني برسائلهم وأطاريحهم ولولا ذلك كله لما استطعت من إتمام هذا البحث، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^١.

أحمد حسين عبد السادة

(^١) سورة هود: 88.

الفصل الأول

الدراسات الصوتية

مدخل

درس بعض الباحثين في نهج البلاغة المستوى الصوتي في كلام الإمام (عليه السلام) سواء أكان ذلك في الخطب أم في الرسائل والحكم على شكل مباحث أو فصول في رسائلهم وأطاريحهم الجامعية الأدبية منها واللغوية، ومن يجمع ما قدموه في هذا الجانب يجده قد استوعب الدرس الصوتي في نهج البلاغة، وقد قام باحث مؤخرا بتخصيص هذا الموضوع بشكل مستقل في رسالته إلا أنه حصره في رسائل الإمام فقط ^(١).

إن ما قدمه الباحثون الأكاديميون في هذا الجانب يتساق و ما أكدته الدراسات المعاصرة في علاقة الصوت بالمعنى والنغم، فالتحليل الصوتي لنصوص نهج البلاغة يستثمر معطيات علم الأصوات إذ يربط بين الأثر الصوتي في النص والقواعد التنظيمية له، فيصبح النص كله بنية صوتية متكررة، الأمر الذي جعل الباحثين يركزون على براعة الإمام علي (عليه السلام) في توظيف خصائص اللفظ الصوتية وظلال معانيه ونبرات عاطفته في " التحليل الصوتي يقوم أساسا على إدراك الخصائص الصوتية للغة العادية، ثم ينتقل من ذلك إلى تلك التي تنحرف عن النمط العادي لاستخلاص سماتها التي تؤثر بشكل واضح في الأسلوب، وذلك أن الصوت والنطق يمكن أن يكونا ذا طبيعة انفعالية " ^(٢)

لقد أكد الباحثون أن ما قدمه الإمام علي (عليه السلام) من ظواهر صوتية في كلامه أسهمت وبشكل فاعل في الكشف عن شخصيته وذلك من خلال التركيز على انفعالاته في المواقف المختلفة، كما وسمت - هذه الظواهر الصوتية - كلامه (عليه السلام) بطابع الشعرية، ورأى الباحثون في صوتية الألفاظ التي استعملها الإمام تعبيرا صادقا وحقيقيا عما أرادته من معان .

ومن القراءة الدقيقة فيما قدموه يمكننا رصد الملامح الصوتية التي تدور في عمومها حول " الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم وإيقاع " ^(٣) ودراسة الظواهر

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: سعد عزيز شنو
(٢) البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد الطلب: 145، وينظر: أسلوبية البناء الشعري دراسة في شعر أبي تمام: د. سامي علي جبار: 9 .
(٣) نظرية البنائية: د. صلاح فضل: 121 .

البديعية ذات الطابع التكراري من تكرار وجناس وسجع وتوازن في الكشف عن الأثر الدلالي والجمالي لكلام الإمام علي (عليه السلام).

"إن دراسة المستوى الصوتي هي واحدة من ثمار الدراسات الأسلوبية التطبيقية التي انبثقت من تكامل علم الأصوات، ولها جذور في تاريخنا البلاغي والنقدي القديم ولكنها تكاملت على أيدي الدارسين المعاصرين" ^(١)، فلدراسة الصوتية للنص لا تتفصل عن دراسة المستويات الأخرى بل نجد تداخلا بينها وبين المستويات الصرفية والنحوية والدلالية، كما أن الموضوعات الصوتية نفسها تتداخل فيما بينها إلى درجة يصعب معها فصل بعضها عن بعض إذ تشترك هذه الموضوعات في صفة التكرارية من جهة، وتراها مجتمعة في النص الواحد من جهة أخرى، فضلا عن ذلك أنها تحقق وظيفتين مزدوجتين دلالية (معنوية) وجمالية (موسيقية) ولكن الفصل بين هذه الموضوعات الصوتية وبين هاتين الوظيفتين هي خطوة إجرائية لتحقيق مقرب يتطلبه البحث والتحليل، إذ إنّ التقسيم غير مقبول في الواقع الفني والجمالي؛ لأن الوظيفة الدلالية (العلاقات) تؤدي إلى تحقيق الجمال، والجمال من دون دلالة وزينة وزخرف لا قيمة له، ومن ثم يعتمد التأثير على حجم العلاقة التي تربط أجزاء النص كله ^(٢).

وفي ضوء ما قدمه الباحثون في نهج البلاغة يمكننا الوقوف على المستوى الصوتي لكلام الإمام علي (عليه السلام) من حيث خصائص الأصوات وتوظيف الظواهر البديعية من تكرار وجناس وسجع وتوازن وتوازٍ تاركين الحديث عن الظواهر الصوتية المتمثلة بالهمز والإدغام والإبدال والإعلال ، لعدم تركيز الباحثين عليها فقد انفردت بدراستها الباحثة رملة خضير مظلوم ^(٣) وما قدمته في هذا الجانب لا يهتئ تحليلًا صوتيًا يكشف عن إمكانات دلالية وجمالية في كلام الإمام علي (عليه السلام) بقدر ما يهتئ رصدًا لأمثلة تطبيقية يسبغ عليها الطابع التعليمي أكثر من الطابع التحليلي، وقد اتسقت لنا مادة هذا الفصل في مبحثين :

المبحث الأول: الدلالة الصوتية في اللفظ المفرد.

والمبحث الثاني: المكونات الصوتية للإيقاع.

(١) أسلوبية البناء الشعري: 10 .

(٢) ينظر: مبادئ النقد الأدبي: 193.

(٣) ينظر: رسائل الإمام علي دراسة لغوية، وقد طبعتها العتبة العلوية المقدسة، 2012م : 25 - 79.

المبحث الأول

الدلالة الصوتية في اللفظ المفرد

الدلالة الصوتية

تعد قضية الربط بين الصوت والمعنى من القضايا المهمة التي شغلت العلماء والمفكرين قديما وحديثا، تحت مسميات مختلفة مثل: (الدلالة اللفظية) أو (الدلالة الصوتية) أو (محاكاة الأصوات) أو (التوليد الصوتي) أو (جرس الألفاظ) وغيرها، انتصر بعضهم لاحتمية العلاقة بين الصوت والمعنى، وقطع آخرون بنفي العلاقة بينهما، وقد أشار بعض الباحثين في نهج البلاغة إلى من أثبت هذه المناسبة أو من أنكرها ^(١) .

وقد حدّها الباحثون المحدثون بأنها "اختيار ألفاظ يوحي صوتها بمعناها" ^(٢) أو أنها "عملية تجسيد الصوت للمعنى، فيكون الشكل بذاته دالا على مضمونه" ^(٣) أو أنها "موافقة صوت الكلمة لما هو مقصود منها" ^(٤) .

ومن هذه التعريفات يتضح أن لصوت الحرف في اللغة العربية إحياء خاصا يدل على المعنى ويثير في النفس جوا يهيئ لقبوله ويوجه إليه ويوحي به ^(٥)، فالعلاقة بين المتكلم (الأديب أو البليغ) وبين هذه الأصوات هي علاقة انتقاء واختيار فهو "بانثقائه لألفاظ يشير فيها صوت أو مجموعة أصوات إلى الحدث أو المعنى، إنما يؤسس لكلامه وضعا حسنا دالا على المعنى" ^(٦)، فاللغة نظام من الرموز الصوتية أو بمعنى أدق "معنى موضوع في صوت" ^(٧) فالمنشئ حينما يؤثر لفظا على آخر فإنه بذلك يستغل ما "للألفاظ من قوة تعبيرية بحيث يؤدي بها فضلا عن معانيها الفعلية كل ما تحمل في أحشائها من صور مدخرة ومشاعر كامنة لفت نفسها لفا حول ذلك المعنى الفعلي" ^(٨) فهي عملية اختيار، واختيار مقصود لا يتمكن منه إلا الأديب المبدع ، ففي هذا الاختيار يكمن سر الجمال من خلال الارتباط الدقيق بين الفكرة

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 81- 83 ، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية : 80 - 88

(٢) معجم المصطلحات الأدبية: مجدي وهبة: 137 .

(٣) جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير: د. أحمد ياسوف: 222 .

(٤) مستويات النظم في التركيب القرآني: د. عبد الواحد زيارة اسكندر: 50 .

(٥) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: 26 .

(٦) مستويات النظم في التركيب القرآني: 50 .

(٧) علم الدلالة: 5.

(٨) فنون الأدب: تشارلتن: 76 .

والألفاظ، وذلك من خلال إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع فهي "أصوات ذات جرس"^(١) لها قيمة حسية "ونوع من الموسيقى توحى إلى الأذهان بمعنى فوق المعنى الذي تدل عليه"^(٢) إذ هي "ليست إشارات مجردة واصطلاحية فحسب بل بوسعها أن تنشئ بجرسها ورننتها وإيقاعها لحنا مستقلا عن مدلولها الخاص وهي تمتلك إichاءات أخرى عديدة"^(٣) ومن ذلك نتبين أن "الجرس اللفظة ووقع تأليف أصوات حروفها وحركاتها على الأذن دورا م هما في إثارة الانفعال المناسب"^(٤) وظفها المنشئ بمقصد معين.

إن "استغلال أية كلمة بحروف معينة يكسبها ذائقة سمعية قد تختلف عما سواها من الكلمات التي تؤدي نفس المعنى، إما بتكثيف المعنى، وإما بإقبال العاطفة، وإما بزيادة التوقع، فهي حيناً تصك السمع، وحيناً آخر تضيء صيغة التأثير: فزعا من شيء، أو توجهها لشيء، أو رغبة في شيء، هذا المناخ الحافل تضيفه الدلالة الصوتية"^(٥). هذا وغيره يثبت قيمة اللفظ المختار وما يعكسه من أثر في إنتاج الدلالة التي أرادها المنشئ، والمنشئ هنا الإمام علي (عليه السلام) إذ عمد إلى اختيار ألفاظ توحى بجرسها إلى معانيها . وهنا تكمن مهمة الباحث الدلالي في رصد هذه الألفاظ والكشف عن رمزية أصواتها.

وإذا كان هذا كله يتعلق باختيارات المنشئ للألفاظ ذات الأصوات الموحية، فما هو نصيب المتلقي منها؟ وكيف يدرك سرّها وسحرها ومن ثم يربط بينها وبين معاني ألفاظها؟ وهل يوجد قانون ثابت أو منهجية محددة يحتكم إليها المتلقي أو الباحث في إيجاد هذه المناسبة؟ وإذا كان الأمر كذلك فالنتيجة تحكم بتساوي الباحثين أو المتلقين في إدراك هذه الدلالة الصوتية.

إن المشترك الوحيد بين الباحثين في استشفاف هذه الدلالة هو العودة إلى ما سطره القدامى والمحدثون في صفات الحروف ومخارجها، ومن ثم الموازنة بين صفة الصوت ومخرجه

(١) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولي: 276 .

(٢) التوجيه الأدبي: طه حسين وآخرون: 137 .

(٣) الفن والأدب: لويس هارتيك: 36 .

(٤) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي: 41 ، وينظر: الرمز والرمزية في الشعر

المعاصر: محمد فتوح أحمد: 119

(٥) الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية بلاغية: د. محمد حسين علي الصغير: 187 .

وبين دلالة اللفظة، وهذا الاشتراك في الامتاع من معين واحد غير كافٍ في بلوغ النتيجة نفسها لدى الباحثين؛ فقد يلتفت باحث ما إلى أصوات معينة في اللفظة، هي غير ما التفت إليها باحث آخر في اللفظة نفسها ؛ لأن " الوقوف على الألفاظ الدالة، الموحية المناسبة، ذات الوقع الصوتي المنبه، هو هبة لا يوهبها إلا من يتمتع بحس عظيم وحساسية مرهفة في الاختيار " (١) ويتجلى هذا الأمر بشكل أكثر وضوحاً حينما يعمد الباحثون إلى إيجاد دلالة الصوت في التركيب، فضلاً عن ذلك إن عامل الخيال له أهمية كبيرة في إحداث هذه المناسبة وهو يختلف من باحث لآخر ، فالألفاظ " تنثير وقعا نفسيا يختلف باختلاف الأفراد والظروف المكانية والزمانية " (٢).

إن القراءة الدقيقة في التحليلات الصوتية التي قدمها الباحثون في نهج البلاغة وفي غيره - مما تسنى لنا الاطلاع عليها - تجعلنا نزعّم أنها قائمة على الخيال والرأي الذاتي في الأغلب؛ لأن ما يستشعره قارئ ما ليس بالضرورة أن يستشعره آخر (٣) ، لذا كان الاختلاف في هذه القضية أمراً وارداً إذ إن " الألفاظ تختلف في دلالتها الإيحائية وجوهرها التصويري، وإن استجابة النفس لها تختلف باختلافها وبحسب رصيدها من الخبرات عنها " (٤) فالتحليل الصوتي "مرتبط بالجو النفسي، والحال والمقام، على أن الإحساس بهذه الميزة مرهون برهافة الحس وقوة التجارب مع القيم الصوتية لألفاظ اللغة" (٥).

من هنا نؤكد أن الدلالة الصوتية الإيحائية تختلف عند المبدع والمتلقي على حدّ سواء، وأن هذا الاختلاف ناتج عن الإطار الذوقي العام والخبرات المكتسبة عند كل منهما (٦)، وبسبب ما يكسبه الباحث أو المتلقي من كثرة التجارب مع الألفاظ ودلالاتها، يتمكن من التنبؤ بالدلالة أو بجزء منها (٧) .

(١) عضوية الموسيقى في النص الشعري: د. عبد الفتاح صالح نافع: 7 .

(٢) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهدي هلال: 28 .

(٣) إستراتيجيات التلقي في النص والتأويل مدخل نظري: محمد بن عياد: 7 .

(٤) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 215 .

(٥) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: د. محمد إبراهيم شادي: 41 .

(٦) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 56 .

(٧) ينظر: من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس: 146 .

فالعلاقة - إذن - أخفى من أن تحددها القيم الصارمة، والتحديدات الدقيقة، والمقاييس الثابتة، وهذا لا ينفي وجود دراسة صوتية جادة لهذا الجانب الغزير المتدفق بقوة الطاقة الشعرية المبدعة، إذ تعطي اللفظة بجرسها المتوافق مع انفعالات المبدع وعواطفه، خفوتا ولينا، وصخبا وضجة، وهياجا وحما س^(١)

إن إدراكنا لهذه الحقيقة لم يتأت من استقراء هذه الظاهرة في إطارها النظري فحسب، بل هي نتيجة حتمية فرضتها القراءة الدقيقة لما قدمه الباحثون في نهج البلاغة بدءا من اختيار الأمثلة وصولا إلى تحليلاتها الصوتية، فإذا كان لجرس اللفظة دلالة إيحائية تشيع في النفس مناخا تخيليا يتماشى وحركة النفس الشعورية، فإن إدراك هذا المعنى الإيحائي يختلف من باحث إلى آخر، ولا شك في أن كل باحث قد اكتسب المعنى الإيحائي المتأني من أصوات لفظة ما من تجاربه، أو من طبيعة مزاجه، لذا نجد أن كل باحث قد تخير لنفسه مجموعة من ألفاظ الإمام علي (عليه السلام) ووقف عند بناها الصوتية ليتوصل إلى ما توحيه أصواتها من معان، ولم يقف هذا التباين بينهم في استشفاف الدلالة الصوتية في اختيار الألفاظ فقط، بل نراه ممتدا إلى طريقة معالجتها من خلال الربط بين الصوت والمعنى وهو ما سنبينه لاحقا.

ولو حاولنا جمع ما قدمه الباحثون في هذا الجانب لوجدناه يتسق في مستويين اثنين هما: دلالة الصوت في اللفظ المفرد، ودلالة الصوت في التركيب، وسنقف عند المستوى الأول، ونعرض ما قدمه الباحثون في المستوى الثاني في المبحث الثاني من هذا الفصل؛ لأن دلالة الصوت في التركيب ترتبط بمواضيع أخرى لعل من أظهرها التكرار، فهذه الأصوات المتكررة في التركيب فضلا عما تؤديه من معنى فهي عنصر من عناصر الإيقاع.

لقد خلص الباحثون إلى نتيجة حتمية مفادها أن الأصوات تحمل قيمة دلالية لا يمكن تجاوزها بحال من الأحوال الأمر الذي دفعهم إلى الاجتهاد في تقليب النظر والفكر في بعض ألفاظ الإمام (عليه السلام) وقد استطاعوا أن يبرزوا لنا - ولو بشكل متفاوت - ما تحمله أصوات هذه الألفاظ من دلالات توحى بالمعنى وتصوره، وكأن تلك الأصوات صورة ناطقة بالمعنى، وهذا جهد كبير يضاف إلى ما قدمه الباحث العراقي في رصد ظواهر اللغة وتحليلها.

(١) ينظر: الإيقاع في الشعر العربي: عبد الرحمن ألوجي: 78 - 79 .

دلالة الصوت في اللفظ المفرد

أكد الباحثون في نهج البلاغة أن للصوت أثرا في التعبير عن المعاني التي أرادها الإمام علي (عليه السلام) لذا كان لهم اهتمام كبير في دراسة جرس الألفاظ، فانكبوا على دراسة الطبيعة النغمية الخاصة بكل صوت من أصوات اللفظة المفردة وانتظامها مع أصواتها وصيغتها وطولها وما له من أثر مهم في وقع جرس اللفظة على السمع وتأثيرها في النفس، وقد وجدوا " أن في الألفاظ قيما تأثيرية جمالية ترتبط بجرس الكلمات مفردة ومركبة " (١).

فوجد الباحث كامل حسن البصير في ألفاظ الإمام (عليه السلام) "مطابقتها لمقتضى أحوال من تخاطبهم وملاءمتها للموضوعات التي تخوض فيها معبرة عن معانيها، فهي لذلك تكون قوية جزلة إذا هددت وأوعدت وتناولت مسألة حادة من مسائل النقاش ومعضلة من معضلات الحرب والسياسة ... وتكون رقيقة لينة هادئة إذا خاطبت من تريد نصحهم وإرشادهم وتناولت موضوعا فكريا وعظيا وطرقت بابا من أبواب التوجيه والتدبير " (٢).

وذكر الباحث عباس علي حسين "أن التصوير بالكلمة المفردة في خطب الإمام علي ... غالبا ما تآزر فيه الجرس مع إحياء اللفظة في إظهار المعاني الجانبية والظلال للكلمة" (٣).

وذكر الباحث علي فرحان جواد "أن في لغة الإمام علي (عليه السلام) الكثير من الألفاظ التي تدل على المحاكاة ... ويكون الرمز، أو اللفظة إشارة محضة، أو رمزا خاصا لإثارة مدلول، أو شيء عند المتلقي " (٤).

وذهب الباحث حسن هادي نور إلى أن "المتأمل في ألفاظ الإمام (عليه السلام) يرى أنه قد اختار من الألفاظ أكثرها إثارة وأقواها إحياء " (٥).

(١) جرس الألفاظ: 125

(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام): كامل حسن البصير، وقد طبعت هذه الرسالة بعنوان: رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2010م: 313 – 314 .

(٣) التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام): عباس علي حسين الفحام، وقد طبعت هذه الرسالة، ط1، مؤسسة دار الصادق الثقافية، 2012م: 74.

(٤) لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة وصفية: 19 .

(٥) الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: حسن هادي نور تاج الدين: 27

وذكر الباحث ميثاق علي عبد الزهرة "أن الإمام (عليه السلام) كان حريصا على العناية باختيار الألفاظ ذات الجرس الموحى، فهو يختار الألفاظ التي توفر الجو الموسيقي الملائم، والمنسجم مع الحدث أو الموضوع الذي يصوره" (١).

وذهب الباحث طارق محمد حسن إلى أن "خطب الإمام علي (عليه السلام) غنية بهذا النوع من الإيقاع والتجانس الصوتي بين حروف العبارة ودلالاتها" (٢).

ومثل ذلك ما قرره الباحث حيدر أحمد حسين عندما قال: "عند قراءة خطب الإمام تجد ما بين سطورها كلمات تتكرر فيها أصوات معينة لسبب يقتضيه السياق والمعنى، فإذا كان السياق في معرض وصف لأمر هادئة مثل الجنة وغيرها تأتي الأصوات سلسلة وهادئة تتلاءم مع المعنى المطلوب، أما إذا كان الموقف يتطلب القوة والخشونة فإن تلك الأصوات ستكون هادرة وخشنة بحسب السياق الذي يقتضيه" (٣).

وأكد الباحث خالد كاظم حميدي "أن الإمام علي (عليه السلام) استثمر الأصوات المجردة من المعاني لتوليد دلالة رمزية إيحائية نتيجة استعمالها في سياق تألفت فيه لتصبح دالة ومؤثرة عن طريق محاكاة ألفاظ المعاني صوتيا" (٤) بيد أنه بحث الدلالة الإيحائية للأصوات المتكررة في النص ولم يبحثها في الألفاظ المفردة .

وتأكد للباحث سعد عزيز شنو هذا الأمر حينما خصص دراسته في البنية الصوتية في رسائل الإمام (عليه السلام)، قائلا: "تأكد لنا أن الإمام علي (عليه السلام) قد تنبه إلى حكاية الصوت، فجعل أصواته محاكية لموضوعاتها تتجاوز بدلالاتها وليس بمفرداتها الدلالة على المعاني، فهي تتحول من كونها وسيلة في الأداء إلى لبنة من لبنات الدلالة" (٥).

وبهذا نجد أن الباحثين اتفقوا جميعا على أن أصوات ألفاظ الإمام (عليه السلام) موحية دالة،

(١) أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية: ميثاق علي عبد الزهرة: 77 .

(٢) بنية الخطبة في نهج البلاغة دراسة في ضوء نظرية أرسطو الخطابية: طارق محمد حسن: 125 .

(٣) المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) دراسة بلاغية: حيدر أحمد حسين: 46 .

(٤) أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية: خالد كاظم حميدي: 84 .

(٥) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 110 .

وعلى الرغم من اتفاقهم في وجود هذه الدلالة الصوتية إلا أنهم قد تباينوا في ذكر الأمثلة التطبيقية من جانب، وفي طريقة معالجتها من جانب آخر.

فمنهم من اتخذ من الطريقة الاستبدالية في السياق وإمكانية إحلال كلمة بدل أخرى دليلاً على ملائمة الكلمة المستعملة في السياق دون غيرها، بناء على ما تحمله الكلمة من ظلال في المعنى والمتأني من صفات حروف الكلمة ومخارجها محاولين الربط بين الإيحاء الصوتي والأثر الدلالي؛ لأنه في العلاقات الاستبدالية تدخل الوحدة اللغوية عبر المقارنة أو التعويض في ظرف خاص مع وحدات متشابهة أخرى^(١).

وهو ما فعله الباحث كامل حسن البصير حينما وقف على مجموعة من ألفاظ الإمام (عليه السلام) فراح يبحث في الكلمات القريبة من معناها أو المرادفة لها، فوجد في عدول الإمام عنها إنما جاء لتحقيق غرض المطابقة بين حال المخاطبين ودلالة اللفظة المستعملة، ومن ذلك لفظة (انثيال) في قوله (عليه السلام) واصفاً بيعة الناس لأبي بكر: "فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ"^(٢) قال: "استعمل لفظ انثيال بدلاً من انصباب، وتجمع، وتجمهر، وتكؤ لأن هذه اللفظة وحدها تجسد رأي الإمام في نوعية أولئك الناس الذين بايعوا تلك البيعة وتصور أحوالهم في نظره"^(٣).

ويتبع الباحث طارق محمد حسن المنهج نفسه في التدليل على ملائمة بعض ألفاظ الإمام (عليه السلام) لما يريده من معنى وذلك عند وقوفه على قوله: "عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ وَأَضْمَرَ الْيَقِينَ وَعَرِيَ مِنَ الشَّكِّ فِي تَوْثَمِ الزَّوَالِ فَهُوَ مِنْهُ عَلَى بَالٍ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَأَعَدَّ الْفَرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ..."^(٤) قال: "فلو عمدنا إلى استبدال كلمة "فاستشعر" بكلمة "فاستحس" وكلمة "لبس" بدلاً من "تجلبب" و "أخفى" بدلاً من "اضمر" و "خلا" بدلاً من "عري" و "أنار" بدلاً من "فزهَرَ"، لما كان للكلام تلك القوة التعبيرية التي تتناسب والحال الشديدة التي سيقبل عليها الإنسان والتي تقتضي

(١) ينظر: الحقول الدلالية وإشكالية المعنى: أحمد جواد: 45.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 17 / 151.

(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 317.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 6 / 363.

اطراد العمل والتزود التام ومبالغة الإنسان في أحواله التي يحكيها وصفه (عليه السلام) بألفاظ "فاستشعر، تجلبب، اضمر، عري، فزهر" وما ألقته الأصوات المفردة والمكررة "كالباء"، من ظلالٍ على الدلالة"^(١).

واتبع بعض الباحثين منهاجا آخر في المعالجة يقوم على تتبع اللفظة الواحدة في سياقات نهج البلاغة وصولا لمعرفة المعنى المقصود ومدى مناسبتها للفظ، ليبينوا مدى ملائمة ألفاظ الإمام (عليه السلام) لمقتضى حال مخاطبيه، وهو ما عمد إلى فعله الباحث علي فرحان جواد حينما فرق بين ألفاظ (الجيش، والجند، والوغي)^(٢) وكذلك الباحث عباس علي حسين عند تفريقه بين دلالة (الخشوع، والخضوع)^(٣) فبعد أن تتبع السياقات الواردة فيها لفظتي (الخشوع والخضوع) في القرآن الكريم وفي نهج البلاغة وجد أنهما قد استعملتا في معنيين مختلفين فعبر بالأول عن السكون والتذلل كأثر عن الباطن المعنوي، وعبر بالثاني عن التواضع والتواضع أثرا للظاهر الحسي مستعينا بما قاله أبو هلال العسكري في التفريق بين اللفظتين^(٤) ومن ثم عمد إلى الربط بين الدلالة الصوتية في بعض حروف اللفظتين وبين المعنى الذي تؤديانه، قال: "ولعلّ في صوت الضاد في لفظة (الخ ضروع) شيئا من إحياءات القهر والاستكانة فهي تحمل جميع صفات الشدة والقهر كالجهر والاستعلاء والإطباق والاستطالة"^(٥)، أما لفظة (الخشوع) ففي صوت الشين صفات للهمس والرخاوة^(٦) وفيها التقشي والانتشار الذي يتفق مع الخشوع الذي يكون منبعه القلب ثم ينتشر على بقية الجوارح كالأبصار والأصوات، لذا لا يصح التعبير عن القلب بالخضوع؛ لأن الخضوع عن خوف وتقية ومدارة "^(٧).

وعالج بعض الباحثين هذه الألفاظ انطلاقا من مبدأ المضاهاة بين صفات حروف

اللفظة ومخارجها وبين دلالتها المعجمية، وهو ما نراه عند الباحث سمير داود سلمان على

(١) بنية الخطبة في نهج البلاغة دراسة في ضوء نظرية أرسطو في الخطابة: 126 .

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة وصفية: 238 – 239 .

(٣) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون: عباس علي حسين الفحام، طبعها العتبة العلوية المقدسة، ط1، منشورات الفجر 2010م: 71 – 74 .

(٤) ينظر: الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: 248 .

(٥) ينظر: علم الأصوات اللغوية: د.مناف مهدي الموسوي: 64 .

(٦) نفسه: 77 .

(٧) الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون: 73 .

الرغم من قلّة الأمثلة التي ساقها ^(١)، ويتجلى هذا المنهج بشكل واضح عند الباحثة رملة خضير مظلوم فقد اختارت سبعة ألفاظ من كلام الإمام علي (عليه السلام) بيّنت فيها أثر الصوت في المعنى فضلا عمّا توحّيه من أثر في المتلقي وقد أظهرت في هذه التحليلات جهدا كبيرا ^(٢) واحتذى الباحث سعد عزيز شنو المنهج نفسه في المقارنة بين صفة الصوت ومخرجه وبين دلالة اللفظة ^(٣).

وقريب من هذا المنهج ما قدمه الباحث أحمد هادي زيدان إلا أنه لم يذكر اللفظة أولا ومن ثم يبحث في دلالة أصواتها، بل ذكر الصوت (الحرف) أولا ثم عرض ما قدمه القدامى والمحدثون في بيان صفته ومخرجه ومن ثم تلمس له دلالات مستخرجا لكل دلالة من دلالاته ألفاظا مشتملة عليه من نهج البلاغة، وسأقف على مثال واحد له لأوضح طريقته وأبين منهجه:

"السين :

عد سيبويه صوت السين من الأصوات المهموسة ... وتابع ابن جني سيبويه في إعطاء صفة الهمس لذلك الصوت، ولا يختلف البحث اللساني الحديث في ذكر تلك الصفة لصوت السين ويبدو أن لصفة ذلك الصوت أثرا في دلالة بعض الألفاظ التي تضمنته فقد تدلّ تلك الألفاظ على معان قد تكون منسجمة مع صفة (الهمس) ومن تلك المعاني مثلا:

١ السهولة: ومن تلك الألفاظ (أسلس) في قول الإمام ... والسلاسة عند الإمام السهولة.

٢ التتفيس: ... وقد تكون كلمة تأسى بصورها المختلفة ملائمة للتعبير عن ذلك المعنى إذ جاء في خطب نهج البلاغة قول الإمام ... فقد أفاد صوت السين مضعفا في لفظتي (فتأسى) و (متأس) معنى التتفيس.

٣ الصوت الخفي: ... ويتضح ذلك في نهج البلاغة في اللفظتين (همس)

(١) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): سمير داود سلمان: 12 - 15.

(٢) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 86 - 114 .

(٣) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 92 - 96 .

و(حسيس)...^(١).

و اعتمد بعض الباحثين على الصيغة الصرفية في بيان ما توحى به اللفظة من الكثرة، والمبالغة، والشدة وهو ما عمد إليه الباحث علي فرحان جواد في بيان أثر التضعيف في الفعلين (حَقَّرَ و صَغَّرَ) في قول الإمام (عليه السلام) في وصف النبي (ص): " عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أن الله تعالى أبغض شيئا فأبغضه و حَقَّرَ شيئا فحقره، و صَغَّرَ شيئا فصغره " ^(٢)، واتبع هذا المنهج الباحث ميثاق علي عبد الزهرة في بيان أثر صيغة الجموع في المعنى ^(٣) وكذلك الباحث عباس علي حس في بيان أثر صوت الطاء المبدل من التاء في صيغة الافتعال وما تتركه من معنى الشدة في ذهن المتلقي ^(٤) وقد ظهر أثر الصيغة في المعنى بشكل جلي عند الباحث سعد عزيز شنو فقد أورد له أمثلة كثيرة ^(٥).

وعقد الباحث هادي شندوخ حميد مبحثا بعنوان محاكاة الأصوات ذكر فيه أقوال العلماء والباحثين في قضية ربط الصوت بالمعنى موردا تقسيم الدكتور عبد السلام المسدي للمحاكاة وقد عرض في مبحثه مجمل الاتجاهات التي تبين العلاقة ما بين اللفظ والصوت والذي يفهم مما ذكره في التنظير أنه يريد دلالة الصوت على المعنى إلا أنه في الأمثلة التطبيقية لم يقف عند الأصوات الدالة على معنى وإنما ذكر الألفاظ الدالة على صوت، وبمعنى آخر أنه لم يبحث في أمثلته حكاية الصوت للمعنى وإنما بحث حكاية الألفاظ للصوت ^(٦) وهو بذلك وقع في خلل منهجي نتيجة التباين بين التنظير والتطبيق ^(٧).

نخلص من ذلك إلى أن الباحثين اتفقوا جميعا على وجود دلالة صوتية في ألفاظ الإمام علي (عليه السلام) إلا أنهم قد اختلفوا في معالجة هذه الألفاظ فلكل منهم طريقته ومنهجه، وهم بذلك اتبعوا تقنيات مختلفة يمكننا أن نوجزها بالنقاط الآتية:

-
- (١) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: أحمد هادي زيدان: 70 – 73 .
(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 9 / 231 .
(٣) ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية: 75 – 77 .
(٤) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون: 75 – 78 .
(٥) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 97 – 104 .
(٦) ينظر: الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: هادي شندوخ حميد: 65 – 73 .
(٧) درست الدكتور شروق محسن كاطع الطائي الألفاظ الدالة على صوت في بحثها الموسوم: أبعاد الصورة السمعية والإيقاعية في نهج البلاغة، مؤتمر نهج البلاغة: 3 / 406 – 443 .

١ -استقراء بعض الألفاظ من نهج البلاغة ولاسيما التي يحتمل القول فيها بوجود دلالة صوتية توحى إلى المعنى وتترك في نفس المتلقي ظلالا، إذ ليست الألفاظ كلها ذات إمكانية إيحائية بمعانٍ ظلالية فليست كل كلمة لها القدرة على بعث ما استبطنت من خيال وظلال، ولربما اختلف إدراك هذا المعنى من باحث إلى آخر، بحسب التقارب والتشابه بين التجارب المكتسبة في الذهن .

٢ -الاستناد إلى قانون الاستبدال للحكم على ملائمة اللفظة لحال المخاطبين ومطابقتها لمقتضياتهم دون غيرها من الألفاظ القريبة من معناها أو المرادفة لها.

٣ -الاعتماد على النظرية السياقية لمعرفة المعنى المقصود، من خلال تتبع المفردة الواحدة في سياقات نهج البلاغة ولربما في سياقاتها في القرآن الكريم أيضا.

٤ -المضاهاة أو المقارنة بين المعنى اللغوي للمفردة (الدلالة المعجمية) وبين صفات حروفها ومخارجها (الإيحاء الصوتي).

٥ -الكشف عن وجوه الاتفاق أو الافتراق في بعض الألفاظ التي تناولوها .

٦ -الاعتماد على الصيغ الصرفية في معرفة ما توحى به اللفظة من الكثرة، والمبالغة، والشدة.

ومن النظر في تقنيات التطبيق هذه لا يمكننا التسليم بأن كل ما ورد فيها داخل في مفهوم الدلالة الصوتية للألفاظ وعلى وجه التحديد دلالة الصوت على المعنى، فبعضها لم يركّز على علاقة الصوت بالمعنى بقدر اهتمامه بملائمة اللفظ لمقتضيات حال المتكلم، وبعضها الآخر يدخل في باب التفريق بين الألفاظ المترادفة وهو ما يمكن أن يبحث في دلالة ألفاظ الإمام علي (عليه السلام)، وبعض هذه المعالجات يدخل في باب الدلالة الصرفية.

نستثني من ذلك الجهد الكبير الذي قدمته الباحثة رملة خضير مظلوم في الكشف عن علاقة الصوت بالمعنى من خلال وقفها الطويلة في تحليل البنية الصوتية فيما اختارته من ألفاظ فهي لم تدخر وسعا في الاجتهاد لتلمس هذا الأثر بين الصوت والمعنى، فقد انمازت في

هذا الجانب على بقية الباحثين وإن ما قدمته من أمثلة مختارة جاء منسجما ومبحث الدلالة الصوتية للألفاظ المفردة، وهذا الأمر موصول أيضا للباحث سعد عزيز شنو ولا يمكننا أن نغفل ما قدمه الباحثان ميثاق علي عبد الزهرة و حسن هادي نور من تحليلات ألمحت إلى أثر الصوت في المعنى .

وبناء على ذلك نرى أن الدلالة الصوتية للفظ المفرد اتخذت - عند الباحثين في نهج البلاغة - أبعادا مختلفة واتجاهات متباينة، خلط بعضهم فيما بينها فنراهم ينساقون خلف اتجاه من اتجاهاتها وهم يريدون غيره، أو يوردونها جميعا وهم يريدون واحدا بعينه، أو ينظرون لاتجاه من هذه الاتجاهات ويطبقون له بأمثلة لا تتسجم وما نظروا له، فترى الخلل واضحا بينا بين النظرية والتطبيق حيناً، وبين خلط هذه الاتجاهات جميعها ودراستها تحت مستوى لغوي واحد وهو المستوى الصوتي حيناً آخر ، ولربما اضطرب القارئ في فهم مدلول الدلالة الصوتية للألفاظ وهو يطالع ما أورده الباحثون تحت هذا العنوان وإن كان بمسميات مختلفة .

ولأجل تحديد هذه الأبعاد ووضع حدود فاصلة فيما بينها ليتسنى لنا أولاً فهمها وحدها، وللقارئ ثانياً التمييز فيما بينها سنعود إلى أصول هذه النظرية - إن جاز لنا تسميتها بذلك - لننتلص ملامحها، وخير من أشار إليها وأوضح مداليلها هو ابن جني (ت 392هـ) في كتابه الخصائص فقد سنّ لها إطاراً نظرياً أفرغ فيه من الأمثلة شيئاً غير قليل، وهو بذلك يعد رائد هذه النظرية على مستويي التنظير والتطبيق.

ومن القراءة الدقيقة في ما قدمه ابن جني يمكننا رصد ثلاثة اتجاهات، ولئن ساقها ابن جني بشكل متداخل بعضها مع بعض فإنه لا يخفى على القارئ الحصيف فرزها، وسنقف على ما قدمه من علاقات جوهرية بين اللفظ والمعنى.

الاتجاه الأول: هو محاكاة الألفاظ للأصوات، ونعني به تسمية الأشياء بأصواتها، وهو ما أشار إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) في غير موضع، ومنه " صرّ الجندب صريراً، وصرصر الأخطب صرصرة، فكأنهم توهّموا في صوت الجندب مداً، وتوهّموا في صوت

الأخطب ترجيعا ونحو ذلك كثير مختلف ^(١).

فنص الخليل فيه بيان لاتجاهين اثنين في العلاقة بين اللفظ والصوت، الاتجاه الأول: حكاية اللفظ لصوت الجندب أو صوت الأخطب (صرَّ الجندب صريرا، وهو صوته، وصرصر الأخطب صرصرة) والاتجاه الآخر: إن هذه الألفاظ الحاكية للصوت قد صيغت على وفق بنى صرفية تحاكي في دلالتها هذا الصوت، وهو ما سنذكره في الاتجاه الثالث.

وهو ما أكدّه أيضا ابن جني وأشار إليه و توسع فيه حتى قال: "فإن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ... سموا الغراب غاق، حكاية لصوته، والبط بطا حكاية لأصواتها " ^(٢) وأعاد ذلك بقوله: "ولو لم يتنبه على ذلك إلا بما جاء عنهم من تسميتهم الأشياء بأصواتها؛ كالخازبار لصوته، والبط لصوته، والخابق باق لصوت الفرج عند الجماع، والواق للصرّد لصوته، وغاق للغراب لصوته ونحو منه قولهم: حاحيت، وعاعيت، وهاهيت، إذا قلت حاء، وعاء، وهاء، وقولهم: بسملت، وهيللت، وحوقلت؛ كل ذلك واشباهه إنما يرجع في اشتقاقه إلى الأصوات " ^(٣).

نلاحظ من ذلك أن الاتفاق أو التماثل حاصل بين اللفظ والصوت الصادر من هذه الأشياء، فتكون الألفاظ - بناء على هذا الاتجاه - دالة على صوت، وليس الصوت فيها دالا على معنى "وهذه المحاكاة تظل قائمة الذات سواء ظهر الانسجام كليا بين الدال والمدلول أو اقتصر على جزء من مركبات الدال فحسب: صوتا كان أو مقطعا، كما في (زنبور) فإن المقطع الأول من الكلمة يحاكي زميمه إذا طار، وكما في (طنبور) إذ يحاكي الصوت الأول من الكلمة صوت الآلة" ^(٤).

الاتجاه الثاني: هو حكاية الصوت للمعنى، ونعني به أن للصوت دلالة خاصة تحمل في طياتها شيئا عن المعنى العام للفظ، وبهذا تختلف الألفاظ بعضها عن بعض تبعا لاختلاف

(١) العين: 56 / 1 .

(٢) الخصائص: 65/1.

(٣) نفسه : 2 / 165 .

(٤) التفكير اللساني في الحضارة العربية: د. عبد السلام المسدي: 81 .

أصواتها.

وفي هذا البعد من الدلالة الصوتية يحاول الباحث - قدر المستطاع - الربط بين صفة الحرف ومخرجه وبين الدلالة المعجمية للفظ، منطلقا من فكرة (المضاهاة) بين جرس اللفظة ودلالاتها، وهي فكرة نادى بها ابن جني وركز لها القواعد التأسيسية على مستويي التنظير والتطبيق، قال: " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سَمَت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره.

من ذلك قولهم: خَضِم، وقَضِم، فالخَضُم لأكل الرُّطْب والقَضُم للصُّلْب اليباس ...
فاختاروا الخاء لرخاوتها للرُّطْب، والقاف لصلابتها لليباس، حدّوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

ومن ذلك قولهم: النضح للماء و نحو هـ، والنضح أقوى من النضح ... فجعلوا الحاء - لرققتها - للماء الضعيف، والحاء - لغلظها - لما هو أقوى منه .

ومن ذلك القدّ طولا، والقطّ عَرَضاً، وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال ... ومن ذلك قولهم: الوسيلة، والوصيلة، والصاد - كما ترى - أقوى صوتاً من السين، لما فيها من الاستعلاء ... ومن ذلك قولهم: صعد، وسعد، فجعلوا الصاد - لأنها أقوى - لما فيه أثر مشاهد يرى ... ومن ذلك أيضا سدّ وصدّ، فالسدّ دون الصدّ ... ومن ذلك القسم والقصم، فالقصم أقوى فعلاً من القسم ... فلذلك خصّت بالأقوى الصاد، وبالأضعف السين ... " (١).

ويستطرد ابن جني في تأسيس ظاهرة التماثل بين الصوت والمعنى ليجعل منها مقوماً أصولياً يتجاوز مظاهر الاتفاق والصدفة (٢) فيخرجها من الاعتبارية إلى القصدية مؤكداً هذا المعنى بقوله: " نعم، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع. وذلك أنهم قد

(١) الخصائص : 2 / 157 - 162 .

(٢) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية: 83 .

يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها، ترتيبها، وتقديم ما يضاهاى أول الحدث، وتأخير ما يضاهاى آخره، وتوسيط ما يضاهاى أوسطه، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب ، وذلك قولهم: بحث، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها ^(١) تشبه مخالب الأسد وبرائن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والباء للتراب، وهذا أمر تراه محسوسا محصلا فأى شبهة تبقى بعده، أم أى شك يعرض على مثله" ^(٢) .

ولو أمعنا النظر في الأمثلة التي أوردها ابن جني لتبين لنا أن لصوت الحرف داخل اللفظة إيحاء خاصا يدل على المعنى ويوحى به، وبذلك يختلف هذا الاتجاه في الدلالة الصوتية عن سابقه، فقد علمنا في الاتجاه الأول أن الألفاظ تكون فيه دالة على أصوات، وهنا تكون أصوات الألفاظ دالة على المعاني.

ولما كان في الاتجاه الأول (دلالة اللفظ على الصوت) أن الدلالة قد تكون بالتمائل الكلي بين الدال والمدلول، أو بالتمائل الجزئي كما مثلنا، كذلك هي في الاتجاه الثاني (دلالة الصوت على معنى) فقد تدل أصوات اللفظة جميعها على معناها، كما مثل لها ابن جني في لفظة (بحث) أو قد تقتصر الدلالة على صوت أو أكثر من أصوات اللفظة الواحدة، كما في الأمثلة الكثيرة التي ساقها ابن جني وأوردناها عنه.

الاتجاه الثالث: وهو محاكاة الصيغ الصرفية للمعنى، ونعني به أن لكل صيغة صرفية دلالة على المعنى المقصود.

وعودا إلى نص الخليل الذي ذكرناه قبل قليل نجد فيه أن الخليل أشار إلى هذه المناسبة بين الصيغ الصرفية ودلالاتها، فقال: فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدا فقالوا صرّ، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعا فقالوا: صرصر. وبذلك يؤدي الاختلاف في الصيغة الصرفية إلى اختلاف في المعنى، فصيغة (صرّ) للصوت الممتد، وصيغة (صرصر) للصوت المقطع.

(١) الصحل: البجة في الصوت.

(٢) الخصائص: 2 / 162 - 163 .

كما أشار سيبويه إلى هذه المناسبة فذكر أن من المصادر التي جاءت على وزن (الفعْلان) إنما دلَّت على الاضطراب والحركة، قال: " ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النزوان، والنقزان، والقفزان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة اليد واهتزازه في ارتفاع، ومثله العسلان، والرتكان ... ومثل هذا الغليان لأنه زعزعة وتحرك. ومثله الغثيان لأنه تحيش نفسه منتور، ومثله الخطران واللمعان لأن هذا اضطراب وتحرك، ومثل ذلك اللهبان والوهجان لأنه تحرك الحرّ وتثوره، فإنما هو بمنزلة الغليان " (١).

لقد أكد ابن جني هذه الدلالة و توسع فيها وأورد لها أمثلة حتى بان من خلالها مراده، ووضح قصده، مؤيدا ما قدمه قبله الخليل وسيبويه في هذا الجانب، قائلا: "وجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سَمْت ما حدّاه، ومنهاج ما مثّلاه، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير؛ نحو: الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقة، والصعصة، والجرجرة، والقرقرة، ووجدت أيضا (الفَعْلَى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة؛ نحو: البشكى، والجَمْزَى، والوَلَقَى ... ومن ذلك - وهو أ - صنع منه - أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب؛ نحو: استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنح، واستقدم عمرا، واستصرخ جعفرا، فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال ... ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر، وقطّع، وفتّح، وغلّق ... فهذا أيضا من مساوقة الصيغة للمعاني ... " (٢).

إن الملاحظ في هذه الدلالة أنها دلالة صرفية لا صوتية وقد فرّق ابن جني بين هذا الاتجاه وسابقه إذ ذكر في الاتجاه الثاني (سوقا للحرف على سمت المعنى) وذكر هنا (مساوقة الصيغة للمعاني). وقد نتلمس الفرق بين هذه الاتجاهات في كلام للفارابي حينما أشار إلى "أن كل لفظة دالة فينبغي أن تكون محاكية للمعنى المدلول عليه ومعرفة بطبعها لذات ذلك الشيء. أو لعرض يكون علامة للمدلول عليه خاصة. وتكون اللفظة بطبعها محاكية مثل قولنا: هدهد للطائر الذي يحاكي هذه اللفظة صوته الخاص به ومثل العقعق ومثل خرير الماء " (٣)

(١) الكتاب: سيبويه: 2 / 218 .

(٢) الخصائص : 2 / 153 - 157 .

(٣) شرح العبارة: 50.

فالفارابي يرى أن هناك ألفاظا دالة بطبيعتها على الصوت محاكية له مثل: هدهد للطائر، وعقّاق، وخرير الماء، وهناك ألفاظ لم تحاك المعنى (بالطبع) وإنما تحاكيه لعرض فيها يكون بمثابة العلامة للمدلول عليه، وأحسب أن هذه العلامة التي هي غير الطبع إنما هي أصوات اللفظة أو صيغتها.

ومن هذا العرض نتبين أن الدلالة عند ابن جني مثلت مراحل مختلفة وضع لها حدودا فاصلة، فدلالة بالوضع، ودلالة بالحرف، ودلالة بالصيغة، ولكل منها منهج خاص، وطريقة في التحليل والوصف.

لقد جعل ابن جني هذه الاتجاهات التحليلية ميدانا واسعا يستوعب كل ما يقدمه الباحثون فيها " فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيت به من بابه، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمّله أعطاك مقادته، وأركبك ذروته، وجلا عليك بهجاته ومحاسنه، وإن أنت تتأكرته، وقلت: هذا أمر منتشر، ومذهب صعب موعر، حرمت نفسك لذته، وسددت عليها باب الح ظوة به " (١).

ولو تتبعه بعض الباحثين في نهج البلاغة إلى هذه الحدود الفاصلة وميزوا بينها لجنّبوا أنفسهم كثيرا من الخلط والاضطراب مثل الاستشهاد بمقالة الخليل وسيبويه - التي ذكرناهما - في الدلالة الصوتية وهي في الحقيقة في الدلالة الصرفية .

ومن هنا نجد أن المحاكاة هي على ثلاثة أقسام: محاكاة الألفاظ للأصوات ، ومحاكاة الأصوات للمعاني ، ومحاكاة الصيغ للمعاني، ومن هذا التقسيم نتبين أنه من أراد أن يبحث أثر الصوت في المعنى ويتلمس له مطابقة أو إحياء عليه أن يسلك القسم الثاني منهجا لدراسته، فلا علاقة في القسمين الأول أو الثالث بين الصوت في اللفظة وبين دلالتها، ففي القسم الأول تكون اللفظة (بوضعها) دالة على الصوت، وفي القسم الثالث تكون اللفظة (بصيغتها) دالة على المعنى، نعم، قد تجتمع لدى الباحث ألفاظ يجد في أصواتها دلالة على معانيها وهي في الوقت نفسه ذات صيغ صرفية دالة فنراه مجتهدا في بيان الدالتين في آن واحد، ولاسيما إذا كان التحليل مركزا على نص وليس على ألفاظ فمن الصعوبة بمكان التفريق بين هذه الدلالات؛

(١) نفسه: 2 / 163 .

لأنه قد يؤدي ذلك إلى خلل في بيان دلالة النص، أما إذا كان حديث الباحث على الدلالة الصوتية للألفاظ ورغب في التمثيل لها فينبغي أن تكون أمثله التي جاء بها ملائمة متساوقة لكي يستوفي هذا المطلب تنظيراً وتطبيقاً.

نتبين مما سبق أن لأصوات اللفظة دلالة إيحائية، والمقصود بالإيحاء في هذا الموضع هو ما يؤديه الصوت اللغوي من أثر يسهم في الدلالة على المعنى، وقد أطلق الباحثون المحدثون على هذا النوع من الدلالة مصطلح المحاكاة ^(١).

وسنقف على أمثلة محددة لنزيد ما قدمناه وضوحاً في الكشف عن منهجية الباحثين ونبين الجهد المبذول في رصد هذه العلاقات الدلالية الإيحائية ما بين جرس اللفظة ومعناها.

من ذلك لفظة (اجتياح) في قول الإمام علي (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: " فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَا حَ أَصْلِنَا وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ " ^(٢).

إن دلالة هذه اللفظة في معجمات اللغة تعني (الاستئصال)، يقال: " الجوح الاستئصال من الاجتياح " ^(٣) وقد أكد الباحثون أن الإمام عدل عن هذه الأخيرة مستعملاً لفظة الاجتياح لغاية المناسبة بينها وبين المعنى الذي يريده، فقد اكتفى الباحث حسن كامل البصير بتعليل ذلك بأن " لفظة اجتياح قوية حادة سهلة النطق جزلة في حين أن كلمة استئصال باهتة ثقيلة طويلة متعثرة " ^(٤) في حين أورد الباحث حسن هادي نور المعنى المعجمي لها ومن ثم أعاد تعليل سابقه في استعمال الإمام هذه اللفظة مضيفاً إلى ذلك أنها " تثير بما تحمله من جرس قوي أمدتها به أصواتها في مخيلة المتلقي معانٍ كثيرة تدفعه لاستحضار صور ذلك الاجتياح المتمثلة في إزالة الشيء عن مكانه بقوة " ^(٥) من دون أن يقف على بيان ذلك الجرس أو يبين

(١) أطلق الدكتور محمد السيد سليمان على هذا النوع من المحاكاة مصطلح (المحاكاة الأولية الأساسية) وهي تتمثل في اللفظة المفردة عندما تشتمل على صوت أو أكثر يكون بمثابة صدى ومحاكاة للحدث. ينظر: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: د. محمد السيد سلمان العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد: 36، مجلد: 9، 1989م: 77 .

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 44 / 14 .

(٣) لسان العرب: ابن منظور: مادة (جوح): 409 / 2 .

(٤) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 315 .

(٥) الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 28 .

صفات حروف هذه اللفظة.

ووافقتهم الباحثة رملة خضير مظلوم في التعليل نفسه بقولها: " قد استعملها الإمام مفضلاً إياها على غيرها من المفردات المرادفة لها أو القريبة منها لأنه أراد التعبير عن معنى محدد لا تؤديه المفردات الأخرى، ذلك أنه أراد بها الدلالة على القوة والقسوة التي يمارسها قومهم من قريش للنبي وآله وصحبه أول البعثة " ^(١) بيد أنها زادت عليهم أن أظهرت الإحياءات الصوتية التي تمنح هذه الكلمة تلك الدلالة، مستعينة بمخارج حروف تلك الكلمة وصفاتها، فوجدت أن الانفجار الحاصل في مخرجي صوت الجيم وهو صوت شديد مجهور من أصوات القلقلة ^(٢) وصوت التاء وهو صامت مهموس سني انفجاري ^(٣) هو الذي منح اللفظة صفة الشدة، فضلاً عما أعقبهما من المد في الياء وهو ما يؤدي إلى انفتاح الفم انفتاحاً أفقياً إلى الدرجة التي هي أشبه بهيأة المشمئز من الشيء، ويزداد الاقتراب من الشبه بهذه الهيأة حينما ينتقل الفم فجأة من نطق التاء ذات الكسرة إلى الياء ذات الفتحة الطويلة (المد بالألف) مما يؤدي إلى انتقال الفم من الانفتاح الأفقي العرضي إلى الانفتاح الرأسي الطولي ليوحي بهذه الطريقة الإشارية المتولدة من نطق هذه اللفظة بدلالة النفور، وتستطرد الباحثة في ذكر العلامات الإشارية الموحية بدلالة اللفظة وصولاً إلى تقطيعها تقطيعاً صوتياً ^(٤).

وقد ردّد الباحث سعد عزيز شنو هذا التعليل في تفضيل الإمام لها دون غيرها مقتصرًا حكاية أصواتها لمعناها بأنها تشكلت من أصوات انفجارية أبرزها الهمزة، والجيم، والتاء، من غير إشارة لمن سبقوه وقد أخذها عنهم ^(٥).

ومن ذلك أيضاً لفظتا (قرع) و (هلس) الواردتان في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية رداً على كتابه: " وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَوَلَا بَعْضُ الاسْتِبْقَاءِ، لَوَصَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ قَوَارِعِ تَقَرُّعِ الْعَظْمِ، وَتَهْلُسُ اللَّحْمِ " ^(٦) فقد اكتفى الباحث كامل حسن البصير بذكرهما مثالا على مميزات ألفاظ الإمام

(١) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 86 .

(٢) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): محمود السعران: 134.

(٣) نفسه: 129.

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 86 – 88 .

(٥) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 96

(٦) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 62 / 18 .

(العلّة) والتي منها مطابقتها أحوال من تخاطبهم، وملاءمتها للموضوعات التي تخوض فيها معبرة عن معانيها، من دون أن يعلق عليها ^(١) في حين عمدت الباحثة رملة خضير مظلوم إلى الربط بين أصوات تلك اللفظتين وبين دلالتهم المعجمية.

فلفظة (تقرع) الدالة على ضرب الشيء، جسدتها أصوات اللفظة نفسها، فالقاف وهو الصوت الشديد المهموس ^(٢) الانفجاري، ذو الصعوبة لتوقف الهواء تماما في مخرجه ^(٣) الدال على المفاجأة التي تحدث صوتا ^(٤) يشير إلى مفاجأة أول اصطدام العظم بالمقرعة، ويليه الراء وهو الصوت المجهور اللثوي المكرر ^(٥) رمز واضح لتكرار عملية الضرب بالمقرعة، أما العين: العين: فصوت صامت مجهور حلقي احتكاكي ^(٦) يصدر خفيفا أعلى الحنجرة يصور الدق والقرع بالمقرعة لتسود الرغبة والهلع لمن يسمع هذا القرع، وبذلك تكون أصوات هذه اللفظة قد اتسمت في صفاتها ومخارجها وجرسها بما يتوافق مع هذه الشدة التي ألبسها إياها (العلّة) في وعيده .

أما لفظة (تهلس) ففي أصواتها من الدلالات ما ينسجم ومعناها، فمادتها اللغوية تدل على إخفاء شيء من كلام وغيره ^(٧) ولذا فإن هذا المعنى - كما ذكرت الباحثة - لا يحتاج لأصوات شديدة كصفة أصوات القرع، فاللحم غير العظم، والكسر غير الإذابة ومن ثم نظرت الباحثة في صفات ومخارج حروفها ، " فالهاء صوت صامت مهموس حنجري والهاء صوت النفس الخالص الذي لا يلقي مروره اعتراضا في الفم ^(٨) ... واللام صوت صامت مجهور سني منحرف جانبي ^(٩) ... أما السين فصوت صامت مهموس لثوي احتكاكي، وصفته الصغير ^(١٠) ...

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 318 .

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية: 75، وعلم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، محمود السعران: 134.

(٣) ينظر: دراسات في علم اللغة: كمال بشر: 171.

(٤) ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب: عبد الله العلايلي: 113-114.

(٥) ينظر: الخصائص: 513/1، وعلم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): 144.

(٦) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): 148.

(٧) لسان العرب: مادة (هلس): 15 / 114 .

(٨) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): 148 - 149، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 302 .

(٩) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): 142، و الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 59 .

(١٠) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): 146، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 67.

... وبذلك يتحقق الانسجام الصوتي بين البنية الصوتية وطبيعة الحدث " (١).

فالبنية الصوتية للفظتين تكتسبان من الإيحاء ما يجعل أصواتهما تحاكي المعنى، فلما كان الكسر هو اصطدام وانفصال سريع يصيب العظم بسرعة وشدة في الوقت نفسه، تطلب أصواتا شديدة قارعة تقرر الأسماع فيذهل المتلقي وتتقر نفسه، ولما كان إذابة اللحم لا يحتاج لهذه الصفة التي في اصوات القرع، تطلب بعض الهدوء والاتساع والانحراف، وقد وظف الإمام (عليه السلام) هذه الأصوات في رسالة تهديد ووعيد أراد منها تأكيد هذه المعاني (٢).

ومن ذلك أيضا لفظتا (الرجوف) و (الزحوف) في قوله (عليه السلام) يصف الفتنة: " ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةُ الزُّحُوفِ " (٣).

فقد وجد الباحث ميثاق علي عبد الزهرة في هاتين اللفظتين دلالة إيحاءية ناتجة من جرس أصواتهما، تجعلان السامع يتخيل مدى ضراوة هذه الفتنة وشدتها " فإن صوت الراء المكرر المجهور مع صوت الجيم المجهور الشديد في كلمة (الرجوف) مضافا إليها صوت الزاي الصفيري في كلمة (الزحوف) هذه الأصوات توحى بجرسها العنيف إلى ما في هذه الفتنة من الشدة والغلظة والعنف، ولا يخفى ما في صوت المد (الواو) من دلالة موحية في الكلمتين السابقتين، نتيجة الإشباع الصوتي الذي ينشط به الذهن، فيرسم صورة معبرة تحاكي الموقف الذي أراد الإمام وصفه " (٤).

وهناك أمثلة أخرى وفيما يلي جدول بالألفاظ التي درسها الباحثون :

ت	اسم الباحث	الألفاظ التي درسها الباحثون
1	كامل حسن البصير	اجتياح، موصلة، أمصيتها، انبذ، العذب، الزور (جمع زائر)، شدخا، تتمر، وغن، أربع، تزع، انثيال، وذكر كلمات أخرى

(١) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 96 - 98 .

(٢) ينظر: نفسه : 98 .

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 9 / 137 .

(٤) أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية: 73.

		من دون دراستها
2	علي فرحان جواد	التفريق بين (الجيش، الوعى، الجند)، أوه، لأبقرن، تضعيف الفعل حَقَّر وصَغَّر
3	حسن هادي نور	جرجرتم، تثاقلتم، اجتياح، أثقل
4	ميثاق علي عبد الزهرة	(الرجوف والزحوف)، المتقاصف، (مرعاد و مبراق)، الصموت، سمّاعا، (حيارى جفاة)، شوها، (المسايبح و المذايبع)
5	سمير داود سلمان	حسيس، كشيش، شديد، ودلالة أصوات المد في: تقوى، بعيد، يجرون، يساقون
6	هادي شندوخ حميد	خرّ، همّس، الصيحة، الزجر، حسيس، نعق، قاصف، خُوار، زفير، شهيق
7	عباس علي حسين	الألفاظ الموحية (الخضوع، الخشوع)، والألفاظ الموحية نتيجة إبدال التاء طاء (الاصطفاء، الاصطناع)، مصطلحون، تضطم، اصطبتها، اصطخاب
8	طارق محمد حسن	استشعر، تجلبب، اضمّر، عري، زهر
9	رملة خضير مظلوم	اجتياح، كَاد، (قرع و هلس)، (رقل و وجف)، شقق، متعنع، ضرس
10	سعد عزيز شنو	غشيكم، بطرا، شدخا، (المعكوس، المركوس)، زور، تكيد، يوتغان، اجتياح

المبحث الثاني

المكونات الصوتية للإيقاع

الإيقاع

إذا كان الإيقاع يهدف إلى تحقيق الانسجام وهو ما أكده جان كوهن بقوله " إن الإيقاع يأتي لدعم الإحساس العام بالانسجام " ^(١) وما أكدته الدكتورة فؤاد زكريا بأن الإيقاع هو الذي يحقق الانسجام كونه " عبارة عن ضربة أو مجموعة من الضربات بشكل منظم على نحو تتوقعها معه الأذن، كلما آن أوانها " ^(٢) فإن الانسجام يحقق الوظيفة الجمالية، من خلال التناسب في بنية النص، والمقصود بهذا التناسب حسن العلاقة بين الأجزاء المختلفة للأثر الأدبي حتى يتمتع كل عنصر فيه بنصيب من الأثر مع مساهمته في انسجام الكل وتماسكه ^(٣).

وهذا الانسجام أو التناسب غالباً ما تحققه مباحث علم البديع ذات الوظيفة الجمالية ^(٤) وهنا نقطة الالتقاء بين مباحث هذا العلم وبين الجمال بوصفه مفهوماً فلسفياً عاماً، فالظاهرة الصوتية لكي تكون مكوناً من مكونات الإيقاع لابد لها من التكرار والزمن؛ لأن الإيقاع "ظاهرة تقوم على التكرار ويلعب فيها الزمن دوراً مهماً" ^(٥) بيد أن هذا التكرار لا يكون على وتيرة واحدة دائماً لأن هذا من شأنه أن يخلق الملل في نفس المتلقي إذ يشترط فيه "انعدام الانتظام المطلق، أي وجود فجوة، مسافة توتر بين المكونات الإيقاعية" ^(٦) وهو ما أكدته ريتشاردز من أن أن الإيقاع يعتمد على التكرار والتوقع وخيبة الأمل والمفاجأة أحياناً لتجنب الملل قائلاً:

"والنسيج الذي يتألف من التوقعات والاشباكات أو خيبة الظن أو المفاجأة التي يولدها سياق المقاطع هو الإيقاع، ولا يبلغ تأثير صوت الكلمات أقصى قوته إلا من خلال الإيقاع " ^(٧)، ولا تخرج أكثر مباحث البديع عن أن تكون " تناسباً صوتياً كالموازنة والتصريع وكل ما يلحق

(١) بنية اللغة الشعرية: جان كوهن: 41 .

(٢) التعبير الموسيقي: د. فؤاد زكريا: 21 .

(٣) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية: 442 .

(٤) ذهب بعض الباحثين إلى أن علم البديع لا يقل أهمية عن علمي المعاني والبيان في تحقيق الوظيفة الجمالية، بل إنه أقرب إلى مبادئ التشكيل الجمالي الخالص من قسيميته، مادام الجمال قد ارتبط عند أكثر الفلاسفة والمفكرين بالتناسب بين أجزاء العمل الفني، ولكن البلاغيين لم يزيّدوا - في أغلب الأحيان - عن حصر أنواعه وبيان فروقها من دون التطرق إلى تعليل مالها من أثر جمالي مباشر في النصوص. ينظر: عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية: د. مسعود بودوخة: 45، 120-121. وأساليب البديع في نهج البلاغة: 32، هامش: 6

(٥) موسيقى الشعر العربي: د. شكري محمد عياد: 108 .

(٦) في الشعرية: د. كمال أبو ديب: 52 .

(٧) مبادئ النقد الأدبي: ريتشاردز، ترجمة وتقديم الدكتور مصطفى بدوي: 192 .

بالوزن والقافية من حيث المبدأ، أو تناسباً دلاليّاً صوتيّاً كالجناس والطباق وغيرها، فهذه الأنواع تقوم في عمومها على تناسب بين طرفين أو أكثر في النص، وهي تحقق هذا التناسب بوصفه مقياساً جمالياً له أهمية في التأثير الإيجابي في المتلقي وكسب تفاعله، وإعجابه، ولهذا ارتبطت تلك المحسنات البديعية عند أكثر البلاغيين بما أسموه المناسبة والملا عمة والترابط والتلاحم وغير ذلك " (١).

نفهم من ذلك أن الإيقاع يتمخض في الحروف والكلمات والجمل من حيث تناسقها وانسجامها إذ إن خاصية الانسجام تعكس انطباعاً لدى المتلقي، فالإيقاع يمثل العلاقة المتشكلة ما بين توافق الفكرة وبين صورتها المصاغة، وإن هذا التوافق والانسجام بين الصوت والكلمة والجملة في النص وبين فكرته أو معناه يتعلق بالذائقة النفسية لدى المبدع والمتلقي من حيث التأثير شعورياً أو لاشعورياً، فمسألة الإيقاع بحد ذاتها راجعة إلى الذوق والطبع، ومعنى ذلك أن الإيقاع كامن في صميم الذات المبدعة وفي ضوء ذلك ندرك تفاوت الباحثين في تجسيد هذه المقولات عبر تحليلاتهم بين الرصد السطحي والتحليل العميق؛ لأن الإيقاع خلاصة لغة نفسية قبل أن تكون لغة عروضية بحيث ينفعل بها المبدع ويتفاعل معها ويسترجع انفعالاته من خلالها، وبعبارة أخرى إن الإيقاع " هو إيقاع نفسي يسبق الإيقاع العروضي وهو ذو طبيعة متنوعة يتنوع بتنوع الأحوال النفسية لأنه انعكاس لطبيعة الانفعالات النفسية ومعبر عنها بنظام العلاقات البنيوية بين الألفاظ والمعاني والكلمات " (٢).

إن أهمية الإيقاع بوصفه بنية كلية لا يسوغ له أن يكون مرادفاً للوزن على الرغم من الكثير من التصورات التي تعتقد بتساوي الاثنين معاً؛ لأن الإيقاع أعم واشمل من الوزن، والوزن جزء منه ومن هذا المنطلق استحالة فصل الإيقاع عن الوزن عن التأثيرات العاطفية فالموسيقى ترتبط بالتأثيرات العاطفية التي تنشأ من التجربة ، وهكذا يتبين أن النص الأدبي في الحقيقة ليس " إلا كلاماً موسيقياً تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب " (٣). فالأثر الممتع للإيقاع : عقلي/جمالي، ونفسي / دلالي .

(١) عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية: 188-189.

(٢) نفسه: 97.

(٣) موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس، 17.

النسق الصوتي لل تكرار

يمثل التكرار أهم مظاهر الإيقاع؛ لأن الكثير من الأساليب البديعية تقوم عليه من جهة كما أنه يمثل أحد الركنين الأساسيين للإيقاع وهما: التكرار، والتناسب أو الانسجام، من جهة ثانية، وبذلك يكون التكرار " أكثر الأشكال الإيقاعية شيوعاً في الآثار الفنية ... ولعل من أبرز صفات هذا الشكل تمييزه ووضوحه داخل إطار البنية على نحو يجعله عنصراً مهماً من عناصر تماسك النص وترابطه، وعاملاً مهماً من عوامل الحركة بما يولده من مفاصل إيقاعية قد تبقى محصورة داخل تردد العنصر الواحد، ولكن حين تتنوع العناصر وتتنوع اقتراناتها تتوسع آفاق الحركة بقدر غناها بتلك العناصر، عندئذ يأخذ التكرار أشكالاً متنوعة رصدتها البلاغيون في تراثنا الأدبي القديم^(١).

وللتكرار غايات عديدة من حيث الدلالة فقد يكون وجوده في النص للتقرير، أو التوبيخ، أو على جهة التشويق والاستعذاب، أو لشدة القريحة التي تصيب المتفجع، أو الهجاء على سبيل الشهرة^(٢)، أو للمدح، أو للتوعد والتهديد، أو يكون للاستبعاد^(٣)، ويعد التكرار من الأساليب البيانية المهمة التي كثيراً ما يستعملها الكاتب لتأكيد المعنى وتقويته ف " الكلام إذا تكرر تقرر"^(٤).

أما من حيث النغم والإيقاع فإن التكرار يكسب الشعر والنثر الفني على حدّ سواء نغماً صوتياً؛ لأنه يقوم على ترديد الأصوات أو الألفاظ أو الجمل، فالأديب المبدع يردد الصوت أو الكلمة أو المقطع على شكل اللازمة الموسيقية أو النغم الأساس الذي يعاد ليخلق جواً نغمياً ممتعاً^(٥) ومن ذلك نتبين أن للتكرار أثراً في خلق الموسيقى الإيقاعية من جهة، وفاعلية في الوظيفة الدلالية من جهة أخرى، فوظيفة التكرار مزدوجة: (صوتية، جمالية، موسيقية، إيقاعية) تهدف إلى قرع الأسماع وإثارة الأذهان، و (دلالية، معنوية، تعبيرية) تهدف إلى إفهام المتلقي وإقناعه، وتتضح وظائف التكرار من خلال "مستوى النص بإيجاد الروابط والعلاقات بين أجزائه التي تسهم

(١) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي: د. ابتسام أحمد حمدان: 134 - 135 .

(٢) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني: 74 - 76 .

(٣) ينظر: بديع القرآن: ابن أبي الاصبع المصري: 151 .

(٤) البرهان في علوم القرآن: الزركشي: 3 / 10 .

(٥) ينظر: الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة: د. صالح أبو اصبع: 338 .

إسهاما كبيرا في دلالة النص ^(١)، وإثارة ذهن المتلقي بما يمتلك من ذائقة جمالية وخبرات لغوية لتفسير تلك الدلالة وتأويلها ومن ثم التجاوب معها، وبذلك تعمل البنية التكرارية - باختلاف مستوياتها البنائية - على إثراء المنظومة النصية للخطاب الأدبي، إذ يفرز تناغما إيقاعيا وموسيقيا وتجاوبا دلاليا بين المتلقي والمتكلم بوساطة النص الحامل لتلك البنى ^(٢)، وبذلك يكون التكرار كما وصفه رولان بارت مولدا لمتعة النص ^(٣)، ذلك أنه أثر بالغ ومقصود، ويرى الدكتور جميل سعيد: "إن التكرار حالة نفسية كثيرا ما يجريها المرء من غير تفكير أو تعمد" ^(٤) وهو ما أكدته نازك الملائكة حينما ذهبت إلى أن التكرار يشكل إلحاحا على جهة مهمة لعبارة معينة يعني بها الأديب أكثر من سواها فهو "يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيّمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه" ^(٥) فالتكرار أصبحت فوائده لا تقتصر على الجانب النغمي الموسيقي أو الجانب المعنوي الدلالي في النص، بل أبعد من ذلك ليشمل أحوالا عدة من بينها قراءة الجانب النفسي لكل من يستعمل هذا الفن، أما الدكتور علي الجندي فيرى أن التكرار "لا بد أن يتحفنا بشيء من التلوين اللفظي والمعنوي الصوتي، وفيه جدة وطرافة لا توجد في الفقرة السابقة عليه" ^(٦) وعدّ الدكتور محمد عبد المطلب التكرار "الممثل للبنية العميقة التي تحكم حركة المعنى في مختلف ألوان البديع" ^(٧).

وبناء على هذا التقديم يمكننا رصد ما قدمه الباحثون من دلالات للتكرار في نهج البلاغة ليتضح لنا مدى استيعابهم هذه الدلالات (الموسيقية وال معنوية والنفسية) وهل تمكنوا من إظهارها في تحليلاتهم؟

وأول ما يطالعنا في ما تناولوه في موضوع التكرار هو حدّ التكرار، إذ عرّفه بعض

(١) ينظر: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية: د. محمد يونس علي: 202.

(٢) أساليب البديع في نهج البلاغة: 44 - 45.

(٣) ينظر: لذة النص: رولان بارت: 44-45.

(٤) دروس في البلاغة وتطورها: د. جميل سعيد: 261.

(٥) قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة: 242.

(٦) البلاغة الغنية: د. علي الجندي: 238.

(٧) بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي): د. محمد عبد المطلب: 109.

الباحثين بأنه "دلالة اللفظة على المعنى مرددا" ^(١) وعرفه آخرون بأنه "الإتيان بالشيء مرّة بعد أخرى" ^(٢) ومن النظر في التعريفين نتبين أن الباحثين اختلفوا - كما اختلف البلاغيون من قبلهم - في تضيق مساحة التكرار وتوسيعها، فمنهم من قصره على إعادة اللفظ كما يتضح من التعريف الأول وهذا جليّ عند الباحث عباس علي حسين حين حدّد التكرار في الاصطلاح بقوله: "وأما في الاصطلاح فالمقصود به: تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرّة في سياق واحد، وذلك إما للتوكيد، أو لزيادة التنبيه، أو للتهويل، أو للتعظيم" ^(٣)، وكذلك الباحثان سمير داود سلمان وعبد الهادي عبد الرحمن علي ^(٤)، ومنهم من وسّع دائرته ليشمل تكرار الصوت واللفظ والجمله والمعنى، كما في التعريف الثاني، ومن اللافت أن أغلب الباحثين الذين تبنا التعريف الأول للتكرار الذي يحصره في الألفاظ فقط، اشتملت مباحثهم على تكرار الصوت واللفظ والجمله، فالتكرار -عندهم - لم يتوقف على الألفاظ فقط، كما قرروه في حدّهم للتكرار، فمن النظر في تطبيقاتهم نتبين أن مفهوم التكرار عند الباحثين لا ينحصر في مجال ضيق وإنما هو "الإتيان بعناصر مماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره" ^(٥)، وعلى الرغم من تناولهم التكرار في أساليبه البديعية المختلفة إلا أنهم اختلفوا في إظهار قيمه الدلالية المتعددة، إذ ركّز بعضهم على إظهار قيمه الدلالية فقط، في حين ركز بعضهم الآخر على إظهار قيمه الموسيقية والجمالية والإيقاعية مع الإشارة إلى قيمه الدلالية، وإن هذا الاختلاف ناتج عن طبيعة دراسة كل منهم من جانب، وتفاوتهم في ميدان التحليل الصوتي نتيجة التفاوت في الذائقة والخبرات من جانب آخر

من هنا اهتم الباحثون الأكاديميون بدراسة نسق التكرار في نهج البلاغة سواء في دراساتهم الأدبية البلاغية أو الأسلوبية أو في دراساتهم اللغوية، إذ كل منهم يروم استكناه قيمة من قيمه الجمالية أو الدلالية أو محاولة الإتيان بهذه القيم جميعها، ولما كان التكرار يقوم على التردد فهو يدخل في كثير من أساليب البديع لاسيما تلك التي تتصف بصفة مشتركة، وهي الصفة التكرارية، التي لا يتوقف حدود استعمالها عند مستوى معين، بل تتوزع في مستويات

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير: 2 / 146 .

(٢) التعريفات: الجرجاني: 59 .

(٣) الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون: 282 .

(٤) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام): 21، ينظر: المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: عبد الهادي عبد الرحمن علي الشاوي: 164 .

(٥) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: 117 .

بنائية مختلفة، فنجد متضمنا لتكرار الصوت والمفردة والجملة، وقد يكون هذا التكرار كلياً أو جزئياً، بمدلول لغوي واحد، أو مدلولات إيحائية مختلفة " (١) ولذا لا نستطيع أن نبين منهجهم في دراستهم للتكرار أو نقيمه ما لم نقف على كل أسلوب من أساليبه التي درسوها.

فقد ذهب الباحث كامل حسن البصير إلى أن التكرار كان الأكثر شيوعاً في رسائل الإمام علي (عليه السلام) من الجناس والاشتقاق إلى درجة ملموسة جداً وأرجع ذلك إلى طبيعة الإمام الشاعرية (٢)، وتوصل الباحث حسن هادي نور إلى "أن التكرار - في نهج البلاغة - بأنواعه وصوره المختلفة يشكل ملمحاً أسلوبياً لافتاً للنظر، لا يكاد يخلو منه فن من فنونه" (٣)، وذهب الباحث نوفل أبو رغيث إلى "أن التكرار - في نهج البلاغة - هو من أبرز الظواهر الخالقة لشعرية الصوت لما يمتلكه من تنغيم مزدوج، داخلي وخارجي، ولما يفصح عنه من تركيز (دال) على أهمية المكرر وفاعليته الإيحائية" (٤) وذهب الباحث حسين العمري إلى مثل ذلك (٥)، ذلك (٥)، وذكرت الباحثة رملة خضير مظلوم "إن ترديد الحرف الواحد له قيمة تنغيمية ذات وظيفة عضوية في أداء الفكرة والعاطفة وهي وسيلة شعرية" (٦)، و قام الباحث خالد كاظم حميدي بإحصاء البديع التكراري بأشكاله المتنوعة في نصوص نهج البلاغة فوجده ورد (1030) مرة مما دفعه إلى القول : إنه يؤلف هيمنة أسلوبية كان وراءها قصد استعمال بدافع الموهبة والخبرة في التركيز على الدال الصوتي المتكرر في تركيب البنية النصية، وإن هيمنة هذه الأساليب يعني اشتغال الوظائف التي تؤديها بمختلف مستوياته، لإحداث الأثر الدلالي والجمالي (٧).

(١) أساليب البديع في نهج البلاغة: 43 .

(٢) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 346 .

(٣) الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 51 .

(٤) مستويات الشعرية في كتاب نهج البلاغة: نوفل أبو رغيث الموسوي، وقد طبعت هذه الرسالة بعنوان:

المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2008م: 64

(٥) درس الباحث البنية الشعرية في نهج البلاغة مبيناً أهم مظاهر الشعرية التي اشتمل عليها كلام الإمام (عليه السلام).

ينظر: الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية: عبد الحسين عبد الرضا أعوج العمري،

وقد طبعت هذه الأطروحة، واسم مؤلفها: حسين العمري، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2010م: 84 -

118 .

(٦) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 131 .

(٧) نفسه: 46 .

وعلى الرغم مما أشرنا إليه من أن أساليب البديع كثيرا منها يحمل الصفة التكرارية، فإن الباحثين خصصوا بابا مستقلاً للحديث عن التكرار بوصفه ظاهرة تعبيرية مستقلة، فصلوا فيه القول عن الأشكال التكرارية التي رصدوها في نهج البلاغة، متبعين في ذلك منهج البلاغيين، ودراسة موضوع التكرار هي غير منحصرة عند الباحثين في النهج فقد حظي باهتمام كبير في دراسات تحليلية في ميادين أخرى فضلا عن ذلك أن هناك من درسه بشكل مفصل^(١).

ويمكننا تقسيم التكرار - بحسب طبيعته البنائية وبحسب ما ورد في الرسائل والأطاريح الجامعية - على ثلاثة أقسام :

أولاً: تكرار الصوت

في هذا المستوى تبرز أصوات معينة من خلال تكرارها في النص على مستويي الكلمة الواحدة أو الجمل المكونة لل فقرات فيكون لها وقع خاص لافت يضاعف النغم في النص ويُسهم في تعزيز موسيقاه . لكن وظيفة هذه الأصوات لم تقف عند هذا الحد - خاصة في النص المبدع - بل تتعداه إلى تأسيس قيم دلالية موحية تنبثق من الدلالة السياقية للألفاظ وأحيانا من دلالة الألفاظ نفسها التي تشتمل على تلك الأصوات وهذا ما يزيد من ربط أدائها بالمضمون.

١ - تكرار الصوت في الكلمة المفردة

لم يتعرض لدراسة هذا النوع من التكرار سوى الباحث هادي شندوخ حميد وقد ذكر ثلاثة أمثلة، منها تكرار صوت الدال في لفظة (شديد) الواردة في كلام الإمام (عليه السلام): "وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَ قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حَلِيقَتُهَا حَدِيدٌ، وَ شَرَابُهَا صَدِيدٌ"^(٢) مشيراً إلى أن تكرار صوت (الدال) فيها "وهو صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مرقق"^(٣) يحاكي هذا الصوت عند دخوله المفردة أو المفردات في سياق التعبير الأحداث القوية الشديدة بما يمتلكه من جرس شديد وهذا يتناسب ودلالة اللفظة، فالشدة والصلابة وهي نقيض اللين و(الشين والدال أصل واحد

(١) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير: د. عز الدين علي السيد، والتكرار مظاهره وأسراره: عبد الرحمن محمد الشهراني، والتكرار اللفظي أنواعه ودلالاته قديما وحديثا: صميم كريم إلياس .

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 7 / 288 .

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: 46، وعلم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): 130.

يدل على قوةٍ في الشيء) ^(١) وهكذا برزت قيمة صوت (الدال) التعبيرية بمحاكاته الحدث والمتمثل بشدة النار ^(٢) ولئن ركز الباحث على لفظة شديد، اعتمادا على مرجعيتها القرآنية وهو ما ينسجم وموضوع بحثه فإن في النص ألفاظا أخرى تكرر فيها صوت (الدال) لم يقف عندها الباحث وهي: (شديد، حديد، صديد) ، والباحث في هذا المثال وفي المثالين الآخرين يركز على الوظيفة الدالية للصوت ولم يتعرض للوظيفة الموسيقية الإيقاعية، ومن ذلك نتبين أن الباحثين لم يولوا تكرر الصوت في اللفظ المفرد عناية ولم يتلمسوا فيه أية دلالة موسيقية إيقاعية .

٢ تكرار المقاطع في الكلمة الواحدة

يعد تكرار المقطع الصوتي في داخل اللفظة الواحدة أكثر تأثيرا في السمع من تكرار الحرف؛ لأنه يعيد على أذن السامع مقطعا قد تشكل في مسامعه واستوعبه وأدرك إيقاعاته فإذا به يعاد مرة أخرى وبدون فاصلة أو تغيير، إذ إن تضام الحروف المترددة وتقاربها أكثر فعالية في إشاعة النغم وتكثيفه من حالها وهي متباعدة .

ونذكر عدد من الباحثين أمثلة لهذا النوع من تكرار الصوت، فقد أشار الباحث حسن هادي نور إلى مثالين وضعهما تحت عنوان (جرس الألفاظ) ركز في تحليلهما على إظهار الأثر الدلالي للتكرار من دون الالتفات إلى الأثر الموسيقي ، ومن ذلك لفظة (جرجرة) في قول الإمام (عليه السلام): "دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ، فَجَرَجَرْتُمْ جَرَجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ، وَتَشَاقَلْتُمْ تَشَاقُلَ النَّصْوِ الْأَدْبَرِ" ^(٣) فبعد أن أورد دلالتها المعجمية اكتفى بالقول بان لجرس اللفظة وتكوينها معاني إيحائية فهي صدى لدلالاتها في وصف ما كانوا عليه من الحيرة والتردد ^(٤) فالباحث وإن أشار إلى الدلالة الإيحائية لهذه اللفظة إلا أنه لم يربط بين صفة صوتي الجيم والراء المتكررين فيها وبين المعنى المقصود فالراء بصفته التكرارية ودلالاته الإيحائية على التردد ناسب المعنى .

ونذكر الباحث حيدر أحمد حسين مثالين أيضا وضعهما تحت عنوان (تكرار المفرد)

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: 3 / 179.

(٢) الأثر الدلالي للقرآن الكريم: 57.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 2 / 300 .

(٤) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 27 .

أظهر فيهما الجانب الدلالي للتكرار ولم يركّز على الجانب الموسيقي أو الإيقاعي، فقد التفت إلى الأثر الدلالي الناتج من تكرار صوتي الراء والجيم في لفظتي (جرجرتم) و(جرجرة) في قول الإمام السابق إذ وجدهما مهيمنين على عبارة الإمام فربط بين صفات هذه الحروف المتكررة وبين دلالة اللفظة فالجيم من الأصوات الانفجارية الشديدة ^(١)، والراء متوسط بين الشدة والرخاوة ^(٢)، فذهب إلى أن هذا التكرار "أدى إلى خلق إيقاع ثقيل بطيء يتناسب مع الحالة التي هم عليها؛ لأن الجرجرة صوت يردده البعير في حنجرته، وأكثر ما يكون ذلك في حالة الضجر نتيجة التعب ... فكل هذه التكرارات جاءت لخدمة النص صوتيا ودلاليا، بل إن البنية الصوتية عكست تماما الحال الذي هم عليه من تتأقل وتذمر من القتال" ^(٣).

وقد تنبه الباحث عباس علي حسين إلى أن انتقاء الإمام (عليه السلام) لصيغ زيد في مبانيتها مقاطع صوتية مكررة إنما لأجل الزيادة في قوة معناها وقد جاءت هذه الصيغ في كلامه في أشكال كثيرة مثل: (جرجرة، زحزح، شقشقة، قلقله، اعذوب، احلولى، حاوح، ذعذعة، وعوعة، نهنة، لجلجة، ذذبذبة، بلبله) ^(٤) إلا أنه لاحظ فيها الأثر الدلالي/ المعنوي وليس الصوتي/ الموسيقي .

و ذكر الباحث سعد عزيز شنو عددا من هذه الألفاظ ودرسها صوتيا تحت عنوان (تكرار المقاطع) مبينا ما تحدثه من أنغام موسيقية جميلة قصد إليها الإمام ليجذب انتباه السامع، وليحقق فيها ما يريده من تأثير، وهي: (مضمضة، المذبذب، همهمت، متعتع) ^(٥)، في حين ذكر الباحث عبد الهادي عبد الرحمن علي مثالين تحت عنوان (تكرار المقاطع) هما: شقشقة، وجوؤ، ركز فيهما على إظهار الإيقاع المتولد من تكرار المقطع ولم يركّز على الجانب الدلالي ^(٦).

والذي يبدو أن هذا النوع من التكرار الصوتي لم ينل عناية الباحثين أيضا في إظهار

(١) ينظر: الأصوات اللغوية: 24 .
(٢) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: غانم قدوري الحمد: 114 – 115 .
(٣) المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) دراسة بلاغية: 47.
(٤) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة: 79 .
(٥) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 128 – 130 .
(٦) ينظر: المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: 168 – 169 .

الأثر الموسيقي فلم يقف عنده سوى الباحث سعد عزيز شنو في أربعة أمثلة والباحث عبد الهادي عبد الرحمن في مثالين أوضحا من خلالها الأثر الموسيقي الإيقاعي الناتج من هذا التكرار. أما ما ذكره الباحثون الآخرون حول بعض هذه المفردات فلم يتعد بيان الأثر الدلالي لا غير ، فضلا عن تفاوتهم في إدراك القيمة الدلالية لتكرار الصوت.

٣ تكرار الصوت في بنية النص

حدّ الباحث خالد كاظم حميدي هذا النوع من تكرار الصوت بأنّه "التركيز على صوت معيّن بمعاودته وتمكينه في بنية النص على وفق استعمال مخصوص رغبة في إحداث وظيفة تأثيرية (جمالية ودلالية) تترك وقعا في نفس السامع ليتفاعل معها؛ لأن تكرار الصوت يحمل معاني إيحائية ونفسية غامضة لا تتكشف إلّا بعد التأمل وطول النظر" ^(١)، ومن ثم فرق بين تكرار الصوت في بنية النص وبين تكراره في أسلوب السجع قائلا: "ويختلف تكرار الصوت بوصفه أسلوباً خاصاً، عن تكرار الصوت في أسلوب السجع مثلاً؛ لأنّ هذا الصوت ضمن بنية دالة لها معنى، أما تكرار الصوت هنا فمختلف إذ يتردد صوت أو مجموعة أصوات في فقرات النص، إذ نتحسس هيمنة هذا الصوت على باقي الأصوات، وإذا كان للصوت اللغوي المفرد داخل النسق الكلامي معنى متضمّن متأتّ من طبيعة العلاقات التي تحكمه بالسياق السابق واللاحق، فإن تكرار هذا الصوت وترديده يعني التركيز على الدلالات التي يحملها وكشفها وجعلها ماثلة في بنية النص، وذلك يولد أثرا يترك للمتلقّي تأويله تأويلا جماليا بالاستناد إلى السياق الثقافي والحضاري الذي يحيط به" ^(٢).

فلتكرار الصوت داخل السياق وظيفتان: موسيقية، ودلالية ، ولكن بعض الباحثين في نهج البلاغة لم يركّزوا على ما يؤديه الصوت المتكرر من أثر موسيقي إيقاعي بقدر اهتمامهم بأثره الدلالي لذا كانت أمثلتهم التي استعانوا بها هي شواهد لدلالة الصوت على المعنى وما قدموه من إشارات صوتية موسيقية ناتجة عن تكرارات صوتية لا تعدوا أن تكون إشارات عابرة لم تغير الطابع العام للتحليل الدلالي وإن حاول بعضهم أن يلبس تحليلاته الصوتية ثوب

(١) أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية: 78 .

(٢) نفسه: 78 .

الدلالية/ المعنوية والموسيقية/الجمالية في الوقت نفسه إلا أن القارئ المتنبع يستطيع أن يلمس الطابع الدلالي الذي خيم على مجمل هذه التحليلات الصوتية باستثناء ما التفت إليه بعض الباحثين من تنوع هذه التكرارات الصوتية إذ مثلت خروجاً عن النمط مما أدى إلى منح النص - المتضمن لها - صفة الشعرية.

وكان على الباحثين إظهار الوظائف الدلالية للصوت المتكرر في السياق لا الاختصار على وظيفة واحدة وهي الدلالة المعنوية؛ لأن النفس تألف الإيقاع قبل كل شيء، فالأديب حينما يلقي نصاً أدبياً غايته التأثير في النفوس، والعمل على تحريك كوامنها من أجل إفهامها وإقناعها فإذا خلا النص من المؤثرات الصوتية - التي هي جزء من الإيقاع - فقد إثارة الأذهان وقرع الأسماع .

وهذه القيم الجمالية والتعبيرية التي تكتسبها الأصوات المتكررة وألفاظها إنما تؤثر في الجو الشعوري والانفعالي للنص والذي من أظهر مميزاته تحقيق المماثلة الصوتية والتناغم وهذا ما يؤكد علاقة الصوت الوطيدة باللغة الشعرية؛ لأن الصوت نابع من إحساس المنشئ ومن وعيه بأهمية الحرف والكلمة ومن ثقافة واسعة تتلاقى مع مدركات ذهنية وجمالية في نفس المنشئ مثل التناغم الصوتي فهو وإن يبدو عفويّاً ألا أن المنشئ لا بد أن يكون قد أحضر وعيه كاملاً وهو يحاول التنسيق والتنظيم بين الحروف داخل النص^(١).

فضلاً عن ذلك إن معرفة الأثر الدلالي للصوت في داخل التركيب يتطلب من الباحث الذكاء والفتنة فضلاً عن المران والدرية والخبرة، مع المعرفة بصفات الحروف ومخارجها وهو ما لا نجده عند جميع الباحثين إذ ربما كان عمل الباحث مقتصرًا على إحصاء الأصوات من دون الكشف عن واقعها الدلالي^(٢).

وسنبين منهج الباحثين في دراسة هذا النوع من التكرار مسلطين الضوء على الدلالات التي وقفوا عندها، ويعد هذا النوع من التكرار أكثر الأنواع التي حظي باهتمام الباحثين.

فقد ذكر الباحث حسن هادي نور عددًا يسيرًا من الأمثلة تحت عنوان (التكرار

(١) ينظر: اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي: محمد رضا مبارك: 193.

(٢) ينظر: المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) دراسة بلاغية: 50 .

الصوتي^(١) ألمح فيها إلى الأثر الدلالي للصوت في التركيب ، من دون التركيز على الأثر الموسيقي إلا في عبارات مرسلة ومن ذلك تكرار صوتي (الراء والحاء) في قول الإمام (عليه السلام): "وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمَكْرُ وَأَنْكَرُ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ"^(٢) فهو يرى أن صوت الراء المكر في أواخر الكلمات الثلاث من الفقرة الأولى أضفى صفة التغيير إذ يتميز هذا الصوت بالتكرار^(٣) والتغيير فـ "إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغير لما فيه من تكرير"^(٤) وهذه الصفات تتسجم ومعاني المفردات: المكر، والإنكار، كما وجد إحياء بين صوت الحاء وهو من الأصوات المهموسة^(٥) وبين معنى لين الطباع وحسن المعاشرة بين الناس بما عليه بنو هاشم من الصبابة والفصاحة والبلاغة^(٦).

ولئن ركّز الباحث على الأصوات الأخيرة من كلمات الفقرتين في هذا النص فهناك هيمنة أسلوبية لأصوات أخرى وقعت في حشو هذه الكلمات جاءت منسجمة وما يريده الإمام (عليه السلام) من هذه المقابلة أو المقارنة لم يقف عندها الباحث وهما صوتا (الكاف والصاد) في شطري عبارة الإمام إذ تكرر كل منهما ثلاث مرات فالكاف وهو صوت انفجاري شديد، والصاد وهو من أصوات الصفير قد أضفيا صفة الوضوح على النص لما لهذين الصوتين من جرس واضح، ووضوح الصوت هنا يعد لازمة من لوازم الواقع الدلالي وهو مما يلقي الحجة ويقطع المعاذير .

وعقدت الباحثة رمة خضير مظلوم عنوانا لدلالة الصوت في التركيب تحدثت - في التنظير - عن دلالة الألفاظ داخل التركيب وحسن تأليفها وصياغتها مع أخواتها في الجملة من الكلام مستشهدة بنصوص العلماء القدامى أمثال الجاحظ، وأبـي هلال العسكري، وابن الأثير، وقد عالجت من خلال هذا العنوان أمثلة من نهج البلاغة لم تقف فيها على دلالة الصوت في التركيب فقط، وإنما عمدت إلى الكشف عن مظاهر البنية الصوتية في هذه النصوص مثل التكرار بأنواعه المختلفة، والجناس، والسجع، والطباق، والمقابلة، والتوازن، والتوازي وبمعنى آخر أنها بحثت في هذه الأمثلة أغلب العناصر الصوتية المؤدية إلى خلق الإيقاع الموسيقي،

(١) ينظر: ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 22 - 25 .

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 18 / 285 .

(٣) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: 36 .

(٤) لسان العرب: مادة (كـرّ)

(٥) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 312 .

(٦) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 24 - 25 .

مقسمة هذه الأمثلة حسب مواضيعها مثل: الزهد، والوعد والتهديد، النقد والتقريع، ...^(١).

وعالجت الباحثة إيمان عبد الحسن علي مجموعة من الأمثلة مبينة فيها الأثر الدلالي

للصوت داخل التركيب وهي وإن عقدت هذه الأمثلة لبيان الإيقاع في كلام الإمام، إلا أنها برزت الجانب الدلالي فيها أكثر من الجانب الموسيقي، وقد توصلت إلى نتيجة مفادها أن تركيز الإمام (عليه السلام) على تكرار بعض الأصوات إنما جاء نتيجة تركيزه على الفكرة نفسها التي يريد توصيلها للمخاطب^(٢).

وذكر الباحث سعد عزيز شنو أمثلة لدلالة الصوت في التركيب استوحاها من رسائل الإمام (عليه السلام) تناولها تحت عنوان (المحاكاة الصوتية الثانوية)^(٣) ركّز فيها على إظهار الجانب الدلالي مكتفياً بالإشارة إلى الجانب الصوتي، من ذلك تكرار صوت (السين) في عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك الأشتر: "فَاسْتَرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ، يَسْتَرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ"^(٤)، فقد أثار الباحث تكرار صوت السين في هذا النص فعمد إلى الكشف عن دلالاته في في المعنى العام لعبارة الإمام قائلا: "إن المتأمل لهذا النص ينجذب سمعه إلى نغمة تفرض حضورها على النص وتسيطر على مسامع المتلقي، هذه النغمة متأتية من تكرار صوت (السين) الرخو المرقق الصفيري، الذي يشعر بكجو من الهمس والضعف والخفاء^(٥) فضلا عما يوحيه معنى الصوت في أعماق النفس^(٦) لما فيه من دلالة على السكينة والهدوء والانسيابية^(٧) والانسيابية^(٧) التي تحاكي الطريقة التي يريدها الإمام أن يتبعها واليه في حكم الرعية، من ستر لعوراتهم، وإخفاء - بقدر المستطاع - لعيوبهم"^(٨). وأرى أن ما ذهب إليه الباحث من الدلالات التي استوحاها من تكرار الصوت في التركيب تعبر عن اجتهاد الباحث وتكلفه؛ لأن صوت (السين) لم يتكرر في ألفاظ متعددة داخل التركيب، وإنما تكرر في جذر واحد وهو الفعل (ستر)

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 114 - 150 .

(٢) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: إيمان عبد الحسن علي: 139 - 142 .

(٣) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 105 - 107 .

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 33 / 17 .

(٥) ينظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم: نذير حمدان: 118، والنقد الجمالي وأثره في النقد العربي: روز غريب: 133 .

(٦) ينظر: عضوية الموسيقى: 59 .

(٧) ينظر: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: 79 .

(٨) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 107 .

فمرة جاء في صيغة الأمر، ومرة في صيغة المضارع، ومرة في صيغة المصدر، فإذا كانت ثمة دلالة لهذا الصوت فهي متعلقة بالفعل (ستر) وليس بالتركيب، فالتكرار في هذا النص للفظ وليس للصوت.

وفرق الباحث عباس علي حسين بين وظيفتي التكرار فذهب إلى أنه إما أن يراد منه إظهار المعنى، أو يراد منه تقوية الجرس، وذكر أمثلة لكل قسم، قائلا: "والحق إن الأمثلة في تكرار الحرف الذي يراد منه إظهار المعنى قليلة جدا ولم أجد من الأمثلة ما يعتد بها في حكاية المعنى غير مثالين، فالغالب أن يأتي تكرار الحرف في صور الإمام لتقوية الجرس وتكثيف الموسيقى"^(١) ولا أوافق الباحث في رأيه؛ لأن هذه الدلالات متحققة في التكرار وما الفصل بينهما إلا من جهة تعليمية، أو لغرض التركيز على واحدة منها دون أخرى.

وذكر الباحث عبد الهادي عبد الرحمن علي أمثلة لتكرار الصوت في السياق تحت عنوان (تكرار الحرف) محاولا إظهار قيمه الدلالية والموسيقية^(٢)، وهو بهذا اكتفى بذكر نوع واحد من أنواع تكرار الصوت مهملا بقية الأنواع الأخرى

وأما التركيز على الجانب الموسيقي أو الجمالي لهذا التكرار فنجد واضحا عند الباحثين نوفل أبو رغيف وخالد كاظم حميدي ومن أمثلة ذلك اشتراكهما في إظهار القيمة الدلالية لتكرار الصوت في كلام الإمام علي (عليه السلام) لما بويح في المدينة: " وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَبُنَّ بَلْبَةً، وَلَتُعْرَبُنَّ عَرَبَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوَاطِ الْقَدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلُكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَرُوا، وَلَيَقْصُرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا "^(٣).

فبالرغم من اتفاقهما على وجود دلالة ملموسة لبعض الأصوات وتطابقهما في تعدادها حيث تكررت اللام تسع عشرة مرة، والباء اثنتي عشرة مرة، والنون أربع عشرة مرة، والسين ثمان مَرَّات، والقاف ثمان مَرَّات، والواو ثلاث عشرة مرة، والتنوين مرتين، إلا أن معالجتهم في بيان الأثر الدلالي لهذه الأصوات كانت مختلفة فقد ركز الباحث نوفل أبو رغيف على الأثر الجمالي لهذه الأصوات المتكررة ليتوصل إلى شعرية النص المذكور مفيدا من غياب الانتظام

(١) الصورة الفنية في خطب الإمام علي (عليه السلام): 216.

(٢) ينظر: المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: 165 – 167.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 272/1.

المطلق في عدد الأصوات مما استفز فيه الذائقة الجمالية ليخلص إلى وصف هذا المقطع بأن فيه شعرية صوتية متميزة؛ لأنه بني على ظاهرة كسر النمط، والانزياح عن المؤلف إذ "إن مجموعة الحروف المتكررة أشاعت في النفس حساً صوتياً متميزاً جسد ظهوره أصوات الغنة (الميم والنون) على نحو بارز منذ استهلال النص وتداخل هذا الظهور مع الأصوات الانفجارية (الكاف والقاف) بمشاركة الصوت المهموس (السين) مع الالتفات إلى ما مثله صوت (اللام) من حيّز واسع، فكانت هذه التراكمات الصوتية المتتافرة تارة، والمنسجمة تارة أخرى التي نشأت عن طريق تكرار الحروف ... تعزز وضوحاً دلالياً في النص وتضفي ظلالاً إيحائية جمالية على جوه العام لجعله قابلاً للدخول ضمن توصيفات الشعرية" (١) .

في حين أوضح الباحث خالد كاظم حميدي الأثر الدلالي والجمالي الناتج عن هذه الأصوات المتكررة فقد مثلت لديه مهيماً أسلوبياً في بنية هذا النص، لافتاً نظره من بين هذه الأصوات المتكررة صوتي (الباء والسين) منبهاً إلى ما يوحيان به من معنى ينسجم والمعنى الذي أراده الإمام (عليه السلام) "وربما هذا الأمر يعود إلى صفة هذين الصوتين ومخارجهما، فالباء صوت انفجاري مجهور شديد (٢)، وقد صوّر صورة أيقونية عن تفجير الوضع (الشيء المنحرف) الذي أراد قلبه؛ لأن منظومة القيم قد انقلبت قبله في عهد الخليفة الثالث، بسبب تسلط بني مروان على مقدرات الأمة. أمّا السين فهو من حروف الصفيير وقد عاضده صوت (الصاد) الممتلك للصفة نفسها، قد أشركتنا في تصوير أجواء المعركة، وصليل السيوف التي تعيد الحق إلى نصابه" (٣) .

من دون أن يغفل الأثر الجمالي/الموسيقي لهذه الأصوات المتكررة فقد بين أن "شيوخ هذه الأصوات بما تملك من صفات، سيمح النص نغمة موسيقية لبّت المعنى والسياق، فضلاً عن إدخال تنوع صوتي يخرج القول عن النمطية ليحدث ذلك الأثر الخاص الذي أكدته التكرار الصوتي." (٤) .

ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام) موصياً ابنه الحسن: " مِنْ الْوَالِدِ الْفَانِ الْمُقَرَّرِ لِلزَّمانِ الْمُذْبِرِ

(١) المستويات الجمالية في نهج البلاغة: 67 .

(٢) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: 112.

(٣) أساليب البديع في نهج البلاغة: 80

(٤) نفسه: 80

الْعُمْرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ الدَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّائِكِ مَسَاكِينَ الْمُؤْتَى الظَّاعِنِ عَنْهَا عَدَاً، إِلَى
الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ ... " (١).

وقف على هذا المقطع الباحثان رملة خضير مظلوم وخالد كاظم حميدي وقد تنبها إلى
الأثر الدلالي الناتج من تكرار صوت الميم ثلاث عشرة مرّة، وربطاً بين صفة هذا الصوت وهو
صوت مجهور متوسط شفوي أغن (٢) وبين المعاني المنشودة في النص، فقد هيّأ جواً هادئاً
حزيناً مشعراً بالمرارة يتلأأ عم ومعاني الزهد والموعظة التي أراد الإمام ترسيخها في ذهن ابنه
الحسن (عليه السلام)، فضلاً عن بقية السامعين (٣) بيد أن الباحث خالد كاظم حميدي لفت نظره تكرار
صوت آخر وهو صوت (النون) ثماني مرّات ووجد في اشتراك صوتي (الميم والنون) في صفة
الجهر والغنة (٤) إحياءاً بالمعاني أو الجهر بها (٥)

من هنا نتضح اختلاف زاوية النظر لدى الباحثين في بيان أثر النسق الصوتي ، على
مستوى الدلالة، وعلى مستوى الحرف المتكرر .

وعليه فإن ترابط الصوت مع الدلالة داخل السياق هي حقيقة واقعة لا يمكن إغفالها وقد
التفت إليها النقد الحديث واهتم بها، ومن ذلك يتضح لنا كيف وظّف الباحثون تكرار الأصوات في
نهج البلاغة لإشاعة النغم فيها أو تكثيفه، كما أفادوا من قيمة ترديدها الصوتي "في تصوير أو
توكيد الصورة الشعرية وإبرازها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون للأصوات المفردة معان
بذاتها ولكنها تكتسب تلك المعاني من وجودها في السياق الذي يصبغها بلونه بالإضافة إلى لونها
وطبيعتها النطقية والسمعية" (٦).

وعلى ذلك يمكن القول إنّ تكرار الصوت يعني تكرار سمات معينة في امتدادات
النص، وهذه السمات سوف تخصص طابع النص باتجاه موسيقي معين؛ لأنها قائمة على قصد
تحقق وظيفة الصوت، وهي من الدعائم الأولى لإيصال المعنى .

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 9/16.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية: 44، والمدخل إلى علم الأصوات: 128 .

(٣) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 117، وأساليب البديع في نهج البلاغة: 81

(٤) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: 261.

(٥) ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة: 81 .

(٦) الأسلوبية الصوتية: د. محمد صالح الضالع: 30 .

فقد خلص الباحث خالد كاظم حميدي إلى " أن هذه الأصوات المتكررة التي مثلت مهيمناً في بنية النص الخطابي تحولت إلى (رمز سيميائي) من غير جنس اللغة؛ لأن اللغة أصوات دالة، وما وراء اللغة أصوات، المتلقي هو الذي يعطيها دلالة من صورتها الأيقونية (رمز سيميائي) وهي النقطة التي تحول بها النص إلى أعلى درجات الدلالة والتأثير " (١).

وبعد فالمستوى الإيقاعي الذي يولده تكرار الأصوات في النص النثري ذو أثر مهم وحيوي في إغناء موسيقى النص كما انه يعزز دلالتها الشعرية لذا لا أرى من الدقة القول: " إن هذا النمط الإيقاعي أكثر أنماط الإيقاع بساطة ومباشرة.. " (٢).

ثانياً: تكرار الألفاظ

ويقصد به "التركيز على مفردة معينة، وذلك بإعادتها في سياق النص، حاملاً لمعنى أو معان يقصدها المتكلم" (٣) فتتكرر الألفاظ في سياق ما وتدل على معنى استوجب التأكيد وتقرير الصورة في ذهن السامع من خلال ذلك التكرار إذا كانا متفقين في المبنى والمعنى، أما إذا اختلفا في اللفظ واختلفا في المعنى فالفائدة من التكرار تكون بالدلالة على المعنيين المختلفين (٤)

وقد تتجاوز الدلالة ذلك الإطار لتحدث صورة صوتية لا تنفصل عن المعنى، لان اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة ومسموعة (٥) يؤدي فيها الصوت المكرر قيماً إيقاعية داخلية داخلية تشير إلى قيم مدلولية وإيحائية (٦) من خلال الألفاظ المكررة بأصواتها إذ تزيد من تضعيف المعنى وجمالية المبنى بذلك الملمح من التكتيف الدلالي.

وقد المح الباحث كامل حسن البصير إلى وجود تكرار للألفاظ في كلام الإمام علي (عليه السلام) من دون حاجة لغوية ماسة إليه، وإنما جاء به ليمنح العبارة إيقاعاً موسيقياً وذلك في

(١) أساليب البديع في نهج البلاغة: 81 .

(٢) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية: د. محمد صابر عبيد: 38 .

(٣) أساليب البديع في نهج البلاغة: 84 .

(٤) ينظر: معجم النقد العربي القديم : د. احمد مطلوب: 370/1

(٥) ينظر: اللسانيات من خلال النصوص: عبد السلام المسدي: 43.

(٦) ينظر: المتخيل الشعري: محمد صابر عبيد: 26.

مثالين في قوله (الْعَلَمَةُ): "وإن في يدك مالا من أموال الله، وأنت من خزان الله عليه" ^(١) وقوله أيضا: "وَرَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِرًا بِدَمِ عُثْمَانَ ، وَ لَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ" ^(٢) قال

الباحث: "فقد كان عليه أن يحذف لفظ الجلالة في المثال الأول ويعوض عنه بضمير يعود على لفظ الجلالة الأول ولكنه لم يفعل هذا لأن تكرير لفظ الجلالة بعينه يمنح العبارة إيقاعا موسيقيا، كما أنه كان يستطيع أن يحذف في المثال الثاني اسم العلم عثمان ويعوض عنه بضمير بيد أنه لم يقم بهذا رغبة في توفير قافية لفقراته بتكرار كلمة عثمان ذاتها " ^(٣).

ونحن إذ نوافق الباحث على أن هذا التكرار منح العبارة إيقاعا موسيقيا إلا أننا نرى فيه إحياء دلاليا فتكرار لفظ الجلالة في المثال الأول كان ينسجم ومعنى كلام الإمام إذ أفاد التأكيد والتذكير بالله فالإمام جاء بهذا التكرار بوصفه قيمة دلالية يتم التأكيد من خلاله على المفاهيم التي يتبناها وهي أن المال لله فتكرار لفظ الجلالة جاء لترسيخ هذه الحقيقة وتأكيدا، وكذلك الحال في تكرار اسم عثمان فالإمام أراد أن يؤكد زيف وبطلان دعوى معاوية من خلال التركيز على دحض حجته "والتكرار النغمي يؤدي معنى التوكيد إذا كان اللفظ مكررا في جملة أخرى، أو جاء اللفظان متعاقبين بحيث يكون الثاني تكرارا نغميا وتوكيدا" ^(٤).

وقد اختلف منهج الباحثين في رصد أمثلة التكرار اللفظي فمنهم من اقتصر على رصد الأمثلة التي تكرر فيها لفظ بعينه وهو منهج أكثرهم، ومنهم من توسع في ذلك فرصدوا تكرار اللفظ أو بعض مشتقاته، أو تكرار الصيغ ^(٥)، فضلا عن ذلك فقد فصل بعضهم التكرار اللفظي إلى تكرار الاسم وتكرار الفعل، وتكرار المصدر إلخ ^(٦) وأجمل بعضهم الآخر إذ أوردوا الأمثلة جميعا تحت عنوان (تكرار الكلمات) ^(٧)، وقد بين الباحثون جميعا في هذه الأمثلة، الوظيفة

(١) مستدرك نهج البلاغة: 2 / 24 .

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 15 / 79 .

(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 346 .

(٤) أسلوبية البناء الشعري، دراسة في شعر أبي تمام: 31 .

(٥) ينظر: الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: 62 – 64، وينظر: أثر القرآن الكريم في نهج البلاغة: 300 – 304.

(٦) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 50 – 53، وينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 21 – 23.

(٧) ينظر: المثل في نهج البلاغة: 170 – 172.

الجمالية والمعنوية في هذا النوع من التكرار، وسنقف على مثال واحد تناوله معظم الباحثين وهو ما جاء في وصي الإمام للحسن والحسين (عليه السلام) لما ضربه ابن ملجم: "...اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورَثُهُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَا تَخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكَ لَمْ تَنْظُرُوا لِلَّهِ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّنِّكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

لقد لفت تكرار لفظ الجلالة ست مرات انتباه كل من الباحثين عباس علي حسين الفحام، ونوفل أبو رغيف، ورملة خضير مظلوم، وخالد كاظم حميدي وسعد عزيز شنو، وأجمعوا على أن هذا التكرار عمل على إيجاد الروابط بين أجزاء هذا النص، وقد جاء به بوصفه قيمة دلالية يتم التأكد من خلالها على المفاهيم التي أوجزها الإمام (عليه السلام) وهو على فراش الموت مما أعطى أسسا مهمة فيما يتصل بعلاقة الناس ببعضهم: (الأيتام، والجيران)، وعلاقة الناس بربهم: (القرآن، والصلاة، والحج بيت ربكم"، والجهاد). كل ذلك يتمركز حول تكرار لفظ الجلالة (الله الله) الذي عمل على دعم هذه المعاني وترسيخها في ذهن السامع. فضلا عن ذلك فإن التكرار خلق إيقاعا داخليا تؤكد حضوره عن طريق تجانس الأصوات مع دلالات العبارات المركزية وهي (لفظ الجلالة) فالصلاة والقرآن والجهاد وبيت الله (الكعبة) والأيتام والجيران تتجانس مع ما يحققه لفظ الجلالة من حضور روحي يستدعي استحضار القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية التي وجدت من أجلها ظاهرة التكرار في النص، فضلا عما له من أثر صوتي أشاع جوا من الحنين والشوق بتكرار لفظ الجلالة مثل هذا محمود على جهة التشوق والاستغراب أو على سبيل التنويه والإشارة إليه أو على سبيل المحكي عنه كل ذلك أشاع جوا من التلذذ بتكرار لفظ الجلالة (٢).

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 5/ 17.

(٢) ينظر: التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام): 219، والمستويات الجمالية في نهج البلاغة: 70 – 72، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 140 – 141، وأساليب البديع في نهج البلاغة: 88، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 131.

ثالثاً: تكرار الجملة

يمتاز هذا النوع من التكرار بأنه يأتي في نسق إسنادي كامل، وإن اشتمل على تكرار الصوت أو المفردة، ذلك أن الإسناد أكثر تحديداً للدلالة، فهو لا يأتي لغاية صوتية أو صرفية بالدرجة الأولى، وبهذا تتقدم الدلالة على ما يرافقها، وبهذا يكون مثيراً للتأمل، بسبب تقلبيه الفكرة الواحدة على عدة وجوه، فيحقق شرطه الجمالي من اختلاف المعنى الواحد في كل مرة يعاد بها^(١).

وقد لاحظ الباحث كامل حسن البصير أثر تكرار الجملة في خلق الإيقاع الموسيقي في مثالين من كلام الإمام (عليه السلام) منه: "وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ وَاعْتَدَرَ مِنْهُ"^(٢) إذ لفت نظره تفعيلات العبارة المكررة (واحد كل عمل) وهي: (فعلن فعلن فعلن) مما دفعه إلى القول: "إن تكرار هذه التفعيلات ثلاث مرات في جوانب الفقرة بالإضافة إلى تكرار تفعيلات أخرى متحدة خلق من الفقرة بحراً شعرياً ووزناً إيقاعياً خاصاً"^(٣) وقد أخذ الباحث سعد عزيز شنو المثاليين اللذين تناولهما سابقاً^(٤)، وذكر الباحثون أمثلة لهذا النوع من التكرار تحت عناوين مختلفة^(٥)، اتفق منهجهم في دراستها على إظهار الأثر الدلالي المعنوي والجمالي الموسيقي.

ويتضح لنا مما سبق عدة أمور:

١ - تفاوت الباحثين في إظهار القيم الدلالية للتكرار.

٢ - تفاوتهم في استيعاب الأنساق الصوتية للتكرار، فضلاً عن تفاوتهم في عرض النسق

الصوتي الواحد بين التفصيل والإجمال ففي تكرار الصوت - مثلاً - اكتفى بعضهم

بالوقوف على نوع واحد من أنواعه في حين استوعب الآخرون أنواعه جميعاً.

(١) ينظر: مقالات في الأسلوبية: د. منذر عياشي: 88.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 41 / 18.

(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 347.

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 134 - 135.

(٥) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 54 - 55، ودراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 24

- 25، والمظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام): 37 - 38، وأساليب البديع في نهج البلاغة: 91 - 93،

ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 133 - 134.

٣ - إفادة الباحثين بعضهم من بعض في ذكر الأمثلة وتحليلاتها.

٤ - اختلافهم في تلمس الأثر الدلالي للتكرار على مستوى الصوت داخل التركيب وعلى مستوى اختيار الأمثلة، فقد يلتفت أحدهم إلى تكرار أصوات معينة في سياق ما في حين يلتفت آخر إلى أصوات غيرها في السياق نفسه، كذلك الحال في اختيار الأمثلة وهذا مرجعه إلى الذوق والخبرة.

الدلالة الصوتية للجناس

عُرِّفَ الجناس بعبارات مختلفة اللفظ متفقة المعنى ^(١)، ولعل أحسن تعريف وأيسره ما ذكره العلوي (ت749هـ) وهو "اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيها" ^(٢) والتجنيس ضروب كثيرة ^(٣) ذات طبيعة تكرارية منشؤها معاودة اللفظ مع الاختلاف في المعنى، فهو ترديد صوتي موسيقي يقوم على تكرار لفظين أو أكثر تختلف في المعنى وهو وثيق الصلة بموسيقى الألفاظ، فهو ليس في الحقيقة إلّا تقننا في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم وموسيقى ^(٤)، فضلا عما للتجنيس من قيمة دلالية إذ "إن تشابه ألفاظ التجنيس يحدث بالسمع ميلا إليه، فإن النفس تتشوق إلى سماع اللفظة الواحدة إذا كانت بمعنيين، وتتوق إلى استخراج المعنيين المشتغل عليهما ذلك اللفظ، فصار في التجنيس وقع في النفس وفائدة" ^(٥).

(١) عماد الدكتور علي الجندي إلى جمع تعاريف الجناس من كتب أرباب البديع ووقف عندها وعلق عليها، ينظر: فن الجناس: د. علي الجندي: 8 - 12.

(٢) الطراز: العلوي: 3 / 251.

(٣) ألوان الجناس كثيرة وقد ضمتها كتب البلاغة منها: الجناس التام: وهو ما انفق ركناه لفظا واختلفا معنى بلا تفاوت في ترتيبها ولا اختلاف في حركاتها، وجناس التحريف: وهو ما اختلف فيه اللفظان في هياكل الحروف (حركاتها وسكناتها) فقط، أي مع التساوي في نوعها وعددها وترتيبها، والجناس الناقص: وهو أن يختلف اللفظان في أعداد الحروف بزيادة أو نقصان، وجناس القلب: وهو أن يتفق اللفظان في نوع الحروف وعددها وهيكليتها وتختلف في الترتيب فقط، وجناس الاشتقاق: وهو ما توافق فيه اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى، والجناس المضارع: وهو الجمع بين كلمتين لا تفاوت بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتحدة في المخرج أو المتقاربة من غير زيادة في العدد، والجناس اللاحق: وهو ما أبدل أحد ركنيه حرف من غير مخرجه، وجناس التصحيف: وهو ما تماثل ركناه خطأ واختلفا في النطق، أي تكون النقط فارقا بين اللفظين، والجناس المعنوي: وأكثر البديعيين قد أغفلوه وهو أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها، وكل لون من ألوان الجناس هذه له تفرعات ومسميات، وهناك ألوان أخرى من الجناس قليلة الذكر. ينظر: فن الجناس: 62 - 163.

(٤) ينظر: موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس: 42 - 43.

(٥) جوهر الكنز: 91.

والتجنيس نسق صوتي يشيع في كل اللغات ويشترك فيه النثر والشعر على حدٍّ سواء^(١) وله "ما للتكرار من تأكيد النغم ورنته، ويزيد عليه بأنه يوجد نوعا من الانسجام بين المعاني العامة ورنّة الألفاظ العامة"^(٢)

وبذلك يشكل هذا الفن البديعي مقوما آخر من مقومات الإيقاع والموسيقى الداخلية المهيمنة على نصوص نهج البلاغة. فهو صورة من صور الإيقاع المتناغم الذي يكسو النص الذي يرد فيه جمالا، ويزيده قوة في الرنين؛ بسبب تعاقب المقاطع على نحو منتظم فيشتد وقعها، ويتلاحق تأثيرها، ولا تعرف قيمته إلا إذا جاء منقادا للمعنى، وفي ذلك يكون الجنس قد بلغ غايته في التأثير والإثارة.

ولم يقتصر بحث الجنس في نهج البلاغة على الرسائل والأطاريح الجامعية^(٣) بل تناول عدد غير قليل في البحوث العلمية^(٤)، وقد أكد الباحثون جميعا أن التجنيس في كلام الإمام (عليه السلام) هو فن عفوي فطري من غير تكلف ولا استجلاب مما أضفى على كلامه (عليه السلام) رونقا جماليا تميل إليه النفس، وإيقاعا نغميا تلتذ الأسماع بنغمته العذبة^(٥).

وأشار الباحثون جميعا إلى أن الجنس في كلام الإمام (عليه السلام) ورد بأنساق صوتية مختلفة إلا أنهم أكدوا أن أكثر أنواعه ورودا يقوم على الإفادة من العلاقات الاشتقاقية وهو ما يسمى بالتجنيس الاشتقاقي، وقد علّل الباحث حسن هادي نور ذلك بقوله: "والحقيقة أن طبيعة الجنس الاشتقاقي تكشف عن قدرة عالية لدى المتكلم على التحكم بالألفاظ والصيغ الكلامية

(١) ينظر: أسلوبية البناء الشعري: 25 .

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيّب: 662 .

(٣) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 344 - 345، والصورة الفنية في خطب الإمام علي (عليه السلام): 221 - 228، والجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 30 - 37، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة: 84 - 89، والأثر القرآني في نهج البلاغة: 309 - 331، والمثل في نهج البلاغة: 151 - 156، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 118 - 125، وأساليب البديع في نهج البلاغة: 68 - 80.

(٤) ينظر: ظاهرة الجنس في خطب الإمام علي (عليه السلام) ورسائله دراسة بلاغية: د. حسين عبد العال اللهبي، (بحث)، أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة: 2 / 262، والجناس في نهج البلاغة: د. مهين حاجي زادة، د. رقية صادقة نيري، (بحث) أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة: 2 / 244، و المحسنات البديعية (الجناس) في مرآة نهج البلاغة: مريم جلالى نجاد (بحث) أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة: 6 / 25 - 26 .

(٥) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 37 . وظاهرة الجنس في خطب الإمام علي (عليه السلام) ورسائله دراسة بلاغية، د. حسين عبد العال اللهبي، (بحث): 2 / 262 .

(٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 8 / 272 .

التي قد يعتمد إليها لضرورة لغوية يفرضها السياق، وربما كان الدافع من وراء ذلك هو إفاضة قدر أوفر من الأنغام الموسيقية التي تهفو لها النفوس وتلذ بها الأسماع" ^(١) من هنا كانت غاية الاشتقاق كما يرى الباحث كامل حسن البصير هو إشاعة الموسيقى في داخل النص حيث تمكن من "إطلاق طاقات هائلة من اللحن الموسيقي لما يثيره من أصوات واحدة" ^(٢).

واتفق الباحثون جميعا على اتباع منهج واحد في دراستهم الجنس وهو المنهج البلاغي التعليمي الذي يقوم على تقسيم الجنس إلى أنواع ومن ثم البحث عن أمثلة لكل نوع، وقد وجد الباحثون في نهج البلاغة أنواع الجنس جميعها، فذكروا أمثلة على سبيل الاستشهاد لا الحصر بما يتناسب وموضوع دراساتهم، ولذا فإن معظم نتائجهم كانت متطابقة أو مكررة، وأظهر السمات المشتركة بين الباحثين هي:

- ١ - اعتماد المنهج البلاغي التعليمي في دراسة الجنس في نهج البلاغة، الذي يهدف إلى رصد الشاهد اللغوي الصحيح لكل نوع من أنواع الجنس، وهو ما يضيف مشروعية على تقسيمات البلاغيين.
- ٢ - اتفاق الباحثين على أن نهج البلاغة ضمّ الجنس بأنواعه المختلفة.
- ٣ - اتفاق على إظهار الجانب الدلالي المعنوي للجناس والجانب الموسيقي الجمالي، فقد أكد الباحثون أن الجنس بصورة مختلفة مثل مكونا بنائيا ومظهرا من مظاهر الإيقاع الموسيقي، كما أدى وظيفة دلالية تعبيرية مما أسهم في تقرير المعنى في ذهن المتلقي وجعله مقبولا لديه ، بيد أن الباحثين تفاوتوا في إظهار هذه القيم بين الإشارات السريعة (الشرح الظاهري السطحي) وبين التعمق في التحليل.
- ٤ - أفاد الباحثون بعضهم من بعض في ذكر أمثلة الجنس فقد تكررت هذه الأمثلة بشكل متفاوت عند الباحثين فعلى سبيل المثال ذكر الباحث سعد عزيز شنو أمثلة الباحث كامل حسن البصير جميعها، وتطابقت أمثلة الجنس بشكل كامل بين الباحثين عباس علي حسين ومهين حاجي زادة و مريم جلاي نجاد .

(١) الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 37 .

(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 345 .

ونظرا لاشتراك الباحثين في المنهج نفسه سأكتفي بذكر الأنساق الصوتية للجناس التي
رصدها الباحثون في نهج البلاغة وهي تمثل أبرز الروافد التي تشكل علاقات التجنيس
ودلالاتها الصوتية ، وهي:

- ١ العلاقات الاشتقاقية بين الألفاظ: وأكثر تجنيسه من النوع الاشتقائي.
- ٢ اختلاف اللفظين من حيث الحركة: وهذا النوع فيه حسن الإفادة الصرفة مع إيهام بعض الإعادة.
- ٣ قلب الصوتي: ويقوم على التقديم والتأخير في أصوات الكلمتين المتجانستين
- ٤ التقارب الصوتي بين حروف الألفاظ: وبذلك تكون الحروف بين الألفاظ متقاربة في المخرج .
- ٥ التشابه في الحروف والاختلاف في النقط .
- ٦ التبعاد الصوتي في حروف بعض الكلمات المتجانسة .
- ٧ قلب الكلمات من خلال عكسها وذلك بجعل الجزء الأخير منها في الجزء الأول .
- ٨ اختلاف في صيغة اللفظتين المتجانستين بين اسم الفاعل واسم المفعول .
- ٩ الزيادة الصوتية في الألفاظ .
- ١٠ - ألفاظ المشترك اللفظي التي تشترك في الأصوات وتختلف في الدلالة .

السجع والتوازن والتوازي وأثرها الوظيفي

يتبوأ كل من السجع والتوازن والتوازي مكانا وظيفيا في بنية النص النثري مؤثرا في
المتلقي بالدرجة الأساس، وممثلا لشعرية النص، من خلال إيجاد علاقة ترابطية بين الإيقاع -
الناتج من تكرار أصوات ذات مقاطع متناغمة منتظمة - وبين انفعال المتلقي لهذا الإيقاع .

ولئن ركز البلاغيون القدامى على الناحية الشكلية الخالصة لهذه الأنساق الصوتية

تحت مسميات مختلفة مثل: (التوازن، والسجع بأنواعه، والترصيع، والتماثل) فهي في الحقيقة تكشف عن إمكانات دلالية كان ينبغي على الباحثين إبرازها والوقوف عندها وإن اكتنفها شيء من الخفاء والغموض.

وهذه الأنساق الصوتية تشكل مقومات آخر للإيقاع والموسيقى فالسجع في النثر يشبه القافية في الشعر وكلاهما يرتبط بالموسيقى الداخلية للنص كما إن التوازن والتوازي موجودان في الشعر والنثر الفني على حدٍ سواء، إلا أن هناك فرقا هرميا واضحا بين وجودهما في الشعر وبين وجودهما في النثر، ففي الشعر يكون الوزن هو الذي يفرض بنية التوازي، وتحدده البنية العروضية عموما، أما في النثر فإن الوحدات الدلالية والمعنوية هي التي تنظم - بالدرجة الأساس - البنيات المتوازنة. وعلى هذا الأساس ي مثل كل من السجع والتوازن والتوازي "دورا واضحا في تكوين الإيقاع ... وإظهاره من خلال التقسيم المنظم للجمل والعبارات من ناحية، ولوجود النغمة الموسيقية التي يوفرها السجع في آخر السجعة من ناحية أخرى" ^(١) والنظم والنثر المقفى قريبان من بعضهما في سرعة الحفظ "وبالجملة فإن السجع والمعطف والموزون أقرب إلى أن يثبت في الذكر من غيره من الكلام" ^(٢)

لقد بذل الباحثون في نهج البلاغة جهدا كبيرا في رصد هذه الأنساق الصوتية والتدليل عليها بما يقابلها من مصطلحات تحت مسميات مختلفة مع بيان الأثر الوظيفي لها متباينين في استيعاب هذه الأنساق جميعا وإن منهجهم في عرض المادة العلمية التي تدخل تحت هذه الأنساق الصوتية كان متباينا أيضا

ويمكننا رصد الظواهر الآتية في معالجتهم هذه الأنساق الصوتية :

١ - أفراد بعض الباحثين عنوانات مستقلة لبعض هذه الموضوعات الصوتية :

فقد أفرد الباحث حسن هادي نور عنوانا للتوازن أطلق عليه (الموازنة) بحث فيه تساوي الكلمات الأخيرة في الفواصل في الوزن من دون التقفية معتمدا على تعريف البلاغيين للتوازن

(١) الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم، دراسة أسلوبية دلالية: عبد الواحد زيارة اسكندر: 39 .

(٢) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 64 .

وهو: "أن تتساوى فاصلتان في الوزن، أي أن تكون الألفاظ في وزنها متوالية في أجزائها من غير تعادلها في التقفية" ^(١) فقد ركّز في أمثله الخمسة على خواتيم الفصول النثرية من دون ذكر أمثلة للتوازن الحاصل في الحشو، وهو بذلك يتطابق والتعريف الذي أورده للتوازن، في حين بحث التوازي والتصريع ضمن أنواع السجع الذي أفرد له عنوانا مستقلا وحدّه بأنه: "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد" ^(٢)، وهو بذلك يكون قد بحث التوازن والتوازي في الألفاظ المفردة الواردة في الفاصلة النثرية، وبحث التصريع في الألفاظ الواردة في الحشو من حيث تساويها في الوزن والتقفية، وبذلك يكون مصطلح السجع عنده دالا على اتفاق الفاصلتين في حرف الروي سواء اتفقتا في الوزن أو اختلفتا فيه، ويكون مصطلح التوازن عنده دالا على اتفاق الكلمتين في الفاصلة في الوزن فقط دون التقفية وهو غير السجع، ويكون مصطلح التوازي عنده دالا على اتفاق الكلمتين في الفاصلة في الوزن والتقفية، ويكون مصطلح التصريع عنده دالا على اتفاق الكلمتين في (القرائن أو الفقرات أو الحشو) من دون الفاصلة في الوزن والتقفية، وأهمّل اتفاق الكلمتين في الحشو بالوزن دون التقفية ^(٣).

وأورد الباحث ميثاق علي عبد الزهرة عنوانا للتوازن أورد فيه تعريفا يقارب تعريف سابقه وهو: "أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن" ^(٤) وكان ينبغي له على وفق هذا التعريف أن يبحث في أمثله الألفاظ الأخيرة (الفواصل) إلا أن أمثله جاءت لتركز على التوازن الحاصل في الألفاظ سواء أكانت في الفاصلة أم كانت في الحشو، وسواء كانت هذه الألفاظ متفقة في الوزن فقط أم متفقة في الوزن والقافية، وأفرد عنوانا للسجع عرّفه بتعريف سابقه إلا أن الأمثلة التي ذكرها كانت الفاصلة فيها متفقة في الوزن والقافية، وبذلك يكون مصطلح التوازن عنده دالا على اتفاق الكلمتين - في الفاصلة أو الحشو - في الوزن فقط أو في الوزن والتقفية، ويكون مصطلح السجع دالا عنده على اتفاق الفاصلتين في الوزن والقافية ^(٥).

وأفرد الباحث عباس علي حسين عنوانا للسجع وآخر للتوازن صدّرهما بتعريفهما -

(١) التلخيص في علوم البلاغة: القزويني: 404، وينظر: فنون بلاغية: د. أحمد مطلوب: 256 .

(٢) المثل السائر: 1 / 195 .

(٣) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 48 - 49 .

(٤) المثل السائر: 1 / 272 .

(٥) ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة: 91 - 98 .

وهو ما ذكره سابقه - وكان على وفق التعريف الذي أورده للتوازن أن يبحث الكلمات الأخيرة من الفقرات أو القرائن (الفواصل) إلا أن أمثلته جميعها جاءت لتركز على التوازن الصرفي في الألفاظ الواقعة في حشو الفقرات إلا في مثال واحد ذكر فيه توازن الألفاظ في الفاصلة وقد تنبّه إلى ما قدّمه من أمثلة فوجدها لا تتفق مع ما ذكره من تعريف للتوازن فقال: " والتوازن كما بدا لا يقتصر في نهايات الجمل بل كثيرا ما يجيء في داخلها " ^(١) وبذلك يكون التوازن عنده دالا على اتفاق الكلمتين في الوزن الصرفي فقط من دون الاتفاق في التقفية سواء أكانت هذه الألفاظ في الحشو أم في الفواصل ^(٢).

وأفرد الباحث حيدر أحمد حسين عنوانا للسجع وآخر للتوازن وقد حدّه بـ"أن تكون الجملة أو بعض من أجزائها متعادلة من جهة الوزن دون التقفية أو على الأقل فواصلها تكون من أحرف متقاربة المخرج" ^(٣)، وبهذا يكون التوازن عنده دالا على الاتفاق في الوزن دون التقفية سواء أكان في الفاصلة أم في الحشو، لذا لم يقتصر في بحثه للتوازن على فواصل الجمل النثرية في خطب الإمام (عليه السلام) وإنما رصد الألفاظ المتوازنة في الحشو والفاصلة ^(٤).

وأفرد الباحث سعد عزيز شنو عنوانا للتوازن أطلق عليه (الموازنة) و عنوانا للتوازي أطلق عليه (الازدواج) و عنوانا للسجع بحث في العنوان الأول أمثلة من نهج البلاغة اتفقت فواصلها في الوزن الصرفي من دون الاتفاق في التقفية منطلقا من تعريف البلاغيين للتوازن وهو: "أن تتساوى فاصلتان في الوزن، أي أن تكون الألفاظ في وزنها متوالية في أجزائها من غير تعادلها في التقفية" ^(٥) ولم يتعرض فيه للألفاظ المتوازنة في الحشو، وبذلك يكون التوازن عنده دالا على اتفاق الكلمتين في الفاصلة بالوزن دون التقفية ^(٦).

وبحث في عنوان (الازدواج) تعادل فقرات كلام الإمام (عليه السلام) من خلال تماثل ألفاظها بالوزن، وتعادل كلماتها بالعدد، وتوافقها في البناء التركيبي فضلا عن اشتغالها على عناصر

(١) الأثر القرآني في نهج البلاغة: 343 .

(٢) ينظر: نفسه: 336 - 346 .

(٣) ينظر: كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري: 263 .

(٤) ينظر: المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) دراسة بلاغية: 74 - 86 .

(٥) التلخيص: 404، وينظر: فنون بلاغية: 256 .

(٦) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 141 - 143 .

التقابل/التضاد، وبذلك يكون التوازن عنده خاص ١ بالألفاظ والتوازي أو الازدواج خاص بالفقرات ^(١)، وبحث في عنوان السجع اتفاق الفواصل في حرف الروي وربط فيه بين السجع والتوازن والتوازي ^(٢)

٢ بحث هذه الموضوعات الصوتية تحت عنوان السجع :

خصص الباحث خالد كاظم حميدي مبحثاً للسجع أشار فيه إلى الأنساق الصوتية المتكررة ومنها (التوازن، والتوازي) لأن مفهوم السجع الذي تبناه واسع لا يقتصر على تواطؤ الفواصل على حرف واحد وإنما يدخل فيه الاعتدال في مقاطع الكلام، وقد حدد مفهوم الاعتدال بأنه "تساوي عدد كلمات القرأء" وهو ما يولد عنصر الإيقاع أو وزن النثر، وحدد مفهوم الفاصلة بالكلمة الأخيرة من القرينة، وبهذا يتضح لديه أن السجع يشمل الوزن أو التوازن، والقافية أو الفاصلة معاً، وبذلك إن مصطلحي التوازن والتوازي عنده يتعاضدان في خلق الإيقاع الموسيقي من خلال تماثل الألفاظ بالوزن، وتساوي الفقرات بالعدد واشتمالها على التضاد ^(٣).

٣ بحث هذه الموضوعات الصوتية من خلال عنوان عام أو عن طريق الأمثلة التطبيقية:

فقد خصص الباحث كامل حسن البصير عنواناً لـ (عناصر الإيقاع في رسائل الإمام) بحث فيه نسق الترصيع والمطابقة والمقابلة، والتوازن، من دون أن يفرد لها عناوين مستقلة، وإنما جعلها تحت عنوان الموسيقى الداخلية ^(٤) ومن ثم أفرد عنواناً للسجع أطلق عليه مصطلح القافية معللاً هذه التسمية بقوله "إن إثارتنا لمصطلح القافية هذا يستند إلى أن الإمام كان يتفنن في إدارة سجعته في نهاية جمل فقراته المشبعة بأضرب من الموسيقى والملحنة بألوان من الإيقاعات بشكل صير تلك الجمل أسطر أبيات" ^(٥) وقد قام بإحصاء الكلمات في فقرات كلام الإمام فوجد أن جملة () هي بمثابة أسطر أبيات شعرية فعمد إلى دراستها مقطوعات

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 135 – 140 .

(٢) ينظر: نفسه: 146 – 153 .

(٣) ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة: 46 – 64 .

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 343 – 348 .

(٥) نفسه: 349 .

شعرية مشطرة مستعملا اصطلاح المشطر المثنى والمثلث والمربع ووجد أن أشطر الفقرات الموزونة لم تتجاوز المشطر الرباعي، ولم يكتف بإحصاء عدد كلمات القرائن وتوزيعها على شكل مشطرات بل زاد على ذلك أن خصص قسما من رسالته للكشف عن أوزان هذه القرائن من خلال تقطيعها عروضيا للوقوف على أوزانها وهو ما اصطاح عليه (وزن النثر) وهو بذلك لا يريد أن يقابلها بأوزان الشعر وقوالبه وإنما يريد الكشف عن النظام العام لإيقاعات أسلوب الإمام (عليه السلام) وقد أكد ذلك في أكثر من موضع قائلا: "ولعل من الضروري أن نقرر سلفا أننا لا نقصد باصطلاح الأوزان في رسائل الإمام ما انتهى إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي من استنباطه بحور شعرية خمسة عشر قيدا وزنيا، وإنما نقصد هذا النظام العام لإيقاعات أسلوبه ... وعلى هذا فنحن لا نفتش في رسائل الإمام عن بحور الخليل وحدها وكما هي وإنما نتبع إيقاعات وأوزان قوالب أسلوبية رصدت في معان منفعة وأفكار عاطفية مجسدة في كلم" (١) وقد قسم تلك القوالب الوزنية على ثلاث مجموعات، القوالب الطلبية، والقوالب الخبرية، والقوالب الحكمية، وهو ما لم يفعله أحد من الباحثين في نهج البلاغة قبله أو بعده (٢).

وأفرد الباحث نوفل أبو رغيف مبحثا بعنوان (نسق التقابلات والتناظر الإيقاعي) أورد فيه مجموعة أمثلة عالج فيها موضوعي التوازن والتوازي من دون ذكر لتعريفهما مقتصرًا على تكرار بنيات تركيبية عبر مفهومي التضاد أو التوافق مع الالتفات إلى تساوي الفقرات من حيث عدد الكلمات (٣) وببحث السجع والجناس في عنوان واحد أطلق عليه (نسق السجع والجناس المزدوج) (٤).

وعمدت الباحثة رمة خضير مظلوم إلى تحليل مقاطع من كلام الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة تحت عنوان (الدلالة الصوتية في التركيب) بينت فيها الأثر الصوتي لهذه الأنساق الصوتية من خلال رصد مجموعة من التقابلات القائمة على أساس التضاد أو التشابه مشيرة إلى ما فيها من توازن وتوازٍ وسجع (٥).

(١) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 357 .

(٢) ينظر: نفسه: 349 – 416 .

(٣) ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة: 84 – 98 .

(٤) ينظر: نفسه: 98 – 107 .

(٥) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 114 – 150 .

وخصص الباحث طارق محمد حسن مبحثاً لـ (الصناعة الصوتية " الإيقاع ") ذكر فيه السجع والتوازن والتوازي مكثفياً بتعريفها وذكر ما أورده البلاغيون القدامى من أمثلة قرآنية عليها، ولم يمثل لها من كلام الإمام إلا نزرًا يسيرًا للسجع ^(١).

وخصصت الباحثة فاطمة كريم رسن المبحث الثاني من الفصل الثاني لدراسة هذه الأنساق الصوتية تحت عنوان (الإيقاع) وضمّ مستويين: إيقاع المفردة، ويتضمن: تناوب العناصر المتشابهة، وفيها: الجنس، والسجع، والتكرار، والمستوى الثاني: إيقاع التركيب: وفيه: التوازي الدلالي، ويتضمن: التوازي الشرطي، وتوازي الاشتراط السببي، والتوازي بالوصف، وتوازي المعادلة ^(٢).

وبهذا نجد أن بعض الباحثين قد وقع في خلل منهجي بين النظرية والتطبيق إذ تبنا تعريفًا لبعض هذه المصطلحات لم يتوافق مع أمثلتهم التطبيقية التي تعدت دلالة هذا التعريف وهو ما نلاحظه عند الباحث ميثاق علي عبد الزهرة في مفهوم التوازن ومفهوم السجع، والباحث عباس علي حسين في مفهوم التوازن، وبعضهم الآخر أهمل مواقع مهمة في النص حدث فيها توازن وهو ما نلاحظه عند الباحث حسن هادي نور حين أهمل اتفاق الكلمتين في الحشو بالوزن دون التفتية، فضلًا عن ذلك اختلاف معظم الباحثين في تسمية المصطلح.

إن اختلاف منهج الباحثين في عرض هذه المادة العلمية تحت مسميات مختلفة كالسجع، والتوازن أو الموازنة، أو خلطها جميعًا، ناتج من اختلاف البلاغيين القدامى أنفسهم في تقسيم هذه المصطلحات وتسميتها فهناك علاقة مشتركة ما بين هذه الأنساق الصوتية (السجع، التوازن، التوازي، التصريع) فقد تتداخل هذه الأنواع جميعها تحت عنوان واحد ، فالأصل في السجع الاعتدال في مقاطع الكلام ^(٣)، فتتوازن الفقر توازنًا إيقاعيًا إذ "تبدو ظاهرة توازن إيقاع الفقر المسجوعة وتوازيها وتكرارها بارزة في السجع" ^(٤) ف "التوازن والتعادل الإيقاعي هو العنصر الجوهرى في السجع" ° فالعلاقة ما بين هذه الأنواع هي علاقة عموم

(١) ينظر: بنية الخطبة في نهج البلاغة دراسة في ضوء نظرية أرسطو في الخطابة: 122 - 123 .

(٢) ينظر: الاستدلال في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: فاطمة كريم رسن: الفصل الثاني: المبحث الثاني.

(٣) ينظر: المثل السائر: 1 / 197.

(٤) السس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 60 .

(٥) نفسه: 60 .

وخصوص، والسؤال هنا هو أي هذه الأنواع أعم من غيرها ؟ بحيث تدخل الأنواع الأخرى تحت مظلته، أم أن كل واحد منها قائم برأسه ؟ ولنعود إلى كتب البلاغة القديمة لنستوضح ذلك.

لقد أدخل أبو هلال العسكري (ت 395هـ) هذه الأنواع جميعا في السجع قال: "والسجع على وجوه: فمنها أن يكون الجزآن متوازنين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه، وهو كقول الإعرابي: سنة جردت، وحال جهدت، وأيد جمدت، فرحم الله من رحم فأقرض من لا يظلم، فهذه الأجزاء متساوية لا زيادة فيها ولا نقصان، والفواصل على حرف واحد " ثم استطرده في ذكر أمثلة لهذا النوع، ثم قال: " ومنها أن يكون ألفاظ الجزأين المزدوجين مسجوعة، فيكون الكلام سجعا في سجع، وهو مثل قول البصير: حتى عاد تعريضك تصريحاً، وتمريضك تصحيحاً ... وهذا الجنس (وهو ما أطلق عليه غيره الترصيع) إذا سلم من الاستكراه فهو أحسن وجوه السجع " وبعد أن ذكر له شواهد أخرى قال: "والذي هو دونهما أن تكون الأجزاء متعادلة وتكون الفواصل على أحرف متقاربة المخارج إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد كقول بعض الكتاب: إذا كنت لا تؤتي من نقص كرم، وكنت لا أوتي من ضعف سبب؛ فكيف أخاف منك خيبة أمل، أو عدولا عن اغتفار زلل، أو فتورا عن لمّ شعث، أو قصورا عن إصلاح خلل، فهذا الكلام جيد التوازن، ولو كان بدل (ضعف سبب) كلمة آخرها ميم ليكون مضاهيا لقوله (نقص كرم) لكان أجود" (١)

فهذا الكلام عن السجع يشمل فيه التوازن والتوازي والتصريع فقد جعل أبو هلال التوازي مرادفاً للتبادل كما شرح التبادل بالتساوي، وبعد ذلك شرح التساوي بالتوازي في قوله: "...فهذه الفواصل متوازية لا زيادة في بعض أجزائها على بعض بل في القليل منها وقليل ذلك م غنفر" (٢)

وأما ابن الأثير (ت 637هـ) فقد أخرج الموازنة من السجع واشترط في السجع التوافق في الوزن والقافية قال: "وهذا النوع (الموازنة) من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون المماثلة؛ لأن في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال، وه ي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف

(١) كتاب الصناعتين: 262 - 263 .

(٢) نفسه: 262 - 263 .

واحد، وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع، ولا تماثل في فواصلها، فيقال إذ ١: كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا، فالسجع أخص من الموازنة" (١) فابن الأثير يشترط في السجع الاتفاق في الوزن والقافية، وهذا الشرط وإن لم يصرح به لكنه مفهوم من كلامه في المقارنة بين السجع والموازنة، وإن كان هذا الشرط في السجع هنا لا يتفق مع ما قاله في حدّه السجع عند بدء كلامه عليه بقوله: "وحدّه أن يقال: تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف" فهو لم يشر إلى التواطؤ في الوزن، ومن يتأمل شواهد التي ذكرها يجد أن الاتفاق فيها قائم على الوزن والتقفية، وبذلك يكون السجع عنده يمثل السجع المتوازي فقط.

وأما العلوي (ت 745هـ) فقد أدخل الموازنة في السجع وأخرج منه الترصيع، قال في السجع: "ومعناه في السنة علماء البيان اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في حرف أو في وزن أو في مجموعهما ... فإن اتفقت الأعجاز في الفواصل مع اتفاق الوزن سمي المتوازي ... وإن اتفقا في الأعجاز من غير وزن سمي المطرف ... وإن اتفقا في الوزن دون الحرف سمي المتوازن ...".^٢ وبهذا توسع العلوي في السجع إذ أدخل فيه الاتفاق في الوزن دون التقفية (التوازن أو الموازنة) وعلى هذا كانت الموازنة عنده نوعا من السجع، وكانت كل موازنة سجعا دون العكس وقد زاد الأمر وضوحا بتفصيل القول في الموازنة فقال: "وورودها عام في المنظوم والمنثور ... والموازنة هي أحد أنواع السجع، فإن السجع ... قد يكون مع اتفاق الأواخر واتفاق الوزن، وقد يكون مع اختلاف الأواخر لا غير، فإذن كل موازنة فهي سجع وليس كل تسجيع موازنة، فالموازنة خاصة في اتفاق الوزن من غير اعتبار شريطة" (٣) وبذلك خالف العلوي ابن الأثير في تحديده للسجع، فالسجع عند ابن الأثير أخص، وعند العلوي أعم.

ومن هذا العرض السريع في بيان تقسيمات المصطلح عند البلاغيين القدامى يمكننا أن نفهم تباين الباحثين في عرض هذه الأنساق الصوتية وتصنيفها، إذ كل واحد منهم استند على تقسيم من هذه التقسيمات اعتمده منها في دراسته.

بيد أن قانون التوازن والتوازي قد شهد في الدراسات الحديثة تطورا في المفهوم واتساع ١

(١) المثل السائر: 1 / 272 .

(٢) الطراز: 3 / 12 .

(٣) نفسه: 3 / 22 .

أخذت القافية أو السجع يكونان جزءاً منه فقد عد من قوانين الإيقاع ^(١)، فالتوازن "تعاادل فقرات الكلام وجمله كما في النثر المزدوج، أو شطري البيت الواحد، من حيث الإيقاع والوزن، أما التوازي فهو أن يستمر هذا التوازن في النص كله" ^(٢) واخذ التوازن والتوازي يشمل مستويات عدة منها الصوتي، والنحوي، والبلاغي، والمعجمي ^(٣)

وبعد أن استوضحنا منهج الباحثين في طريقة عرض المادة وتقسيمها وبيان الأثر الوظيفي لها نقف على التقنيات الإجرائية التي اعتمدها الباحثون في رصد الظواهر الصوتية الناتجة عن السجع والتوازن والتوازي، ونلخص هذه التقنيات بالنقاط الآتية:

- ١ رصد السجع من خلال الاتفاق في حرف الروي في الفاصلة.
- ٢ رصد التوازن والتوازي في الأبنية والألفاظ المفردة من خلال تساويها في البنية الصرفية أو البنية العروضية.
- ٣ رصد التوازن والتوازي من خلال عدد كلمات الفقرات، وذلك بعقد مقارنة بين الجمل المتساوية في عدد كلماتها، ومن خلال هذه المقارنة يتم تحديد الملامح الإيقاعية للجملة وتكون هذه الجمل الإيقاعية المتساوية في عدد كلماتها مقفاة أو غير مقفاة.
- ٤ رصد التوازن والتوازي عبر تكرار البنيات التركيبية مع الالتفات إلى نوع التركيب في استيعاء الدلالة.
- ٥ رصد التوازن والتوازي عبر مفهوم التقابل والتضاد لأن غالبية الألفاظ المتضادة تأتي على وزن واحد.
- ٦ رصد التوازن والتوازي من خلال التماثل بين مواقع متقابلة، ويقصد به أن تكون البنيات التركيبية في السلسلة الواحدة مرتبطة بمركب واحد يمثل النقطة التي

(١) ينظر: الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي: 233 وما بعدها، والأسس الجمالية في النقد العربي: د. عز الدين إسماعيل: 221 وما بعدها.

(٢) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: 59.

(٣) ينظر: مدارات نقدية، في إشكالية النقد والحداثة والإبداع: فاضل ثامر: 242 - 243.

تتمركز حولها الأنساق التركيبية الأخرى.

إن هذه التقنيات الإجرائية نجدها منفصلة عند الباحثين الذين تبنا المنهج البلاغي التعليمي، وهم الأكثر، فمنهجهم هو الإتيان على كل واحدة منها بأمثلة من النهج، يركزون فيها على إظهار عامل بنائي واحد كأن يكون السجع، أو التوازن في الألفاظ من حيث الوزن، أو التوازن في الألفاظ من حيث العدد، أو التوازي من حيث التركيب.. إلخ، فالنص لا ينفرد فيه عامل بنائي واحد في خلق الإيقاع إذ يجتمع فيه عاملان بنائيان أو أكثر لإنشاء توازنات أو توازيات في الألفاظ أو التراكيب، وإن أفراد هذه العوامل البنائية هو لغرض دراستها والتركيز عليها وبيان نوعها، وإلا فإن الأمثلة التي ينفرد فيها عامل بنائي واحد قليلة جدا ، فمنهج هؤلاء الباحثين يقوم على تفكيك النص عبر تسليط الضوء على جزئية من جزئياته، ولذا نرى أن كثيرا من أمثلتهم أعادوا تكرارها في مواضع أخرى لأنها تشتمل على عوامل بنائية أخرى صالحة للاستشهاد، وهذا المنهج التعليمي يؤدي إلى غياب النظرة الكلية للنص مما يفقده كثيرا من سماته الإيقاعية والموسيقية، في حين نجد أن هذه التقنيات الإجرائية تمازجت عند بعض الباحثين الذين يتبنون المنهج التحليلي الذي يقدم الصورة الكاملة لموسيقى النص وعناصره الإيقاعية، وهؤلاء الباحثون أيضا متفاوتون في إظهار العوامل البنائية التي يشتمل عليها النص، فبعضهم يتمكن من إظهار العوامل البنائية جميعها وبعضهم الآخر يرصد جزءا منها، وهذا مرجعه الخبرة والمران، وهنا تظهر براعة المحلل في رصد هذه العوامل البنائية الكامنة في النص.

وسأشير إلى جهد الباحثين في رصد هذه الأنساق الصوتية

أولا: التوازن والتوازي في الأبنية والألفاظ:

لاحظ بعض الباحثين أن الإمام (عليه السلام) لجأ إلى استعمال بعض الألفاظ دون غيرها طلبا للتوازن الصوتي والتناغم الموسيقي فقد ذكر الباحث كامل حسن البصير أن الإمام تجاوز قواعد الصرف ليحقق التوازن وذلك في موضعين هما: قوله (عليه السلام): "نَحْنُ مُأْجُورُونَ عَلَى

صَلَّتْهَا، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا" ^(١) فقد همز (مأزورون) التي أصلها (موزورون) من الوزر، ليوازن بها كلمة (مأجورون) ^(٢) وقوله: "مِنْ الْوَالِدِ الْفَانِ الْمُقَرَّرُ لِلزَّمَانِ" ^(٣) فقد حذف الياء من (الفاني) ليوازن بها كلمة (الزمان) ^(٤) قافية لعبارته .

و إلى مثل ذلك ما أشار إليه الباحث ميثاق علي عبد الزهرة في قوله (عليه السلام): "حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْعَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ" ° فقد ذهب إلى أن الإمام أعرض عن كلمة (جهال) التي فيها من المبالغة ما يضيفي على الكلمة دلالة أقوى في وصف الجهل، وآثر استعمال كلمة (جهلاء) طلباً للتوازن الصوتي والنغم الموسيقي مع (حلماء) ^(٦)، وذكر الباحث عباس علي حسين أمثلة كثيرة على ذلك ^(٧)

أما التوازن في ألفاظ جمل الإمام وفقراته فقد رصد الباحثون منه أمثلة كثيرة – سواء تساوت في الوزن فقط أو في الوزن والقافية .

ثانياً: التوازن والتوازي في الجمل الإيقاعية

يؤدي تساوي الكلمات في القرائن إلى خلق إيقاع موسيقي منتظم مقفى وغير مقفى، وغالباً ما تكون الجمل الإيقاعية المتساوية في عدد كلماتها في نهج البلاغة مقفاة، كما تكون متماثلة موقعياً متمركزة حول جملة نواة .

ويتجلى هذا النوع بشكل واضح في أمثلة الباحث خالد كاظم حميدي التي أوردها تحت عنوان السجع، إذ عمد إلى إحصاء عدد كلمات القرائن في جميع أمثلته فقد عمل جدولاً لكل مثال بيّن فيه عدد كلمات القرائن، وحروف الروي؛ لأنه ربط بين تساوي عدد الكلمات في

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 15 / 124 .
(٢) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 348، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة: 93، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية:
(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 16 / 9 .
(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 353 ، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 118، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية:
(٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 7 / 226 .
(٦) ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة: 92 .
(٧) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة: 339 – 346 .

القارئ وبين تساويها في حرف الروي، فتساوي عدد الكلمات يولد عنصر الإيقاع أو وزن النثر، والتساوي في حرف الروي يولد السجع، وأطلق على ذلك كله مصطلح (الإيقاع السجعي)، وبذلك تتحقق الأدبية في كلام الإمام (عليه السلام) المتمثلة في أخص خصائص الشكل الموازية لخصائص الشعر المتمثلة في الوزن والقافية، ورأى أن غياب حرف الروي أو تراجعه في الجمل الإيقاعية لا يقلل من جمالها الموسيقي وتناغمها الصوتي، كما لا يقلل من أدبية النص طالما اشتمل على عناصر بنائية أخرى، لأن عنصر وزن الفاصلة هو الحد الأدنى لجمال شكل النص^(١).

وقد سبقه إلى ذلك الباحث كامل حسن البصير حين ربط بين عدد كلمات القارئ وبين نهايات الفواصل المسجوعة في رسائل الإمام فوجد أن جملة الإيقاعية هي بمثابة اسطر أبيات شعرية، ووجد أن جملة الإيقاعية المسجوعة لم تتجاوز المشرط الرباعي^(٢)، وذكر الباحث نوفل أبو رغيف أمثلة لهذا النوع^(٣)

وعولت الباحثة رملة خضير مظلوم على هذا النوع من التوازن والتوازي للكشف عن الإيقاع الموسيقي في رسائل الإمام (عليه السلام) وقد تجلّى ذلك بشكل واضح في تحليلها رسالة الإمام إلى واليه في البصرة عثمان بن حنيف، حيث أخرجت الجمل المتوازنة في القارئ اعتماداً على عدد كلماتها^(٤)، فضلاً عن اعتمادها هذا النوع من التوازي في أمثلة آخر^(٥).

وأشار الباحث حسن هادي نور إلى أمثلة من هذه الجمل المتوازنة المتساوية في عدد كلماتها تحت عنوان السجع المرصع^(٦) وكذلك الباحث سعد عزيز شنو تحت عنوان الازدواج^(٧).

وأما الباحثون الذين تبناوا منهجاً تحليلياً يحاول استيعاب هذا المظاهر البنائية في النص

(١) ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة: 46 – 47، 60.

(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 349.

(٣) ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة: 84 – 97.

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 123 – 126.

(٥) نفسه: 132، 134، 137، 146، 148، 150.

(٦) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة: 44 – 46.

(٧) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 135 – 140.

الواحد فيمثله كل من الباحث نوفل أبو رغيف ^(١) والباحثة رملة خضير مظلوم ^(٢)، إذ عمدا إلى تحليل مقاطع من كلام الإمام (عليه السلام) لإظهار العوامل البنائية التي أسهمت في اغناء الإيقاع الموسيقي.

ثالثا: التوازي التركيبي

معظم الباحثين لم يفردوا لهذا النوع من التوازي عنوانا مستقلا، وإنما تناولوه في تحليلاتهم وإن إثارتنا فصل هذا النوع من التوازي والتنبية إليه أننا وجدنا بعض الباحثين قد جعل منه مرتكزا أساسيا في تحليلاته الصوتية من جانب، واستشفاف القيم الدلالية من جانب آخر، إذ وجدنا أن هذه السمة في التوازي مثلت لدى بعضهم مهيمنا أساسيا شجعهم على إفراء هذا النوع، وفصله عن بقية أنواع التوازي الأخرى لا في العناوين وإنما في التحليل، وإلا فهذا النوع - في الحقيقة - داخل في أنماط التوازي الأخرى متلاحم معها، ذلك أنه لا يخلو خطاب من تنظيم تركيبى بشكل معين ^(٣).

وبناء على ذلك فالباحثون لم يقدموا تنظيرا لهذا النوع من التوازي مثل ما فعلوا مع بقية الأنساق الصوتية الأخرى، على الرغم من استعانتهم به في التحليل في أكثر من موضع.

ويقصد بالتوازن التركيبى توالى سلسلتين أو أكثر لنظام نحوي معين مصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية ومعجمية ودلالية ^(٤)، فهو من الأنساق التي تسهم في انتظام النص وله أهمية كبيرة "لأنه عنصر تأسيسى وتنظيمى في آن واحد" ^(٥) ويتجلى ذلك في نسق من التناسبات المستمرة على مستوى تنظيم البنى التركيبية وترتيبها، وهذا النسق يكسب الأبيات الشعرية أو الفقرات النثرية انسجاما واضحا، إذ إن البنى المتكئة على الترتيب النحوي من أهم العناصر المكونة للتوازي، فالتشاكل النحوي يؤدي وظيفتين مهمتين: فهو يخدم البعد الإيقاعي بتكرار التراكيب وانتظامها من جانب، ويهدف إلى تبليغ رسالة ما من جانب آخر؛ لأن هذه

(١) ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة: 84 - 97.

(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 14 - 150.

(٣) ينظر: التوازي في القرآن الكريم: وداد مكاي حمود: 11.

(٤) ينظر: اللغة الشعرية: 118.

(٥) التلقي والتأويل مقاربة نسقية: د. محمد عبد الفتاح: 149.

التراكيب ذات طابع جمالي تأثري فضلا عن طبيعتها المعنوية العلائقية ^(١) .

من هنا لا يمكن أن تكون بنية التوازي التركيبي بنية شكلية فقط، إذ إنها بنية ترتبط بالمعنى والدلالة ارتباطا وثيقا ^(٢)، فتكرار وظيفة نحوية معينة ينتج لنا توازيا دلاليا، فهناك تفاعل بين العناصر النحوية والعناصر الدلالية، إذ إن العنصر النحوي يمد العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، كما يمد العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك بعدد من الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثري مستمر ^(٣) فالغرض ليس بنظم الكلم إن توالى ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل ^(٤).

وبناء على ذلك يمكننا حدّ التوازي التركيبي بأنه : شكل من أشكال التنظيم النحوي يتمثل في تقسيم الحيّز النحوي على عناصر متشابهة في الطول والنغمة والبناء النحوي، فالكل يتوزع في عناصر أو أجزاء ترتبط نحويا وإيقاعيا فيما بينها" ^(٥) ولا يكون هذا بمعزل عن الدلالة كما أشرنا سابقا، فالتوازي كلما كان عميقا متصلا بالبنية الدلالية كان أحفل بالشعرية، وكان أكثر ارتباطا بالمشاكل المكوّن للنسيج الشعري في مستوياته العديدة، فإذا كانت الأوزان العروضية والصرفية هي مرتكز التوازي والتوازن في المستوى الصوتي، فإن أنماط الجمل النحوية وأطوالها وعلاقاتها ومواقع عناصرها هي التي تعد مظهر تحققه على المستوى النحوي ^(٦).

ومن أمثلة ذلك ما قدمه الباحث نوفل أبو رغيف في قول الإمام (عليه السلام) الموجه إلى قومه الذين تآلبوا على حقه وحرموه منه فذكرهم بحالهم قبل بعثة النبي (ص) قائلا لهم: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا (ص) نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ الْعَرَبِ عَلَى

(١) ينظر: التوازي في شعر يوسف الصانع وأثره في الإيقاع والدلالة: سامح رواشد، مجلة أبحاث اليرموك، أربد، الأردن، مجلد: 16، 1998م: 19 .

(٢) ينظر: ظاهرة التوازي في قصيدة الخنساء: موسى ربايع، مجلة دراسات، مجلد: 22 (أ)، عدد: 5، 1995م: 2033 .

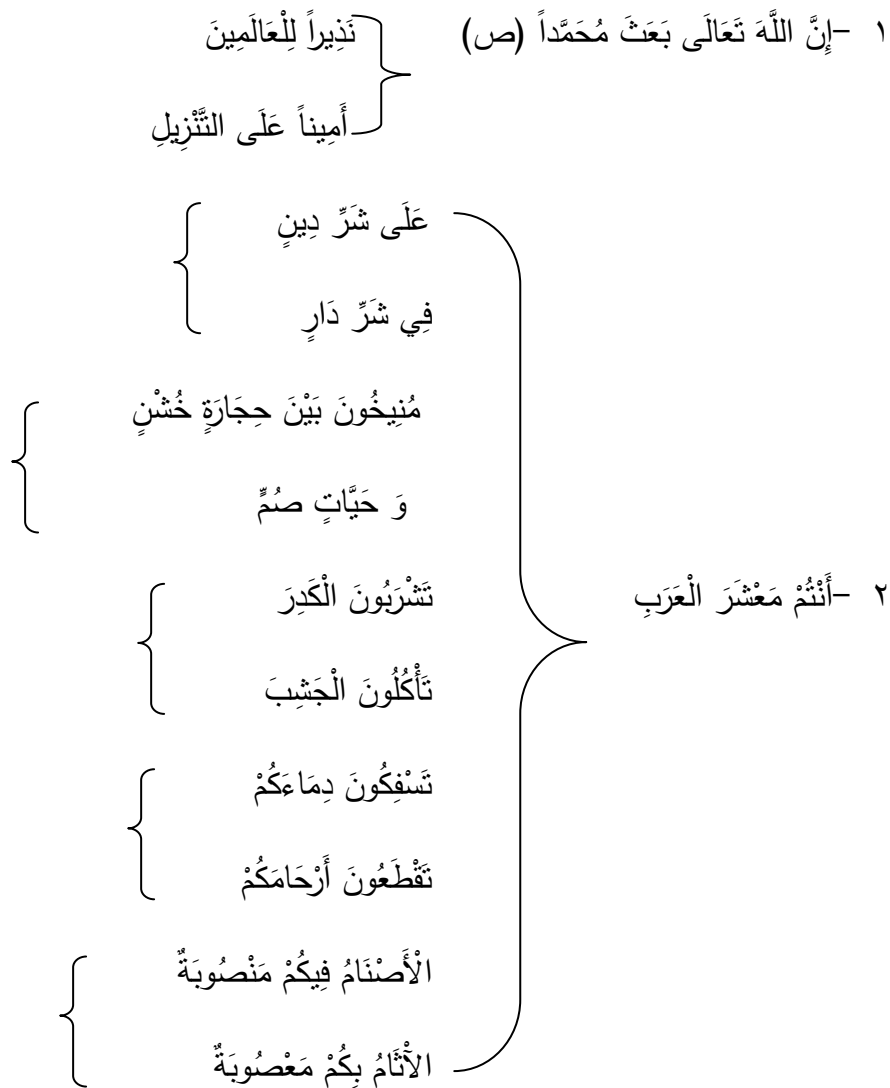
(٣) ينظر: النحو والدلالة: د. محمد حماسة: 113 .

(٤) ينظر: علم الدلالة: 45 .

(٥) جماليات النثر العربي الفني: د. طراد الكبيسي: 23 .

(٦) بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل: 215 .

شَرَّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ
الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالْأَثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ،
فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَعْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى
وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ عَلَى اخْذِ الْكَظَمِ، وَعَلَى أَمَرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ^(١) فقد أشار
الباحث إلى تكرار التراكيب النحوية في هذا النص مبينا أثرها في خلق إيقاع منتظم متظافرة مع
أنساق صوتية أخرى لجأ إلى بيانها، وسنقتصر على بيان هذه التراكيب النحوية المكررة بعد
إعادة كتابة النص بالشكل الآتي :



(١) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: 2 / 19.

٣ - لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي } أَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى
شَرِيتُ عَلَى الشَّجَا }

فالتوازي في الفقرة الأولى جاء على مستوى الجملة الحالية المنصوبة:

حال + حرف جر + اسم مجرور

والتوازي في الفقرة الثانية (1) على مستوى شبه الجملة والمضاف إليه

حرف جر + اسم مجرور مضاف + مضاف إليه

والتوازي في الفقرة الثانية (2) على مستوى إضافة الصفة إلى الموصوف:

صفة مضافة + موصوف مضاف إليه

والتوازي في الفقرة الثانية (3 ، 4) على مستوى الجملة الفعلية المضارعة في الزمن:

فعل مضارع + فاعل (الواو) + مفعول به

والتوازي في الفقرة الثانية (5) على مستوى الجملة الاسمية:

اسم (مبتدأ) + جار ومجرور + اسم (خبر)

والتوازي في الفقرة الثالثة على مستوى الجملة الفعلية:

فعل ماض + تاء الفاعل + حرف جر + اسم مجرور

وبذلك يشكل تكرار البنى التركيبية في هذا النص مهيمنا أسلوبيا لافتا "منحه طابعا تغييريا من

حيث عدم الثبات على صيغة واحدة" (١).

وبالرغم من اهتمام الباحث بتكرار هذه البنى التركيبية وإظهارها والاستدلال بها على

شعرية النص وإظهار ملامحه الجمالية عبر ما تحققه هذه البنى النحوية وغيرها من مهيمنات

صوتية أخرى فلننه أغفل الجانب الدلالي فيها، مكتفيا بعدد "هذا التنوع مصدرا من مصادر إثراء

(١) المستويات الجمالية في نهج البلاغة: 89 .

النسق الإيقاعي التقابلي ووجها يعكس التعددية وتباين التوازيات التي تعطي الشعرية سعة وحضوراً^(١) مشيراً إلى أن هذا الأفق الجمالي أدى إلى استيعاب الدلالة وحرّض على اكتشاف قوانينها^(٢).

ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام): "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عِتَاداً. تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً. لَجَمَلُ أَهْلِكَ، وَشَسَعُ نَعْلِكَ، خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُغْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جَبَايَةٍ، فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ"^(٣)

ذكرت الباحثة رملة خضير مظلوم مجموعة من المهيمنات الصوتية والدلالية في هذا النص إلا أنها أشارت إلى " أن محور التمرّك في رسالة الإمام كان في التوازي التركيبي الذي ظهر بوضوح، يعود ذلك إلى غرض الرسالة في التأكيد على الفكرة الواحدة، قراءة وسماعاً باعتماده على كثير من الاستنتاجات المنطقية التي تدور حولها فكرة التقريع فضلاً عن التقفية في كثير منها أضفى لها المعنى الذي توتاه، فلهذه المجانسة الوزنية التركيبية في العبارات وعدد الكلمات وعدد الحروف من التقارب ما كرّس الطابع الجمالي في النص، فهي تناظرات صوتية وتقابلات معنوية عكست صورة الغضب وترجيع الألم في نفس الإمام (عليه السلام)"^(٤).

فقد تكررت البنى النحوية في هذا النص في الفقرات الآتية

١ -	تَعْمُرُ	دُنْيَاكَ	بِخَرَابِ	آخِرَتِكَ
	تَصِلُ	عَشِيرَتَكَ	بِقَطِيعَةِ	دِينِكَ

إذ كل فقرة فيها تكونت من: فعل مضارع + مفعول به (مضاف) + ضمير المخاطب

(١) المستويات الجمالية في نهج البلاغة: 86 .

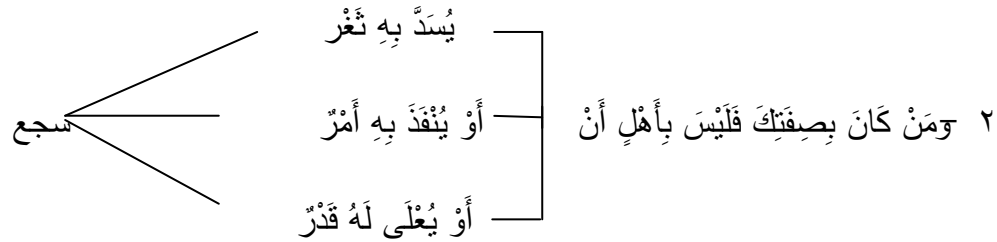
(٢) نفسه: 86 .

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 18 / 54 .

(٤) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 137 .

(الكاف) مضاف إليه + حرف جر (الباء) + اسم مجرور به وهو مضاف + مضاف إليه
مجرور وهو (مضاف) + ضمير المخاطب (الكاف) مضاف إليه .

فضلا عن حصول تقابل/تضاد بين ألفاظ (دنياك/آخرتك) و(تصل/بقطيعة). مع انتهاء
الفقرتين بصوت واحد وهو الكاف.



إذ كل فقرة من هذه الفقرات الثلاث تكونت من : فعل مضارع مبني للمجهول + جار ومجرور
+ نائب فاعل، منتهية بصوت واحد وهو الراء.

ويقدر ما وجد الباحثون في ترديد الصوت المفرد، أو الكلمات أو الجمل أو التراكيب في
نهج البلاغة أبعادها الإيقاعية الموحية بالشعور والدلالة، التفت بعضهم إلى جانب آخر وهو
المقاطع الصوتية في كلامه (عليه السلام) وما لها من دور فاعل في تشكيل المستوى الإيقاعي الداخلي
لنصوصه، وخلق مستويات نغمية معبرة تدخل في تحديدها طبيعة المقطع وصفته خاصة، فقد عمد
الباحث أرشد الشيخ علي إلى تقطيع أمثلة من خطب الإمام علي (عليه السلام) إلى مقاطع صوتية
ليتسنى له بذلك قياس التناسب الحاصل بين فقرات كلامه (عليه السلام) ومعرفة مدى ما يتركه هذا
التناسب المقطعي في خلق الإيقاع الموسيقي قائلا: "أعلم جيدا أن هذه المعالجة جديدة في
التناول النقدي ولكنها - وعلى الرغم مما تبدو عليه من وعورة أو تعقيد - بمثابة الأس أو
المدماك الذي ستبنى عليه تفاصيل البحث عن أسلوبية متفردة للخطبة العلوية فهذا التحليل
وتلك التفاصيل التي لا تلاحظها العين، ذات أثر إيقاعي خفي في توليد إيقاع الخطبة" (١).

(١) البنية الصوتية (الأمد والكثافة) للخطبة العلوية في نهج البلاغة (رد التحية إلى الله)، د. أرشد الشيخ علي
البهادلي، (بحث)، أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة: 2 / 29 .

استنتاجات

بعد الاطلاع على ما قدمه الباحثون الأكاديميون من مباحث صوتية في كلام الإمام علي (عليه السلام) المتمثل في كتاب نهج البلاغة يمكننا تسجيل الملاحظات الآتية:

أولاً: الملاحظات المنهجية

- ١ - اعتمد الباحثون جميعاً المنهج الوصفي التحليلي في دراسة المستوى الصوتي في نهج البلاغة الذي يقوم على رصد الظاهرة الصوتية ومن ثم إحصائها - في بعض الأحيان - وتحليلها وصولاً إلى ما تتركه من أثر في الإيقاع والنغم والموسيقي في بنية النص النهجي، فضلاً عن بيان ما توحيه من أثر في الدلالة على المعنى داخل السياق .
- ٢ - نزوع الباحثين إلى انتقاء الأمثلة ومن ثم دراستها بما تتلاءم والظاهرة الصوتية .
- ٣ - اختلاف منهج الباحثين في طريقة تحليل الظاهرة الصوتية بين الإجمال والتفصيل.
- ٤ - اختلاف منهج الباحثين في عرض المادة الصوتية فبعضهم قد عرضها ضمن موضوعات مستقلة مثل: جرس الألفاظ، والتكرار، والجناس، والسجع، والتوازن، وبعضهم أجمل في ذلك من خلال معالجة هذه الموضوعات جميعاً تحت عنوان واحد مثل: الدلالة الصوتية، أو المظهر الإيقاعي .
- ٥ - تفاوت الباحثين في استيعاب هذه المظاهر الصوتية عرضاً وتحليلاً، إلا أننا لو حاولنا جمع ما قدموه في هذا الجانب لوجدناه يستوفي مادة الصوت في نهج البلاغة، لذا يرى الباحث أن لا حاجة بعد ذلك إلى أن تخصص رسالة أو أطروحة لدراسة البنية الصوتية في نهج البلاغة ، ما لم تقدم شيئاً يخالف ذلك
- ٦ - أفاد الباحثون بعضهم من بعض في مباحث المستوى الصوتي في كلام الإمام علي (عليه السلام) عرضاً وأمثلة وتحليلاً ومنهم من أشار إلى ذلك ومنهم من لم يشير إليه.

ثانياً: الملاحظات التقويمية

1_ إن أغلب الدراسات الصوتية التي قدمها الباحثون في نهج البلاغة والتي تدخل ضمن الدراسات اللغوية تجزئ النص وتحلل بناءه إلى جزئيات توصف في ضمن مستوى معين من مستويات النص من دون إعادة تركيبها مع المستويات الأخرى، لأنها غير معنية بذلك، ولهذا تبقى هذه الدراسات ضمن التوجهات التي تعنى بالجانب الشكلي البنيوي وحده من دون النظر إلى تكامل العمل أو كليته، فهي لم تكشف عن القيمة الدلالية الكلية الكامنة فيه، الناتجة من مجموع تفاعل مستوياته المختلفة. يستثنى من ذلك ما قدمته الباحثة رملة خضير مظلوم في تحليلاتها الصوتية لنماذج من رسائل الإمام علي (عليه السلام).

أما الدراسات التي تشير عنواناتها إلى دراسة "بلاغة" نهج البلاغة، فإنها - في الأعم الأغلب - اتخذت منهاجاً شكلياً سورياً يميل إلى رؤية النص الأدبي بأنه ظاهرة عقلية، يمكن أن يُدرس بوصفه نظاماً مستقلاً لا يُعنى بالوظائف الدلالية والجمالية والتواصلية للنص الأدبي، وإنما اقتفت بعض الدراسات الأكاديمية خطى البلاغة العربية القديمة في هيكلتها وبنائها المعرفي، فقسّمت فنون نهج البلاغة بحسب التقسيمات البلاغية ورؤى أصحابها، ولاسيما فن البديع، لذا كادت تكون نتائج هذه الدراسات مكررة لما قاله القدماء، وربما توهم بعضهم أنه حين يستبدل أمثلة التقسيمات البلاغية بنصوص من نهج البلاغة، يكون قد درس النص وكشف أسرارهِ وأضاء جوانبه الدلالية والجمالية، ولكنني وجدت مثل هذه الدراسات لا تعدو أن تكون تنظيراً بلاغياً يعزز شرعية هيكلية البلاغة في مقارنة النصوص البليغة ليس غير. يستثنى من ذلك ما قدمه الباحث نوفل أبو رغيف - وإن ركّز على إظهار القيمة الجمالية والشعرية لنص النهج - والباحث خالد كاظم حميدي.

2_ لم يربط الباحثون في دراستهم السجع - في الأعم الأغلب - بين حروف الروي ودلالاتها إلاّ نزرًا يسيراً، كما لم يعمدوا إلى إحصاء حروف الروي أو بيان المؤثرات الصوتية في السجع سوى ما قدمه الباحث حسن هادي نور في دراسته للجملة الخبرية فقد أشار إلى أن السجع كان له نصيب وافر فيها ووجد أن أحرف الروي في هذه الجمل هيمنت عليها الأصوات الآتية (ت، ن، م، ر، ل، ء، ب، د، ق، ي، ع) وهي أصوات واقعة بين (الشدة) و (التوسط بين الشدة

والرخاوة) ورأى أن السبب في سيطرة هذه الأصوات على روي السياقات الخبرية في خطب الإمام ولاسيما الأصوات الشديدة، وبالأخص صوتي (ت، د) هو ملاعمتها لجو الخطبة المفعم بالقوة لغرض التأثير في المتلقي، أما الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة فتواترها بكثرة في أحرف الروي ولاسيما صوتي (م، ن) إنما جاءت لتحقيق قدرا وافرا من الموسيقى والنغم والإيقاع، فضلا عن تعزيزها للمعنى^(١).

أما المؤثرات الصوتية للسجع فقد انفرد الباحث كامل حسن البصير في بيانها حينما ذهب إلى "إن ضرورة عنصر القافية على هذا الشكل لدى الإمام حضه على أن يتكلف توفيرها لفقراته متوسلا بثلاث وسائل:

أولاه: التجاوز على قواعد الصرف والقياس كقوله: " مِنْ الْوَالِدِ الْفَانِ الْمُقَرِّ لِلزَّمانِ " (٢) فقد حذف الياء من الفاني ليزاوج بينه وبين الزمان قافيتين لعبارته.

وثانيتهما: الإتيان بلفظة غريبة نادرة الاستعمال قليلة الشيوع، والعدول عن مرادفها المألوف الشائع كقوله: " لِيُولَجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمْنَةَ " (٣) فقد عدل عن كلمة الأمن وأتى بكلمة الأمانة التي معناها الأمن في الأصل تقفية للبيت الثاني وهي كلمة غريبة نادرة الاستعمال .

وثالثتها: حشو عباراته بكلمات زائدة كقوله: " فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا وَ قَدَرَهُ مُقَامًا لَا ظَعْنًا " (٤) أوليس كلمة ظعنا حشوا وفضلة حشيت بها العبارة وزيدت عليها بغية التقفية" (٥) ومع ذلك فالباحث لم ير السجع في كلام الإمام متكلفا مقصودا لذاته بل " إن اهتمام الإمام بالتقفية والسجع على هذا النحو لم يكن شاملا ملزما إياه بأن يقفي رسائله كلها ويسجع فواصلها جميعها، وإنما معناه أنه كان يلتزم بها في الفقرات التي تصور قمم عواطفه وذرى انفعالاته" (٦).

(١) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 39، 41 .

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 9 / 16 .

(٣) نفسه: 146 / 15 .

(٤) نفسه: 92 / 15 .

(٥) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 353 – 354 .

(٦) نفسه: 354 .

3_ على الرغم من إفادة الباحثين بعضهم من بعض في المستوى الصوتي من كلام الإمام علي (عليه السلام) إلا أن الذي أود أن أشير إليه هو أن بعض الباحثين عمد إلى تغييب حقيقة علمية اجتهد باحث آخر في الوصول إليها فقام بعرضها بشكل يخالف ما أورده صاحبها وهو نوع من التدليس، وعلى سبيل المثال ما أورده الباحث سعد عزيز شنو عن الدكتور كامل حسن البصير قائلا: "لذا فالقارئ والسامع لرسائل الإمام لا يجدان ألفاظا وحشية غريبة التأليف، متنافرة الحروف، وهذا يجعلنا نقول بخلوص ألفاظ الإمام من الغرابة والوحشية لكن باحثا مثل الدكتور كامل حسن البصير عدّ بعض ألفاظ الإمام (عليه السلام) في رسائله بالثقيلة والمتنافرة، وقد أحصينا بعض ما أورده في هذه القائمة: أفعس، يجبيه، يعضههم، لا تخدج، وليستأن بالنقب، والظالع، منقيات، غور، ورقّة، موصّلة، مبتر، وغم، إذا تأملنا هذه الألفاظ التي ذكرها الدكتور كامل حسن البصير في رسالته، التي وصفها بالثقل وتنافر الحروف، لا يسعنا أن نأخذ حكمه عليها، إذ إن ثقلها ليس مستكره وتنافر حروفها ليس مضطربا إذا قيست إلى تلك الألفاظ التي خص اللغويين القدماء على ثقلها وتنافر حروفها كلفظتي (هعخع، ومستشزرات)" (1)

فالباحث صور للقارئ أن الدكتور كامل حسن البصير ركّز على هذه الألفاظ ووصفها بالثقل وتنافر الحروف وليس له كلام آخر فيها غير ذلك، ومن ثم ادعى الرد عليه، والحقيقة هي غير ما ذكره الباحث تماما وس أذكر كلام الدكتور البصير لإيضاح ذلك، قال الدكتور: "إن لألفاظ الإمام مميزات: أولاها: خلوصها من الغرابة في الغالب: فمن يقرأ رسائل الإمام من ذوي الثقافة المتوسطة لا يتوقف عند معاني ألفاظه مستعينا بهامش وملتبجا إلى معجم؛ ذلك لأن ألفاظه واضحة منتشرة بين الناس وقد أحصينا الألفاظ الغريبة الحوشية في رسائل الإمام فلم نرها تتعدى هذه القائمة: أفعس، رداء، تأشب إليهم، لا تخدج، لا يمصر لبنها، وليستأن بالنقب، والظالع، منقيات، رهقه، غور، ورقّة، السواء، موصّلة، الشذى، مبتر، فلجوا إليهم، قارب، يجبههم، يعضههم، ودّية، الفهر، صياصي الجبال، وغم، أصر له، أنهد، أعتامك، فنكت وشغرت، تفتات، ومهطعون إليها، طلاع الأرض، طفلت الشمس للغياب، نجا جريضا .

إن هذه القائمة يسيرة في عددها إذا قيست إلى مجموع ألفاظ رسائل الإمام البالغ

(1) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 52 .

عدها اثنين وعشرين ألف وتسعمائة كلمة، ثم إنها ... أقل ما يتوقع من رجل كان قريب عهد بالعصر الجاهلي وكان ذا إطلاع على لغتهم وعلى هذا يمكن أن نفر بأن ميزة خلوص ألفاظ الإمام من الغرابة جعلتها ألفاظا بينة ظاهرة متبادرة إلى الفهم مأنوسة الاستعمال.

وثانيتهما: خلوصها من تنافر الحروف: فألفاظ الإمام رشيقة على اللسان سهلة على النطق تجري في التلاوة مجرى النسائم لا تضطرب أو تتعثر، إن حكمنا على هذا نتيجة لاستقراء ألفاظ رسائل الإمام وإذن فلنقيد بأن استقراءنا هذا قد هدانا إلى الوقوف عند ألفاظ رأينا فيها شيئا من الثقل لتنافر حروفها وتقارب مخارجها وهذه الألفاظ هي: تفتات، فاقعس، تخدج، يستزل، ولتخسان، ومثبورا، ولأججعنك. إن المتأمل في هذه الألفاظ المدرجة في جملتها لا يسعه أن يأخذ حكمنا عليها بالثقل وتنافر الحروف؛ ذلك لأن ثقلها ليس مستكرها وتنافر حروفها ليس مضطربا إذا قيست إلى تلك الألفاظ التي نص البلاغيون القدامى على ثقلها وتنافر حروفها كلفظتي (هعخع، ومستشزرات) ^(١).

ومن يتأمل كلام الباحثين يجد أن الباحث سعد عزيز شنو أعاد كلام الدكتور البصير عينه وما قدمه على شكل رد على الدكتور هو كلام الدكتور البصير نفسه فضلا عن ذلك أن الدكتور البصير فرق بين الغرابة وتنافر الحروف في ألفاظ الإمام والباحث خلط بينهما .

وقد أعاد الباحث هذا الأمر في موضع آخر قائلا: "عند إمعان النظر في تراكيب الإمام علي (عليه السلام) نجدها امتازت بالفصاحة، والسلامة من العيوب التي عدها علماء البلاغة ضارة بفصاحة التركيب، فهي خالية من تنافر الحروف في المفردات، وخالية من تنافر الحروف مجتمعة، ويقف الدكتور كامل حسن البصير على النقيض من هذا الرأي إذ وصف بعضا من جمل الإمام في رسائله بأنها صعبة أو ثقيلة في النطق، ومن هذه الجمل ومن قراءة هذه الجمل يتبين لنا عدم الدقة في الحكم، فنحن لا نحس بثقلها وتنافر كلماتها ... ثم أين هذه الجمل من بيت الشعر الذي يضرب به المثل في الثقل وتنافر الحروف؟

وقبر حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قرب قبرٍ حربٍ قبرٍ

(١) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 309 - 311 .

فجمل الإمام متلائمة صحيحة فصيحة غير متنافرة سالمة من ضعف التأليف والتعقيد اللفظي" (١).

فما أبداه الباحث من ردّ على رأي الدكتور البصير هو كلام الدكتور البصير نفسه قال البصير: " إن جملة فصيحة سالمة من العيوب التي عدها علماء المعاني ضارة بفصاحة التراكيب فهي بمنجاة من تنافر الكلمات مجتمعة، فقد حاولنا أن نجمع للإمام جملاً تنافرت كلماتها وتناذت فلم نقع إلا على هذه الجملة: "إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ" و "فَهَجَرَ لَاغِطاً وَضَلَّ خَابِطاً" و "وَ إِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ" بيد أننا ندرك من تلاوة هذه الجملة أننا لا نكاد نحس بثقلها وتنافر كلماتها فأين هي من قول القائل:

وقبر حربٍ بمكانٍ قفرُ وليس قرب قبرٍ حربٍ قبرُ

كما أنها سالمة من ضعف التأليف والتعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي وكثرة التكرار وتتابع الإضافات" (٢).

وفيما يلي جدول بالمواضيع الصوتية في رسائل وأطاريح الجامعات العراقية

ت	اسم الباحث والدراسة	المواضيع الصوتية
1	كامل حسن البصير رسائل الإمام علي (عليه السلام)	الفصل الثالث: الإيقاع العروضي في رسائل الإمام: عناصر الإيقاع، الموسيقى الداخلية، الجناس، الاشتقاق، التكرار، الترصيع، المطابقة والمقابلة، القافية
2	عباس علي حسين التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام)	الفصل الثالث: التكرار، التجنيس، الموازنة، السجع، الوزن الشعري

(١) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: 57 .

(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 329 .

3	حسن هادي نور الجملة الخبرية في نهج البلاغة	الفصل الأول: البنية الصوتية للجملة الخبرية: التكرار الصوتي، جرس الألفاظ، الجناس، السجع، الموازنة
4	سمير داود سلمان دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة	الفصل الأول: التراكم الصوتي والمحاكاة الصوتية، الإيقاع: التكرار، التجنيس، المزوجة، الطباق
5	أحمد هادي زيدان خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة	الفصل الثاني: ثانيا: إحياء الأصوات في خطب نهج البلاغة
6	حيدر أحمد حسين المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)	الفصل الأول: بلاغة الصوت: التكرار، الجناس، السجع، التوازن
7	نوفل هلال عبد المطلب المستويات الجمالية في نهج البلاغة	الفصل الأول: نسق التكرار، نسق التقابلات والتناظر الإيقاعي، نسق السجع والجناس المزدوج
8	عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي المثل في نهج البلاغة	الفصل الثالث: الجناس، السجع، الازدواج، التكرار
9	طارق محمد حسن بنية الخطبة في نهج البلاغة في ضوء نظرية أرسطو	الفصل الثاني: الصناعة الصوتية (الإيقاع)
10	هادي شندوخ حميد الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة	الفصل الثاني: الدلالة الصوتية: موسيقى الكلام في نهج البلاغة، التكرار، محاكاة الأصوات، التناسب

11	عباس علي حسين أثر القرآن الكريم في نهج البلاغة	الفصل الأول: الألفاظ الموحية، الفصل الثالث: السجع، التكرار، الجناس، التوازن
12	عبد الحسين عبد الرضا أعوج الخطاب في نهج البلاغة	الفصل الأول: أولاً: المظهر الإيقاعي: الإيقاع الخارجي، الإيقاع الداخلي، الإيقاع المتداخل
13	رملة خضير مظلوم رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية	الفصل الأول: الظواهر الصوتية: تحقيق الهمز، الإدغام، الإبدال، الإعلال، الدلالة الصوتية: دلالة الصوت في اللفظ المفرد، دلالة الصوت في التركيب
14	سعد عزيز شنو رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية	الفصل الأول: التناسب: التلاؤم الصوتي، التراكم الصوتي، الفصل الثاني: المحاكاة الصوتية والمعنى، الفصل الثالث: الإيقاع الموسيقي في رسائل الإمام علي: الجناس، التكرار، الازدواج، الموازنة، التقديم والتأخير، السجع
15	خالد كاظم حميدي أساليب البديع في نهج البلاغة	الفصل الأول: السجع، الجناس، التكرار
16	ميثاق علي عبد الزهرة أبنية المشتقات في نهج البلاغة	الفصل الثاني: الدلالة الصوتية، موسيقى النص ودلالته الصوتية، موسيقى اللفظ المفرد، موسيقى التركيب، التلاؤم والانسجام الصوتي، الإيقاع الموسيقي الناتج من المحسنات اللفظية، الجناس، التوازن، السجع.

الفصل الثاني

الدراسات الصرفية

مجالات الدراسة الصرفية

أيسر ما يقال في اللغة العربية أنها لغة ذات جذور ^(١)، غير أن هذه الجذور لا يمكن استعمالها إلا من خلال تشكيلات متنوعة من الصيغ، فالجذور تبقى جامدة ما لم تصب في قوالب أو صيغ معينة، ومن هنا تتضح علاقة الجذور بالصيغ من خلال ظاهرتين ^(٢) متداخلتين هما:

١ - ظاهرة الحركة الاشتقاقية: وهي الأصل المشترك في جميع الكلمات ذات الجذر الواحد.

٢ - ظاهرة الصياغة: وهي الكلمة التي تكون عليها عند الاستعمال.

وهنا تأتي أهمية علم الصرف أو ما يسمى حديثا بالمورفولوجي في دراسة هاتين الظاهرتين، فهو علم دراسة الصيغ أو الأبنية الصرفية ^(٣) في ضوء مستويات التحليل اللغوي الثلاثة وهي: علم الصرف، وعلم الأصوات، وعلم الدلالة؛ لأن هذه الصيغ هي ليست مجردة.

إن أكثر فروع علم اللغة صلة بعلم الأصوات وما يتناوله هو علم الصرف، ولذلك قيل: "لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات" ^(٤) وقيل: إن "أكثر فروع الدراسات اللغوية حاجة إلى التحليل الصوتي هو علم الصرف" ^(٥) وقيل أيضا: "من أكثر العلوم استفادة من علم الصوتيات علم الصرف أو المورفولوجي" ^(٦).

وترجع هذه الصلة أو العلاقة إلى مدى حاجة الدراسة الصرفية إلى الدراسة الصوتية التي تستدعي معرفة دقيقة بطبيعة الأصوات التي تكوّن الصيغة وبخصائصها، وعلاقة الأصوات بعضها بعض من حيث التجانس أو التماثل في داخل الكلمة، مع الوقوف على المتغيرات الصوتية التي تتعرض لها الأصوات من الزيادة، والحذف، والتطويل، والتقصير، والإدغام، والإبدال والقلب ^(٧)، ولذلك تتأثر الصيغ بالأصوات كما تتأثر الأصوات بالصيغ، وكلاهما غالبا ما يتأثر بالمعنى ^(٨).

(١) ينظر: في التطور اللغوي: د. عبد الصبور شاهين: 31.

(٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح: 328.

(٣) ينظر: أصول تراثية في علم اللغة: د. زكي حسام الدين: 203.

(٤) علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر: 185.

(٥) دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر: 347.

(٦) علم الصوتيات: د. عبد الله ربيع محمود، د. عبد العزيز علام: 46.

(٧) ينظر: علم الصوتيات: 46.

(٨) ينظر: أسس علم اللغة: ماريو باي: 44.

ومع شدة العلاقة بين علمي الصرف والأصوات سنتناول الصيغ الصرفية بمنأى عن الأصوات، لأنني أجد نفسي ملتزماً بما قدمه الباحثون من دراسات صرفية في نهج البلاغة، وهي دراسات خلت من التفسير الصوتي سوى ما قدمه الباحث علي فرحان جواد من تعليقات صوتية لبعض التغيرات التي تطرأ على الصيغة في أثناء عملية الاشتقاق، أو إشارات متفرقة لدى بعض الباحثين عن دلالة المورفيم^(١) داخل الصيغة.

وكما تتأثر الصيغ في الأصوات فإنها تتأثر كذلك بالمعنى وترتبط به، وقد يكون المعنى عاماً تشترك فيه جميع صور الجذر ومشتقاته، وقد يكون المعنى خاصاً بالصيغة نفسها، وقد يكون لأصوات الصيغة أثر في تحديد معناها - وهو ما تناولناه في الفصل الأول - وهذا يعني أن الصيغة ليست مجرد معنى عاماً ينتمي إلى جذر معين، ولكنها مجموعة من الدلالات تستمدّها من طبيعة أصواتها، أو علاقتها بالسياق الذي وضعت فيه وما قد يتصل بها من سوابق أو لواحق، كما تتأثر هذه الصيغ من خلال علاقاتها النحوية داخل بناء الجملة التي وضعت فيها، وهذا كلّه يدخل في مجال علم الدلالة الذي هو أحد مجالات علم الصرف. ويدخل إلى جانب ذلك كلّ الدلالة المعجمية للصيغ الصرفية.

وأود الإشارة إلى أن الباحثين في المجالات الصرفية في نهج البلاغة اعتمدوا جميعاً على منهج واحد وهو المنهج التعليمي في التصريف الذي يقوم على رصد الصيغة ومن ثم إحصائها - عند بعضهم - وتلمس دلالاتها في ضوء ما قال به الصرفيون، فلم يتناولوا تحليل النصوص التي ضمت هذه الصيغ، وإنما اكتفوا ببيان دلالات الصيغة وحدها، وبناء على ذلك لا يمكننا أن نقدّم رؤية واضحة عن هذه الدراسات أو نقيّمها ما لم نتعرض للصيغ التي تناولوها في دراساتهم ليتسنى لنا معرفة استيعابهم لها من جهة، ومعرفة الدلالات الجديدة التي أضافوها لهذا الصيغ من جهة أخرى، ومما لاشك فيه "أن الدراسة التصريفية تتصف بالجفاف لأنها تعتمد الأوزان والصيغ واختلاف حركات البنى التصريفية، ولكن التحليل قد يخفف بعض الجفاف عندما ترتبط البنية بالمعنى"^(٢) وهذا ما لمسّه الباحث في بعض الدراسات التي خلت من التحليل الدلالي.

(١) والمورفيم: أصغر وحدة صرفية على مستوى التركيب ويتمثل بالكلمات ذات اللواحق، ويكون إما سابق، أو لاحق، أو في الأحشاء. ينظر: التفكير الصوتي عند الخليل: حلمي خليل: 31.
(٢) أسلوبية البناء الشعري، دراسة في شعر أبي تمام: 70.

وأود أن أشير أيضا إلى أن جهة النظر لهذه الصيغ تختلف من باحث إلى آخر فمنهم من عالج هذه الصيغ من خلال الظاهرتين: الاشتقاق والدلالة، ومنهم من اكتفى بالجانب الدلالي، فضلا عن ذلك أن كل باحث قد انفرد بدراسة جانب من هذه الصيغ مثل: صيغ الأفعال، أو صيغ المصادر، أو صيغ المشتقات، سوى دراستين ضمّت هذه الصيغ الصرفية (الأفعال، والمصادر، والمشتقات) واحدة في نهج البلاغة عموما لأنها تناولت الاشتقاق والدلالة في نهج البلاغة، والأخرى في الرسائل فقط¹، إذ لم يدرس أحد من الباحثين الصيغ الصرفية جميعها في نهج البلاغة بشكل مستقل. ومن ثمّ هناك صيغ صرفية لم يتناولها الباحثون وهي: صيغ الأسماء، والتنثية، والجمع السالمة، وجمع الجمع، واسم الجمع، واسم الجنس، والتأنيث، والتصغير، والنسب، والتغيرات التي تطرأ على الأفعال. وكان المنهج الغالب في دراسات الباحثين البدء بمهاد تنظيري لكل صيغة، ومن ثم رصد ما ورد منها في نهج البلاغة مع إحصائها عند بعضهم، وصولا إلى دلالاتها من خلال السياق التي وضعت فيه.

وقد اتسقت لنا مادة هذا الفصل - بناء على ما قدمه الباحثون - على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صيغ الأفعال ودلالاتها، والمبحث الثاني: صيغ المصادر ودلالاتها، والمبحث الثالث: صيغ المشتقات ودلالاتها، وصيغ جموع التكسير ودلالاتها.

(¹) ينظر: لغة الإمام علي في نهج البلاغة دراسة وصفية: الفصل الأول: 22 - 52، ورسائل الإمام علي دراسة لغوية: الفصل الثاني: 151 - 246.

المبحث الأول

صيغ الأفعال ودلالاتها

انفرد الباحث جبار هليل زغير بدراسة الأفعال في نهج البلاغة بشكل مستقل تحت عنوان (الفعل في نهج البلاغة دراسة صرفية)، مقسماً دراسته على بابين، أحدهما لدراسة صيغ الفعل المجرد، والآخر لدراسة صيغ الفعل المزيد، وقد أحصى هذه الصيغ، بيد أن هذا الإحصاء غير دقيق؛ لأن الباحث عمد إلى احتساب المكرر من جهة، وخلط بين صيغة الماضي والمضارع من جهة أخرى، وقد عمل الباحث ملحقاً لصيغ الأفعال الواردة في نهج البلاغة ودلالاتها، وأرى أن هذا الملحق لم يحقق الفائدة المرجوة منه لسببين: أحدهما: أنه لم يشمل صيغ الأفعال جميعها مجردة ومزيدة، وإنما انحصر في بيان صيغ الأفعال المزيدة ودلالاتها فقط، و الآخر: أن الباحث اكتفى ببيان أرقام الصفحات الواردة فيها الأفعال المزيدة في نهج البلاغة موزعة على دلالاتها من دون ذكر الأفعال نفسها^(١)، وقد جسّد الباحث - في عرضه مادة هذه الدراسة - المنهج التعليمي الصرفي في أوضح صورته، فعند دراسة كل صيغة من هذه الصيغ يبدأ بمهاد تنظيري يضمّنه أقوال الصرفيين في هذه الصيغة ودلالاتها، ومن ثمّ يقدم إحصاء لها، وبعدها يذكر أهم الدلالات التي اشتملت عليها مقدماً إحصاء لكل دلالة من هذه الدلالات، والباحث لم يكن دقيقاً في إظهار بعض الدلالات، فضلاً عن ذلك أنه أغفل جوانب دلالية تؤديها بعض هذه الصيغ، سنبينها لاحقاً.

وضمّت بعض الرسائل والأطاريح دراسة صيغ الأفعال ودلالاتها على شكل مباحث أو فصول، وتضمّن بعضها إشارات متفرقة لدلالة صيغ الفعل في نهج البلاغة، وقد عالج الباحثون هذه الأفعال من حيث التجرد والزيادة مبينين صيغ كل منهما وما تدل عليه، فقد خصص الباحث علي فرحان جواد الباب الأول من دراسته (ظاهرة الاشتقاق) اشتمل على مباحث صرفية كثيرة، ومنها اشتقاق صيغ الفعل الثلاثي المجرد ودلالاتها، خصص له مبحثين، الأول لدراسة صيغ الفعل الثلاثي وأبوابه في نهج البلاغة، قدّم فيه إحصاء لصيغ الفعل الثلاثي المجرد والأبواب التي ورد عليها^٢، واتبع الباحث خطوات صحيحة في الإحصاء ميزته بمميزات منها: أنه أحصى أفعال كل صيغة ومن ثمّ ذكر عدد مرات تكرارها، وفصل بين الفعل الماضي والفعل المضارع في الإحصاء، وذكر إحصاء لكل باب من أبواب الفعل الثلاثي، وأما المبحث الثاني: فبحث فيه دلالات الفعل الثلاثي المجرد^(٣)، واللافت للنظر أن الباحث لم يقدم في دلالات صيغ الفعل الثلاثي المجرد سوى

(١) ينظر: الفعل في نهج البلاغة دراسة صرفية: جبار هليل زغير: فهرس الصيغ المزيدة ومعانيها: 177 - 188

(٢) ينظر: لغة الإمام علي في نهج البلاغة دراسة وصفية: 25 - 32.

(٣) ينظر: نفسه: 60 - 64.

أمثلة قليلة، وأما صيغ الفعل الرباعي المجرد، فقد تناولها في موضوع الاشتقاق من الجامد ^(١) وأما صيغ الفعل المزيد ودلالاتها فلم يتناولها الباحث.

وخصص الباحث سمير داود سلمان مبحثاً لدراسة دلالات صيغ الأفعال المجردة والمزيدة ^(٢)، واللافت للنظر أن الباحث لم يتناول هذا الموضوع بعمق، فما قدمه لا يمثل إلا عرضاً سطحياً يكتفي بالإشارة إلى أن نهج البلاغة اشتمل على بعض هذه الصيغ، فالباحث لم يستوف صيغ الأفعال جميعها، ولم يستوف دلالات الصيغة الواحدة، وأرى أن الاكتفاء بالقول : إن نهج البلاغة ضمّ بعض هذه الصيغ، لا يقدم شيئاً ذا بال، ولا يحقق فائدة ترجى؛ لأنه لا يخلو نص من النصوص، مهما كان جنسه أو صفته من الاشتمال على صيغ الأفعال، فهل يستطيع المتكلم أن يستغني عن استعمال الأفعال؟ كيف والحال مع كتاب ضخّم تناول مواضيع كثيرة وهو نهج البلاغة، فمن السهولة واليسر أن تشير إلى موضع صيغة فعلية، أو تدعي أنها مستعملة في نهج البلاغة، ولو لم يكن الباحث معنيّاً بهذا الموضوع وإنما مرّ عليه على سبيل التوضيح أو الإشارة لهان الأمر ويسر، ولكنني وجدت أن الباحث معني به ومطالب في الكشف عنه، لأن دراسته (دراسة لغوية) فضلاً عن ذلك أن الباحث خصص فصلاً كاملاً لدراسة المستوى الصرفي في كتاب نهج البلاغة، ولا يختلف حال الباحث مع بقية الصيغ الصرفية الأخرى، بل مع بقية الموضوعات اللغوية التي تناولها، فالمنهج الذي تبناه الباحث، لا هو تعليمي صرفي يرصد الصيغ الصرفية ويذكر دلالاتها، ولا هو منهج إحصائي يحصي هذه الصيغ، وإنما هو منهج يكتفي بالإشارة إلى وجود بعض هذه الصيغ في النهج.

وخصصت الباحثة رملة خضير مظلوم الفصل الثاني من دراستها لدراسة (المستوى الصرفي) في رسائل الإمام (عليه السلام) أفردت المبحث الأول منه لدراسة الصيغ الفعلية مبتدئة بصيغ الفعل المجرد (الثلاثي والرباعي) ثم صيغ الفعل المزيد ومنهجها يقوم على رصد الصيغة الصرفية من غير إحصاء، ومن ثم بيان دلالاتها ^(٣)، وخصص الباحث أحمد هادي زيدان قسماً من الفصل الثاني لدراسة (دلالة الصيغ الصرفية في خطب نهج البلاغة) صدره بدراسة دلالة صيغ الأفعال وقد اكتفى بدراسة دلالات صيغ الفعل الثلاثي المجرد والمزيد من دون أن يقدم إحصاء لهذه الصيغ، أما

(١) ينظر: لغة الإمام علي في نهج البلاغة دراسة وصفية: 138 - 140

(٢) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): 61 - 69.

(٣) ينظر: رسائل الإمام علي دراسة لغوية: 155 - 192.

الفعل الرباعي المجرد والمزيد فلم يتناوله ^(١)، وخصص الباحث هادي عبد علي هويدي الفصل الثاني من دراسته لدراسة (الاشتقاق والأبنية الفعلية) ضمّنه صيغ الفعل الثلاثي والرباعي المجرد والمزيد^(٢)، وانفرد الباحث فراس عبد الكاظم حسن بدراسة صيغ الأفعال المبنية للمجهول إذ خصص لها مبحثاً من الفصل الأول من دراسته، وقد اتبع منهجاً إحصائياً يقوم على تفصيل هذه الصيغ تفصيلاً دقيقاً، فالباحث قسّم صيغ الفعل الثلاثي المجرد المبني للمجهول على: الفعل الصحيح ويقسّم على: الفعل السالم والمضعف والمهموز وقسّمه على: مهموز الأول، ومهموز الوسط، ومهموز الآخر، ثم الفعل المعتلّ وقسّمه على: المثال، والأجوف والناقص، ثم انتقل إلى صيغ الفعل المزيد المبني للمجهول وقسّمه على: المزيد بحرف، والمزيد بحرفين، والمزيد بثلاثة أحرف، مورداً تحت كل قسم من هذه الأقسام صيغته، ثم الفعل الرباعي المجرد، والملحق بالرباعي المجرد، أما الفعل الرباعي المزيد فلم يتناوله ولعلّه لم يجد له أمثلة في نهج البلاغة^(٣)، ولم يقدم الباحث في هذه التقسيمات جميعاً سوى الإحصاء مفرقاً بين صيغ الفعل الماضي وصيغ الفعل المضارع، فدراسته هذه لا تمثل إلاّ دراسة إحصائية لصيغ الفعل المبني للمجهول؛ لأنها تخلو من الجانب الدلالي بشكل تام، فالباحث لم يتناول دلالات هذه الصيغ، أو دلالات النصوص التي تضمنتها، وقد عمل ملحقا لكل قسم من هذه الأقسام، ذكر فيها الأفعال الواردة على هذه الصيغ مع ذكر أرقام الصفحات الواردة فيها^(٤).

ولا يتسنى لنا الوقوف على ما قدّمه الباحثون في صيغ الأفعال ومن ثم تقويّهم ما لم نقف على هذه الصيغ، على أن هناك من يرى أن صيغ الأفعال الثلاثية لا تدخل في باب الصرف وإنما هي مباحث متن اللغة والمعجمات، لكونها من قضايا الثروة اللفظية، فضلاً عمّا تؤديه اختلاف اللهجات من أثر كبير في تعددها وتنوعها^(٥).

(١) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 82 – 139.

(٢) ينظر: المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: هادي عبد علي هويدي: 105 – 168.

(٣) ينظر: المبني للمجهول في نهج البلاغة، دراسة لغوية: فراس عبد الكاظم حسن: 27 – 40.

(٤) ينظر: نفسه: الملحق رقم (1): 125 – 142.

(٥) ينظر: دراسات في علم اللغة: د. كمال بشر: 235 وما بعدها.

أولاً: الفعل المجرد :

هو كل فعل كانت أحرفه أصلية، لا يسقط أحدها في تصريف الفعل إلا لعلّة تصريفية^(١).

أ . الفعل الثلاثي المجرد:

للفعل الثلاثي المجرد بحساب ماضيه ثلاث صيغ للمبني للمعلوم، هي : " فَعَلَ، وفَعِلَ، وفَعَّلَ"^(٢)، وللمبني للمجهول صيغة واحدة هي: " فُعِلَ " .

١ - فَعَّلَ : بفتح الفاء والعين، وعين مضارعه مثلثة.

لم يخرج الباحثون عمّا قال به الصرفيون في هذه الصيغة، فقد أكدوا مسألتين: الأولى: شيوع هذه الصيغة بناء على ما قدموه من إحصاء لها، إذ ذكروا أن الإمام علي (عليه السلام) استعملها أكثر من بقية الصيغ الأخرى، والثانية: أن هذه الصيغة لا تنحصر بدلالات محددة؛ لأن دلالاتها تمثل المعنى المعجمي لألفاظها^(٣)، وانفرد الباحث أحمد هادي زيدان بذكر دلالات لها وهي: (الغلبة، الحركة والاضطراب، السكون والاستقرار، القطع، الإعطاء، الجمع، السير، الصوت) ممثلاً لكل دلالة بمجموعة يسيرة من أفعال هذه الصيغة^(٤)، ومن النظر في هذه الدلالات وأمثلتها نرى أن ما ذكره لا يمثل دلالات هذه الصيغة وإنما دلالات معجمية لهذه الأفعال.

بيد أن هذه الصيغة من الناحية الوظيفية ترد على وجهين: متعدية وغير متعدية^(٥)، ولما كان المنهج الغالب في دراسة الباحثين هو الإحصاء كان عليهم أن يقدموا إحصاءاً للمتعدّي منها أو غير المتعدّي، أو يقدموا أمثلة لكل منهما، وهو ما لم يفعلوه، وبهذا يتضح لنا أن ما ذكره الباحثون

(١) ينظر: شذا العرف: الحملاوي: 29 ، ودروس التصريف : محمد محيي الدين عبد الحميد: 55.

(٢) ينظر: الكتاب: 4 / 38، وشرح المفصل: ابن يعيش: 7 / 152، وشذا العرف: 29 .

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 27 - 30، 60 - 61، والفعل في نهج البلاغة دراسة صرفية: 36 - 64، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 156، والمباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 122 - 130.

(٤) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 84 - 88.

(٥) المنصف: ابن جني: 1 / 20.

في هذه الصيغة يعزز ما ذهب إليه الصرفيون في قولهم: "وكل ماضٍ بالفتح مطلقاً" ^(١) ويرجع ذلك إلى خفة الفتحة من ناحية، ولأنها أصل الحركات الثلاث من ناحية أخرى ^(٢) ولذلك "أن باب فَعَلَ لخفته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها، لأن اللفظ إذا خفّ كثير استعماله، واتسع التصرف فيه" ^(٣) قال سيبويه: "وليس شيء أكثر في كلامهم من (فَعَلَ)" ^(٤)، وما يؤيد ما ذهب إليه الباحثون أيضاً أن على هذه الصيغة (فَعَلَ) جاءت قراءة معظم أفعال القرآن الكريم في الماضي المجرد ^(٥).

٢ فَعَلَ : بفتح الفاء وكسر العين، وعين مضارعه مفتوحة وكسرها شاذ.

لم يخرج الباحثون ^(٦) في معاني هذه الصيغة عن المعاني التي ذكرها الصرفيون ^(٧)، سوى ما ذكره الباحث جبار هليل زغير من معنى الاستقرار في الأفعال (وَطِئَ وَرَكِبَ) في قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكَ زَلَقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكَ عَرِقَ" ^(٨) متبعا في ذلك رأي الباحث صباح عباس السالم ^(٩) في حين رجّحت الباحثة رملة خضير مظلوم دلالة هذه الأفعال على الحركة والاضطراب ^(١٠)، ولهذه الصيغة دور وظيفي في الكلام أيضا تلتقي فيه مع (فَعَلَ) فكلاهما ترد

(١) تهذيب المقدمة اللغوية: عبد الله العلايلي: 115 .

(٢) شرح مراح الأرواح: ابن كمال باشا: 48 .

(٣) شرح الشافية: الرضي الاسترأبادي: 1 / 70، وينظر: الصرف القياسي وأثره في نمو اللغة: د. غريب نافع: 1 / 140 .

(٤) الكتاب: 4 / 37 .

(٥) ينظر: الصيغ الفعلية في القرآن الكريم أصواتا وأبنية ودلالة: ثريا عبد الله عثمان إدريس: 1 / 51، ومن أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس: 43 .

(٦) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 31، 62، الفعل في نهج البلاغة دراسة صرفية: 65 – 81، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 88 – 93، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 158 – 160 .

(٧) ينظر: الكتاب: 4 / 17 وما بعدها، وشرح المفصل: 7 / 157، وشرح الشافية: 1 / 172، وشذا العرف: 31، ودروس التصريف: 57، وتصريف الفعل: أمين علي السيد: 41. والعربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، هنري فليش: 144 .

(٨) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: 291/16 .

(٩) الأستاذ الدكتور صباح عباس السالم (سلمه الله من كل مكروه) شيخنا وأستاذنا بيد أني أطلقت عليه اسم الباحث لأن دراسته هذه كانت في الدكتوراه إذ أصبح أستاذا دكتورا فيما بعد ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: 297 .

(١٠) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 159 .

متعدية وغير متعدية إلا أن (فَعَلَ) لازمة أكثر منها متعدية^(١)، وهذا ما لم يبيّنه الباحثون سواء في إحصائهم أو أمثلتهم.

٣ فَعَلَ : بفتح الفاء وضم العين، وعين مضارعه مضمومة.

لم يخرج الباحثون في هذه الصيغة عما قال به الصرفيون في مسألتين: الأولى: دلالتها على الغرائز والطباع وما أشبهها من الصفات الخلقية الملازمة، سواء أكانت هذه الصفات حلية أم عيباً^(٢)، والثانية: قلّة ورود هذه الصيغة^(٣)، بيد أن الباحثين لم يقدّموا تفسيراً أو تعليلاً لهذه القلّة بناء على ما توفر لديهم من أمثلة، فضلاً عن ذلك أن للدكتور إبراهيم أنيس رأي^(٤) في هذه الصيغة فقد نفى وجود نظير لها في اللغات السامية الأخرى وكذلك في اللهجات الحديثة ونفى وجوده باباً أصلياً من أبواب الفعل الثلاثي وطرق اشتقاقه، ثم عزا ما ورد من أفعال صحيحة الرواية على هذه الصيغة إلى أمرين: إما أنها مفتوحة العين في الأصل وحولت إلى هذه الصيغة لقصد المبالغة، أو أنها نشأت عن طريق القياس الخاطئ^(٥) وكان بإمكان الباحثين أن يفيدوا من هذا القول أو يناقشوه يناقشوه في ضوء ما توصلوا إليه من نتائج في هذه الصيغة .

٤ فَعَلَ : بضم الفاء وكسر العين، وهي صيغة المبني للمجهول.

لم يقف على هذه الصيغة سوى الباحث فراس عبد الكاظم حسن، إذ لم يقدم سوى إحصاء لها فقد أشار إلى أن عدد الأفعال المبنية للمجهول في نهج البلاغة بلغ على وفق ما أحصاه (950) تسع مئة وخمسين فعلاً، منها أربع مئة وثمان مئة وستون فعلاً ماضياً، وأربع مئة واثنان وثمانون فعلاً مضارعاً، توزعت على صيغ متعددة من الفعل الثلاثي المجرد والمزيد والرباعي المجرد وما ألحق به^(٦)، متجاهلاً ما تثيره هذه الصيغة (فَعَلَ) من قضية الأصل والفرع، وأيهما

(١) ينظر: شرح الشافية: 1 / 72، وينظر: شرح الملوكي في التصريف: 42.

(٢) ينظر: الكتاب: 28 / 4، والمفصل: 278 - 279، وشرح المفصل: 7 / 157 - 158، وشرح الشافية: 1 / 71، وشذا العرف: 31، ودروس التصريف: 64 - 65، وتصريف الفعل: 41.

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 32، 63 - 64، و الفعل في نهج البلاغة: 83 - 87، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 92 - 96، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 157.

(٤) ينظر: من أسرار اللغة: 46، وفي اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس: 169،

(٥) ينظر: المبني للمجهول في نهج البلاغة: 27.

تكون؟ فقد ذهب المبرد وابن الطراوة والكوفيون ^(١) وسيبويه والمازني ^(٢) إلى أنها أصل قائم بذاته، وذهب البصريون وتبعهم ابن مالك ^(٣) وابن جني ^(٤) وابن الحاجب ^(٥) إلى أنها فرع متغير عن صيغة الفاعل، ويشرح ذلك ابن يعيش فيقول: "وأصله (فَعَلَ) أو (فَعِلَ)، ثم نقل فصار حديثاً عن المفعول، ولا يكون منقولاً من (فَعَلَ) لأنه لازم لا يتعدى إلى مفعول" ^(٦) ونجد من المحدثين من يرفض فكرة الأصالة والفرعية ومن هؤلاء الدكتور تمام حسان ^(٧). والباحث لم يقف عند ذلك كله.

ب- الفعل الرباعي المجرد وما ألحق به

للفعل الرباعي المجرد المبني للمعلوم صيغة واحدة (فَعَّلَ) ^(٨) للماضي و(يُفَعِّلُ) للمضارع وللمبني للمجهول (فُعِّلَ) للماضي و(يُفَعِّلُ) للمضارع وهو على ثلاثة أنواع ^(٩):

1. المضعف: هو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من نوع واحد وعينه ولامه الثانية من نوع آخر مثل: (زَلَزَلَ، قَلَقَلَ).

2. غير المضعف: وهو ما لم يكن كسابقه مثل: (دَحْرَجَ، عَسَكَرَ، بَعَثَ).

3. الفعل المنحوت: وهو ما يصاغ من مركب لقصد الاختصار مثل: (بَسَمَلَ، وَحَوَّلَ، وَحَمَدَ، وَسَبَحَ). وهذه تحفظ ولا يقاس عليها

ويرجع اقتصار الفعل الرباعي على صيغة واحدة للمغايرة، لقلته في الكلام، وإنما يكثر التغيير فيما يكثر في الاستعمال، فأبنية الثلاثي أكثر تغيراً وتصرفاً، لأنها أوسع في الكلام، وأكثر

(١) ينظر: شرح الأشموني: 4 / 47 .

(٢) شرح الكافية الشافية: ابن مالك: 4 / 2014 .

(٣) ينظر: شرح الأشموني: 4 / 47 .

(٤) ينظر: المنصف في شرح التصريف: 1 / 23 - 24 .

(٥) ينظر: أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: د. عصام نور الدين: 136 .

(٦) شرح الملوكي في التصريف: 30 - 31 .

(٧) ينظر: مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان: 215 - 216 .

(٨) ينظر: الكتاب: 4 / 299، وشرح الشافية: 1 / 113، وشذا العرف: 36.

(٩) ينظر: دروس التصريف: 64 - 65، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي: 389، والفعل في

نهج البلاغة دراسة صرفية: 90، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 160 .

في الاستعمال^(١) وعلى المستوى الوظيفي فإن الفعل الرباعي المجرد (فَعَّلَ) على قسمين: متعدد، وغير متعدد^(٢).

واتفق الباحثون^(٣) في دراستهم صيغ الفعل الرباعي على مسألتين: الأولى قلة ورودها في النهج إذ لم ترد منها إلا أفعال قليلة معظمها من المضّعف سواء بصيغتها المبنية للمعلوم أو المبنية للمجهول، والثانية: أن هذه الصيغ غير منحصرة بدلالات معينة، إذ لم يسلم الباحثون في نهج البلاغة^(٤) بما قدمه محمد محيي الدين عبد الحميد من ذكر بعض هذه الدلالات^(٥). بيد أن الباحث الباحث جبار هليل زغير التفت إلى أن دلالة الفعل الرباعي ولاسيما في صيغته المضعفة - التي هي الأكثر ورودا في نهج البلاغة - جاءت لتضفي معنى آخر لمعناها المعجمي يتمثل بالشدة وتكرار الحدث نتيجة تكرار حروفها^(٦)، وذهب الباحث علي فرحان جواد إلى أن "هذه الألفاظ (الرباعية) التي استعملت في النهج ودلت على صوت ... أريد بها تجسيد هذا الصوت وتجسيمه؛ لأنه (ﷺ) أراد نقل حركة هؤلاء المعنيين بالكلام، واضطرابهم من خلال وصف حالهم للمتلقى لا تصوير صوتهم هذا من جانب، ومن جانب آخر أن هذا الصوت لم يرد لذاته بل أريد الفعل منه وأريدت دلالاته على الحدث"^(٧)، وأما صيغ الثلاثي الملحقة بالرباعي المجرد، فلم يذكرها الباحثون لأن الإمام (ﷺ) لم يستعمل منها شيئا في نهج البلاغة، وأمثلةها عند الصرفيين هي: فَعَّلَ، فَوَعَلَ، فَيْعَلَ، فَعْنَلَ، فَعُولَ، فَعِيلَ، فَعُلَى، فَعَّلَ، فقد ذكر الباحث هادي عبد علي هويدي أنه لم يرد منها في النهج إلا مثال واحد وهو (جلابيب) لم يكن على صيغة من صيغ الملحق بالرباعي وإنما اشتق منه الشارح ابن أبي الحديد فعلا ملحقا بالرباعي وهو (تجلّب) ^(٨). ومن النظر فيما قدّمه

(١) التبصرة: مكي القيسي: 2 / 704.

(٢) شرح الملوكي: 89.

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (ﷺ) في نهج البلاغة: 32، 138 - 140، و الفعل في نهج البلاغة: 89 - 93، ورسائل الإمام علي (ﷺ) دراسة لغوية: 160 - 161، والمبني للمجهول في نهج البلاغة: 38، والمباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 141 - 143.

(٤) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 91، ورسائل الإمام علي (ﷺ) دراسة لغوية: 161.

(٥) ينظر: دروس في التصريف: 64.

(٦) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 91.

(٧) لغة الإمام علي (ﷺ) في نهج البلاغة: 140.

(٨) ينظر: المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 144.

الباحثون في صيغ الفعل الرباعي أوافق ما ذهب إليه (هنري فليش) من "أن اشتقاق الفعل الرباعي لم يُدرس حتى الآن دراسة عميقة"^(١).

ثانياً: الفعل المزيد

الفعل المزيد قسمان: المزيد الثلاثي والمزيد الرباعي

المزيد الثلاثي:

الزيادة هي إضافة حرف أو أكثر إلى حروف الكلمة الأصلية لتحقيق غرض ما، وقد اهتم الصرفيون الأوائل ومن تبعهم ببحثها، وتحدثوا عن أنواعها والغرض منها، وذكروا الأحرف التي تزداد، وأحصوا صيغ المزيد من الأسماء والأفعال إحصاء أتم به المتأخرون ما فات المتقدمين، وكلما جاء جيل منهم نظر فيما قاله سلفه في الزيادة والمزيد، فعدل أو نظم أو أضاف^(٢)، والزيادة على نوعين: زيادة بتضعيف أحد حروف الكلمة الأصول، وزيادة بأحرف الزيادة وهي عشرة حروف جمعها الصرفيون في عدد من العبارات ليسهل حفظها ومن هذه العبارات (سألتمونيها) و(هويت السمان) و(أمان وتسهيل)^(٣) وإن هذه الزيادة تؤدي معاني معينة بإضافتها إلى صيغة (فعل) المجردة.

ويقصد بالفعل الثلاثي المزيد ما زيد على حروفه الثلاثة الأصول بواحد أو أكثر من حروف الزيادة أو بالتضعيف وتكون هذه الزيادة إما لإفادة معنى، أو للإلحاق بالرباعي المجرد، ومعنى الإلحاق: " أن تزيد حرفاً أو حرفين على تركيب زيادة غير مطردة في إفادة معنى، ليصير ذلك التركيب بتلك الزيادة مثل كلمة أخرى في عدد حروفها وحركاتها المعينة

(١) العربية الفصحى : 155 .

(٢) فصل صباح عباس السالم موقف الصرفيين من الزيادة من خلال بيان أنواعها والغرض منها في دراسته للدكتوراه، ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: 15 - 20.

(٣) ذكر المقرئ (1041 هـ) أن حروف الزيادة جمعت في مائة وأربعة وثلاثين تركيباً، وعد أحسنها قول (أبي محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري): سألت الحروف الزائدات عن اسمها فقالت ولم تكذب أمان وتسهيل ، ويليه بيت ابن مالك: هناء وتسليم... الخ. ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد التلمسان المقرئ: 5/ 6 - 8 . وتاج العروس: الزبيدي: (زيد) : 8/ 161 .

والسكنات^(١) وأما المزيد لمعنى فقد استقره الصرفيون فوجدوا أن من الأفعال الثلاثية منها ما يزداد بحرف واحد ومنها ما يزداد بحرفين ومنها ما يزداد بثلاثة أحرف.

أ - الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد

وتكون زيادته لإفادة معنى أو للإلحاق بالرباعي المجرد، فأما المزيد لمعنى فتكون زيادته قبل الفاء وبعدها فقط. فما يزداد قبل الفاء هو الهمزة، وما يزداد بعدها هو الألف أو تضعيف عين الفعل. وعلى هذا تكون أبنية الفعل الثلاثي المزيد بحرف - لإفادة معنى - ثلاثة، هي: (أفعل، وفعل، وفاعل)

١ - أَفْعَل يُفْعِلُ للمعلوم، وَأُفْعِلُ للمجهول:

لم يخرج الباحثون^(٢) في معاني هذه الصيغة عن المعاني التي ذكرها الصرفيون^(٣)، بيد أنهم اختلفوا في دلالة بعض أفعال هذه الصيغة، فذهب الباحث جبار هليل زغير إلى أن الفعل (أسلم) يدلّ على دخول الفاعل في غير الزمان والمكان ويعني دخول الشخص في الإسلام واتخاذه ديناً له، مشيراً إلى أن هذه الدلالة لم يذكرها الصرفيون، وذهب إلى أن الفعل (أحمد) بمعنى وجود الشيء على صفة أي وجد عاقبته محمودة^(٤) متبعا في ذلك رأي الشارح ابن أبي الحديد من غير أن يشير إليه، ولم توافقه الباحثة رملة خضير مظلوم على هذه الدلالة في المثالين وإنما ذهبت إلى أن الفعل (أسلم) يدل على الصيرورة أي صار مسلماً لأنه تحوّل من حالة الكفر إلى حالة الإسلام^(٥)،

(١) شرح الشافية: 1 / 52، وشرح المفصل: 7 / 155.

(٢) ينظر: الفعل في نهج البلاغة دراسة صرفية: 111 - 113، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 97 - 102، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 162 - 166، والمبني للمجهول في نهج البلاغة: 32، والمباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 152 - 154.

(٣) ينظر: الكتاب: 4 / 55، وشرح المفصل: 7 / 159، وشرح الشافية: 1 / 83، وشذا العرف: 39 - 40، ودروس التصريف: 71، وتصريف الفعل: 67.

(٤) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 112.

(٥) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 163.

والفعل (أحمد) يدل دلالة واضحة على معنى الجعل بأن يجعل عاقبته محمودة مستندة في ذلك إلى رأي الدكتور إبراهيم السامرائي^(١)، وأرى أن الباحث جبار هليل زغير لم يكن دقيقاً فيما ذهب إليه.

وأود الإشارة إلى أن الباحثين قد وجدوا أن دلالة الفعل المزيد بالهمزة (أَفْعَلْ) أكثر ما تكون للتعدية في نهج البلاغة وهي تتفق مع ما قال به الصرفيون فيما بعد في دلالة هذه الصيغة، ولكنهم اکتفوا بالقول - في بيان معنى التعدية - إن الفاعل أصبح مفعولاً به نتيجة زيادة الهمزة على الفعل، ولم يتلمسوا الفارق الدلالي بين تعدية الفعل بالهمزة أو تعدية الفعل بالوضع، نعم أن كلا الفعلين أصبح متعدياً سواء أكان ذلك بالهمزة أم بالوضع ولكن هل أصبحت دلالتهم واحدة ؟ وأرى أن هذه الكثرة في دلالة الفعل المزيد بالهمزة على التعدية كانت بـها حاجة إلى وقفة من الباحثين؛ لأن تعدية الفعل بالهمزة وراءها قصد دلالي وهي تختلف عن تعديته بالوضع، وهذا يفهم من كلام اللغويين الأوائل، قال سيبويه: "تقول: دَخَلَ وَخَرَجَ وَجَلَسَ. فإذا أخبرت أن غيره صيّرهُ إلى شيء من هذا قلت: أخرجته، وأدخله، وأجلسه، وتقول: فزع وأفرعته وخاف وأخفته، وجال وأجلته وجاء وأجاءته؛ فأكثر ما يكون على (فعل) - بالعين المثلثة - إذا أردت أن غيره أدخله في ذلك يبنى الفعل منه على أفعلت"^(٢) فالغرض من هذه الزيادة - كما يفهم من كلام سيبويه - هو ليس للتعدية فحسب وإنما لغرض دلالي يفيد أن الفاعل الحقيقي بعد أن كان مختاراً على الفعل (الحدث) مع الفعل اللازم، أصبح بهذه الزيادة مجبراً عليه بتأثير قوة خارجة عن إرادته وهي الفاعل الجديد مع الفعل المزيد، فالفاعل وإن أعرب مفعولاً به مع الفعل المزيد بالهمزة إلا أنه يبقى فاعلاً حقيقياً، فالمفعول به مع الفعل المنقول هو الفاعل الحقيقي للحدث كما كان مع الفعل اللازم، في حين يقع الحدث على المفعول به فيما يتعدى أصالة، فالفارق الدلالي بين قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ...﴾^(٣) وبين قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ...﴾^(٤) واضح بين في المثال الأول نجد أن الرجل جاء بمحض إرادته، أما في المثال الثاني فنجد أن مريم (عليها السلام) جاءت مرغمة.

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 163، ومع نهج البلاغة دراسة ومعجم: إبراهيم السامرائي:

137 - 136

(٢) الكتاب: 55/4 .

(٣) القصص: 20.

(٤) مريم: 23.

وهذا الفارق الدلالي بين تعدية الفعل بالهمزة أو بالوضع والأصالة يفهم أيضا من كلام (ابن الحاجب) في تفسير معنى التعدية وأثرها: "وهي أن يجعل ما كان فاعلا للآزم مفعولا لمعنى الجعل فاعلا لأصل الحدث على ما كان، فمعنى (أذهبْتُ زيدا): (جَعَلْتُ زيدا ذاهبا) فزيد مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة، فاعل للذهاب كما كان في ذهب زيد" ^(١) وبصدق هذا الأمر كله على الفعل اللازم المسند إلى الفاعل الحقيقي لا المجازي أي الفاعل على جهة قيامه بالفعل حقيقة، أما إذا كان الفعل اللازم - قبل النقل بالهمزة - مسندا إلى الفاعل المجازي (على جهة وقوعه منه) فإنه يصبح بعد النقل بالهمزة مسندا إلى فاعله الحقيقي، فالفارق بين قولنا: مات فلان، وبين: أَمَاتَ اللهُ فلانا، أن الفعل اللازم في المثال الأول أسند إلى فاعل مجازي، وفي المثال الثاني أسند إلى فاعله الحقيقي.

وتعدية الفعل اللازم بهمزة النقل قياس معروف، وقد يتعدى الفعل اللازم بغيرها، وهو ما أطلق عليه (أبو حيان) التعدية بالفتحة في قوله: " يُقال: حَزَنَ يَحْزَنُ حُزْناً وَحَزْناً، وَيُعَدَّى بالهمزة وبالفتحة نحو: شَتَرْتُ عَيْنَ الرَّجُلِ، وَشَتَرَهَا اللهُ. وفي التعدية بالفتحة خلاف، ويكون للأمر الماضي" ^(٢) ومع اشتراك الهمزة والفتحة في التعدية إلا أنهما يختلفان في الدلالة أيضا، قال أبو هلال العسكري: " ولا يجوز أن يكون فَعَلَ وَأَفْعَلَ بمعنى واحد، كما لا يكونان على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين، فأما في لغة واحدة فمُحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن كثير من اللغويين والنحويين" ^(٣) ومذهب الخليل وسيبويه وتبعهما ابن الحاجب أن الخلاف بين التعدية الوضعية والتعدية بالنقل في مثل هذه الأفعال يكون في دلالة كلٍّ منهما على المعنى المراد، قال سيبويه: "وتقول: فَتَنَ الرَّجُلُ وَفَتَنَتْهُ وَحَزَنَ وَحَزَنَتْهُ، وَرَجَعَ وَرَجَعَتْهُ، وزعم الخليل أنك حيث قلت: فَتَنَتْهُ وَحَزَنَتْهُ لم ترد أن تقول جعلته حزينا فاتنا ... ولكنك أردت أن تقول: جعلت فيه حُزْناً وَفَتَنَتْهُ ... ولم ترد بَفَعَلَتْهُ هنا تغيير قوله: حَزَنَ وَفَتَنَ، ولو أردت ذلك لقلت: أَحْزَنْتُهُ وَأَفْتَنْتُهُ" ^(٤). ويقول ابن الحاجب: "أصل معنى أَحْزَنْتُهُ: جعلته حزينا كأذهبته وأخرجته، وأصل حَزَنْتُهُ: جعلت فيه الحُزْنَ وأدخلته فيه كَكَحَلَنْتُهُ وَدَهَنْتُهُ أي جعلت فيه كحلا ودهنا، والمغزى من أَحْزَنْتُهُ

(١) شرح الشافية: 86 / 1.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: 160 / 1.

(٣) الفروق اللغوية: 15.

(٤) الكتاب: 56 / 4.

وَحَزَنَتْهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ؛ لِأَن مِّنْ أَدَخَلْتَ فِيهِ الْحُزْنَ فَقَدْ جَعَلْتَهُ حُزِينًا: أَنَّ الْأَوَّلَ يَفِيدُ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى سَبِيلِ النُّقْلِ وَالتَّصْيِيرِ لِمَعْنَى فَعَلَ آخِرٌ وَهُوَ حَزَنَ دُونَ الثَّانِي^(١)

يفهم من ذلك أَنَّ الْأَفْعَالَ وَإِنْ اتَّفَقَتْ فِي مَفْهُومِ التَّعْدِيَةِ إِلَّا أَنَّهَا تَخْتَلِفُ فِي الدَّلَالَةِ وَكَانَتْ أَتَمْنَى عَلَى الْبَاحِثِينَ أَنْ يَتَلَمَّسُوا هَذَا الْفَارِقَ الدَّلَالِي فِي أَمْتَلْتَهُمْ وَيَلَاحِظُوا مَدَى إِطْرَادِهِ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْكَثْرَةِ فِي الْأَمْتَلَةِ، وَلَكِنْهُمْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ وَاكْتَفَوْا بِالْقَوْلِ: إِنَّ الْهَمْزَةَ الدَّاخِلَةَ عَلَى الْفِعْلِ الْإِزْمِ أَفَادَتِ التَّعْدِيَةَ، وَمَا سَبَبَ ذَلِكَ إِلَّا تَبْنِيَهُمُ الْمَنْهَجَ التَّعْلِيمِيَّ الَّذِي يَكْتَفِي بِذِكْرِ الصِّيغَةِ وَمِنْ ثَمَّ بَيَانِ دَلَالَاتِهَا، مِنْ دُونَ أَنْ تَوْظَفَ هَذِهِ الدَّلَالَاتُ فِي تَفْسِيرِ النَّصِّ.

٢ - فَعَلٌ يُفَعِّلُ الْمَبْنِيَّ لِلْمَعْلُومِ وَ فُعْلٌ يُفَعِّلُ الْمَبْنِيَّ لِلْمَجْهُولِ:

وَجَدَ الْبَاحِثُونَ^(٢) أَنَّ أَكْثَرَ أَفْعَالِ هَذِهِ الصِّيغَةِ الْوَارِدَةِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لَا ثَلَاثِي مِنْهَا بِمَعْنَى أَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ لِمَعْنَى مَخْصُوصٍ وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ لَا زِيَادَةَ فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَنْتَقِلْ مِنَ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا يَرَادُ بِهَا التَّكْثِيرُ وَالْمُبَالَغَةُ، وَهُوَ الْمَعْنَى الْغَالِبُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الصَّرْفِيُّونَ^٣، وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ ذَهَبَ الْبَاحِثُ جَبَّارُ هَلِيلٍ زَغِيرٍ إِلَى "أَنَّ وَقَعَ وَرُودُ هَذِهِ الصِّيغَةِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ يَخَالِفُ مَا ذَكَرَهُ النُّحَوِيُّونَ مِنْ أَنَّ الْمَعْنَى الْغَالِبَ لَهَا هُوَ: الْكَثْرَةُ ! فَقَدْ كَانَتْ الْأَفْعَالُ الَّتِي عَلَى هَذَا الْمِثَالِ وَلَا مَجْرَدٌ لَهَا أَكْثَرُ عِدَدًا مِنْ تِلْكَ الْمَزِيدَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْكَثْرَةِ"^(٤)، وَهُوَ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ أَيْضًا الْبَاحِثَةُ رَمْلَةُ خَضِيرٍ مَظْلُومٍ^(٥) وَذَهَبَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَمْتَلَةَ مِنَ الْهَمْزَةِ أَنْ تَكُونَ فِي أَمْتَلَةِ الْفِعْلِ الرَّبَاعِيِّ الْمَجْرَدِ لِأَنَّ "هَذِهِ الْأَفْعَالَ وَغَيْرَهَا فِي بَاقِي الصِّيغَةِ الَّتِي لَا مَجْرَدَ لَهَا هِيَ الَّتِي مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ فِي أَمْتَلَةِ الْفِعْلِ الرَّبَاعِيِّ الْمَجْرَدِ، وَإِلَّا كَيْفَ يَصِحُّ أَنْ نَسْمِيَهَا: الْمَزِيدَةَ، وَلَيْسَ فِيهَا حَرْفُ زَائِدٍ!"^(٦).

(١) شرح الشافعية: 1 / 87.

(٢) ينظر: الفعل في نهج البلاغة دراسة صرفية: 118 - 121، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 102 - 107، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 167 - 170، والمباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 155.

(٣) ينظر: الكتاب: 55/4، 355، شرح المفصل: 7 / 159، شرح الرضي على الشافعية: 92/1 - 96، شذا العرف: 41 - 42، المغني في تصريف الأفعال: 107 - 111، التطبيق الصرفي: 93، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: 393، أوزان الفعل ومعانيها: د. هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف، 1971م. 74 - 83.

(٤) الفعل في نهج البلاغة: 118.

(٥) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 171.

(٦) الفعل في نهج البلاغة: 116.

وأرى أن هذه الصيغة وإن كانت لا ثلاثية منها فلا يبعد أن تكون دالة على الكثرة، فقد يكون المعنى خاصا بالصيغة نفسها، كما قد يكون لأصوات الصيغة أثر في تحديد معناها، فالتضعيف الموجود فيها دليل على قوة المعنى المحدث به، وأعني بذلك أن مثل هذه الأفعال وإن لم تكن أفعالا ثلاثية مزيدة، وإنما هي أفعال رباعية جاءت على هذه الصيغة المضعفة فقد اكتسبت قوة المعنى من صيغتها لا من الزيادة فيها، فهذه الصيغة مرتبطة بدلالة الشدة والقوة والتكرار وإن كان فعلها لا ثلاثي منه، أما إذا وجد فعل ثلاثي لا يدل على هذا المعنى نُقل إلى هذه الصيغة ليدل عليه.

وأما في دلالتها على التعدية فينطبق عليها ما ذكرناه في تعدية الفعل المزيد بالهمزة (أفعل) وهي تحويل الفاعل من كونه مختارا في الفعل إلى مجبر فيه مع احتفاظها بدلالة الكثرة والتكرار. فالفارق الدلالي بين الفعلين: أَفْرَحْتُهُ وَفَرَّحْتُهُ على الرغم من أن الفعل فَرَحَ عُدِّي بهما أن فَرَّحْتُهُ أكثر مبالغة من أَفْرَحْتُهُ. وهنا لا يمكن الفصل في دلالة هذه الصيغة بين التعدية والكثرة والمبالغة فالمعنيان متحققان في صيغة فَعَّلَ المزيدة.

٣ فاعل يفاعل للمعلوم وفعل يفاعل للمجهول:

لم يخرج الباحثون ^(١) في دراستهم هذه الصيغة عن المعاني التي ذكرها الصرفيون ^(٢)، إذ أشار معظم الباحثين إلى أن المعنى الغالب فيها هو المشاركة، عدا الباحث جبار هليل زغير ذكر أن المعنى الغالب كان في غير المشاركة، وسبب ذلك أن الباحث تناول هذه الصيغة في عموم النهج في حين تناولها الآخرون في الخطب وحدها أو في الرسائل وحدها، وعلى الرغم من أن الباحثين جميعا ذكروا أمثلة على معنى المشاركة، إلا أنهم لم يخوضوا في طبيعة تلك المشاركة. والمشاركة إذا كانت بمعنى " أن تكون من اثنين، كل واحد منهما يفعل بصاحبه مثل ما يفعل به الآخر " ^(٣)، أو هي - حسب تعريف أحد المحدثين - أن يكون الحدث واقعاً "من اثنين في لحظة واحدة بحيث يشترك الطرفان في أصله" ^(٤)، فقد لا يلمح هذا المعنى في بعض أفعال هذه

(١) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 124 - 127، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 171 - 174، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 107 - 111.

(٢) ينظر: الكتاب: 68/4. وينظر: شرح المفصل: 159/7، شرح الشافية: 99/1، شذا العرف: 40.

(٣) شرح الملوكي في التصريف: 73.

(٤) الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: د. صفية مطهري: 81.

الصيغة، إذ إن الحدث فيها يكون واقعا من طرف واحد وليس من طرفين مثل الفعلين (فارق) و(خاصم) اللذين أوردهما سيبويه، وفي ذلك لا يقصد بالمشاركة التشارك في الفعل (الحدث) في كفياته المختلفة، وإنما المقصود بها أن ينسب إلى الفاعل القيام بالفعل (الحدث) ابتداءً ثم يؤتى بالمفعول به لينسب إليه القيام بذلك الفعل (الحدث) بالتبع. وبناء عليه فالمشاركة تعني "التشارك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً، فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية"^(١).

الفعل الثلاثي المزيد بحرفين

١ تَفَاعَلَ يَتَفَاعَلُ للمعلوم و تَفْعَلَ يَتَفَاعَلُ للمجهول:

لم يخرج الباحثون ^(٢) في دراستهم هذه الصيغة عن المعاني التي ذكرها الصرفيون ^٣، إذ أشار معظم الباحثين إلى أن المعنى الغالب فيها هو المشاركة، عدا الباحث جبار هليل زغير ذكر أن المعنى الغالب كان في غير المشاركة. وذكر الباحث فراس عبد الكاظم حسن أن هذه الصيغة -المبنية للمجهول - لم ترد في نهج البلاغة إلا مرة واحدة بصيغة المضارع وهو الفعل (يَتَجَاوَزُ)^(٤).

ذكر الباحثون معنى المشاركة لهذه الصيغة ولكنهم لم يفرّقوا بين هذا المعنى لصيغة (فاعل) وبين معنى المشاركة لصيغة (تفاعل)، فإذا كانت صيغة (فاعل) و(تفاعل) تتفقان على معنى المشاركة فإن لكلٍّ منهما مقاماً مختلفاً فصيغة (فاعل) يؤتى بها إذا تعيّن البادئ بالحدث، ويكون فاعلاً صريحاً والطرف الآخر هو المفعول في حين أن صيغة (تفاعل) يؤتى بها للدلالة على الاشتراك في الفاعلية لفظاً وفي المفعولية معنى إذا لم يتحدد البادئ بالفعل، ومن ثم نقص مفعولاً عن (فاعل) "ولذلك إذا كان فاعل ... متعدياً لاثنتين صار بهذه الصيغة متعدياً لواحد،

(١) شذا العرف: 40.

(٢) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 131 - 133، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 186، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 114 - 117.

(٣) ينظر: الكتاب: 69/4 - 70، المفصل: 280، شرح المفصل: 159/7، شرح الرضي على الشافية: 103/1، شذا العرف: 43 - 44، دروس التصريف: 80.

(٤) ينظر: المبني للمجهول في نهج البلاغة: 36.

كجاذب زيدٌ عمراً ثوباً، وتجاذب زيدٌ وعمروٌ ثوباً وإذا كان متعدياً لواحد صار بها لازماً، كخاصم زيداً عمراً، وخاصم زيد وعمرو^(١) .

٢ تَفَعَّلَ يَتَفَعَّلُ للمعلوم تَفَعَّلَ يُتَفَعَّلُ للمجهول

لم يخرج الباحثون^(٢) في دراستهم هذه الصيغة عن المعاني التي ذكرها الصرفيون^٣، سوى الباحث أحمد هادي زيدان إذ أضاف معاني أخرى لم يذكرها الصرفيون لهذه الصيغة في نهج البلاغة هي: التفرق، والاعتقاد، والصيرورة^(٤).

لقد ذكر الباحثون دلالة هذه الصيغة على التكلف من دون أن يفرقوا بين هذه الدلالة في (تَفَعَّلَ) و (تفاعل) واستعمال هذه الصيغة في الدلالة على تكلف الفعل نحو: تَصَبَّرَ وَتَشَجَّعَ تَخْتَلَفَ في استعمال صيغة تفاعل للتكلف فالفاعل في مثل تَصَبَّرَ يجاهد نفسه كي يبدو صابراً، لأن الصبر من الصفات الحميدة، أما الفاعل في مثل تمارض فإنه يتظاهر بالمرض ولا يريد له لنفسه، قال سيبويه: "وإذا أراد الرجل أن يدخل نفسه في أمر حتى يضاف إليه ويكون من أهله فإنك تقول: تَفَعَّلَ، وذلك تَشَجَّعَ وَتَصَبَّرَ وَتَحَلَّمَ وَتَجَلَّدَ ... وليس هذا بمنزلة تجاهل لأن هذا يطلب أن يصير حليماً"^(٥)، وقال ابن قتيبة: " وليس تفعلت بمنزلة تفاعلت، ألا ترى أنك تقول: (تحالمت) فالمعنى أنك أظهرت الحلم ولست كذلك، وتقول (تَحَلَّمْتُ) فالمعنى أنك التمتست أن تصير حليماً"^(٦) .

٣ اتَفَعَّلَ يَنْفَعِلُ

(١) شذا العرف: 44، وينظر: أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية: د. نجاه عبد العظيم الكوفي: 55.
(٢) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 149 - 151، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 182 - 186، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 117 - 127.
(٣) ينظر: الكتاب: 71/4 - 73، المفصل: 279، شرح المفصل: 158/7، شرح الرضي على الشافية: 104/1 - 107، شذا العرف: 43، دروس التصريف: 78، تصريف الفعل: 70.
(٤) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 122 - 124.
(٥) الكتاب: 4 / 71.
(٦) أدب الكاتب: ابن قتيبة: 465.

حصر الباحثون^(١) دلالات هذه الصيغة بمعنى المطاوعة بيد أن الباحث جبار هليل زغير أورد مثالين أشار إلى أنهما لا يدلان على المطاوعة وإنما يدلان على المعنى المعجمي^(٢)، وقسم الباحث أحمد هادي زيدان دلالة أفعال هذه الصيغة بين الحقيقة والمجاز مضيفاً دلالة أخرى لم يذكرها الصرفيون لهذه الصيغة وهي الدخول في المكان مشيراً في الوقت نفسه أن هذه الصيغة لم تأت - في نهج البلاغة - من الأفعال الثلاثية فقط وإنما جاءت مطاوعة لـ (أفعل) أيضاً^(٣).

٤ افْتَعَلَ يَفْتَعِلُ للمعلوم افْتَعَلَ يُفْتَعَلُ للمجهول:

أضاف الباحثون في دراستهم لهذه الصيغة ثلاث دلالات لم يذكرها الصرفيون^(٤)، ذكر الباحث جبار هليل زغير دالتين هما: الصيرورة، والابتعاد عن الشيء أو التجنب، وذكر الباحثان أحمد هادي زيدان ورملة خضير مظلوم هاتين الدالتين ممثلين لهما من دون إحصاء وبإضافة دلالة الخطفة وهي الأخذ بسرعة^(٥).

٥ افْعَلَ يَفْعَلُ:

أشار الباحثون إلى قلّة ورود هذه الصيغة في نهج البلاغة^(٦)، إذ لم تخرج دالاتها عمّا ذكره الصرفيون^(٧).

(١) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 152 - 153، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 179 - 181، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 124 - 126.
(٢) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 153.
(٣) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 126.
(٤) ينظر: الكتاب: 73/4 - 75، أدب الكاتب: 469، المفصل: 281، شرح المفصل: 160/7 - 161، شرح الرضي على الشافية: 108/1 - 110، شذا العرف: 42-43، دروس التصريف: 76 - 77.
(٥) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 140 - 143، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 127 - 133، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 174 - 178.
(٦) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 154، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 181.
(٧) ينظر: الكتاب: 25/4 - 26، شرح المفصل: 161/7، شرح الرضي على الشافية: 112/1، شذا العرف: 43، دروس التصريف: 77، المغني في تصريف الأفعال: محمد عبد الخالق عزيمة: 129 - 130.

ج- الفعل المزيد بثلاثة أحرف:

وهو على أربع صيغ هي: (استفعل، وافعول، وافعال، وافعول) أشار الباحثان جبار هليل زغير وأحمد هادي زيدان أنه لم يرد منها في نهج البلاغة إلا صيغتان هما: استفعل، وافعول في حين ذكرت الباحثة رملة خضير مظلوم صيغة واحدة وهي استفعل في دراستها للرسائل.

١ استفعل يستفعل للمعلوم استفعل: يُستفعل للمجهول:

لم يخرج الباحثون^(١) في دراستهم هذه الصيغة عن المعاني التي ذكرها الصرفيون^(٢)، وذكر الباحث عبد الكريم حسين السعداوي أمثلة لهذه الصيغة لم تأت على ما ذكره الصرفيون من معان لها ومنها: استأنيت في قوله (عليه السلام): "وَلَقَدْ اسْتَنْبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوَقَاعِ"^(٣) ذهب إلى أنها بمعنى تفعل (تأنيت) جاء بها الإمام ليوازن (استنبتهما) ليكون الكلام أكثر سبكاً^(٤). وأرى أن هذه الصيغة لم تخرج عن المعاني التي ذكرها الصرفيون فهي دالة على التثبت واليقين ومعنى استأنيت تثبت من الثاني.

أما هذه الصيغة المبنية للمجهول فقد أشار الباحث فراس عبد الكاظم حسن إلى أنه "لم يرد في النهج من الثلاثي المبني للمجهول المزيد بثلاثة أحرف شيء إلا على هذه الصيغة وعدد أفعالها أربعة وثلاثون فعلاً، منها أحد عشر فعلاً ماضياً وثلاثة وعشرون مضارعاً"^(٥).

٢ اففعول يففعول:

يرى الباحثان جبار هليل زغير وأحمد هادي زيدان أن هذه الصيغة لم ترد في نهج البلاغة إلا في (أربعة مواضع)^(٦)، دالة على المبالغة والتكثير^(٧).

(١) ينظر: الفعل في نهج البلاغة دراسة صرفية: 158 – 162، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 133 – 137، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 187 – 192.

(٢) ينظر: الكتاب: 70/4 – 71، أدب الكاتب: 467 – 468، شرح المفصل: 161/7، شرح الرضي على الشافعية: 110/1 – 111، شذا العرف: 44-45، المغني في تصريف الأفعال: 123 – 127، التطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي: 40، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: 399.

(٣) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: 9 / 36.

(٤) ينظر: غريب نهج البلاغة: 243 – 246.

(٥) المبني للمجهول في نهج البلاغة: 36.

(٦) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 163، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 137.

(٧) ينظر: الكتاب: 75/4، الخصائص: 264/2، شرح المفصل: 161/7، شرح الرضي على الشافعية: 112/1.

الفعل الرباعي المزيد وما ألحق به

الفعل الرباعي منه ما يزداد بحرف واحد ومنه ما يزداد بحرفين

١ الفعل الرباعي المزيد بحرف واحد

للفعل الرباعي المزيد فيه حرف واحد صيغة واحدة هي: (تَفَعَّلَ يَتَفَعَّلُ)، ومع قلة أمثلتها في النهج فإن المعنى الذي ذكره الباحثون^(١) لها يعزز ما ذهب إليه الصرفيون وهو المطاوعة^(٢)

أما الذي ألحق بالفعل الرباعي المزيد بحرف واحد فلم يذكره الباحثون لعدم ورود صيغه في نهج البلاغة، وصيغه التي ذكرها الصرفيون هي: تَفَعَّلَ، وَتَفَوَّعَلَ، وَتَقَيَّعَلَ، وَتَفَعَّلَ ...

٢ الفعل الرباعي المزيد بحرفين:

للفعل الرباعي المزيد فيه حرفان صيغتان: (أَفَعَّلَ ، أَفَعَّلَلْ) أشار الباحث جبار هليل زغير أنه وردت منهما في نهج البلاغة صيغة واحدة^(٣) هي: أَفَعَّلَ، لم تخالف في دلالتها ما ذهب إليه الصرفيون^(٤).

وأما الذي ألحق بالفعل الرباعي المزيد بحرفين فلم يذكره الباحثون لعدم ورود صيغه في نهج البلاغة، وصيغه التي ذكرها الصرفيون هي: أَفَعَّلَلْ، وَافَعَّلَلْ، وَافَعَّلَلْ ..

ومن النظر فيما قدّمه الباحثون في صيغ الأفعال المجردة والمزيدة ودلالاتها في نهج البلاغة يمكننا تسجيل الملاحظات الآتية:

1_ اتفاق الباحثين على اعتماد المنهج التعليمي الصرفي في رصد صيغ الأفعال الواردة في نهج البلاغة، أو المنهج الإحصائي عند بعضهم، مما جعل نتائجهم تتساوق مع ما قال به الصرفيون

(١) ينظر: الفعل في نهج البلاغة دراسة صرفية: 165.

(٢) ينظر: الكتاب: 299/4، شرح المفصل: 158/7، شرح الرضي على الشافية: 113/1، المغني في تصريف الأفعال: 131، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: 402.

(٣) ينظر: الفعل في نهج البلاغة: 167.

(٤) ينظر: شرح الرضي على الشافية: 113/1، والمغني في تصريف الأفعال: 131.

فيما بعد في صيغ الأفعال في العربية سواء كان ذلك من حيث الكثرة والشيوع أو القلة، أ و من حيث الدلالات والمعاني، فقد كان ترتيب هذه الصيغ في نهج البلاغة بحسب الثلاثي المجرد (فَعَلَ) وأكثرها في الباب الأول، ومن ثمَّ (فَعِلَ) ، وأقلّها عددا (فَعُلَ).

2_ إن ابتعاد الباحثين عن المنهج التحليلي، جعلهم لم يقدّموا تفسيراً لما لمسوه في هذه الصيغ سواء من حيث كثرة بعضها وقلة بعضها الآخر، أو من حيث تشابهها في بعض الدلالات، وعلى سبيل المثال لم يقف الباحثون على كثرة ورود صيغة الفعل الثلاثي المجرد (فَعَلَ) ولا سيما في الباب الأول وقلة ورودها في (فَعُلَ) ومن ثم ينلمسوا تفسيراً لهذا الفارق الكبير في استعمال الصيغتين، حيث اكتفى الباحثون بالقول إن صيغة (فَعَلَ) ترد كثيراً في الباب الأول، وصيغة (فَعُلَ) قليلة الاستعمال، ومن ذلك أيضاً ما أشار إليه الباحثون من أن أغلب الأفعال المزيدة مثل: فَعَّلَ، وفَاعَلَ، وتَفَاعَلَ، وافتعل، واستفعل، أكثر ما تكون دلالاتها في نهج البلاغة على معنى (فَعَلَ) المجرد، أي دالة على المعنى المعجمي للفعل إما لأن أفعالها لا ثلاثي منها، أو لتساويها مع فعلها المجرد في الدلالة، بيد أن الباحثين لم يقفوا عند هذه الظاهرة ويضعوا لها تفسيراً في ضوء ما توفر لديهم من أمثلة كثيرة، سوى القول: إن الأفعال التي وردت على هذه الصيغ وليس لها ثلاثي مجرد هي أفعال يمكن ادخالها في الفعل الرباعي المجرد وردت على صيغة المزيد ، من دون إحصاء هذه الأفعال، ولكن يبقى السؤال في الأفعال المزيدة التي تتفق دلالاتها مع دلالات الثلاثي المجرد قائماً، إذ لم يقدّم له الباحثون جواباً ولم يضعوا له تفسيراً، فهل يصح أن تختلف الصيغتان ويتفق المعنى في اللهجة الواحدة بلا زيادة أو نقصان ؟ ومن ذلك أيضاً ما أشار إليه الباحثون من اشتراك الصيغتين في الدلالة مثل: اشتراك أفعَل وفَعَلَ في التعدية، وفاعل وتفاعل في المشاركة، وتَفَعَّل وفاعل في التكلف، ولم يلحظ الباحثون أن هناك فرقاً دلالياً في دلالة كل صيغة من هذه الصيغ على معناها، فالتعدية بـ(أفعَل) تختلف عن التعدية بـ(فَعَلَ) والتكلف في (فاعل) يختلف عن التكلف في (تَفَعَّل). ومثل هذا الفارق الدلالي كان يمكن للباحثين استثماره في تحليل نصوص نهج البلاغة.

3_ إن معظم دلالات صيغ الأفعال المجردة التي ذكرها الباحثون هي دلالات معجمية تتعلق بالمعنى اللغوي لهذه الأفعال أكثر من تعلقها بمعاني الصيغ.

4_ لم يسجل الباحثون أفعال هذه الصيغ جميعها - بالرغم من إحصائها - في جداول أو ملاحق وإنما عرض كل باحث أمثلة قليلة ذكر دلالاتها، فقد اكتفى الباحث جبار هليل زغير ببيان أرقام الصفحات الواردة فيها الأفعال المزيدة فقط موزعة على دلالاتها من دون ذكر الأفعال نفسها أما الأفعال المجردة فلم يذكرها في ملاحقه، يستثنى من ذلك الباحث فراس عبد كاظم حسن إذ أورد الأفعال المبنية للمجهول جميعها وبصيغها المختلفة.

5_ لم يذكر الباحثون صيغ الأفعال التي لم ترد في نهج البلاغة، وهي صيغ الفعل الثلاثي الملحق بالرباعي المجرد، و الملحق بالرباعي المزيد بحرف أو بحرفين.

المبحث الثاني

صيغ المصادر ودلالاتها

درس بعض الباحثين صيغ المصادر في كلام الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة بشكل مستقل في دراستين اثنتين: الأولى: للباحثة فائزة عبد الأمير شميران بعنوان (أبنية المصادر في نهج البلاغة) والثانية: للباحث وسام جمعة لفئة بعنوان (البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في البنية الصرفية) ولعلّ الباحث وسام جمعة لم يعلم بوجود دراسة سابقة، بيد أن موضوعيهما واحد وهو الصيغ المصدرية، لذا جاءت معظم نتائجهما متطابقة، وقد اتبع الباحثان المنهج نفسه وهو المنهج التعليمي الذي يقوم على رصد الصيغ المصدرية وربطها بأفعالها ومن ثم بيان دلالاتها، ولم تختلف الدراستان إلا في طريقة عرض وتنظيم الصيغ المصدرية داخل الدراسة وهو ما سنبيّنه لاحقاً، وفي إحصاء هذه الصيغ، فامتاز الباحث وسام جمعة لفئة على سابقتها بأن أحصى صيغ المصادر جميعها في النهج^(١)، واشتملت بعض الرسائل على مباحث عُنيت بدراسة صيغ المصادر سواء كان ذلك في النهج كلّهُ أو في الخطب وحدها أو في الرسائل وحدها، إذ خصّص الباحث علي فرحان جواد مبحثين في رسالته لدراسة المصادر في نهج البلاغة هما: المبحث الثاني من الفصل الأول والمبحث الثاني من الفصل الثاني، جعل الأول للدراسة الصرفية، والثاني للدراسة الدلالية^(٢)، وخصص الباحث أحمد هادي زيدان قسماً من الفصل الثاني لدراسة هذه الصيغ^(٣)، وأفردت الباحثة رملة خضير مظلوم عنواناً لدراسة صيغ المصادر في رسائل الإمام^(٤)، وقد تفاوت الباحثون في استيعابهم هذه الصيغ تبعاً لاختلاف الميدان التطبيقي لكل منهم، بيد أن الباحثين الذين تناولوها في النهج كلّهُ أجمعوا على أن الإمام (عليه السلام) استوعب هذه الصيغ جميعها في كلامه وبدلالات مختلفة جاء معظمها منسجماً وما أقرّه الصرفيون لهذه الصيغ، ولكثرة الصيغ المصدرية من الفعل الثلاثي المجرد وتنوعها اختلف منهج الباحثين في طريقة عرضها وترتيبها.

فلم يعتمد الباحث علي فرحان جواد منهجاً محدداً في ترتيب مصادر الفعل الثلاثي المجرد واكتفى بالأصالة والزيادة منهجاً في ترتيب الصيغ المصدرية جميعها من المجرد والمزيد مبتدئاً بالمصادر الأصلية ويعني بها ذات الدلالة الأولية على الحدث وهي تشتمل على المصادر المشتقة

(١) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: فائزة عبد الأمير شميران و البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: وسام جمعة لفئة المالكي.

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 33 – 39، 65 – 90.

(٣) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 140 – 148.

(٤) ينظر: ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 194 – 214.

من الفعل الثلاثي المجرد ومن ثم المصادر المزیدة وهي المصادر المشتقة من الأفعال المزیدة ثم مصدر المرة والهيئة وبعدها مصادر الرباعي. وقد اعتمد الإيجاز في ذلك كله.

وأما الباحثة فائزة عبد الأمير شميران فقد رتبت الصيغ المصدرية من الفعل الثلاثي المجرد تبعا لاشتغالها على اللواحق أو تجردها منها مبتدئة بالصيغ المصدرية الخالية من اللواحق ومن ثم الصيغ المنتهية باللواحق ومن ثم مصادر الأفعال الرباعية المجردة وبعدها الصيغ المصدرية من الأفعال المزیدة، وختمت بالمصادر غير الصريحة: الميمي والمرة والهيئة والصناعي. مفصلة القول في هذه الصيغ جميعها.

وأما الباحث أحمد هادي زيدان فقد اكتفى بذكر المصادر ذات المعاني المحددة وهي ما اتفق الصرفيون على دلالتها مثل: فُعال وفَعِيل...

واعتمدت الباحثة رملة خضير مظلوم القياس والسماع منها في ترتيب الصيغ المصدرية مكتفية بذكر بعضها وليس جميعها مبتدئة بالصيغ القياسية ومن ثم الصيغ السماعية وبعدها المصدر الميمي ومصدر الهيئة.

واعتمد الباحث وسام جمعة لفتة حركة فاء الصيغ المصدرية من الفعل الثلاثي المجرد منها في ترتيبها فبدأ بالصيغ المفتوحة الفاء مثل فَعَل، فَعَلَ، فَعِل، فَعَال، فَعُول... ومن ثم مضمومة الفاء مثل: فُعَل، فُعَال، فُعُول... وبعدها مكسورة الفاء مثل: فِعَل، فِعَال، فِعُول وبعدها الصيغ المصدرية ذات اللواحق مبتدئا بالصيغ المنتهية بتاء التأنيث مثل: فَعْلَة، فَعْلَة فُعُولَة... وبعدها الصيغ المنتهية بألف التأنيث، مثل: فَعْلَى، فُعْلَاء.. ومن ثم الصيغ المصدرية ذات اللواحق مثل: فُعْلَان.. ثم ذكر بعدها المصدر الميمي، والمصدر الصناعي، وختم بصيغ المصادر من الأفعال الثلاثية المزیدة والرباعية. مفصلا القول في هذه الصيغ جميعها.

والمصادر طائفتان ^(١): الطائفة الأولى ترتبط بأفعالها، - ولم تحدد لها دلالات معينة -

فلكل فعل صيغة مصدره الخاصة به لا يشركه فيها غيره من الأفعال، فنقول: ذَهَبَ ذِهَاباً، وَفَتَحَ

(١) الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: 81.

فَتَحًّا، وَنَصَحَ نُصْحًا، وَنَشَأَ نُشُوءًا وَنَشَأَ، فنجد صيغة المصادر تتبدل من فعل لآخر. على أنه من باب واحد.

والطائفة الثانية: تدل على معان محددة يعبر عن كل منها بصيغة معلومة تشترك فيها أفعال مختلفة، ذات أبواب عدة، ومعنى ذلك أن هناك ارتباطا بين هذه المعاني المحددة، كالصوت والنفار والحرفة والاضطراب... الخ، وبين صيغ المصادر التي تعبر عنها كالفُعال والفَعِيل والفِعال والفِعالَة والفَعْلان وغيرها.

ونظرا لاعتماد الباحثين على المنهج التعليمي الصرفي الذي يقوم على تفصيل هذه الصيغ ومن ثم ربطها بأفعالها التي أخذت عنها وبيان دلالاتها، لا يتسنى لنا إظهار ما بذلوه من جهد أو تقويمه إلا بالوقوف على هذه الصيغ، وسنركّز على إظهار الدلالات الجديدة التي قدمها الباحثون، وهي مما لم يذكرها الصرفيون، تجنباً لإعادة ما ذكره الباحثون، وغايتنا في ذلك الإشارة إلى الجهد الكبير الذي بذله الباحثون في ربط المصادر بأفعالها وبيان معاني صيغها في نهج البلاغة، وإظهار ما توصلوا إليه من نتائج سواء على مستوى قياسية بعض هذه الصيغ، أو على مستوى الدلالات الجديدة التي أضافوها إليها.

مصادرُ الأفعالِ الثلاثية المجردة

ذهب الصرفيون إلى أن الغالب - ويسميه الأقدمون قياسيا - في فَعَلَ المتعدي هو صيغة (فَعَلَ) وفي فَعَلَ اللازم (فُعُول). فإذا دُلَّ (بَفَعَلَ) على حرفة أو ولاية فالغالب في مصدره هو (فِعالَة) وإذا دُلَّ به على صوت فالغالب في مصدره هو صيغتنا: (فُعال وفَعِيل) ، وإذا دُلَّ به على حركة وتقلب فالغالب في صيغة مصدره هو (فَعْلان).

والغالب في مصدر فَعَلَ المتعدي هو فَعَلَ أيضا، لكن الغالب في مصدر فَعَلَ اللازم هو فَعَلَ. والغالب من فَعَلَ - وهو لازم دائما - هو فِعالَة وفُعولة. وأما غير الغالب من هذه المصادر - ويسميه الأقدمون سماعيا - فإنه كثير جدا: فمن فَعَلَ جاءت المصادر الآتية: فَعَلَ، وفِعال، وفِعال، وفِعالَة، وفُعالن، وفِعالن، وفُعُل، وفَعِل، وفِعل.

ومن فَعَلَ وردت صيغ المصادر الآتية: فَعِلَ، وفُعِلَ، وفِعِلَ، وفُعِّلَ، وفَعَّلَ، وفِعَّلَ، وفَعُول، وفُعُول، وفَعَالِيَّة.

ومن فَعُلْ وردت صيغ المصادر التالية: فَعَّلَ، وفَعَّلَ، وفَعَّلَ، وفَعَّلَ، وفَعَّلَ، وفَعَّلَ.

وقد بذل الباحثون جهدا في بيان ما تدل عليه هذه الصيغ من معان في نهج البلاغة فضلا عن ارتباطها بأفعالها.

١ فَعَلَ:

لم يخرج الباحثون عمّا أقرّه الصرفيون ^(١) لهذه الصيغة في مسألتين: الأولى: أنها تأتي في جميع الأبواب عدا الباب الخامس، والثانية: أن هذه الصيغة لا يمكن حصرها في مجالات دلالية محددة، وعلى الرغم من اعتراف الباحثين بأن دلالات هذه الصيغة يصعب حصرها فقد تلمس لها بعضهم دلالات في نهج البلاغة، إذ حصرها الباحث علي فرحان جواد في دلالة التركيز على الحدث فذهب إلى "أن ما ورد من هذه الصيغة في نهج البلاغة يدل - في الأغلب - على ذات الحدث" ^(٢) مقسّماً دلالة هذه الصيغة على قسمين قسم يكون فيه الحدث مكتفياً بذاته - وهو قليل - وقسم يكون فيه الحدث واقعا على غيره - وهو الأكثر - وهذا الأخير على قسمين: الأول: يدل على معالجة فعل حركي إما يدويا وإما بفعل مصحوب بقوة وسطوة والثاني: يدل على فعل خاص ظاهرا كان أو باطنا، أو يدل على امتناع وإباء (رفض)، أو يدل على فعل فيه جهد إما قياما وإما صدورا، أو الوصف، أو الاكتساب والإعطاء، وقد يكون المصدر مكتفياً بذاته ويدل على قصد الشيء، أو معالجة فعل حركي، أو على صفة نفسية أو جسمية، أو عيب، أو حركة واضطراب، أو الدعاء والانقياد ^(٣)، أما الباحثة فائزة عبد الأمير شمران فذكرت دلالة الحركة والاضطراب، والانفعالات العاطفية، ونشاط الفم، والإيذاء أو الاعتداء ^(٤)، في حين أعاد الباحث وسام جمعة لفظة

(¹) ينظر: الكتاب: 5/4، والمقتضب: المبرد: 2/ 124، وشرح الشافية: 1/ 156، والمرجع في اللغة نحوها وصرفها: على رضا: 1/ 65، وجامع الدروس العربية: مصطفى الغلايني: 113 .

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 66.

(٣) نفسه: 66 - 68.

(٤) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 34 - 42.

ما ذكره الباحث علي فرحان جواد من دلالات^(١) ولم تذكر الباحثة رملة خضير مظلوم دلالات لهذه الصيغة، وفي الحقيقة أن ما ذكره الباحثون من دلالات لهذه الصيغة يختلف في التسمية يقترب في المعنى، وأرى أن معظم دلالات هذه الصيغة المصدرية المجردة التي ذكرها الباحثون هي دلالات معجمية تتعلق بالمعنى المعجمي لأفعالها أكثر من تعلقها بمعاني الصيغة.

والتفت الباحث وسام جمعة لفئة إلى أن هذه الصيغة وردت من الفعلين اللازم والمتعدي، بل إن ورودها من اللازم كان هو الغالب في نهج البلاغة فالواقع اللغوي لها يشير إلى أنها تطرد في فَعَلَ لازما كان أو متعديا وليس في المتعدي فقط، والذي ذهب إليه الباحث يؤكد مجمع اللغة العربية في القاهرة^(٢)، ويؤكد أيضا أحد الباحثين المحدثين^(٣).

٢ فَعَلَ

لم يخرج الباحثون في دراستهم هذه الصيغة عما قال به الصرفيون^(٤) وذلك في مسألتين: الأولى: ورود هذه الصيغة في أبواب الفعل الثلاثي جميعها، عدا الباب الثالث (فَعَلَ يَفْعَلُ)، والثانية: اشتغال هذه الصيغة على الدلالات التي ذكرها الصرفيون، وذكرت الباحثة فائزة عبد الأمير شمران أن هذه الصيغة في نهج البلاغة شملت الدلالات التي ذكرها الصرفيون لها عدا السهولة أو الشدة ذاكرة أمثلة لها لم تجر على معاني الصرفيين من دون إضافة دلالات أخرى عليها^(٥) في حين أضاف الباحث وسام جمعة لفئة دلالات أخرى لهذه الصيغة لم يذكرها الصرفيون فضلا عن التي ذكرها وهي: الدلالة على الصوت، والامتناع، والأخذ والاعطاء، والظهور أو الانفراج، والولوع بالشئ، والقوة ونقيضها^(٦).

(١) ينظر: البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 7 - 10.

(٢) ينظر: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: جمع ودراسة وتقويم: خالد بن مسعود بن فارس العصيمي: 379.

(٣) ينظر: أصحاح اطراد فُعُول مصدرا لَفَعَلَ اللّازم: د. جميل الملائكة، بحث: مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد: 29، لسنة 1978م.

(٤) ينظر: جوهر القاموس في الجموع والمصادر: محمد بن شفيع القزويني: 259.

(٥) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 47 - 63.

(٦) ينظر: البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 14 - 23.

٣ - فُعْل:

وهي صيغة سماعية في جميع ما وردت فيه، وتأتي من الأفعال اللازمة والمتعدية مستوعبة أبواب الفعل الثلاثي جميعها، وتشتبك هذه الصيغة بصيغ أخرى والفعل واحد^(١) وذكر الباحث وسام جمعة لفظة أن هذه الصيغة استوعبت أبواب الفعل الثلاثي عدا الباب السادس (فَعْلَ يَفْعُل) واشتركت بصيغ أخرى في أكثر من مثال منها: شُرِبَ وشَرِبَ، ورُزِرَ ورَزَرَ، وسُقِمَ وسَقَمَ، والهَلَكَ والهَلَكَة^(٢) وقد دلّت على المعاني التي ذكرها الصرفيون^(٣) مضيفاً إليها الباحث علي فرحان جواد معاني أخرى وهي: الدلالة على صفة حسنة أو ذميمة، والدلالة على ثقل الوطأة، وبيان حال المخاطب، والدلالة على شيء يمكن قياسه^(٤)، أفاد منها الباحث وسام جمعة لفظة وذكرت الباحثة فائزة عبد الأمير شمران أمثلة لهذه الصيغة لم ترد على ما ذكره الصرفيون من معان، من دون أن تحدد معانيها^(٥).

٤ - فُعْل:

وهي صيغة سماعية نادرة في العربية^(٦) لم يذكر الصرفيون من أمثلتها إلا ثلاثة (هُدَى، وسُرَى، وثَقَى)^٧ وزادوا عليها لُقَى وبُكَى^(٨) واتفق الباحثان علي فرحان جواد ووسام جمعة لفظة أنها لم ترد في نهج البلاغة إلا بهذه الأمثلة الثلاثة^(٩) في حين أضافت إليها الباحثة فائزة عبد الأمير شمران مثالا آخر وهو سُدى^(١٠).

(١) ينظر: ديوان الأدب: الفارابي: 2/ 138، والمنصف: 1/ 179، المخصص: ابن سيدة: 14 / 153 - 154، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: 227.

(٢) ينظر: البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 38 - 39، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 64، 79.

(٣) ينظر معاني هذه الصيغة في الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: 82 - 83.

(٤) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 69.

(٥) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 78 - 79.

(٦) ينظر: المقرب: ابن عصفور: 2/ 133، وشرح الشافية: 1/ 110، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: 228.

(٧) ينظر: الكتاب: 4/ 46، وتصريف الأسماء: محمد الطنطاوي: 56.

(8) ينظر: المخصص: 14 / 160.

(٩) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 76، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 44 - 47.

(١٠) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 80 - 85،

٥ فَعَلَ

أكد الباحثون ما ذهب إليه الصرفيون في قلّة شيوع هذه الصيغة إذ لم يجدوا لها في نهج البلاغة إلاّ مثالين فقط هما: لَعِبَ وكَذَبَ^(١).

٦ فَعِلَ

أكد الباحثون أن الواقع اللغوي لهذه الصيغة في نهج البلاغة يطابق ما ذهب إليه الصرفيون^(٢)، في مسألتين: الأولى: قلّة ورودها، إذ لم يقفوا إلاّ على أمثلة قليلة منها، والثانية: أن معظم معانيها موافق لما ذكره بعض الصرفيين وهي: المساحة أو الحجم^(٣).

٧ فُعُولَ

وتطرد هذه الصيغة في فَعَلَ اللّازم وقد اختلف في قياسيتها وتدل على صفة الشيء وصدوره منه وقد اجتهد الباحثون في بيان معانيها، وما ذكروه لا يعدو المعاني المعجمية لأفعال هذه الصيغة ويدخل جميعه في الدلالة على صفة الشيء وصدوره عنه^(٤).

٨ فُعُولَ

اختلف فيما جاء على هذه الصيغة هل هي أسماء أو مصادر، لقلّة ورودها في اللغة العربية، وقد اتفق الباحثان علي فرحان جواد ووسام جمعة لفظة على أن هذه الصيغة لم ترد في نهج البلاغة إلاّ في مثالين هما: قَبُولَ ووَاقُودَ^(٥)، في حين أضافت لهما الباحثة فائزة عبد الأمير شمران مثالا آخر وهو الوَضُوءَ^(٦).

(١) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 86 - 89 و البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 24 - 25.

(٢) ينظر: الكتاب: 4 / 22، ودقائق التصريف: أبو القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب: 64، والمقرب: 2 / 32، وشرح الشافية: 1 / 110 وأبنية الصرف: 220

(٣) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 90 - 97 و البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 65 - 66.

(٤) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 71، أبنية المصادر في نهج البلاغة: 105 - 107 و البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 55 - 57.

(٥) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 73، و البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 32.

(٦) أبنية المصادر في نهج البلاغة: 101.

٩ فَعِيل

لم يخرج الباحثون في دراستهم هذه الصيغة عما ذكره الصرفيون، بيد أن الباحثة فائزة عبد الأمير شمران ذكرت أمثلة قليلة لم تربط بالمعاني التي حددها الصرفيون^(١).

١٠ - فُعال

أجمع اللغويون على ارتباط هذه الصيغة بدلالة الصوت والداء واختلفوا بدلالاتها على زعزعة البدن وما تفرقت أجزاؤه، وتطرد في فَعَلَ اللزوم وتقل في غيره، وتشترك هذه الصيغة بصيغ أخرى في الفعل الواحد منها فَعِيلٌ وفِعَالٌ وفَعَّالٌ^(٢)، ولم تخرج هذه الصيغة في نهج البلاغة عما قال به الصرفيون في دلالتها وارتباطها بفَعَلَ^(٣) وهو يتساقط وما أقره المجمع العلمي في القاهرة في قياسيتها^(٤) وقد أضاف لها الباحث أحمد هادي زيدان دلالة أخرى، هي: الامتلاء في رُواء^(٥).

١١ - فِعال

ربط الصرفيون هذه الصيغة بدلالات معينة، وتأتي - غالبا - من فَعَلَ اللزوم وقد تأتي من المزيد (فاعل) أيضا، كما تشترك مع صيغ أخرى مثل: فَعَالٌ وفُعَالٌ وفُعُولٌ^(٦)، وما قدمه الباحثون في هذه الصيغة يتساقط وما أقره الصرفيون سوى أمثلة قليلة ذكرتها الباحثة فائزة عبد الأمير شمران لم تأت على المعاني التي ذكروها^(٧).

١٢ - فُعال

وهي صيغة شائعة في العربية، إلا أن الصرفيين قالوا: إنها سماعية في جميع ما وردت عليه وقد شغلت هذه الصيغة علماء اللغة من القدماء والمحدثين فهي صيغة مصدرية تارةً ، وفعلية

(١) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 113- 114 ، البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 33 - 35، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 145 - 147

(٢) ينظر: شرح الشافية: ١٥٢/١.

(٣) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 115 - 126، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 49 - 53.

(٤) ينظر: القرارات النحوية والتصريفية: 390.

(٥) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 143.

(٦) ينظر: الكتاب: 4 / 7 - 12، والأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: 99.

(٧) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 140 - 142، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة لغوية: 207 - 210، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 127 - 142، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 67 - 69.

تارةً أخرى، واسمية في حالات معينة، وهي تشترك مع صيغ أخرى في العربية كفعيل و فُعَال، وغيرها وتأتي - غالبا - من فَعَلَ اللّازم وقد تأتي من المتعدي وتقل في فَعَلَ اللّازم والمتعدي ^(١)، وذكر الباحثون أنها وردت في النهج بكثرة، وهذا يتساقق وشيوع هذه الصيغة ولم تخرج في علاقتها بأفعالها ودلالاتها عما ذكره الصرفيون ، بيد أن الباحث وسام جمعة لفتة أضاف لها دلالات أخرى وأرى أنها دلالات معجمية لا تتعلق بالصيغة، ومن الجدير بالذكر أن أغلب الباحثين تناول هذه الصيغة من دون أن يميزوا بين المصدر وغيره يستثنى من ذلك الباحثة فائزة عبد الأمير شمران حيث ذكرت ما جاء على هذه الصيغة وهو ليس بمصدر وإنما هو اسم مصدر كما أشارت إلى أن صيغة (فَعَال) لم ترد في نهج البلاغة بمعنى فعل الأمر أو الأسماء المعدولة كاسم الجنس ^(٢) .

١٣ - فُعْلَةٌ

وهي صيغة سماعية في جميع ما وردت عليه ربطها الصرفيون بدلالات معينة أغلبها الدلالة على اللون، وتأتي من الفعل المجرد والمزيد، وتشترك مع صيغ أخرى مثل: فُعْلَةٌ وفِعْلَةٌ وغيرها ^(٣) ولم تختلف دلالاتها التي ذكرها الباحثون في نهج البلاغة عما ذكره الصرفيون، وانفرد الباحث علي فرحان جواد بالقول: إن هذه الصيغة كثيرا ما تأتي في نهج البلاغة بدلالة اسم المصدر ^(٤).

١٤ - فُعْلَةٌ

وهي صيغة سماعية تأتي من الأفعال الثلاثية المجردة والمزيدة، قليلة في العربية، تشترك مع غيرها مثل: فُعْلَةٌ وفِعْلَةٌ، وقد أكد الباحثون قلّة ورود هذه الصيغة في النهج، وذكرت الباحثة فائزة عبد الأمير شمران لها دلالات معجمية ^(٥).

(١) ينظر: الكتاب: 4 / 47.

(٢) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة لغوية: 203 - 206، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 143 - 166، وأبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 25 - 31.

(٣) ينظر: الكتاب: 4 / 11، وشرح الشافية: 1 / 161.

(٤) نظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة : 74، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 145 - 146، والمصادر في نهج البلاغة: 171 - 174، وأبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 86 - 88.

(٥) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 175 - 182، وأبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 89 - 91.

تطرد هذه الصيغة في (فَعَل) وتقل في غيره وترتبط بمعان محددة، وتشترك معها صيغ أخرى مثل: فَعَالَة وفُعُولَة وفِعْل وفَعَل وفاعلية، لم تختلف دلالاتها التي ذكرها الباحثون عما أقره الصرفيون فقد ارتبطت أمثلتها بالفعل الثلاثي المجرد بجميع أبوابه عدا فَعَل يفعل - غالبا - اللازم عدا لفظتين وردتا من الفعل الثلاثي المزيد هما (العَدَاة والأمانة) ، فالأولى من الفعل المزيد (عادي) على زنة (فاعَل) والثانية من الفعل المزيد (أَمَن) على زنة (فَعَل). مشتركة مع صيغة: فَعَل وفِعْل وفَعَال، كما جاءت على صيغة فعالية في (أربعة أمثلة)^(١).

تطرد هذه الصيغة فيما يدل على حرفة أو ولاية (القيام بالأمر) وتقل في غيرها^(٢)، ولم تختلف دلالاتها التي ذكرها الباحثون عما أقره الصرفيون وهو يتساق و ما أقره المجمع العلمي بقياسيتها^(٣)، فقد وردت من فَعَل في أبوابه الثلاث ومن فَعَل يفعل من اللازم والمتعدي، مشتركة مع صيغة فَعَل في هُدَى وهِدَاية، وقد أضافت لها الباحثة فائزة عبد الأمير شمران دلالة أخرى وهي: القوة في (رباطة)، ووجد الباحثون مثالين للصيغة عُدَا من غريب التصاريف للمصدر في نهج البلاغة، هما: زيادة وحياشة، إذ كان القياس يؤتى بهما على غير هذه الصيغة ولكن الإمام (عليه السلام) عدل لهذه الصيغة للمناسبة الصوتية بين اللفظتين^(٤).

أختلف في مصدرية هذه الصيغة، وهي ترتبط بالدلالة على ما يفضل من الشيء ويسقط منه، وهي قليلة الاستعمال، ترد من أبواب الفعل الثلاثي عدا الباب السادس (فَعَل يفعل) ° وتوافقت هذه الصيغة مع ما أقره الصرفيون في دلالاتها وقلتها، وهذا يتساق و ما أقره المجمع العلمي في

(١) ينظر: المصادر في نهج البلاغة: 183 - 200، و البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 99 - 103.

(٢) ينظر: الكتاب: 4 / 11، ودقائق التصريف: 140

(٣) ينظر: القرارات النحوية والتصريفية: 396.

(٤) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 144، ولغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 77، وغريب نهج البلاغة: 252 - 254، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 200 - 212، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 104 - 107.

(٥) ينظر: الكتاب: 4 / 13، ودقائق التصريف: 63.

إجازتها الدلالة على فضالة الشيء وما تحاتّ منه ^(١) وقد أضاف لها الباحث وسام جمعة لفئة الدلالة على ما يستقبح في (ثخامة) وأرى أنها عين دلالة ما يفضل من الشيء وسقط منه لأنها بمعنى الساقط المتروك، وذهب إلى أنها تدل على هذه الدلالة بنحوين هما: الجيد المختار في (نثارة) وهو الشيء المنثور في الأعراس، والساقط المتروك في (قراضة) ^(٢).

١٨ - فُعولة

وترتبط هذه الصيغة بمعان دلالية محددة، وتطرّد في فَعَل اللازم كما تأتي من باب فَعَلَ يفعل، وفَعِل يفعل، وتشتك معهما صيغة فَعَّالَة ^(٣) ومن النظر فيما ذكره الباحثان وسام جمعة لفئة وفائزة عبد الأمير شمران نجد أن هذه الصيغة تتطابق وما أقرّه الصرفيون سواء في علاقتها بأفعالها فقد وردت من الثلاثي المجرد والمزيد متعديا ولازما، أو في دلالتها، سوى أنها لم تأت دالة على اللون ^(٤)

١٩ - فَعَلَى و فُعَلَى

ترتبط هاتين الصيغتين بالفعل المجرد والمزيد، وهما قليلتا الاستعمال، وتشتك معهما صيغ أخرى، وقد أكد الباحثون قلته ما في نهج البلاغة إذ لم يجدوا منهما إلا أمثلة قليلة، وقد لاحظ الباحث وسام جمعة لفئة أن إيثار الإمام (عليه السلام) بعض أمثلتهما إنما للدلالة على التكثير والمبالغة ولاحظ اشتراكهما بصيغة أخرى مثل: النُعمى والنعماء ^(٥).

(١) ينظر: القرارات النحوية والتصريفية: 399.

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 78، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 145، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 212 - 217، وأبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 107 - 109.

(٣) ينظر: دقائق التصريف: 63 - 69.

(٤) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 217 - 220، وأبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 96 - 98.

(٥) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 233 - 236، وأبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 110 - 114.

٢٠ - فَعْلَاءٌ وفُعْلَاءٌ وفُعْلَاءٌ

وهذه صيغ مصدرية نادرة، وفَعْلَاءٌ لم يذكرها سيبويه في المصادر، وقد وجد لها الباحثون أمثلة قليلة في النهج، أما فُعْلَاءٌ فلم يرد لها في نهج البلاغة مثال وأما فَعْلَاءٌ ذكرت لها الباحثة فائزة عبد الأمير مثال واحد وهو: غُلَّوْا وذكر الباحث وسام جمعة مثالين هما: غُلَّوْا وَخُيِّلَا^(١).

٢١ - فَعْلَان

ترتبط هذه الصيغة بالدلالة على الحركة والاضطراب، وتأتي من الفعل الثلاثي اللازم وتشذ في المتعدي، ولم تخرج هذه الصيغة في نهج البلاغة عما أقره الصرفيون فقد وردت كلّها من الفعل الثلاثي اللازم وبدلالة الحركة والاضطراب ^(٢) وذلك يتساقق وما أقره المجمع العلمي بالقاهرة بقياسيتها^(٣).

٢٢ - فُعْلَان وفُعْلَان

وهما صيغتان سماعيتان وأمثلتها قليلة، وهو ما أكده الباحثون، وربط الباحث علي فرحان جواد دلالتهم بالاتصاف بالحدث والمبالغة^(٤)

مصادر الفعل الثلاثي المزيد

لاحظ اللغويون أن صيغ المصادر من الأفعال الثلاثية المزيدة أو الرباعية المجردة والمزيدة تكون قياسية مطردة، بخلاف صيغ المصادر من الأفعال الثلاثية المجردة، ومعنى ذلك أن لمصادر غير الثلاثي صيغا ثابتة أجمع عليها علماء الصرف، إذ لا بُدَّ لكل فعلٍ غير ثلاثي من مصدرٍ مقيسٍ وفي ذلك يقول الزمخشري: "واعلم أن ما جاوز من الأفعال الماضية ثلاثة أحرف سواء كانت بزيادة، أو بغير زيادة فإن مصادرها تجري على سَنَنِ لا يَخْتَلَفُ" ° وعلل ابن يعيش ذلك بقوله: "لأنَّ

(١) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 236-239، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 113 - 115.

(٢) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 223-226، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 117 - 118، ولغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 79، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 148.

(٣) ينظر: القرارات النحوية والتصريفية: 393.

(٤) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 78، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 227-231، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 119 - 121،
(٥) شرح المفصل: 6 / 57.

"لأنَّ الفعل بها لا يختلف، والثلاثية مختلفة أفعالها الماضية، والمضارعة، فلاختلاف الثلاثية اختلفت مصادرها، ولعدم اختلاف ما زاد منها على الثلاثة أُجريت على منهاج واحد لم يختلف"^(١).
أولاً: مصادر الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد:

١ إفعال وإفالة

تأتي صيغة إفعال مصدراً قياسياً للفعل الثلاثي المزيد بالهمزة (أفعل) إذا كان صحيح العين، أما إذا كان الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة معتل العين فصيغة مصدره إفالة، وقد اختلف الصرفيون في المحذوف من هذه الصيغة^(٢)، وقد رصد الباحثون أمثلتهما في نهج البلاغة وما ذكروه لا يتعدى ما أقره الصرفيون، ومن ثم ذكروا دلالتها، وهي دلالات فعلها (أفعل) وقد انفرد الباحث علي فرحان جواد بالقول إن دلالة الجعل في هذه الصيغة هي الغالبة في نهج البلاغة وذهب إلى أن أغلب دلالات الجعل لم ترد في الكتب النحوية^(٣).

٢ تفعيل وتفعلة

وهما صيغتا المصدر القياسيتان من (فعل) الثلاثي المزيد بتضعيف العين، فإذا كان صحيح الآخر فصيغة مصدره تفعيل، وإذا كان معتل الآخر فصيغة مصدره تفعلة، وقد يردان مصدراً للفعل مهموز اللام، وإن صيغة تفعلة قد تأتي من الفعل الصحيح وهو نادر^(٤)، وقد رصد الباحثون أمثلتهما في نهج البلاغة ولم تختلف جميعها عما أقره الصرفيون ولاحظ الباحثون أن صيغة تفعلة لم يقتصر ورودها من الفعل معتل اللام أو المهموز فقط وإنما وردت من الفعل الصحيح أيضاً في أمثلة قليلة، ومن ثم ذكروا دلالاتهما، وهي دلالات فعلهما فعلاً^٥.

(١) شرح المفصل: 57 / 6.

(٢) ينظر: المقتضب: 1 / 105، وشرح المفصل: 6 / 89.

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 80، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 253 - 267، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 144 - 147، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 198 - 199.

(٤) ينظر: الكتاب: 4 / 79، وشرح المفصل: 6 / 75.

(٥) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 82، 87 وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 276 - 288، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 148 - 152.

٣ فَعَالٌ وَمُفَاعَلَةٌ

وهما صيغتان للمصدر من الفعل الثلاثي المزيد (فَاعَلَّ) ^(١)، وقد رصد الباحثون أمثلتهما في نهج البلاغة ولم تختلف عما أقرّه الصرفيون سواء بعلاقتهما بالفعل المزيد (فَاعَلَّ) أو في دلالتهما، وقد ركزت الباحثة فائزة عبد الأمير شمران على بيان دلالتهما، وهي دلالة فعلهما المزيد في حين أثبت لهما الباحث وسام جمعة لفئة دلالات معجمية لا تتعلق بالصيغة سوى دلالة المشاركة وهي دلالة فعلهما، وقد لاحظ الباحث اشتراك الصيغتين في بعض الأمثلة مثل: الحساب والمُحاسبة، فرّق بينهما دلالياً. وقد اكتفى الباحث علي فرحان جواد بذكر صيغة مُفَاعَلَة، ولم يذكر فَعَالٌ من الثلاثي المزيد ولعلّه ذهب إلى أنها ليست مصدراً كما ذهب بعض اللغويين ^(٢).

ثانياً: مصادر الفعل الثلاثي المزيد بحرفين

١ افْتَعَلَ

وهي صيغة قياسية للمصدر من الفعل الثلاثي المزيد (افْتَعَلَ)، امتازت من باقي الصيغ المزيدة بحدوث عارضٍ صرفي فيها هو: الإبدال ^(٣)، ويعني: جعل حرفٍ مكان غيره ، وقد رصد الباحثون أمثلتها في نهج البلاغة فضلاً عن التغيرات التي حصلت فيها، لافتين النظر إلى شيوعها في نهج البلاغة مرتبطة بدلالات فعلها ^(٤).

٢ تَفَعَّلَ

وهي صيغة قياسية من الفعل الثلاثي المزيد (تَفَعَّلَ) ^(٥)، رصد الباحثون أمثلتها في نهج البلاغة ومن ثم ذكروا دلالاتها وهي دلالات فعلها المزيد ^(٦).

(١) ينظر: الكتاب: 4 / 81.

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 83، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 267 - 276، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 153 - 158.

(٣) ينظر: شرح المفصل: 10 / 392، والتطبيق الصرفي: 151، والدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني: 347.

(٤) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 80 - 81، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 310 - 318، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 158 - 162.

(٥) ينظر: الكتاب: 4 / 79، وشرح المفصل: 6 / 76.

٣ تَفَاعُل

وهي صيغة قياسية للفعل الثلاثي المزيد تَفَاعَلَ^٢، رصد الباحثون أمثلتها في نهج البلاغة ومن ثم ذكروا دلالاتها وهي دلالات فعلها المزيد^(٣).

٤ انْفِعَال

وهي صيغة قياسية للفعل الثلاثي المزيد انْفَعَلَ^(٤)، ربط الصرفيون دلالتها بدلالة فعلها على المطاوعة، وقد رصد الباحثون أمثلتها في نهج البلاغة فوجدوها مماثلة لما أشار إليه الصرفيون سواء ارتباطها بفعلها أو في دلالتها التي لم تتعد معنى المطاوعة في جميع أمثلتها^(٥).

٥ انْفِعَال

وهي صيغة قياسية من الفعل الثلاثي المزيد (افْعَلَ)^(٦)، أشارت الباحثة فائزة عبد الأمير شمران إلى أن أمثلتها قليلة في نهج البلاغة لم تتجاوز ثلاث كلمات، هي: (اصْفَرَار، واغْوَرَار، واغْوَجَاج) في حين أضاف إليها الباحث وسام جمعة لفظة مثالين آخرين هما: اطْرَاح، وانحِتَات، ولم تخرج في دلالتها عن المبالغة في الألوان والعيب العارض^(٧)، و(اطْرَاح) و(انحِتَات) ليست على زنة (افْعَال)؛ لأن اطْرَاح من اطْرَح (افْتَعَلَ) ومصدرها اطْرَاح (افْتَعَالَ)، وأما انحِتَات فمن انحِتَ (انْفَعَلَ) ومصدرها انحِتَات (انْفَعَالَ).

(^١) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 84 - 85، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 199 - 201، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 293 - 302، و البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 162 - 165.

(^٢) ينظر: الكتاب: 4 / 81.

(^٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 86، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 303 - 310، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 165 - 167.

(^٤) ينظر: شرح المفصل: 6 / 77.

(^٥) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 86، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 291 - 293، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 168 - 169.

(^٦) ينظر: الكتاب: 4 / 284.

(^٧) أبنية المصادر في نهج البلاغة: 318 - 321، و البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 170 - 172.

ثالثاً: مصادر الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف

استفعال

وهي صيغة المصدر القياسي للفعل الثلاثي المزيد (اسْتَفْعَلَ)، ربط الصرفيون دلالتها بالطلب فضلاً عن معانٍ أخرى^(١)، وقد رصد الباحثون أمثلتها في نهج البلاغة مبينين علاقتها بأفعالها ذاكرين دلالتها وهي دلالة فعلها المزيد، وقد لاحظوا أنها أكثر ما تكون في الطلب ومن ثم تأتي معانيها الأخرى^(٢).

مصادر الفعل الرباعي المجرد والمزيد

١ فَعَّلَ وفَعَّلَال

وهما صيغتان قياسيتان لمصدر الفعل الرباعي المجرد (فَعَّلَ)، سواء أكان مضعفاً أم غير مضعفاً، وبذهب الصرفيون إلى أن صيغة فَعَّلَال أغلب من صيغة فَعَّلَال كما هو الحال في صيغتي (فَعَّلَال ومُفَاعَلَة)^(٣)، وقد أشار الباحثون إلى قلة ورود هاتين الصيغتين في نهج البلاغة إذ وردت فَعَّلَال في (سبعة أمثلة) أما فَعَّلَال فقد أشار الباحثان وسام جمعة لفته وفائزة عبد الأمير إلى أنها لم ترد إلا في مثال واحد، هو: زلزال، في حين أضاف لها الباحث علي فرحان مثالين هما: صِلْصَال ووسواس، ولم تخرج دلالتها عن المبالغة والتكرار نتيجة اشتمالها على التضعيف^(٤).

٢ تَفَعَّل

وهي صيغة المصدر القياسي من الفعل الرباعي المزيد (تَفَعَّلَ)، وذكرت الباحثة فائزة عبد الأمير أنه لم ترد من صيغ المصدر من الرباعي المزيد سوى هذه الصيغة، وفي أمثلة قليلة جداً فقد وردت في مثالين هما (تَقَلُّل) و(تَغْلُل) في حين أضاف له ما الباحث وسام جمعة لفته مثالا

(١) ينظر: الكتاب: 4 / 79.

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 85، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 322-330، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 172-175.

(٣) ينظر: الكتاب: 4 / 78.

(٤) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 90، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 243-246، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 175-177.

آخر وهو (تألول) فيكون ورودها في (ثلاثة أمثلة) لم تخرج عما أشار إليه الصرفيون من معنى المطاوعة. وأشار الباحث وسام جمعة لفئة إلى ورود صيغ أخرى من الرباعي المجرد والمزيد بمثال واحد لكل صيغة وهي: فُعْلِيلَة في طُمَأْنِينِيَة، وَاِفْعِلَال في اذْلَهَمَام^(١).

صيغ المصدر الميمي

رصد الباحثون أمثلة المصدر الميمي في نهج البلاغة بصيغه المختلفة، وقد وضعها بعضهم في باب المشتقات لأن المصدر الميمي يحمل معنى الذات، فضلا عن معانٍ أخرى لا يحملها المصدر الدال على الحدث فقط، فهو يدل على نهاية الشيء أو خاتمته أو صيرورته^(٢).

١ مَفْعَل ومَفْعِل

ومَفْعَل صيغة قياسية مطردة في الفعل الثلاثي المجرد عامة، وتأتي من أبوابه جميعا، وتتداخل مع اسمي الزمان والمكان، ويفرق بينها من خلال السياق، وأما مَفْعِل فصيغة قياسية من الفعل المثال الواوي (معتل الفاء بالواو) مكسور العين في المضارع، وتأتي أيضا من الفعل الثلاثي الأجوف بالياء، وأشار اللغويون إلى تداخل الصيغتين إذ تأتي مكسورة العين من الفعل الصحيح وتأتي مفتوحة العين من الفعل المثال بالواو^(٣)، وقد رصد الباحثون أمثلتهما في نهج البلاغة وأشاروا إلى أن (مَفْعَل) هي الصيغة الأكثر شيوعا في نهج البلاغة من صيغ المصدر الميمي الأخرى، وأما مَفْعِل فأشار الباحثون إلى قلّة ورودها في نهج البلاغة ورصد الباحثون أمثلة على وزن (مَفْعِل) بكسر العين، وكان قياسها الفتح، لأنّ فعلها صحيح وليس مثالا واويا، ورصدوا أمثلة تداخلت فيها صيغة مَفْعَل مع اسمي الزمان والمكان أما دلالتهما فلم يختلف الباحثون عما أقرّه الصرفيون لصيغ المصدر من دلالات، وهي: حملها معنى الذات والدلالة على نهاية الحدث^(٤).

(١) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 89 - 90، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 332 - 335، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 178 - 179.

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 120.

(٣) ينظر: الكتاب: 4 : 87، ودقائق التصريف: 70.

(٤) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 120 - 121، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 338 - 345، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 123 - 127، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 211 - 213.

٢ مَفْعَلَةٌ وَمَفْعِلَةٌ وَمَفْعَلَةٌ

ومَفْعَلَةٌ صيغة قياسية من الثلاثي للدلالة على كثرة الشيء الجامد بالمكان، وأما مَفْعِلَةٌ فهي سماعية في الأفعال صحيحة الفاء، أو معتلة العين بالياء، وقد ترد من الفعل الناقص على زنة (مَفْعِل) فإذا لحقته التاء (مَفْعِلَةٌ) خلص إلى المصدرية، وأما مَفْعَلَةٌ فصيغة سماعية أقلهما ورودا في العربية^(١)، وقد رصد الباحثون أمثلة هذه الصيغ في نهج البلاغة ووجدوا أنها تتطابق وما أقره الصرفيون سواء في الكثرة والشيوع، أو في علاقتها بأفعالها، فجاءت صيغة مَفْعَلَةٌ أكثر شيوعا من غيرها^(٢) وهذا يعزز قرار مجمع اللغة العربية بقياسيتها^(٣) ومن الجدير بالذكر أن الباحث وسام جمعة لفتة ذكر مثالا من المصدر الميمي على وزن مَفْعِلَةٌ وهو: مَعْصِيَةٌ، وأرى أنه مصدر خالص؛ لأنه مشتق من الفعل الناقص، والتاء في (مَفْعِلَةٌ) المشتقة من الفعل الناقص تخلص الكلمة إلى المصدرية، ولو حذفناها لأصبحت الكلمة تحتل دلالات (اسمي الزمان والمكان والمصدر الميمي).

٣ مَفْعَلٌ وَمَفْعِلٌ وَمُسْتَفْعَلٌ وَمَفْعَالٌ

تأتي صيغ المصدر الميمي من غير الثلاثي على وزن المضارع ولكن بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر، وبهذا تشترك هذه الصيغ في المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان واسم المفعول، ويفرق بينها من خلال السياق، وقد رصد الباحثون أمثلة قليلة لهذه الصيغ دالة على المصدر الميمي، متفاوتين في تحديد أمثلتها، إذ أحصى الباحث وسام جمعة لفتة أمثلتها، في حين ذكرت الباحثة فائزة عبد الأمير شميران أمثلة لهذه الصيغ من دون إحصاء^(٤).

^(١) ينظر: الكتاب: 4 / 88، وشرح الشافية: 1 / 118.

^(٢) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 345 - 350، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 132 - 134.

^(٣) ينظر: القرارات النحوية والتصريفية: 408.

^(٤) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 350 - 360، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 129 - 130.

مصدر المَرّة

وهو المصدر الذي يدل على حدوث الفعل مرّة واحدة، وأجمع الصرفيون على أنّ هذا المصدر يصاغ من الثلاثيّ وغيره، فمن الثلاثي فَعْلَة قياسا مطردا، ومن غير الثلاثي بإضافة التاء إلى صيغة مصدره الأصلية، ومن ثمّ وضع الصرفيون شروطا لصياغته، وقد ترد هذه الصيغة ولا يراد بها المَرّة وإنما يراد بها الدلالة على الحدث المجرد، فتكون صيغة مصدرية خالصة، وهو تداخل وظيفي للصيغة^(١)، وقد رصد الباحثون أمثلته في نهج البلاغة فوجدوا أنها تتطابق وما أشار إليه الصرفيون في هذه الصيغة، وأشار الباحثون أيضا إلى أن صيغة فَعْلَة لم ترد موصوفة بـ (واحدة) إلّا في مثالين - كما يرى الباحث وسام جمعة - أو ثلاثة أمثلة - كما ترى الباحثة رملة خضير مظلوم - ولم ترد في غير الثلاثي مثلوّة بها، وذكر الباحثون أمثلة لهذه الصيغة لم تدل على المَرّة، وإنما دلّت على المصدرية الخالصة، وأشار الباحث وسام جمعة لفئة إلى مجيء المَرّة بصيغتي فَعْلَة وفُعْلَة - وهو قليل - كما تلمس دلالات لهذه الصيغة غير المَرّة، وأرى أنها دلالات معجمية لا تنحصر بالصيغة^(٢).

مصدر الهيئة

سمي هذا المصدر بمسميات مختلفة، وهو يبيّن الهيئة التي يكون عليها الحدث، ويصاغ من الفعل الثلاثي على وزن فِعْلَة، ومنع اللغويون صياغته من غير الثلاثي واكتفوا بالمسموع منه، وقد تأتي هذه الصيغة ولا يراد بها معنى الهيئة، وقد رصد الباحثون أمثلتها في نهج البلاغة فوجد الباحث وسام جمعة أنها أكثر ما تكون في غير الهيئة، وذكرت الباحثة فائزة عبد الأمير أمثلة لمصادر دلت على الهيئة (وصف الحدث) من غير هذه الصيغة^(٣).

(١) ينظر: الكتاب: 4 : 45، وتصريف الأسماء: 79.

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 39، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 360-363، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 73 - 80، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 213 - 214.

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 89، وأبنية المصادر في نهج البلاغة: 364-368، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 81 - 85،

المصدر الصناعي

تناول الباحثون آراء اللغويين - القدماء والمحدثين - في دلالة هذا المصدر وصياغته، وخلصوا إلى أنه يصاغ من المصادر والصفات والجوامد والأدوات بإضافة ياء النسب المشددة وتاء مربوطة في آخره، ليدل على المبالغة واستغراق صفات المعنى الأصلي ونسبة هذا المعنى إلى طوائفه، ومن ثم رصدوا أمثلته في نهج البلاغة إذ بلغت (أربعة عشر مثالا) تكررت في (أربعة وأربعين سياقاً)^(١).

ومن النظر فيما قدّمه الباحثون من صيغ المصادر ودلالاتها في نهج البلاغة يمكننا تسجيل الملاحظات الآتية:

1_ اتبع الباحثون منهجا تعليميا يقتضي خطى الصرفيين ويتّبع آثارهم في رصد صيغ المصادر وربطها بأفعالها ومن ثم بيان دلالاتها بصورة مفردة من دون ربطها بالسياق، فالدلالة مرتبطة بالصيغة وحدها ولا تتعلق بالسياق الذي اشـ نقل عليها، باستثناء ما قدّمته الباحثة رملة خضير مظلوم من محاولات في توظيف معنى الصيغة للكشف عن دلالة النص، وما قدّمه الباحثون دارسو هذه الصيغ - ولاسيما في نهج البلاغة كلّ - يؤكد على سبيل الإحصاء أو التمثيل اشتمال نهج البلاغة على الصيغ المصدرية جميعها عدا الصيغ المصدرية من الأفعال الملحقة بالرباعي المجرد والمزيد وصيغة واحدة من الرباعي هي: أفعلال .

2_ من النظر في ما قدّمه الباحثون نرى أن العلاقة بين صيغ الأفعال ومصادرها، وردت في نهج البلاغة حسب القواعد التي قال بها الصرفيون فيما بعد سواء أكان ذلك من حيث الكثرة أو القلّة، أم من حيث الدلالات والمعاني، سوى أمثلة قليلة، منها: ورود صيغة تَفَعَّل في ستة أمثلة فقط على الرغم مما ذكره القدماء من كثرة أمثلتها في العربية، وورود صيغة (فَعَّال) من الفعل المتعدي من باب (فَعَلَ يَفْعُل) ولم يذكرها اللغويون، وورود أمثلة في نهج البلاغة عدّت من غريب تصاريف

(١) ينظر: أبنية المصادر في نهج البلاغة: 369-376، والبنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: 135 - 138.

المصدر وهي: زيادة وحياشة على وزن فعّالة، إذ كان القياس يؤتى بهما على غير هذه الصيغة، وحدوة على وزن فعلة للمرة في سياق لا يدل على المرة.

3_ على الرغم من إدراك الباحثين أن معاني هذه الصيغ - من الثلاثي وغيره - في نهج البلاغة لم تخرج عما قال به الصرفيون بشكل مطلق، إلا أنهم اجتهدوا في تلمس دلالات جديدة لهذه الصيغ مما لم يذكره الصرفيون، ومن النظر في هذه الدلالات نرى أن معظمها هي دلالات معجمية تتعلق بالمعنى المعجمي لألفاظ هذه الصيغ أكثر من تعلقها بمعاني الصيغ، ولاسيما في صيغ المصادر من الثلاثي، وأما صيغ المصادر من المزيد، فإن معظم الدلالات التي أضافها الباحثون هي دلالات صيغ الفعل المزيد، بمعنى اشتراك هذه الدلالات بين صيغ الفعل المزيد ومصادره.

4_ لم يسجل الباحثون أمثلة الصيغ المصدرية جميعها في جداول أو ملاحق، كما لم يثبتوا لها إحصاء، وإنما عرض كل باحث أمثلة قليلة ربطها بأفعالها وبيّن دلالاتها، يستثنى من ذلك الباحث وسام جمعة لفئة إذ أورد أمثلة المصادر - جميعها - في نهج البلاغة بصيغها المختلفة في جداول الحقها في نهاية رسالته مبينا في الوقت نفسه أرقام صفحات هذه الأمثلة في نهج البلاغة، بيد أن هذا الإحصاء لم يكن مستوفيا شروطه، فعلى الرغم من بيان عدد أمثلة الصيغ المصدرية في نهج البلاغة إلا أنه أغفل إحصاء الصيغ بالنسبة إلى أفعالها، فالصيغة المصدرية ترد في أكثر من باب من أبواب الفعل، ومعرفة مقدار أمثلة الصيغة المصدرية في كل باب يتيح للباحث القول باطرادها في ذلك الباب من عدمه.

5_ رصد الباحثون أمثلة كثيرة لاشتراك الصيغ المصدرية فيما بينها، تارة باشتراك صيغتين مصدريتين أو أكثر في الدلالة على معنى واحد، وتارة أخرى باشتراك صيغتين مصدريتين في الفعل الواحد، وقد اجتهد الباحثون في تلمس الفارق الدلالي بينهما من خلال السياق الذي تردان فيهما.

6_ أفاد الباحثون بعضهم من بعض في تلمس دلالات جديدة لهذا الصيغ، فقد أخذ الباحث وسام جمعة لفئة معظم الدلالات التي أشار إليها الباحث علي فرحان جواد.

المبحث الثالث

صيغ المشتقات ودلالاتها

صيغ جموع التكسير ودلالاتها

مدخل

يختلف علماء العربية في تحديد المشتقات بحسب ما ترى فيها كل طائفة منهم، فهي عند النحاة: أسماء الفاعل والمفعول والتفضيل، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة ^(١)، وعند الصرفيين الذين يعتمدون المصدر أصل المشتقات - وهم البصريون - : الفعل الماضي والمضارع والأمر، وأسماء الفاعل والمفعول والتفضيل والزمان والمكان والآلة، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة، أما الذين يعتمدون الفعل الماضي أصلاً: - وهم الكوفيون - فيرفعون منها الفعل ويدخلون فيها المصدر ^(٢)، وهي عند اللغويين تضم - إضافة لما ذكر - جميع تقاليب الكلمة المأخوذة من الجذر الثلاثي بطريق الاشتقاق الكبير ^(٣)، وهي عند المحدثين تضم - إضافة لما ذكر - اسم المرة واسم الهيئة والمصدر الميمي، والمصدر الصناعي ^(٤).

واختلف الباحثون - تبعاً لذلك - في تحديد المشتقات في نهج البلاغة، فقد انفرد الباحث ميثاق علي عبد الزهرة بدراساتها بشكل مستقل ^(٥)، بعنوان (أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية) ولكنه اكتفى بذكر المشتقات التي حددها النحاة وهي: (اسم الفاعل، واسم والمفعول، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة واسم التفضيل)، والذي يلاحظ أن الباحث درس المشتقات في مستويين: أحدهما: المستوى الصرفي، ويتمثل ذلك في الفصل الأول ويقوم على ذكر صيغ المشتقات ومن ثم البحث عن شواهد لها في نهج البلاغة، ولا يكتفي الباحث بذكر الكلمات التي وردت على هذه الصيغ وإنما يذكر نصاً أثبت على بعض منها، وغالباً ما يلجأ إلى شرح النص، بيد أن هذا الشرح يتسم بالبساطة والسطحية، فالغرض منه إظهار دلالات هذه الصيغ، ولم يقدم الباحث إحصاء لصيغ المشتقات في نهج البلاغة، وإنما اكتفى بإيراد أمثلة قليلة لكل صيغة من صيغها، و الآخر: المستوى البلاغي: ويتمثل ذلك في الفصلين الثاني والثالث: ويقومان على إظهار القيم الصوتية والتصويرية لأبنية المشتقات، ولم يختلف منهجه في التماس الشاهد لكل موضوع من مواضيعهما، فالمنهج العام للدراسة هو منهج تعليمي صرفي بلاغي، يسعى إلى استبدال الشواهد التي قال بها الصرفيون أو البلاغيون بشواهد من نهج البلاغة، في حين تناول باحثون آخرون دراسة المشتقات

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: 1 / 206

(٢) ينظر: شذا العرف: 68، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: 247.

(٣) ينظر: الخصائص: 2 / 133، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها: 1 / 347.

(٤) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: 45.

(٥) ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية.

في رسائلهم على شكل مباحث أو فصول^(١) متباينين في المجال التطبيقي لها في نهج البلاغة فقد تناولها الباحث علي فرحان جواد في نهج البلاغة كلّها، ووقفت عندها الباحثة رملة خضير مظلوم في الرسائل فقط، وتعرض لها الباحث هادي عبد هويدي في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، والملاحظ أن الباحثين لم يتقيدوا بمفهوم النحاة للمشتقات، وإنما تناولوها بمفهومها الصرفي، وقد عرض الباحثون لمسألة أصل الاشتقاق موردين آراء اللغويين القدماء والمحدثين وأدلتهم، ناقشها بعضهم ليتوصل إلى رأي خاص به، فقد ذهب الباحث هادي عبد علي هويدي إلى أن المصدر والفعل كليهما لا يصلحان أن يكونا مادة للاشتقاق؛ لأن الإنسان لم ينطق بهما أول الأمر؛ لأنهما يحتاجان إلى مرحلة عقلية متطورة لا يمتلكها الإنسان الأول، وإنما نطق أولاً بالظواهر المحيطة به المادية المحسوسة، وبناء على ذلك فهو يرى أن أصل الاشتقاق من أسماء الذات والمعاني والحروف، مؤيدا رأيه بما ورد في نهج البلاغة من بعض المشتقات، ومستشفعا بأقوال بعض اللغويين القدامى والمحدثين، إذ يرى أن الأقدمين لم يروا المصدر أصلاً في الاشتقاق بشكل قطعي أو الفعل أو غيره ولكن الذي صور هذا هم المتأخرون من النحويين^(٢). وأما الباحث علي فرحان جواد فقد ناقش آراء اللغويين القدامى والمحدثين مناقشة مستفيضة، وخلص إلى رأي مفاده أن الاشتقاق يكون من أصل، وهذا الأصل له معنى يمكن التوصل إليه من مجموع صيغه في مجموع السياقات اللغوية في الكلام^(٣). ويفهم من كلامه أن الأصل للأفعال والمصادر هو المعنى المركزي أو الدلالة العامة لهذه الألفاظ فكل من الفعل أو المصدر يدل على هذه الدلالة بنحو من الأنحاء مع الاحتفاظ بخصوصيته. ورجحت الباحثة رملة خضير مظلوم ما ذهب إليه المحدثون من أن أصل الاشتقاق هو المادة اللغوية أو الجذر اللغوية (ف ع ل)^(٤). في حين أعرض الباحث ميثاق علي عبد الزهرة عن مناقشة هذه الآراء مكتفياً بالقول "إن البحث في أصل المشتقات هو بحث عقيم أثر الباحث عدم الخوض فيه لملاحظة عدم الفائدة من ذلك"^(٥).

(١) ينظر: المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: الفصل الثاني والثالث، ولغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 40 - 52، 91 - 117، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 214 - 238.

(٢) ينظر: المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 107.

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 9 - 13، 17.

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 215.

(٥) أبنية المشتقات في نهج البلاغة: 11.

اسم الفاعل

لم يجر الباحثون إحصاء لصيغ اسم الفاعل في نهج البلاغة ومن ثم عرضها على قواعد النحويين أو الصرفيين، وإنما اكتفوا ببحث الجوانب الدلالية له، مشيرين إلى أن اسم الفاعل على هذه الصيغة أو تلك كان كثيرا أو قليلا في نهج البلاغة ممثلين لكل صيغة من صيغه بمثال أو مثالين، سوى ما قدمه الباحث علي فرحان جواد في اشتقاق اسم الفاعل ولاسيما من الفعل المهموز والمعتل فقد عالج هذه الصيغ معالجة صوتية ^(١)، وقد أشار الباحث هادي عبد علي هويدي إلى ورود صيغ لأسم الفاعل على غير القياس وهي مما أشار إليها ابن أبي الحديد في شرحه ومنها: (اليافع) من الفعل الرباعي (أَيْفَع)، و (مُقْتَبَل) على زنة اسم المفعول ^(٢)، ودلالة اسم الفاعل تقع وسطا بين الفعل والصفة المشبهة فهو دال على الثبات أكثر من الفعل، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة ^(٣)، وسنكتفي ببيان أهم الدلالات التي أشار إليها الباحثون وهي:

١ - دلالة اسم الفاعل على الحدوث والثبات:

رصد الباحثون أمثلة يسيرة لاسم الفاعل في نهج البلاغة تناولوها بشيء من التحليل لافتين النظر إلى دلالتها على الثبوت والدوام تارة، وعلى الحدوث والتجدد تارة أخرى، وينبغي الإشارة إلى أن ما لاحظته الباحثون في دلالة اسم الفاعل على الثبوت هو بلحاظ صيغة اسم الفاعل إلى الفعل، فقد اكتفى الباحث ميثاق علي عبد الزهرة بذكر أمثلة اسم الفاعل الدالة على الثبوت سواء أكان مشتقا من الثلاثي أم من غيره، ولم يذكر مثالا على مجيء اسم الفاعل الدال على الحدث، فالمشتق من الثلاثي ذكر له خمسة أمثلة اقتطعها من كلام الإمام (عليه السلام) ذهب إلى أن جميع ما ورد فيها من أسماء الفاعلين إنما دلّت على الثبوت، من ذلك قول الإمام في صفة أهل البيت (عليه السلام): "لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ" ^(٤) قال: "ولا يخفى ما في الكلمات شاهد وصادق، وصامت وناطق، من دلالة على الثبوت وهو ثبوت اقتضاه

(١) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 42 - 44.

(٢) ينظر: المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 199 - 200.

(٣) ينظر: معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي: 47.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 9 / 103.

السياق^(١)، مستعينا بأمثلة قرآنية تعزز ما ذهب إليه من دلالة اسم الفاعل على الثبوت، وأما من غير الثلاثي فجميع ما ذكره من أمثلة لاسم الفاعل وبصيغته المختلفة ذهب إلى أنها دلت على الثبوت والدوام نظرا للسياق الواردة فيها^(٢).

وأما الباحثة رملة خضير مظلوم فقد ذكرت مثالين فقط، المثال الأول: في الدلالة على الثبوت وذلك في وصية الإمام لولده الحسن (عليه السلام): "وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمَيَّتُ وَأَنَّ الْمَفْنِي هُوَ الْمُعِيدُ وَأَنَّ الْمُبْتَلِي هُوَ الْمُعَافِي"^(٣) إذ التفتت الباحثة إلى تضاد أسماء الفاعل في النص وما يتركه من دلالة نفسية تعزز الثقة بغلبة الله وقدرته التي شملت كل شيء، فأسماء الفاعلين التي اشتمل عليها النص، هي: (مالك، خالق، المميت، المفني، المعيد، المبتلي، المعافي)، تحمل تضادا، وجميعها دالة على الثبوت والدوام^(٤)، والمثال الثاني: على دلالة الحدث والتجدد وذلك في قول الإمام (عليه السلام): "مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ"^(٥) إذ ذهبت إلى أن (ظالما وآثما) لا يدلان على الثبوت بل إن الظالم من فعل الظلم والآثم من حصل منه الإثم والخطأ، لكن ذلك لا يعني ثبوت صفة الإثم والظلم فيه بل أفادت حدوث ذلك. موردة صيغة أخرى للإثم استعملها الإمام (عليه السلام) في الدلالة على الحدث والتجدد وهي: (متأثم)^٦ مصوغة من الفعل المزيد (تأثم)، وحجتها في ذلك أن الإمام (عليه السلام) حين أراد الدلالة على الثبوت وعدم التغيير في فعل الإثم لم يستعمل (آثم) في إضفاء صفة الإثم على الشخص بل جاء بها على صيغة فعيل (الآثيم)، وذلك في كتابه إلى بعض عماله: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْآثِمِ"^(٧) (فالآثيم) اكتسبت الثبوت لأنها جاءت صفة دائمة؛ لأن (فعليل) تفيد المبالغة وهي تدل على معاودة الإثم وتكريره حتى أصبح كأنه سجيّة في صاحبه أو طبيعة فيه^(٨)، وأرى أن ما ذهبت إليه الباحثة من أن (ظالما وآثما) لا يدلان على الثبوت هو بلحاظ بلحاظ صيغة الفاعل إلى صيغة المبالغة أو الصفة المشبهة، أما بلحاظ صيغة الفعل فهو غير

(١) أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية: 22.

(٢) نفسه: 24 - 29.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 72 / 16.

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 216.

(٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد 41 / 17.

(٦) نفسه: 169 / 16.

(٧) نفسه: 3 / 17.

(٨) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 217.

صحيح فلا يوصف الشخص بأنه ظالم أو آثم إلا إذا ثبت عليه الظلم أو الإثم، نعم إن هذا الثبات نسبي غير مطلق، أو بتعبير آخر حالة وسط بين الفعل والصفة المشبهة، فضلا عن ذلك أن الباحثة لم تلاحظ فرق الصيغة في المثالين فالآثم اسم فاعل والأثم مبالغة الفاعل أو صفة فيه جاء بصيغة فاعل الدالة على المبالغة وتكرار الفعل، وهذا الأمر يطرد في كل فعل إذا أريد به المبالغة نقل من صيغة اسم الفاعل أو اسم المفعول إلى صيغة فاعل، وهو غير منحصر في فعل الإثم في هذا المورد.

وعقد الباحث هادي شندوخ حميد موازنة بين بعض الأمثلة الواردة في نهج البلاغة بصيغة اسم الفاعل وبين ورودها في القرآن الكريم بصيغة الفعل ليتوصل إلى أن الإمام (عليه السلام) أثر صيغة اسم الفاعل لأنها أدوم وأثبت من الفعل^(١)، وذكر الباحث هادي عبد علي هويدي أمثلة لاسم الفاعل في دلالاته على الثبوت^(٢).

٢ - الدلالة الإيحائية للصيغة:

لاسم الفاعل دلالات كثيرة مستمدة من صيغه الصرفية المتنوعة، فكل صيغة دلالة مستمدة من فعلها وهو ما يعرف بـ (الدلالة الإيحائية للصيغة) وقد ألمح الباحثون إلى أن الإمام (عليه السلام) عبّر بالصيغ الصرفية المختلفة تبعا لما تحمله من دلالات، اجتهد الباحثان علي فرحان جواد وميثاق علي عبد الزهرة في بيانها، ليتوصلا إلى دقة اختيار الإمام لهذه الصيغ الدالة على اسم الفاعل، وهي: مُفْعَل، ومُتَفَاعِل، ومُفْعَل، ومُسْتَفْعَل، ومُسْتَفْعَل، ومُفْعَل، ومُفْعَل ذاكرين دلالة كل صيغة موردين لها أمثلة يسيرة من كلام الإمام (عليه السلام)^(٣)، من ذلك دلالة اسم الفاعل على الطلب حينما يكون على زنة مُسْتَفْعَل ومُفْعَل وذلك في قوله (عليه السلام): "أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا وَأُنَادِيكُمْ مَتَغَوِّثًا"^(٤) فمستصرخ ومتغوث صيغتان لاسم الفاعل، مشتقتان من الفعل (استصرخ وتغوث)، يدلان على الإلحاح في الطلب والكثرة فيه والتأكيد عليه، فالمستصرخ هو الذي يطلب النصرة مرة بعد أخرى، وكذلك المتغوث الذي يطلب الإغاثة مرة بعد أخرى، وقد اكتسبا هذا المعنى من صيغتهما

(١) ينظر: الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: 83 - 84.

(٢) ينظر: المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 193 - 196.

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 99 - 100، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية:

24 - 29.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 2 / 300.

(مُسْتَفْعِلٌ وَمُتَفَعِّلٌ)، فالكلمتان تدلان على المعاناة التي واجهها الإمام (عليه السلام) مع أصحابه، فهو يطلب النصرة والعون منهم، ولكنه لم يجد من يستمع إليه^(١).

٣ - دلالة اسم الفاعل على التجنيس:

لاسم الفاعل دلالة على التجنيس إذ يأتي على شكل ألفاظ متجانسة من حيث اللفظ مختلفة من حيث المعنى، ويحدث ذلك في صيغه متفقة أو مختلفة، وقد أشار الباحثون إلى أمثلة كثيرة من هذه الدلالة التي تسهم في اغناء الجانب الموسيقي^(٢). على أني أجد في كلام الإمام ظاهرة يمكن رصد أمثلة كثيرة لها وهي الجناس نتيجة الاختلاف في صيغة اللفظتين المتجانستين بين اسم الفاعل واسم المفعول ومن أمثلته: قوله (عليه السلام): "أَقَوْمُكُمْ غُدُوَّةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً، كَظَهَرَ الْحَنِيَّةِ عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَأَعْضَلَ الْمُقَوِّمُ"^(٣)، وقوله: في وصيته للحسن والحسين (عليه السلام): "وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا..."^(٤)، وقوله: "لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ"^(٥). وقوله: "ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى"^(٦) ولو وقف الباحثون عند هذه الأمثلة وأحصوها لوجدوا فيها ملمحا أسلوبيا، فضلا عما تؤديه من تكثيف للجانب الموسيقي والإيقاعي، فالعلاقة بين الفاعل والمفعول في بعض هذه الأمثلة تستوعب أكثر من مقوم بنائي واحد: فهي علاقة توازن وسجع وتضاد وجناس في وقت واحد.

٤ - دلالة اسم الفاعل على المفعول:

أشار إليها الباحثان هادي عبد علي هويدي وميثاق علي عبد الزهرة في قول الإمام (عليه السلام): "وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ"^(٧) يعني بالراكس هنا المركوس، وذهب الباحث م نثاق علي عبد الزهرة إلى أنها دلت على الفاعل والمفعول في الوقت نفسه^(٨)، وأشارت الباحثة رملة

(١) ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية: 27 - 28.

(٢) ينظر: نفسه: 86 - 90.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 70/7.

(٤) نفسه: 5/17.

(٥) نفسه: 347/20.

(٦) نفسه: 95 / 13 .

(٧) نفسه: 141 / 17 .

(٨) ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة: 110.

خضير مظلوم إلى ذلك بمثال واحد، وذلك في كتاب الإمام إلى عثمان بن حنيف متعجبا: " أَتَمَتَّلِيُ السَّائِمَةُ مِنْ رِغِيهَا فَتَبْرُكُ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرِيضَ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السَّيِّئِ الْمُنْتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَةِ"^(١) فالهاملة المتروكة المهملة^(٢) مستشهد بورود (مهملة) في رسائل الإمام (عليه السلام) وذلك في ذم الدنيا وأصحابها: " فَأَنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَّةٌ وَسِبَاعٌ ضَارِيَّةٌ يَهْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلُهَا وَيَفْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرُهَا نَعَمَ مُعَقَّلَةٌ وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ"^(٣).

٥ دلالة اسم الفاعل على النسب

ذكر الباحث هادي عبد علي هويدي أمثلة لدلالة اسم الفاعل على النسب، وهي مما قال به ابن أبي الحديد في شرحه منها ما ورد في قوله (عليه السلام): "اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ، سَمِعَ مَقَالَاتِنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ"^(٤) ووصف المقالة بالعادلة، أي ذات عدل، كما قالوا رجل تامر ولابن أي ذو تمر و لبن^(٥)، ومنها قوله (عليه السلام): " فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَائِلٍ وَأَكْلَةٌ لَأَكِلٍ"^(٦) والنابل ذو النبل، ومنها قوله (عليه السلام): "لَمْ يُسْهِمِ فِيهِ عَاهِرٌ وَلَا ضَرْبَ فِيهِ فَاجِرٌ"^(٧) و العاهر ذو العهر بالتحريك وهو الفجور والزناء^(٨).

٦ دلالة المجازية لاسم الفاعل:

ذكر الباحث ميثاق علي عبد الزهرة أمثلة للدلالات المجازية في اسم الفاعل، منها ما بني للفاعل وأسند للسبب، وذلك في قوله (عليه السلام): "فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ"^(٩) إذ أسند فعل

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 293 / 16.
(٢) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 217.
(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 88 / 16.
(٤) نفسه: 60 / 11.
(٥) نفسه: 60 / 11، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ابن الراوندي: 342 / 2، والمباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 196.
(٦) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 267 / 1، والمباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 196.

(٧) نفسه: 65 / 11.

(٨) نفسه: 67 / 11.

(٩) نفسه: 113 / 10.

الأمر والزجر إلى القرآن الكريم، لما كان خالقه وهو الله عز وجل أمرا زاجرا به، فجعله أمرا وزاجرا^(١).

صيغ المبالغة

عدّ الصرفيون صيغ المبالغة من المشتقات الملحقة باسم الفاعل، تأتي للدلالة على المبالغة والكثرة في الحدث المنسوب إلى الذات على وجه التغير والحدوث ، فإذا أريد تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه، حول من اسم الفاعل إلى صيغة من صيغ المبالغة ^(٢). فهذه الصيغ تدخل في باب العدول والتحويل في صيغ اسم الفاعل؛ لأنه يحوّل إليها عند قصد المبالغة في الوصف وتكثيره، ويرى باحث أن الطبيعة المزدوجة لاسم الفاعل هي التي تمنحه المرونة في العدول عنه إلى صيغ أخرى للتعبير عن مضامين أبلغ مما يظهره اسم الفاعل، فدلالته بين الفعلية والاسمية تعزز فيه إمكانية التطور والعدول ^(٣)، وقيل: إن صيغ المبالغة منقولة ^(٤)، بيد أن الباحثين علي فرحان جواد وميثاق علي عبد الزهرة لم يسلموا لهذا الرأي وذهبوا إلى أنها أصل في المبالغة ^(٥)، وتصاغ - غالبا - من الفعل الثلاثي المجرد، وقد تأتي من المزيد (أفعل) ^(٦). ذكر سيبويه بعضا من صيغها وأضاف النحاة صيغا أخرى فيما بعد، ولكل صيغة دلالتها التي تميزها عن غيرها من الصيغ الأخرى^(٧)، وذكر أن (فَعَالًا وَمِفْعَالًا) أكثر بلاغة ومعنى من (فَعُولٌ وَفَعِيلٌ) وإن هذين أكثر بلاغة ومعنى من (فَعَلٌ) استنادا إلى قولهم: زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى^(٨).

وقد رصد الباحثون صيغ المبالغة في نهج البلاغة، إلا أنهم لم يحصوها ليتبين لهم أكثرها ورودا فيه، سوى إحصاء قدمته الباحثة رملة خضير مظلوم لهذه الصيغ في الرسائل فقط، وهذه الصيغ هي:

(١) أبنية المشتقات في نهج البلاغة: 105.

(٢) ينظر المقتضب: 113/2 ، وشرح الكافية في النحو: الاسترابط: 202/2 .

(٣) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: عبد الحميد أحمد يوسف: 221.

(٤) معاني الأبنية: 108

(٥) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 113 - 116 ، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة: 31 - 33.

(٦) ينظر ارتشاف الضرب من لسان العرب: 191/3.

(٧) ينظر: الكليات: أبو البقاء العكبري: 288 / 5 .

(٨) ينظر: معاني الأبنية: 106.

١ فعيل:

قيل إنها تدل على معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كأنه خلقه في صاحبه، وطبيعة فيه ^(١) وقد أشار الباحثون إلى أن هذه الصيغة في نهج البلاغة وردت كثيرا في الصفات الإلهية، لذا لا يصدق عليها المعنى السابق فاكتفوا بالقول: إنها دلت على الذات المقدسة في هذه الأمثلة ^(٢)، وأما في غير هذه الأمثلة فقد جاءت مبالغة للفاعل والمفعول، بل إن دلالتها في المبالغة للمفعول شكل ملمحا أسلوبيا في كلامه (عليه السلام) سنيينه فيما بعد، فضلا عن اشتراكها في الصفة المشبهة.

٢ فعَّال:

هذه الصيغة كثيرة الورد في العربية ^(٣)، وقيل: إنها تدل على من اتصف بالحدث نتيجة تكرار الفعل ^(٤)، وقد أشار الباحثون إلى أن ورودها في نهج البلاغة لم يخرج عما قال به الصرفيون، بل يؤيد ذلك ويؤكد فقد وردت كثيرا بهذا المعنى، وقد اكتفى بعضهم بذكر أمثلة لها، في حين عمد آخرون إلى تحليل بعض الأمثلة التي وردت فيها ^(٥)، ومن أمثلتها قوله (عليه السلام): "إِنَّ أَبْعَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى رَجُلَانِ، رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ... حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ" ذهب الباحث هادي شندوخ حميد إلى أن هذا النص يستدعي يستدعي قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ ^(٦)، ولكن الإمام عبّر بصيغة المبالغة (حَمَّال) لقصد المبالغة في الوصف لذلك الحامل لأنقال غيره، يعضد ذلك مجيء الصيغة بهيأة التذكير لمنح المعنى قوة وتفضيماً، وكأنها صفة ملازمة له ^(٧)، فالإمام (عليه السلام) لو أراد مجرد إثبات هذه الصفة لعدل إلى اسم الفاعل فهو أثبت من الفعل، ولكنه أراد المبالغة فيها.

(١) ينظر: ينظر: معاني الأبنية: 117.

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 113، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة: 38.

(٣) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: أحمد بن فارس: 224، وشرح الشافية: 85/2، والمزهر: 243/2.

(٤) ينظر: دقائق التصريف: 78.

(٥) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 113، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة: 33، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 220.

(٦) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 1 / 283.

(٧) سورة العنكبوت: 13

(٨) ينظر: الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: 85.

٣ فَعُول:

تدل هذه الصيغة على مَنْ كثر منه الفعل ودام عليه، ويستوي فيها المذكر والمؤنث ^(١)، ورأى الباحثان علي فرحان جواد وميثاق علي عبد الزهرة أن هذه الصيغة أصل في المبالغة وليست منقولة ^(٢)، ومن أمثلتها ما جاء في قول الإمام (عليه السلام) في صفات المتقين: "فِي الزَّلَازِلِ وَقُودٌ وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ" ^٣ فهذه الصفات الواردة في النص تدل على الثبات والاستمرار ^(٤).

٤ مَفْعَال:

هذه الصيغة تدل على تكرار وقوع الحدث والمداومة عليه، بحيث يصبح كالعادة في صاحبه ^(٥) ذكر الباحثون لها أمثلة من نهج البلاغة ^(٦) منها ما ورد في كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف: " وَلَكِنْ هِيَاهُ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأُطْعَمَةِ..أَوْ أُبَيَّتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَّتِي وَأَكْبَادٌ حَرَّتِي" ^٧ إذ ذهبت الباحثة رملة خضير مظلوم إلى أن الإمام استعمل هذه الصيغة دون غيرها لقربها من دلالة النص مستشهد بما قاله شارح النهج الميرزا حبيب الله الخوئي من أن المِبْطَان: الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل، والمُبْطِن: الضامر البطن، والبطين: العظيم البطن بالخلقة، والبَطِن: الذي لا يهيمه إلا بطنه، والمبطون العليل البطن ^(٨)، فالمعاني تختلف وتتنوع باختلاف الصيغ وتنوعها، ولا يستخدم الإمام (عليه السلام) صيغة إلا لدلالاتها على معناها.

(١) ينظر: معاني الأبنية: 115.

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 114، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة: 35.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 10 / 147.

(٤) ينظر: المشتقات في نهج البلاغة: 36.

(٥) ينظر المقتضب: 114، 113 / 2.

(٦) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 115، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة: 39.

(٧) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 16 / 286.

(٨) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: 20 / 95، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 221.

٥ فَعِلْ:

هي صيغة قليلة الاستعمال، أضيفت للمبالغة^(١)، ودلالاتها لمن صار له الفعل كالعادة، أو كالخلقة، أو صار له عادة^(٢)، ولم يذكر الباحث ميثاق علي عبد الزهرة هذه الصيغة وذكرها آخرون^(٣)، ومن أمثلتها ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى قثم بن العباس: "وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِيراً بَطِيراً وَلَا عِنْدَ الْبُأْسَاءِ فَشِلاً" فالإمام يحذره من أن يكون له البطر والفشل عادة له في وقت الراحة والراحة الشدة، وذهبت الباحثة رملة خضير مظلوم إلى صحة صيغة فَعِلْ في المبالغة لأن الإمام (عليه السلام) استعملها في خمسة أمثلة في الرسائل^(٤).

وانفرد الباحث علي فرحان جواد بذكر صيغ للمبالغة وردت في نهج البلاغة هي: فُعَالٌ، وَفَعِيلٌ، وَمِفْعِيلٌ، وَمِفْعَلٌ^(٦)، واشترك معه الباحث ميثاق علي عبد الزهرة في صيغة فُعَلَةٌ^(٧)، كما اشتركت معه الباحثة رملة خضير مظلوم في صيغة فَعَالٌ^(٨).

الصفة المشبهة

وصف يصاغ للدلالة على اتصاف الذات بالحدث على وجه الثبوت والدوام^(٩)، وتكون صياغتها بكثرة من الفعل اللازم من باب (فَعِلْ)، وباب (فَعُلْ)، وتقل في نحو (فَعَلْ)^(١٠).

وذهب الباحث صباح عباس السالم إلى أن الأصل في الصفة المشبهة أنها اسم فاعل، يراد بها نسبة الحدث إلى المحدث؛ لأن تسميتها بهذا الاسم هي تسمية نحوية وليست صرفية،

(١) عمدة الصرف: 94.

(٢) ينظر: الكليات: 5 / 62، ومعاني الأبنية: 117،

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 115، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 222.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 16 / 166.

(٥) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 222.

(٦) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 116.

(٧) ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة: 40.

(٨) ينظر: ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 223.

(٩) ينظر شرح المفصل: 6 / 82، والمنهج الصوتي للبنية العربية: 117.

(١٠) شذا العرف: 75.

وبناء على ذلك فهو يرى استبعادها من مجال الصرف والاقتصار على اسم الفاعل بعد ادخال أبنيتها فيه^(١)، وذكر الباحث هادي عبد علي هويدي أن ابن أبي الحديد - في شرحه نهج البلاغة - البلاغة - ذهب هذا المذهب حيث أدخل صيغ الصفة المشبهة في اسم الفاعل، وبناء على ذلك سار الباحث على المنهج نفسه^(٢)، ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن الصفة المشبهة لا تدل على الثبوت والدوام في جميع صيغها، بل الأولى التفصيل^(٣).

وقد رصد الباحثون بعض أمثلتها في نهج البلاغة، من دون إحصاء، وبذلك لا يتسنى لنا معرفة جريان صيغها على وفق ما قال به الصرفيون في علاقتها بأفعالها إلا ما أشار إليه الباحث علي فرحان جواد من أن خاصية اللزوم على نحو الوصفية والقيام للصفة المشبهة - في الغالب - هي الدلالة الشائعة في نهج البلاغة^(٤)، ونلاحظ من الأمثلة التي أوردها الباحثون أن صيغها وردت من المتعدي واللازم، دالة على الثبوت والدوام، مع احتفاظ كل صيغة من صيغها بدلالاتها الخاصة، كما لاحظ الباحثون اشتراك الصفة المشبهة والمبالغة في صيغة (فَعِيل) الواردة كثيرا في نهج البلاغة، أما الصيغ التي رصدها الباحثون فهي متفاوتة فيما بينهم، وهي: أَفْعَل، فَعِيل، فَعَل، فَعْلَان، فَعَل، فَعُول، فَعَال، فُعَل، فُعْلَاء، فَعَل، فَعْل، ومن المزيد - التي انفرد بذكرها الباحث علي فرحان جواد - وهي صيغ اسم الفاعل، ولدلالة أمثلتها على الثبوت أوردها في الصفة المشبهة، وهي: مُفْعِل، مُفْعَل، مُفَاعِل، مُفَعَّل، مُسْتَفْعِل، مُتَفَاعِل، مُنْفَعِل^(٥).

اسم المفعول

هو وصف يدل على من وقع عليه الحدث، ويشترك من الفعل المضارع المتعدي المبني للمجهول، ويصاغ من الفعل الثلاثي المجرد الصحيح والمعتل، ومن جميع أبوابه على زنة (مَفْعُول)، وتحذف واو الصيغة إذا كان الفعل معتل العين بالواو أو الياء^(٦)، وذهب الأخفش إلى أن

(١) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: 144 - 145.

(٢) ينظر: المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 192.

(٣) ينظر: معاني الأبنية: 76 - 77.

(٤) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 92.

(٥) ينظر: المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 197 - 198، ولغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج

البلاغة: 92 - 97، وأبنية المشتقات في نهج البلاغة: 41 - 51، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 228 -

232.

(٦) ينظر: الكتاب: 4 / 348.

أن عين الكلمة هي التي تحذف وتابعة في ذلك الدكتور عبد الصبور شاهين ^(١)، ويصاغ من غير الثلاثي على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل آخره ^(٢).

أما الأفعال على زنة (افتعل وانفعل) من معتل العين من نحو (اختار وانقاد) فاسم الفاعل واسم المفعول منهما يشتركان بالصيغة نفسها فكلاهما يكون بزنة واحدة فنقول: (مُخْتَار ومُنْقَاد)، ويميّز بينهما من خلال السياق ^(٣)، وتتشابه صيغة اسم المفعول من غير الثلاثي المجرد مع اسمي الزمان والمكان والمصدر الميمي، ويبقى السياق هو الحاكم في التمييز بينها ^(٤).

ولا يشتق اسم المفعول إلا من الفعل المتعدي، فإذا أريد اشتقاقه من الفعل اللازم وجب استعمال شبه الجملة التي تؤدي وظيفة المفعول به، فيكون الفعل متعدياً بالواسطة نحو مَذْهُوب به ومُسْتَرَّاح عنده، يقول ابن يعيش: "ولا يجوز أن يبنى مفعول إلا مما يجوز أن يبنى منه يفعل لأنه جار عليه فلا نقول مقوم ولا مقعود لأنهما لازمان كما لا نقول يقام ولا يقعد إلا أن يتصل به جار ومجرور أو ظرف أو مصدر مخصص فإنه يجوز حينئذ أن تبنيه لما لم يسم فاعله" ^(٥)، وهناك صيغ أخرى غير قياسية تدل على اسم المفعول يُقتصر فيها على السماع ^(٦).

وأما دلالة اسم المفعول فيقال فيه ما قيل في اسم الفاعل في دلالاته على الحدوث والثبوت، فهو يدل على الثبوت إذا قيس بالفعل، وبدل على الحدوث إذا قيس بالصفة المشبهة ^(٧) فضلاً عن دلالاته على معان كثيرة مستمدة من صيغ أفعاله.

تناول الباحثون صيغ اسم المفعول في نهج البلاغة واجتهدوا في بيان دلالاتها، متباينين في المنهج فمنهم من اتخذ المنهج الإحصائي سبيلاً في رصد صيغ اسم المفعول، ومنهم من اتخذ المنهج التحليلي في بيان دلالاته، ولم يجر الباحثون إحصاء لصيغ اسم المفعول في نهج البلاغة

(١) ينظر: المنصف: 1 / 287، والمنهج الصوتي للبنية العربية: 116.

(٢) ينظر: شرح المفصل 80/6.

(٣) المنهج الصوتي للبنية العربية: 115.

(٤) ينظر: شرح الشافية 1/174، والمنهج الصوتي للبنية العربية 120-121.

(٥) ينظر: شرح المفصل 80/6.

(٦) ينظر: الكتاب: 43/4، والأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: 173، والمبني للمجهول في التعبير القرآني:

هاتف بريهي شياح: 16-17.

(٧) ينظر: معاني الأبنية: 59.

سوى الباحث فراس عبد الكاظم حسن فقد أشار إلى ورود اسم المفعول القياسي في نهج البلاغة (ست مئة وثلاثاً وثمانين) مرة توزعت على صيغ متعددة مشتقة من الأفعال الثلاثية وغير الثلاثية مورداً لكل نوع من أنواع الفعل الصحيح والمعتل إحصاء، مثبتاً هذه الصيغ جميعها في ملاحق^(١).

وأهم الدلالات التي أشار إليها الباحثون في نهج البلاغة لاسم المفعول - في صيغته القياسية - هي: دلالة الحدوث والثبوت والدلالة الإيحائية: ولم تختلف صيغ اسم المفعول ودلالاته المستمدة من صيغ أفعاله عن صيغ ودلالات اسم الفاعل في نهج البلاغة فلا حاجة لذكرها. وأما صيغ اسم المفعول غير القياسية فقد وردت في نهج البلاغة كثيراً وهو ما يدخل تحت مصطلح العدول والتحويل.

العدول والتحويل في صيغ اسم المفعول في نهج البلاغة

يبني مفهوم العدول أو التحويل على أساس مفاده أن لكل صيغة أصلاً قد يعدل عنه إلى غيره، فقد يؤتى مثلاً بصيغة اسم الفاعل ويراد بها اسم المفعول، أو العكس، أو يؤتى بصيغة المبالغة أو المصدر ويراد بها اسم المفعول، وبناءً على ذلك أشار الباحثون في نهج البلاغة إلى ورود صيغ كثيرة دالة على اسم المفعول على غير القياس - كما يراها الصرفيون القدامى - فهي سماعية لدى أكثر النحاة تنوب عن صيغة المفعول، وقد أشار الباحثون إلى أن ما ورد منها في نهج البلاغة: فَعِيلٌ، فَعُولٌ، فَعِيلَةٌ، فَعُلٌ، فُعُلٌ، فُعْلَةٌ، فَعَالٌ، فَاعِلٌ، فِعْلَةٌ، فَعِلَةٌ. فإذا كان الحكم بسماعية هذه الصيغ ونيايبتها نظراً لقلّة ورودها في العربية وندرته قياساً بالأصل، فإن ما جاء منها في نهج البلاغة يؤيد ذلك ويعززه عدا صيغة فَعِيلٌ وفِعْلَةٌ إذ إن هذه الصيغ جميعها قد وردت بأمتلة قليلة جداً حتى أن بعضها ورد بمثال واحد، سوى صيغتي فَعِيلٌ وفِعْلَةٌ فقد وردت عليهما أمتلة كثيرة^(٢). وهذا يؤيد ما ذكره ابن عقيل من أن بعض النحاة يرون قياسية نيابة فَعِيلٌ عن مفعول في كل فعل ليس له فَعِيلٌ بمعنى فاعل^(٣)، وأما إذا أريد بهذه الصيغ أنها تؤدي معنى

(١) ينظر: المبني للمجهول في نهج البلاغة: الملحق رقم 2: 144 - 155.

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 103 - 104، المبني للمجهول في نهج البلاغة: 56 - 64، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 224 - 226.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل: 2 / 138.

المفعول فحسب بلا زيادة في المعنى، فإن الواقع اللغوي لها في نهج البلاغة يخالف ذلك إذ حملت كل صيغة من هذه الصيغ معنى جديدا زيادة على معنى مفعول.

ويرى صباح عباس السالم أن صيغتي فعيل وفعل أصليتان لاسم المفعول وليست نائبتين، فقد احتفظت بهما العربية من الميراث السامي الأول، لكن فعيل قلّ استعمالها عن مفعول، وفعل قلّ استعمالها أكثر، وقد قوى رأيه هذا بما أحصاه من صيغتي فعيل ومفعول في ديوان امرئ القيس، إذ وردت صيغة فعيل دالة على المفعول أكثر من صيغة مفعول^(١)

ويرى الباحث علي فرحان جواد أن هذه الصيغ جاءت لتدل على اسم المفعول من غير عدول أو تحول؛ لأن اسم المفعول هو عنوان دلالي لا صرفي، لا يمنع من وجود صيغ أخرى تدل على مفعول، فضلا عن أن واقع الاستقراء يؤكد أن هذه الصيغ - وبالاتفاق - تدل على المفعول مع بقاء دلالة خاصة لكل صيغة من خلال بعض حالات الاستقراء^(٢).

لقد تنبه الباحثون إلى أن مجيء فعيل بمعنى مفعول في نهج البلاغة شكل ملمحا أسلوبيا، فذهب الباحث عبد الكريم السعداوي إلى أن "الإمام مولع في صوغ فعيل بدلا من مفعول"^(٣)، وعلى الباحثون استعمال الإمام (عليه السلام) صيغة فعيل بهذه الكثرة في كلامه لاشتمالها على معان لا تؤديها غيرها، وأظهر هذه المعاني هي المبالغة والشدة، ليدل على أن الوصف مع صاحبه على وجه الثبوت كأنه سجية في صاحبه أو طبيعة فيه^(٤)، ومن ذلك ما أشارت إليه الباحثة رملة خضير مظلوم في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: "لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيحِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ"^(٥) إذ لفتت كلمة طليق نظر الباحثة فهي فعيل بمعنى مفعول، فالطليق هو المطلق سراحه، وإنما جاء الإمام بهذه الصيغة ولم يأت بصيغة فعول لأسباب يقتضيها المعنى الذي أراده (عليه السلام) وهو ثبوت هذه الصفة لمعاوية من جهة، وتأكيد زمنها من جهة ثانية، فصيغة فعول تحتل الحال والاستقبال، ولكن (فعيلا) للماضي. فضلا عما

(١) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: 173، 178.

(٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 103.

(٣) غريب نهج البلاغة (أسبابه، أنواعه، توثيق نسبه، دراسته): عبد الكريم حسين السعداوي، وطبعت هذه الأطروحة، ط1، دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م: 263.

(٤) نفسه: 104، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 217.

(٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 15 / 117.

تحققه هذه الصيغة من انسجام صوتي في النص من شأنها التأثير في النفس ^(١). وذهب الباحث هادي عبد علي هويدي إلى أنه " ليس من السهل تحديد معنى فعيل على فاعل أو مفعول بصورة قطعية وفي جميع التعبيرات، وإنما يحدد المعنى من خلال السياق، وقد لا يكون دقيقاً، وقد يعطي الدالّتين معاً أحياناً آخر " ^(٢) ومن ثم ذكر أمثلة لصيغة فعيل بمعنى مفعول مما قال به ابن أبي الحديد في شرحه ^(٣).

ولم يقتصر العدول من صيغة المفعول إلى صيغة المبالغة (فعيل)، بل يكون العدول في صيغ اسم المفعول نفسها فيعدل من صيغة إلى أخرى وهو يريد بهذه الصيغ جميعها اسم المفعول، من ذلك ما أشارت إليه الباحثة رملة خضير مظلوم في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: "فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَغْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَيْرَةً وَمَحَجَّةً نَهْجَةً وَغَايَةً مُطْلَبَةً، يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ" ^(٤) ذهبت الباحثة إلى أن (مُطْلَبَةً) بمعنى مطلوبة صيغ اسمها من الفعل المزيد إَطْلَبَ والإمام عدل إليها ليحقق معنى الشدة والمبالغة في الطلب مؤيدة ذلك بقول شارح نهج البلاغة "مُطْلَبَةٌ بتشديد الطاء وفتح اللام أي مطلوبة جداً بناء على أن كثرة المباني تدل على كثرة المعاني" ^(٥) فالإمام كان بإمكانه أن يأتي بصيغة مفعول (مطلوب) لولا ما أراده من معنى وهو شدة الطلب ^(٦).

اسم التفضيل

وهو وصف على وزن أفعل يدل به على اشتراك شيئين في صفة وزيادة أحدهما على الآخر فيها، ويشترك من الثلاثي المجرد المتصرف التام المثبت شريطة ألا يدلّ على لون أو عيب، ولا يكون الوصف منه على أفعل فعلاء، ولا يكون مبنيًا للمفعول، وأما الأفعال التي لا تنطبق عليها الشروط المذكورة فيؤتى بلفظ أشد ونحوه للدلالة على التفضيل، وتحذف الهمزة - في الأكثر - من خير وشر، وما جاء على خلاف ذلك وصفه الصرفيون بالشذوذ ^(٧)، وقد يؤتى بالتفضيل في النقص

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 225.

(٢) المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 205.

(٣) نفسه: 206

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 6 / 16

(٥) منهاج البلاغة في شرح نهج البلاغة: ميرزا حبيب الله الخوئي: 379 / 19.

(٦) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 226.

(٧) ينظر: حاشية الصّبّان على شرح الأشموني: 62 / 3 - 65، ودقائق التصريف: 233، والمنهج الصوتي للبنية العربية: 118 - 119.

النقص ويسمى (التفضيل الناقص)، إذ يفاضل بين شيئين على كراهتهما، وقيل: إنه يدل على زيادة في النقص لا على التفضيل ^(١)، ويرد اسم التفضيل عاريا عن معنى التفضيل، وفي هذه الحالة يؤول باسم فاعل أو صفة مشبهة ^(٢)، ولاسم التفضيل بمقتضى لفظه أربع حالات، هي: المجرد من أل والإضافة، والمقترن بـ(أل)، والمضاف إلى نكرة، والمضاف إلى معرفة ^(٣).

وقد رصد الباحثون بعض أمثلته، وأشاروا إلى أنه ورد كثيرا في نهج البلاغة - من غير إحصاء - ومن النظر فيما قدمه الباحثون من أمثلة يتضح لنا أن أفعل التفضيل التي استعملها الإمام (عليه السلام) تتفق مع أقوال الصرفيين التي قالوا بها فيما بعد، فقد أخذها من الفعل الثلاثي التام المتصرف المثبت القابل للتفاوت الذي ليس الوصف منه على أفعل فعلاء، كما أنه استعمل أسلوب التفضيل بـ(أكثر أو أشد فعلا)، وحذف همزة خير وشر، مستعملا التفضيل في حالاته الأربع.

ومن أمثلته التي ورد فيها على صيغة (أفعل) ما جاء في عهده إلى مالك الأشر: "وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَنْقَلَّ عَلَى الْوَالِي مَوْنَةً فِي الرِّخَاءِ وَأَقَلَّ مَوْنَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ وَأَقَلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمُنْعِ وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلَمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ" ^(٤).

إذ لاحظت الباحثة رملة خضير مظلوم في هذا النص "أن أسماء التفضيل جاءت جميعها على (أفعل) ودلت على زيادة من أحد طرفي التفضيل على الآخر، وبناءة النص قائمة أساسا على ذلك وتطور فيه، فاستعمل (أحب، أوسط، أعم، أجمع، أنقل، أقل، أكره، أسأل، أقل، أبطأ، أضعف) كل ذلك الإكثار من اسم التفضيل هنا ليدلل على تأكيد فكرة النص من الحث على إرضاء العامة من الرعية وكسبهم ولو كان على حساب الخاصة، وتقليل شأن الخاصة لأنهم يتصفون بهذه الصفات التي نص عليها" ^(٥).

(١) ينظر: حاشية الصبان: 3: 73.

(٢) ينظر: حاشية الصبان: 3 / 72.

(٣) ينظر: نفسه: 3 / 68.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 17 / 33.

(٥) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 233.

ومن أمثلته التي حذفت فيها همزة أفعل التفضيل ما جاء في حكمه: " فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ وَ فَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ" ^(١)

ومن أمثلة التفضيل الناقص قوله (عليه السلام): " وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ، مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ " ^(٢) إذ ذهب الباحث علي فرحان جواد إلى أن الإمام فاضل بين شيئين على كراهت هما، وهما الموت بألف ضربة، والموت بغير طاعة الله، فكلاهما غير عزيز على النفس، ولكن الإمام فضل الموت بألف طعنة، وقد أطلق الباحث على هذا النوع من التفضيل اسم (التفضيل بالسلب) ^(٣)، وله أمثلة أخرى ^(٤).

ومن أمثلته التي لم يدل فيها على معنى التفضيل وإنما على صفة مشبهة ما جاء في كتابه إلى عثمان بن حنيف: "وَأَمَّا هِيَ نَفْسِي أَرَوْضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ" ^(٥) ذكرت ذكرت الباحثة رملة خضير مظلوم أنه مع وجود معنى التفضيل في (الأكبر)، إلا أنه في الأساس يشير إلى معنى الصفة (كبير) ^(٦) وذكر الباحث علي فرحان جواد أمثلة له مثل: أحوج، أذل، أصغر، أصلب ^(٧).

اسما الزمان والمكان

وهما اسمان يشتقان من الفعل المضارع للدلالة على زمان وقوع الفعل أو مكانه، وصيغتهما من الثلاثي هي: مَفْعَلٌ، وَمَفْعِلٌ، وَمَفْعُولٌ، ومن غير الثلاثي يصاغان على المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر. وبهذا يتفقان مع المصدر الميمي وأبنيته أبنيتهما، ويتفقان مع المفعول والسياق هو الذي يحدد الدلالة ^(٨).

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 149 / 18. وأبنية المشتقات في نهج البلاغة: 62.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 300 / 7.

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 107.

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 234 – 235.

(٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 208 / 16.

(٦) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 236.

(٧) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 110.

(٨) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: 120.

وقد رصد الباحث علي فرحان أمثلة اسم المكان في نهج البلاغة فوجدها قد وردت فيما يقرب من (واحد وأربعين ومئة مثال) تكرر في (مئتين وثمانية وسبعين سياقاً) ^١ في صيغ مختلفة، وقد اجتهد في تلمس دلالاته من خلال بيان المواضع التي استعمل فيها الإمام اسم المكان ومنها: بيان العاقبة والنهاية، والضعف والعجز، والنعيم والرفع ..^(٢).

وأما اسم الزمان فيرى الباحث أنه يمثل أقل ظاهرة اشتقاقية في نهج البلاغة فالإمام (عليه السلام) لم يعطه العناية التي تظهر في غيره، وعلل ذلك بأن الإمام اعتمد على الأسماء، والمسميات غير المشتقة للدلالة على الزمان أكثر من اشتقاق اسم الزمان من مواده ^(٣)، ووافقه الرأي الباحثة رملة خضير مظلوم نتيجة لما وجدته في رسائل الإمام (عليه السلام) من الاعتناء بالمسميات الدالة على الزمان وقلة اشتقاق اسم الزمان^(٤).

اسم الآلة

اسم مبدوء بميم زائدة للدلالة على ما حصل الفعل بواسطته، وله ثلاثة أوزان (مِفْعَل ومِفْعَلَة)^(٥)، وأضاف عليها المجمع اللغوي (فَعَالَة وفَعَّال وفَاعِلَة وفاعول)^(٦)، وقد أشار الباحث علي فرحان جواد إلى أن ما ورد من اسم الآلة في نهج البلاغة أكثره جامد، والمشتق منه لا يمثل عشر المادة، وقد ذكر صيغ الآلة القياسية والسماعية الواردة في نهج البلاغة، من غير إحصاء، مشيراً إلى أن وزن: فَعَال، ومِفْعَل، ومَفْعِل يعد ظاهرة في اسم الآلة^(٧).

صيغ الجموع ودلالاتها

لم أفرد لصيغ الجموع مبحثاً؛ لأن الباحثين لم يتناولوه في عموم نهج البلاغة، سوى ما ذكره الباحث هادي عبد علي هويدي مما أشار إليه ابن أبي الحديد في شرحه، وما ذكرته الباحثة رملة

(^١) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 49 هامش رقم: 3.

(^٢) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 119 – 120.

(^٣) ينظر: نفسه: 52، 122.

(^٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 237.

(^٥) ينظر: شذا العرف: 85، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: 199.

(^٦) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: 121.

(^٧) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 52، 121.

خضير مظلوم لجموع التكسير في رسائل الإمام (عليه السلام)، وما قدمه الباحث هادي شندوخ حميد من إشارة سريعة للدلالة لجموع التكسير في نهج البلاغة ^(١) وأهم ما تعرض له الباحثون في صيغ الجموع هي صيغ جموع التكسير دون غيرها.

صيغ جموع التكسير ودلالاتها

جمع التكسير هو الاسم الدال على أكثر من اثنين بصورة تغيير بصيغة واحدة لفظاً أو تقديراً، والتغيير اللفظي الذي يطرأ على مفردة حصره النحاة بستة أقسام هي: الزيادة، والنقص، وتبديل الحركات، والزيادة وتبديل الحركات، والنقص وتبديل الحركات، والزيادة والنقص وتبديل الحركات. وأما التغيير المقدر فيكون في الكلمات التي يدل بها على الواحد والجمع في الوقت نفسه، فيقدر فيها زوال حركات المفرد، أو إبدالها بحركات مشعرة بالجمع، وقد حصرها الأشموني بخمسة ألفاظ هي: فُلُك، ودَلاص، وهجان، وشمال، وعِفَتان. ولجموع التكسير سبعة وعشرون صيغة: منها أربعة موضوعة للعدد القليل، وهي الدالة على ثلاثة فأكثر إلى العشرة وقد أصطلح عليها بـ(جموع القلة)، وهي: أَفْعُل، وَأَفْعَال، وَأَفْعَلَة، وَفِعْلَة، وثلاث وعشرون صيغة للعدد الكثير، وهي الدالة على أكثر من عشرة وقد أصطلح عليها بـ(جموع الكثرة) ^(٢)، وقد سار الباحثون على هذا التقسيم في دلالة صيغ الجموع، وفي الحقيقة أن هذا التقسيم غير متفق عليه، إذ أشار النحاة أنفسهم إلى أن هذه الصيغ يستعمل كل منهما في موضع الآخر على سبيل المجاز، فقد يستغنى ببعض صيغ القلة عن صيغ الكثرة ^(٣). كما إن بعض النحويين أضاف إلى صيغ القلة صيغا أخرى، ذكر الأشموني أن: "ذهب الفراء إلى أن من جموع القلة فُعَل نحو ظُلَم، وفِعَل نحو نِعَم، وفِعْلَة نحو قِرْدَة، وذهب بعضهم إلى أن منها فَعْلَة نحو بَرَّة، نقله ابن الدهان ، وذهب أبو زيد الأنصاري أن منها أَفْعِلَاء نحو أصدقاء... والصحيح أن هذه كلها من جموع الكثرة" ^(٤)، وبناء على ذلك فضلاً عن دراسات إحصائية في الموروث العربي ، يرى الدارسون المعاصرون أن هذه

(١) ينظر: المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 213 - 225 ، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 239 - 246 ، والأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: 89 - 94.

(٢) ينظر: حاشية الصبان: 4 / 168 - 169، وأوضح المسالك على ألفية ابن مالك: ابن هشام: 4 / 307.

(٣) نفسهما.

(٤) ينظر: حاشية الصبان: 4 / 170.

الصيغ لا تدل على القلة أو الكثرة "ما لم توجد قرينة تعين أحد الأمرين" ^(١) وقد ذهب صباح عباس السالم إلى أن تقسيم دلالة صيغ الجموع حسب القلة أو الكثرة أمر لا يطابق الواقع اللغوي في استعمال العرب لها، معززا ذلك بما وجدته من هذه الصيغ في ديوان امرئ القيس، فما عدّه الصرفيون من صيغ القلة وجدته لا يدل على أدنى العدد، بل وجد أن امرئ القيس استعمل ما عدّه الصرفيون صيغ كثرة دالا بها على أدنى العدد ^(٢).

ولو أن الباحثين في نهج البلاغة رصدوا هذه الصيغ وأحصوها لوقفوا على نتائج طيبة في هذا الباب، ومن بينها معرفة صيغ جموع التكسير الأكثر استعمالا، فضلا عن الدلالة الغالبة في كل صيغة، وأرى أن موضوع صيغ الجموع في نهج البلاغة بحاجة إلى إعادة بحث بشكل أكثر تفصيلا.

وأهم ما رصده الباحثون في صيغ جموع التكسير في نهج البلاغة هو:

١ - التباين الدلالي بين صيغ جموع التكسير وصيغ الجموع السالمة التي تشترك في المفرد نفسه.

عقد الباحث هادي شندوخ حميد موازنة بين ما ورد في نهج البلاغة في بعض أمثلة جموع التكسير وما ورد من هذه الجموع نفسها ولكن بصيغة الجمع السالم في القرآن الكريم، ليتوصل إلى أن اختيار الإمام (عليه السلام) وإثاره هذه الصيغ دون غيرها إنما جاء لمقصدية دلالية أسهمت في إثراء دلالة النص، ومن ذلك ما جاء في قوله (عليه السلام): "قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَامًا لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا وَلَا يُثَبِّتُونَ بَاطِلًا" ^(٣) ذهب الباحث إلى أن هذا النص هو إشارة إلى قوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ) ^(٤) وقد أثر الإمام استعمال (حفظه) وهي على وزن (فَعْلَة) لمقصد دلالي يكمن في تخصيص هذا الصنف من الخلق وهم من الملائكة لحفظ العباد وإحصاء أعمالهم، من دون غيرهم من الخلق لأن "هذا الجمع يدل على الصنف المعين من العقلاء ويفتقر إلى معنى الحدث" ^(٥).

(١) جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية: د. عبد المنعم سيد عبد العال: 8 - 9، 29 - 30.

(٢) ينظر: الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: 233.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 10 / 113.

(٤) الانفطار: 10 - 11.

(٥) معاني الأبنية: 151، وينظر: الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: 89.

ومنه أيضا ما جاء في كلامه: " وَحَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشَّمَخِ الْبُدْخِ عَلَى أَكْتَافِهَا " ^(١) والشَّمَخُ هي صفة للجبال قد وردت في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا) ^(٢) ويلحظ التباين في صيغتي جمع شامخ ذهب الباحث إلى أن الإمام (عليه السلام) استعملها بصيغة جمع التكسير لما تدل عليه من حركة وكثرة القيام بالفعل ^(٣).

٢ - رصد أمثلة صيغ جموع التكسير وردت على غير القياس

وضع الصرفيون قواعد كثيرة لصياغة جموع التكسير، وما لم يجر على وفق هذه القواعد عدّ شاذًا، ونظرًا لكثرة هذه القواعد، كثر شواذها، فلم تخلّ قاعدة من قواعد صياغة جموع التكسير من شواذ، وقد ذكر الصرفيون شواذ كل جمع، ولكن هذا الذي سُمي شاذًا هو شائع الاستعمال كثير على الألسنة، فهو شاذ في القياس لا في الاستعمال.

وقد ذكر الباحث هادي عبد علي هويدي أمثلة لجموع التكسير وردت في نهج البلاغة على غير القياس الذي قال به الصرفيون وهي مما أشار إليه ابن أبي الحديد في شرحه، ومن هذه الأمثلة: الأباطيل، الأضاليل، محاسن، القرائن، العمَد، المقاليد، عُراق ^(٤).

٣ - رصد أمثلة من غريب جموع التكسير في نهج البلاغة

غريب جموع التكسير يدخل فيما ذكرناه قبل قليل وهو الجمع على غير القياس بيد أن الأول عام يدخل فيه كل مالم يجر على القاعدة وإن كان كثير الاستعمال، وأما الثاني فهو أخص منه يجري على ما وصف بالندرة والتفرد في الاستعمال من جموع التكسير.

وقد رصد الباحث عبد الكريم حسين السعداوي أمثلة منه وضابطته في ذلك الندرة، أو ما لم يسمع بمثله، أو ما جاز له أن يكون على صياغة مطّردة فيه، تركها الإمام وذهب إلى غيرها ممّا لم يُسمع بهذا المفرد، وذهب إلى أن الأغلب الأعمّ في غريب (الجموع) عند الإمام ما كان نادرا أو لم يسمع بمثله، ومن أمثلة ذلك: أباطيل، وأضاليل، وأعاليل، وذلك في قول الإمام (عليه السلام):

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 6 / 437.

(٢) سورة المرسلات: 27.

(٣) ينظر: الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: 90.

(٤) ينظر: المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 216 - 217.

"والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ، والدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ"^(١)، وقوله: "ما عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، ولا اسْتَرَحَّ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلٍ؛ دِفَاعُ ذِي الدِّينِ الْمُطُولِ"^(٢) ورأى الباحث أنها جمع لـ (أبطولة، وأضلولة، وأعلولة) فهي: مصادر للدلالة على أنواع مفردة من (الباطل) و(الضلال) و(العلل) وهو بذلك يخالف ابن خالويه من أنها جمع لصيغة الفاعل ويوافقه في أنها جمع لمفردتها، قال ابن خالويه: ليس لجمع (فاعل على أفعال وأفاعيل) إلا (باطل وأباطيل وأباطيل) ثم قال: "وتكون باطل جَمْعُ أبطولة"^(٣) ومن ذلك أيضا (بُطْنان، وسُهْمَان) الواردتان في قولي الإمام (عليه السلام): "وَأَسْقِنَا سَقِيًّا نَاقِعَةً مُرْوِيَةً... تُرْوِي بِهَا الْقِيْعَانَ، وَتَسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ"^(٤) و "إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ ... وإصدار السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا"^(٥) وقد استدلل الباحث على ندرة هذه الصيغة في الجمع بما قاله ابن خالويه: إنَّه ليس في كلام العرب إلا (سُلْقَان جمع سَلَق، وهي الصحراء)^(٦)، وذكر الباحث أمثلة أخرى مثل: أجنان، وهلكى، والزَّمَنَى^(٧).

٤ الدلالة على القلة أو الكثرة بحسب الصيغ التي قال بها الصرفيون فيما بعد

رصد الباحثون أمثلة لصيغ جموع التكسير دالة على القلة، وبصيغ جموع القلة التي قال بها الصرفيون فيما بعد، وأمثلة لجموع دالة على الكثرة وبصيغ جموع الكثرة، ومعنى ذلك أن دلالة هذه الصيغ جاءت متطابقة مع أقوال الصرفيين فمن أمثلة جموع الكثرة ما ورد في كلامه (عليه السلام): "وَشَكَّوَتْ إِلَيْهِ هُمُومُكَ، وَاسْتَكْشَفَتْهُ كُرُوبُكَ، وَاسْتَعْنَتْهُ عَلَى أُمُورِكَ وَسَلَّاتُهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصَحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَدْنَى لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالْدَّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ وَاسْتَمْطَرْتَ شَايِبَ رَحْمَتِهِ"^(٨) ذهبت الباحثة رملة خضير مظلوم إلى أن جميع ما ورد في هذا

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 6 / 138.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 2 / 111.

(٣) ليس في كلام العرب: ابن خالويه: 232.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 9 / 76.

(٥) نفسه: 7 / 167.

(٦) ليس في كلام العرب: 329 – 330.

(٧) ينظر: غريب نهج البلاغة: 272 – 279.

(٨) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 16 / 86.

النص من جموع دلّت على الكثرة وهي بصيغ جموع الكثرة أيضا فجاءت على (فُعُول) و(فَعَائِل) و(أفعال) و(مفاعيل) و(فعاليل)^(١).

٥ - التعبير بجموع القلة على الكثرة وبالعكس

رصدت الباحثة رملة خضير مظلوم أمثلة وردت بصيغة جمع القلة إلا أنها دلت على الكثرة وذهبت إلى أن أغلب صيغ القلة الدالة على الكثرة هي صيغة (أفعال) مستشهدا بما جاء في دعاء الإمام (عليه السلام): "اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الْأَيْدَانُ"^(٢)، مؤكدة أن كل ما ورد في هذا النص من جموع على زنة أفعال جاء بمعنى الكثرة لا القلة، وبدلا من أن تستوقف الباحثة هذه الظاهرة وتتلمس لها ما يفسرها بعيدا عن تقسيم القلة أو الكثرة، ذهبت إلى تأويل هذه الصيغة - بعد أن أثبتت دلالاتها على الكثرة من خلال السياق - بقولها "ولعله أراد التعبير عن قلة المتعبدين لله الشاكرين فضائل إنعامه مقارنة مع الطغاة والذين لا يحسبون للآخرة حسابا" ومن ثم عطفت بالقول : إن دلالة صيغ الجموع على القلة أو الكثرة هي دلالة نسبية، تنبه لها الأوائل^(٣). ولم تورد الباحثة أمثلة لصيغ الكثرة دالة على القلة.

٦ - تعدد صيغ الجمع لمفرد واحد

التفتت الباحثة رملة خضير مظلوم إلى استعمال الإمام (عليه السلام) أكثر من صيغة لجمع التكسير في المفرد الواحد، ومن ذلك: جُنْدٌ، وجُنُودٌ، وأَجْنَادٌ، وذهبت إلى أن السياق هو الذي اقتضى هذا التنوع فكل صيغة دلالاتها بلحاظ السياق الواردة فيه^(٤).

ويتضح لنا مما أورده الباحثون في صيغ جموع التكسير ودلالاتها أنها موافقة لما قال به الصرفيون فيما بعد سواء أكان ذلك في الدلالة على القلة أو الكثرة، أم في القياس أو الشذوذ.

ومن النظر فيما قدمه الباحثون من دراسات صرفية في نهج البلاغة يمكننا القول إن ما ذكرناه - من ملاحظات في المنهج والتقويم - في الفصل الأول ينطبق على هذا الفصل،

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 242.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 112 / 15.

(٣) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 244.

(٤) نفسه: 244 - 245.

فالدراسات الصرفية في نهج البلاغة اتخذت منهجا شكليا سوريا يقتفي خطى الصرفيين في دراسة هذه الصيغ من خلال استبدال أمثلتها بما ورد في نهج البلاغة، من دون دراسة التراكيب التي وضعت فيها هذه الصيغ، ونتيجة لذلك جاءت نتائج الباحثين مكررة لما قال به الصرفيون الأوائل في هذه الصيغ باستثناء إضافة دلالة جديدة أو دالتين لبعض هذه الصيغ، وأرى أن زيادة الدلالات في أي صيغة هو أمر يحكمه السياق فكلما تعددت السياقات التي ترد فيها الصيغة تعددت دلالاتها فدلالات الصيغة الصرفية غير منحصرة بما قال به أوائل الصرفيين، ولكن معظمها متوافق مع أقوالهم. إن ما قدمه الباحثون في هذه الدراسات الصرفية هو أقرب إلى المنهج التعليمي منه إلى المنهج التحليلي، لأن الغرض منه هو تلمس الشاهد على سبيل الإحصاء أو التمثيل، من دون أن يضع تفسيراً لتفاوت هذه الصيغ في الاستعمال سواء من حيث القلة أو الكثرة، أو من حيث الاشتراك في الدلالات.

وأخيراً أرى أن ما قدمه الباحثون من دراسات صرفية في نهج البلاغة يمثل جهداً كبيراً يضاف إلى ما قدمه الباحث العراقي في تعزيز هذه القواعد الصرفية وترسيخها من خلال رصد الأمثلة الكثيرة لها من نهج البلاغة .

الفصل الثالث

الدراسات النحوية

مدخل

نقتل الجملة (أو التركيب الاسنادي) نواة دراسة النحو العربي، التي من أجلها قام هذا النحو، وبها بلغ تأليف الكلام ذروته، إذ تتربط فيها الأصوات والأبنية والكلمات، لتنتج معنى مستقلاً بنفسه، يفيد السامع منه، في أقل قدر من الكلام سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر، فالجملة هي الغاية الأولى لكل نظام نحوي، إذ يعمل على كشف تراكيبها، ويحاول أن يربط بين الصورة السمعية المنطوق بها والمعنى المراد منها من خلال النظام العقلي الذي يحكمها، وبتضافر هذه الجمل يتشكل النص، الذي هو محط عناية الدارسين فهما وتحليلاً.

لقد تناول بعض الباحثين قديماً وحديثاً أهمية (النحو) في تفسير دلالة النص وبينوا ضرورة الاعتماد عليه في كشف خصائص الأساليب، لأن "دارس الأسلوب لا يمكنه التقدم في حقله ما لم يلم بالنحو بكل فروعهِ"¹، ومن هنا كانت ضرورة البحث لدى الدارسين في التقاء (النحو والدلالة) تهدف إلى أمرين: أحدهما: الكشف عن المعنى في تراثنا النحوي والبلاغي، وبيان اهتمام علمائنا القدماء به، والآخر: العودة بالنحو العربي إلى دوره الفعّال في فهم النص وكشفه، من خلال الرجوع إلى النصوص العربية القديمة الموثقة - كما فعل الأسلاف العظماء مع القرآن الكريم والشعر دواوينه ومختاراته - محاولين - قدر الإمكان - كشف دور النحو في بنائها، ومبينين ما تقوم به المعطيات النحوية في تراكيبها وترابط أجزائها، واستواء هيئتها وما تقدمه في إنتاج دلالتها وقيمة هذا الدور في تحديد الدلالة، وبذلك يرتبط النحو في الأذهان بجانب علمي نافع مفيد من جانب، وبالدلالة من جانب آخر.

وهذه المهمة في حقيقة الأمر ليست سهلة ولا ميسورة بحيث يستطيع فرد واحد أن يقوم بها وينهض بتكاليفها، ولكنها مهمة شاقة وعسيرة تحتاج إلى تكاتف جهود الباحثين المخلصين، وقد نهض عدد من باحثي جامعاتنا العراقية بأعباء هذه المهمة لإكساب النحو حياة وفاعلية، وقد وقفنا على جهد بعض هؤلاء ولاسيما دارسي نص نهج البلاغة.

فقد تناول الدارسون جوانب مختلفة في تراكيب نص نهج البلاغة عكست مناهج مختلفة وطرق متباينة في الرصد والتحليل، فتناولوا ما فيه من تراكيب لغوية تعد شاهداً على قاعدة نحوية إيجاباً بإثباتها، أو سلباً بتشذيبها أو ندرتها، وتناولوا بلاغة هذه التراكيب ودلالاتها، ولكن يظل نص

(¹) مفاهيم نقدية: رينيه ويلك: 431.

النهج وحدة تحتاج إلى تعاون هذه الجوانب المختلفة لتفسيره وشرح أبعاد تراكيبه تعتمد البناء اللغوي نفسه متعاونة غير متنافرة .

إن تعاون هذه الجوانب المتعددة أمر ضروري؛ لأنه يوقفنا على أسرار الإبداع اللغوي في هذا النص، وإني أعتقد أن قدرة النحو عظيمة، وطاقته كبيرة على إخصاب التفسير اللغوي، بعد أن يستنقذه المشتغلون من الزاوية الضيقة المظلمة التي أريد أن يقبع فيها، غفلة عن إمكاناته وقدرته على الإضاءة، والكشف والتفسير.

إن كل ما يجري على سطح الجملة المنطوق بها في نص نهج البلاغة وفي غيره يقبع تحته البناء النحوي الذي يوجه ويربط ويؤدي إلى التفاعل ويفسر. ويتعاون في هذا النص مع هذا البناء النحوي البناء الموسيقي، ويتفاعل معه؛ ومن هنا لا بد من محاولة كشف هذا التعاون الفعّال. لقد اتسقت لنا مادة هذا الفصل على ثلاثة مباحث قدمنا فيها موقف الباحث العراقي في كثير من مسائل النحو وأبوابه باعتماد نص لغوي متين.

المبحث الأول

١ - أقسام الجملة

٢ - الدلالة الزمنية للجملة

أقسام الجملة

تناول الباحثون موضوع الجملة في نهج البلاغة بشكل مستقل بحسب التقسيم الشائع للجملة الذي يعتمد الأركان الاسنادية من جهة، والنسبة التامة في طرفي الإسناد من جهة أخرى، إلا إن كل باحث قد اختار نوعاً واحداً من أقسام الجملة، مثل: الجملة الفعلية^(١)، والجملة الخبرية^(٢)، وأسلوب الشرط أو التراكيب الشرطية^(٣)، وشبه الجملة^(٤).

وقد كان للباحثين في موضوع الجملة ولاسيما في نهج البلاغة رأي بتقسيم الجملة من خلال ترجيح بعض أقوال النحويين واعتمادها منها في دراساتهم، فذهب الباحث علي عبد الفتاح محيي في دراسته للجملة الخبرية إلى "أن الجملة العربية إما أن تكون اسمية وإما أن تكون فعلية لا غير"^(٥)، في حين ذهبت الباحثة يسرى خلف سمير إلى أن الجملة الشرطية بجزأها هي جملة واحدة تعبر عن فكرة تامة واحدة، لأنها من الناحية التركيبية (الشكلية) تتألف من جملتين بسبب طبيعة العلاقة الإسنادية في كل جملة، ولكنها من ناحية المعنى هي جملة واحدة، فكل جزء من الجملة الشرطية ينزل منزلة المفرد في عدم تمام المعنى إلا بذكر الجزء الثاني، لكن العلاقة بينهما علاقة مركبة، وبسبب هذه العلاقة المركبة بين الشقين تكون الجملة الشرطية قسماً مستقلاً بذاته عن الاسمية والفعلية، ومن ثم أكدت الباحثة استقلال الجملة الشرطية عن الجملة الاسمية أو الفعلية وذلك باختلاف دلالة كل منها، إذ "إن لكل قسم من أقسام الجملة دلالة خاصة بها، فالجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث والجملة الاسمية تدل على الثبوت، أما الجملة الشرطية فتدل على (تعليق حصول مضمون جملة، هي جملة جواب الشرط بحصول مضمون جملة أخرى، هي جملة الشرط)"^(٦) ومن ثم ناقشت الباحثة ما ذكره (ابن هشام) من أن الجملة الشرطية هي من صنف الجملة الفعلية ماردة بعض الأدلة، وخلصت إلى القول: "إن الشرط أسلوب ينبني على جملة، هذه الجملة تتألف من ثلاثة عناصر (أداة وفعل وجواب) وهي جملة منفردة بنوعها يصعب

(١) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: محمود عبد حمد اللامي.

(٢) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: علي عبد الفتاح محيي الشمري، والجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية.

(٣) أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: يسرى خلف سمير ديوان السعيد، وتراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة دراسة نحوية: كريم حمزة حميدي.

(٤) ينظر: تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة: محمود عبد حمد اللامي.

(٥) الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: 6

(٦) شرح الحدود النحوية: ابن علي الفاكهي: 132

تصنيفها في حقل الجمل الفعلية، أو حتى الاسمية، وقد تأتي هذه الجملة بصور مختلفة عن صورتها الأصلية لا يمكن فهمها إلا في السياق^(١).

وعلّلت الباحثة سبب إثارة مصطلح (الأسلوب) أنها ترى الشرط هو تركيب وأسلوب في آن واحد، فهو تركيب مخصوص يؤدي أسلوباً مخصوصاً، ويمثّل جملاً من العربية مخصوصة . فالشرط تركيب؛ لأنه عبارة واحدة من حيث المعنى تضمّ في إطارها جملتين من حيث البناء التركيبي، وهاتان الجملتان يرتبط بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً فلا تكتمل دلالة أحدهما إلا بوجود الأخرى وإن قدرّت المعنى تقديراً، والشرط أسلوب من حيث تعدد أنماطه المختلفة وتنوع أدواته واختلاف دلالاتها في التركيب، واختلاف دلالة الزمن في صيغ أفعال الجملة، وما يتعرض لهذه الأنماط من صور الأساليب البيانية المختلفة كالذكر والحذف، والتقديم والتأخير . فالباحثة ترى أنّ الشرط تركيب أسلوب، يفرض التركيب النحوي هيمنته عليه بأن يكون من جملتين يتصل بعضهما ببعض بالأداة، لكنّ الأسلوب جعله يخرج من قالب واحد بسبب تعدد أنماطه وأدواته وتنوعها وبذلك جمع الشرط بين قياس علمي النحو والبيان^(٢).

وذهب الباحث كريم حمزة حميدي إلى أن الجملة الشرطية هي جملة مستقلة واحدة تنماز عن بقية أنواع الجمل الأخرى مستعينا بما قال به النحويون في ذلك ليخلص إلى القول: "والحق أنّ القول بوحدة التركيب الشرطي، واستقلاله، أمرٌ لا مفرّ منه، على الرغم من إقرارنا بتركيبه من جملتين؛ وذلك لتلازم هاتين الجملتين وشدة ارتباطهما، وعدم تأدية المعنى بأحدهما من دون ذكر الأخرى، فهما تركيبٌ واحدٌ مُستقلٌ له خصائصه وسماته التي ينماز بها"^(٣) مؤكداً في الوقت نفسه أن إثارة استعمال مصطلح (تراكيب الأسلوب الشرطي) لا ينفي عن جملة الشرط استقلاليتها عن بقية أنواع الجمل الأخرى؛ لأنّ مُصطلحاً: (الجملة)، و(التركيب) لهما دلالاتٌ مُتقاربة ، يُرادُ بها ضمُّ بعض الألفاظ إلى بعض، وغالباً ما يستعمل أحدهما عوض عن الآخر، وإنّ إثارة استعمال مُصطلح (التركيب الشرطي) لأسبابٍ ، منها: أنّ كلّ شيء مُركَّب قد يتعرّض للتقديم والتأخير، والباحث قد تناول هذا الموضوع في دراسته، كما أنه وجد أنّ مصطلح (التركيب) أفضلُ لدراسة

(١) أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: 9 - 14، 20 - 21

(٢) ينظر: نفسه: 9 - 14، 20 - 21

(٣) تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة دراسة نحوية: 11

أسلوب الشرط - من جهة الدلالة - من مصطلح الجملة، فالتركيب عموماً يُعدُّ عنصراً رئيساً في الدراسة النحوية، فالكلمات لا تتجاور إلاّ بوساطة علاقة تربط بين أجزائها^(١).

وذهب الباحث أحمد هادي زيدان إلى أن تقسيم الجمل ينبغي أن يكون على وفق المعاني التي تؤديها ونتيجة لذلك عدّ جملة الشرط جملة مستقلة ذات دلالة واحدة؛ لأنها تؤدي معنى نحويّاً لا تؤديه الجملة الاسمية أو الفعلية^(٢).

واختار الباحث محمود عبد حمد اللامي مصطلح شبه الجملة على (الظرف والجار والمجرور) من دون أن يذكر الأسباب التي دعت به إلى تفضيل هذا المصطلح على مصطلح الجملة الظرفية، ومن ثم ذكر أن مصطلح شبه الجملة لم يكن معروفاً لدى أوائل النحويين من البصريين والكوفيين وإنّ أول من استعمله هو ابن مالك (ت 672هـ) وذلك في ألفيته في الاسم الموصول وفي كتابه (التسهيل) في باب (نائب الفاعل)^(٣) ومن ثم شاع استعمال هذا المصطلح عند شراح الألفية ليأخذ مكانه في كتب النحو المتأخرة وقد ناقش الباحث أقوال النحويين في سبب تسمية الظرف والجار والمجرور بشبه الجملة وقد ضعفها جميعاً عدا ما ذهب إليه الأشموني من أن الظرف والجار والمجرور شُبِّها بالجملة لأنَّهما يعطيان معناها، لوجوب كونهما هنا متعلقين بفعل مسند إلى ضمير الموصول تقديره: (الذي استقرَّ عندك)، و(الذي استقرَّ في الدار)^(٤) فقد ذهب الباحث إلى أن هذا الرأي وجيه لأنَّهما يقعان موقع الجملة في صلة الموصول، ويمكن أن يُحمل على هذا شبه الجملة الواقعة خبراً أو حالاً أو صفةً، إذ وجد النحويون أنّ هذه الأنواع النحوية (الصلة والخبر والحال والصفة) تأتي جملاً، وتأتي مفرداً، ووجدوا الظرف والجار والمجرور يأتيان في هذه المواقع وهما لا يُمثَّلان مفرداً ولا جملةً، وقد استشهد الباحث على ذلك بقول أبي حيان الأندلسي (ت 745هـ): "والخبر مفرد وجملة هذا تقسيم الجمهور وذهب ابن السراج إلى أنّ الظرف والمجرور قسم برأسه وليس من قبيل المفرد ولا من قبيل الجملة وزعم أبو علي أنّه مذهب حسن" ^(٥)، فلما كان الظرف والجار والمجرور ليسا جملة ولا مفرداً رجح الباحث

(١) تراكييب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة دراسة نحوية: 8.

(٢) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 150، 164.

(٣) ينظر: شرح التسهيل: 77، وشبه الجملة في اللغة العربية: عبد الإله إبراهيم: 36، 39.

(٤) ينظر: شرح الأشموني: 1/ 148.

(٥) ارتشاف الضرب من لسان العرب: 2/ 45 - 46، أول من استعمل مصطلح (الجملة الظرفية) أبو علي الفارسي، ومثّل له بقوله: (البيع في السوق والخروج غداً)، ووافقه الزمخشري في استعماله مصطلح (الجملة الظرفية)، وأما ابن السراج فلم أعثر على قول له يؤيد موافقته مصطلح (الجملة الظرفية)، وإنما أطلق على الظرف

تسميته بشبه الجملة، ولكن يبقى السؤال - الذي لم يجب عنه الباحث - قائماً وهو لماذا سُمي الظرف والجار والمجرور شبه جملة ولم يُسميَا جملة؟ على أن هناك فريقاً من النحويين يؤيد الجملة الظرفية ويذهب إلى أنها قسم من أقسام الجمل الأخرى قائم برأسه ومنهم أبو علي الفارسي (ت 377هـ) والزمخشري (ت 538هـ) وابن هشام (ت 761هـ)، فالباحث سلّم أن الظرف ليس جملة من دون أن يناقش ذلك، واقتصر على مناقشة ما قيل في سبب تسميته بشبه الجملة دون غيره من المصطلحات الأخرى، فإن كان سبب ذلك - في نظر الباحث - أنهما يقعان في مواقع تستعمل فيها الجملة والمفرد على حدّ سواء مثل الخبر والحال والصفة فإن هذا الأمر يصدق على الجملة الفعلية والاسمية فكلاهما يقع في مثل هذه المواقع.

إن ما ذكره الباحث من رأي للأشموني هو في حقيقته تفسير لعدم تسمية الظرف بالجملة؛ لأنه متعلق بفعل محذوف وأظهر ما يكون ذلك في الظرف عندما يكون صلة للموصول، فالأشموني نفى أن يكون الظرف جملة؛ لتعلقه بالفعل المحذوف (استقرّ) والذي يفهم من كلامه أن اطلاق مصطلح شبه الجملة على الظرف والجار والمجرور لأنهما يؤديان معنى الجملة ولكن بشرط التعلق، وعلى هذا يكون التعلق هو السبب الرئيس الذي منع الظرف من أن يكون جملة، وهو نفسه سبب في تسميته بشبه الجملة، وهذا السبب لم يسوغه الباحث في موضع سابق عندما ناقش من يرى أن التعلق سبب في التسمية، قائلاً: "وهذا الرأي يقوم على أن سبب التسمية يعود إلى (التعلق) وأرى أن هذا السبب لا يسوغ التسمية؛ لأنّ (التعلق). وإن كان من مقومات شبه الجملة فإنّ له طرفي فمن البعيد أن يُسمى أحد الطرفين باسم الطرف الآخر لحاجته له، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن (التعلق) بحسب ما ذكر في هذا السبب يكون بالفعل لا بالجملة، فلماذا لا يُطلق عليه مصطلح (شبه الفعل) مثلاً بدلاً من شبه الجملة، وبهذا يتبين أنّ هذا السبب لا يسوغ اطلاق مصطلح (شبه الجملة)" (1). وأما ما ذهب إليه الباحث من أن السبب في التسمية ترجع إلى وقوع الظرف والجار والمجرور صلة أو خبراً أو حالاً أو صفة وأن هذه المواقع تكون جملة أو مفرداً فلا علاقة له بما ذكره الأشموني.

والجار والمجرور مصطلح (الظرف) إذ قال في أنواع الخبر: (... فقد بان من جميع ما ذكرناه أنّه قد يقع في خبر المبتدأ أحد أربعة أشياء الاسم أو الفعل أو الظرف أو الجملة)، ومثّل للظرف بقول القائل (زيّد خلفك، وعمرؤ في الدار)، وهذا يدلّ على أنّه أراد بمصطلح (الظرف) الظرف والجار والمجرور، وهو بذلك سلك سبيل المبرد في استعماله مصطلح (الظرف). ينظر: المقتضب: 1 / 19، والأصول في النحو: ابن السراج: 1 / 65، والإيضاح العسدي: أبو علي الفارسي: 37 - 48، والمفصل في علوم العربية: 53.

(1) ينظر: تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة: 10.

ويبدو لي أن الباحث وافق النحويين الذين يرون أن الظرف لا يصلح أن يكون جملة لأنه متعلق بمحذوف، وشرط (التعلق) هو الذي يجعل الظرف والجار والمجرور تامين، أي إنهما يعطيان معنى مفيداً للمتعلق به عند ذكرهما في الكلام، وهذا واضح في عنوان دراسته (تعلق شبه الجملة) ولكنه ذهب إلى أن شرط التعلق وإن منع الظرف (الظرف والجار والمجرور) من أن يكون جملة إلا أنه لا يصلح أن يكون تفسيراً لتسميتهما بشبه الجملة، وما ذكره الباحث من سبب في التسمية محل نظر لأنه يصدق على الجملة الفعلية والاسمية على حد سواء.

إن إبعاد الظرف عن مصطلح الجملة وإصاقه بمصطلح شبه الجملة - عند الباحث - قائم على أساس شكلي لا علاقة له بالمعنى إطلاقاً؛ لأن الباحث ذكر في غير مرة أن الظرف يقوم مقام الجملة في مواقع كثيرة ويؤدي معنى لا تؤديه الجمل الأخرى (الفعلية والاسمية) فهو - غالباً - يدل على الزمان أو المكان.

إن ما قدمه الباحثون من آراء في أقسام الجملة من ترجيح رأي على رأي آخر عكس الخلاف النحوي في أقسام الجملة وهو خلاف قائم على أساس الشكل والمضمون إذ تجلّى هذا الخلاف بشكل أكثر وضوحاً في طبيعة منهج الدراسة عند الباحثين أنفسهم، فمن درس الجملة العربية في نهج البلاغة من الناحية الشكلية بعيداً عن المضمون أو المعنى الذي تؤديه رجّح القول في ثنائية الجملة العربية بين الفعلية والاسمية، وهو ما نراه عند الباحث علي عبد الفتاح محيي في دراسته الجملة خبرية من الناحية النحوية الشكلية فقط، إذ قام تقسيمه على الأساس النحوي الذي يميز بين الجملة الاسمية والفعلية من خلال الشكل ولا علاقة له بالمدلول التركيبي، فالجملة المصدرة بالاسم: اسمية، والجملة المصدرة بالفعل: فعلية. كما نجده أيضاً عند الباحث فراس عبد الكاظم حسن في دراسته الجملة الفعلية المبنية للمجهول، في حين أن الباحثين الآخرين الذين تناولوا المعاني النحوية لهذه الجمل لم يسلّموا بثنائية الجملة لأنهم وجدوا أن كل نوع من أنواع الجمل له دلالة خاصة على المعنى يختلف عما تؤديه الجمل الأخرى فلذلك ذهبوا إلى أن الشرط جملة مستقلة واحدة لها دلالة مخصوصة لا تؤديها الجملة الفعلية أو الاسمية.

وفي الحقيقة أن أقسام الجملة العربية لا تنحصر فيما قدمه الباحثون في نهج البلاغة،

فالجملة تقسم على عدة أقسام وكل قسم من هذه الأقسام يكون بحسب معنى من المعاني:

- ١ - تقسم الجملة بحسب نقصان الفائدة وتماها على: الجملة الناقصة، والجملة التامة.
- ٢ - تقسم الجملة بحسب أركانها الإسنادية على: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والجملة الشرطية، والجملة الظرفية.
- ٣ - تقسم الجملة التامة بأنواعها جميعا بحسب النسبة التامة في طرفي الاسناد على: الجملة الخبرية، والجملة الإنشائية، فإذا كان لهذه النسبة حقيقة ثابتة في ذاتها فهي جملة خبرية، وإذا لم يكن للنسبة التامة حقيقة ثابتة فهي جملة إنشائية وهي الجملة المشتملة على الأساليب (الأمر أو النهي، أو الاستفهام، أو النداء، أو الدعاء، أو العرض، أو التحضيض، أو التمني، أو الترجي، أو القسم، أو المدح، أو الذم وأمثالهما).
- ٤ - تقسم الجملة بحسب الحالة الإعرابية على: الجملة التي لها محل من الإعراب، والجملة التي لا محل لها من الإعراب^(١)
- ٥ - تقسم الجملة بحسب الطول أو القصر على: الجملة الصغرى والجملة الكبرى^(٢).

ونلاحظ من ذلك أن الباحثين دارسي نهج البلاغة لم يتناولوا أنواع الجملة إلا من خلال تقسيم اثنين هما: تقسيم الجملة بحسب أركانها الاسنادية، وتقسيم الجملة التامة بأنواعها جميعا بحسب النسبة التامة في طرفي الإسناد (الخبرية والإنشائية)، وقد اختلف النحويون في تقسيم الجملة العربية في هذه الأقسام جميعا فعلى سبيل المثال تقسيم الجملة بحسب أركانها الاسنادية عند أبي علي الفارسي والزمخشري أربعة أنواع: اسمية وفعلية وشرطية وظرفية^(٣)، وهي عند ابن هشام ثلاثة أنواع: اسمية وفعلية وظرفية منكر استقلال الجملة الشرطية عند الزمخشري عن الجملة الفعلية^(٤)، والشائع عند النحويين أنها نوعان: اسمية وفعلية فقط من خلال ادخال الجملة الشرطية في الجملة الفعلية لأنها مركبة من جملتين فعليتين، وادخال الجملة الظرفية بحسب ما يتضمنه الظرف فإن تضمن معنى الفعل فهي فعلية، سواء كان الظرف معتمدا على نفي أو استفهام - كما اشترط البصريون - أو غير معتمد كما يرى الكوفيون، وإن كان الظرف غير معتمد ولا متضمنا معنى الفعل فهي اسمية من قبيل الجملة الاسمية التي

(١) ينظر: مغني اللبيب: ابن هشام: 2 / 500، 559.

(٢) بنظر: نفسه: 497 - 500.

(٣) ينظر: المسائل العسكرية في النحو العربي: أبو علي النحوي: 37، والمفصل: 24.

(٤) ينظر: مغني اللبيب: 2: 492.

تأخر فيها المبتدأ وأخبر عنه بالظرف أو بالجار والمجرور^(١). وكما اختلف النحاة في أنواع الجمل كذلك اختلفوا في حدّ النوعين الشائعين الاسمية والفعلية - ولاسيما في الجملة التي تصدرها المسند إليه والمسند فعل نحو (زيدٌ قام) فهي عند البصريين جملة اسمية، وعند الكوفيين جملة فعلية^(٢)، وقد ذهب مذهب البصريين في رأيهم هذا أغلب الباحثين في نهج البلاغة منهم علي عبد الفتاح محيي^(٣)، وعبد الكاظم جبر عبود^(٤)، وسمير داوود سلمان^(٥)، ورافد ناجي وادي^(٦)، وممن رجح رأي رأي الكوفيين الباحث محمود عبد حمد^(٧)، وحسن هادي نور^(٨).

إن إشكالية الشكل والمضمون في تقسيم الجملة التي بدت واضحة في الخلاف النحوي القديم وانعكست آثارها على الباحثين دارسي النهج، قد تناولها - قبل ذلك - عبد القاهر الجرجاني حين نظر إلى تقسيم الجملة من زاويتين اعتمدت إحداها شكل الجملة، في حين اعتمدت الأخرى ما يكمن وراء ذلك الشكل من معنى، أي أنّ التركيب (الجملة) عند عبد القاهر قد صار عنصراً ذا دلالة على المعنى، وقد اتضح ذلك عند الجرجاني في تفريقه بين نظمي الحروف والكلمات إذ قال: "نظم الحروف تواليها في النطق وليس نظمها بمقتضى عن معنى... وأمّا نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك؛ تقتفي في نظمها آثار المعاني، وتربّتها على حسب ترتب المعاني في النفس. فهو إذن نظم يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واثقاً"^(٩) فالمعاني التي مصدرها النفس تتحكم في ترتيب الكلمات داخل ذلك النسيج التركيبي المسمى (جملة)، وهذا ما يجعل ذلك النسيج دالاً على تلك المعاني، لذلك تنتوّع الجمل تبعاً لنتوّع معانيها.

(١) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي: 51، والبحث النحوي عند الأصوليين: د. مصطفى جمال الدين: 248.

(٢) ينظر: همع الهوامع شرح جمع الجوامع: السيوطي: 159 / 1 - 160.

(٣) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: 17.

(٤) ينظر: أسلوب النفي في نهج البلاغة: عبد الكاظم جبر عبود: 13.

(٥) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 97.

(٦) ينظر: التقديم والتأخير في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: رافد ناجي وادي: 23.

(٧) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 9.

(٨) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 82، والظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية: 31.

(٩) دلائل الإعجاز: الجرجاني: 49.

إن تقسيم الجملة على أساس المعنى أظهر ما يكون عليه فيما قاله الجرجاني في جملة الشرط وذلك في (باب جعل الجملتين بمنزلة جملة واحدة)، إذ قال: "وَوِزَانُ هَذَا أَنَّ الشَّرْطَ وَالْجُزْأَ جُمْلَتَانِ. وَلَكِنَّا نَقُولُ إِنَّ حُكْمَهُمَا حُكْمُ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ حَيْثُ دَخَلَ فِي الْكَلَامِ مَعْنَى يَرْبِطُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، حَتَّى صَارَتِ الْجُمْلَةُ لَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْاسْمِ الْمَفْرَدِ فِي امْتِنَاعِ أَنْ تَحْصَلَ بِهِ الْفَائِدَةُ. فَلَوْ قُلْتُ: (إِنْ تَأْتِي) وَسَكَتَ، لَمْ تَقَدْ، كَمَا لَا تُفِيدُ إِذَا قُلْتُ: زَيْدٌ وَسَكَتَ"^(١).

فالجرجاني لاحظ أن الشرط يتكون من جملتين ولكن الفائدة لا تحصل إلا بهما معا فجملتا الشرط تؤديان معنى واحدا، ولذا يكون حكمهما حكم الجملة الواحدة، فكل جملة من جملتي الشرط هي بمثابة المفرد في الجملة الاسمية أو الفعلية، وكما أن المفرد بحاجة إلى غيره حتى يكون معه جملة تامة، كذلك التركيب الشرطي لا يستقل بركن واحد من ركنيه.

ومن ذلك نتبين أن السبب الذي دعا أبا علي الفارسي، والزمخشري إلى عد التركيب الشرطي جملة واحدة مستقلة، هو أن الفائدة لا تتم إلا ب اجتماع جملتي الشرط والجواب، فتؤديان معنى خاصا يقصده المتكلم لا تؤديه الجملة الاسمية أو الفعلية .

وممن لاحظ خصوصية المعنى الذي تؤديه جملة الشرط وذهب إلى أنها جملة واحدة، الزركشي (ت794هـ)؛ إذ لاحظ ما تحدثه الأداة من ربط بين الجملتين، قائلا: "المجازة إنما تتعقد بين جملتين: أولاهما فعلية، لثلاثم الشرط ... وثانيهما قد تكون اسمية، وقد تكون فعلية جازمة، وغير جازمة، أو ظرفية أو شرطية ... فإذا جمع بينها وبين الشرط اتحدتا جملة واحدة ... فإذا انحل الرباط الواصل بين طرفي المجازة عاد الكلام جملتين كما كان"^(٢).

وممن اعتمد المعنى في تقسيم الجملة من المحدثين الدكتور مهدي المخزومي حينما عد التركيب الشرطي جملة واحدة، بقوله: "ليست جملة الشرط جملتين إلا بالنظر العقلي، والتحليل المنطقي. أما بالنظر اللغوي فعبارتا الشرط والجزاء جملة واحدة، وتعبير لا يقبل الانشطار؛ لأن الجزئين المعقولين فيها، إنما يعبران معا عن فكرة واحدة، لأنك إذا اقتصرت على واحدة منهما أخللت بالإفصاح عما يجول في ذهنك، وقصرت عن نقل ما يجول فيه إلى ذهن السامع"^(٣).

(١) أسرار البلاغة: الجرجاني: 111.

(٢) البرهان في علوم القرآن: 2 / 351 - 352.

(٣) في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي: 309.

إن اعتماد المعنى في تقسيم الجملة انعكس على تعريف الجملة نفسها ولذا نجدُ بعضَ النحويين يُعرِّفُ الجملةَ بأنَّها: (اللفظُ المفيدُ فائدة يحسن السكوت عليه) وفي ذلك ينحصر حدُّ الجملة بالفائدة التي تؤديها وهو المعنى التام الذي قصده المتكلم منها.

وربط الجملة بالفائدة المتحققة منها يجعلها هي والكلام بمعنى واحد فكلاهما يدل على فائدة يحسن السكوت عليها وممن ذهب إلى ذلك ابن جني بقوله: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو: "زيدٌ أخوكَ وقامَ محمدٌ" ^(١) وفي موضع آخر يقول: "الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها" ^(٢)، وتابعه في ذلك الزمخشري وابن يعيش (ت 643هـ) بقولهما: "الكلام هو المركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى ... ويسمى الجملة" ^(٣).

ومن نظر إلى الجملة لا بشرط الإفادة وإنما بشرط الإسناد – أي اعتماد الشكل في بناء الجملة لا المعنى – ذهب إلى أن الجملة والكلام مصطلحان مختلفان، وهذا الرأي هو الذي عليه جمهور النحاة، وقد أشار ابن هشام إلى الفرق بينهما بقوله: "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد: ما دلَّ على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ "قامَ زيدٌ"، والمبتدأ وخبره كـ "زيدٌ قائمٌ"، وبهذا يظهر لك أنَّهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس ... والصواب أنَّها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعونهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام" ^(٤) فابن هشام جعل الجملة أعم من الكلام لأنَّ شرط الكلام أن يكون مفيداً، ولم يشترط الإفادة في الجملة وإنما اشترط الإسناد.

وذهب الرضي (ت 686هـ) إلى ما ذهب إليه ابن هشام بقوله: "فالاسمان يكونان كلاماً لكون أحدهما مسنداً والآخر مسنداً إليه، وكذا الاسم مع الفعل لكون الفعل مسنداً والاسم مسنداً إليه، والاسم مع الحرف لا يكون كلاماً إذ لو جعلت الاسم مسنداً فلا مسند إليه، ولو جعلته مسنداً إليه فلا مسند. وأمّا نحو "يا زيدُ فسُدَّ" يا "مسد" دعوت" الإنشائي والفعل مع الفعل أو الحرف لا يكون

(١) الخصائص : 17/1

(٢) نفسه : 19/1

(٣) شرح المفصل : 18/1

(٤) مغني اللبيب : 490/2

كلاماً لعدم المسند إليه. وأمّا الحرف مع الحرف فلا مسند فيهما ولا مسند إليه" ^(١) فالرضي جعل الكلام مرتبطاً بالإسناد.

ومن المحدثين من حد الجملة بناء على ما تؤديه من معنى مستقل، ولكنه - في الوقت نفسه - فرق بينها وبين الكلام فيرى الدكتور إبراهيم أنيس أنّ الكلام أعم من الجملة، بقوله: "الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر" ^(٢) وتابعه في ذلك الدكتور المخزومي إذ يرى أنّ "الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أنّ صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزائها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع" ^(٣) فجعل (المخزومي) الجملة أخص من الكلام ، لكنه بيّن أنّ للجملة أهمية كبرى تكمن في التعبير والإفصاح والتفاهم، فمتى تمّ المعنى أصبح النشاط اللغوي جملة، وهو ما ذهب إليه الدكتور خليل أحمد عمايرة ^(٤)، وأرى صواب ذلك لأن الكلام والجملة وإن اتفقا في حدّهما إذ كلاهما يدل على معنى يحسن السكوت عليه، إلا أن الكلام أعم من الجملة لأنه يتألف من عدد من الجمل للوصول إلى معنى أعم مما في الجملة وأشمل.

إن الحديث عن الجملة وأقسامها وعلاقتها بالكلام حديث طويل اشتملت عليه جل المدونات النحوية ولست هنا بمعرض التفصيل فيه ولكنني تعرضت إليه بالقدر الذي أريد أن أبين فيه أن ما ذهب إليه الباحثون في نهج البلاغة - ولاسيما في أقسام الجملة - يمثل امتداداً للخلاف النحوي جسده الباحثون في مناهج دراستهم المتباينة بين الشكل والمضمون.

ولكن يبقى هذا المنهج في تقسيم الجملة سواء اعتمد العناصر الشكلية المكونة لأبنية اللغة للوصول إلى المعنى، أو اعتمد المعنى في الوصول إلى النظام اللغوي، أي الوحدات التركيبية النظامية التي تستعملها اللغة في بناء أنماطها التركيبية على مستوى النحو، هو منهج تقليدي قائم على مزج المقاييس الشكلية مع المقاييس المعنوية و الفلسفية.

(١) شرح الكافية : 34/1

(٢) من أسرار اللغة : 236

(٣) في النحو العربي - نقد وتوجيه : 35

(٤) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق: د. خليل عمايرة: 77- 78.

فهناك مناهج أخرى لتقسيم الجملة - ولاسيما في الدراسات الحديثة - منها ما اعتمده أصحاب المدرسة التركيبية وهو منهج يعتمد على المدرسة السلوكية في علم النفس فاللغة على حدّ زعم التركيبية وأنصار المدرسة التركيبية هي عبارة عن عادات سلوكية تتشكل مع الزمن عند الفرد ضمن المجموعة اللغوية، بحيث تنشأ علاقات شرطية ما بين مثير معين واستجابة لغوية سلوكية^(١).

ونظرا لصعوبة تحديد المثير الذي جعل المتحدث يستعمل نمطا معيناً من الجمل إلا في حال ظروف متحكم بها، ركّز التركيبيون على استجابة السامع لأنماط الجمل المختلفة وفي ضوء هذه الاستجابة يتم تحديد نوع الجملة، فإذا كانت استجابة السامع للجملة عملاً، فإن الجملة تكون طلبية أو أمرية، وإذا كانت استجابته كلاماً، فإن الجملة تكون كلامية سؤالية، وإذا كانت استجابته إشارات مثل نعم، وواضح، وتمام، فإن الجملة تكون تقريرية ولكن يبقى هذا التقسيم القائم على أساس استجابة السامع للجملة يميز بين نوعين من الجمل فقط وهما الخبرية والإنشائية، ولم يحدد أنواع الجمل الخبرية. وعلى ذلك فقد ركزت المدرسة التركيبية على الظاهرة اللغوية من حيث هي ظاهرة شكلية مادية سلوكية اجتماعية، ولم تهتم بالصفة العقلانية للغة الإنسانية.

وقد اتبع الدكتور خليل أحمد عمايرة منهجاً آخر لتقسيم الجملة العربية نظراً لما وجده من تداخل واضطراب في تقسيم الجملة عند النحويين فأراد أن يعتمد الشكل والمضمون معاً في تقسيم الجملة فاستوحى من نظرية تشومسكي في النحو مع بعض التعديلات عليها تقسيم الجملة على قسمين: الجملة التوليدية والجملة التحويلية، واشترط في الجملة التوليدية أو المنتجة - وهي التي تؤدي معنى إنسانياً بسيطاً، وتخلو من أي عنصر يضيف إليها معنى زائد - على المعنى البسيط الأصلي - أن تسير على نمط من أنماط البناء الجملي في اللغة العربية، فهي توليدية يتفرع منها شقان: أحدهما يسميه الجملة التوليدية الاسمية، وله أطر حصر أهمها في:

أ - اسم معرفة + اسم نكرة

ب - اسم استفهام + اسم معرفة

ت - شبه جملة (ظرفية أو جار ومجرور) + اسم نكرة

والثاني: يسميه الجملة الفعلية، وله أطر حصر أهمها في:

(١) ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: 63.

أ - فعل + اسم (أو ما يسد مسده ظاهرا أو مستترا كما في فعل الأمر)

ب - فعل + اسم + اسم، (أو اسم مقترن بحرف الجر)

ولكن هذه الأطر قد يجري في مبانيها تغيير فيترتب على ذلك تغيير في المعنى وانتقال في تسمية الجملة، فتصبح الجملة جملة تحويلية في معناها اسمية أو فعلية في مبناها^(١). فالجملة التوليدية اسمية كانت أو فعلية لا تركيز فيها على أي جزء من أجزاء المعنى، وهدفها نقل الخبر من صورته الذهنية في ذهن المتكلم إلى صورة (فونولوجية) منطوقة تقع على سمع السامع فيدرك المطلوب منها وهو الإخبار لا غير، والجملة التحويلية اسمية كانت أو فعلية هي التي يقصد فيها المتكلم نقل الخبر بتركيز على جزء من أجزائه، ولإظهار عنايته واهتمامه به، فإنه يستخدم عنصرا من عناصر التحويل وهي: الترتيب (التقديم والتأخير)، والزيادة، والحذف، والحركة الإعرابية، والنبر... إلى غير ذلك، فيدرك السامع المعنى الجديد^(٢).

لقد لاقى هذا المنهج في تقسيم الجملة استحسانا وقبولا من بعض الباحثين المتخصصين في علوم العربية ومن بينهم الدكتور نعمة رحيم العزاوي (رحمه الله) قائلا بعد عرض هذا المنهج: "والحق إن اتباع هذا المنهج في تحليل الجملة العربية يزيدنا فهما للمعنى الذي قصده المتكلم، ويقفنا على عناصر الجملة، ووظيفة كل كلمة فيها، ولذا نراه البديل لما درجنا عليه من تحليل يسمونه (الإعراب) ... ففي ظل المنهج التحويلي المشار إليه تتبدل النظرة إلى الكلمة، فبدلا من أن نبحث لها عن عامل أو معمول، أو نتلمس لها حركة ظاهرة أو مقدرة، نحاول أن نفهم دورها في معنى الجملة، وأثرها في نقل ذلك المعنى من حال إلى حال"^(٣) ومن ثم أردف قائلا: "إن التحليل القائم على التوليد والتحليل أجدى في فهم الجملة العربية وإدراك عناصرها الأساسية والمزيدة، والمعنى الذي أدته العناصر المزيدة، وهو في ظني أقرب إلى مدارك المتعلمين، وأدنى إلى أذواقهم"^(٤) وإن كنت أرى أن ما قدمه الدكتور خليل عمايرة من تقسيم للجملة لا يمكن وصفه بالمنهج الحديث بالمطلق، لأن هذا التقسيم له ما يناظره في تراثنا النحوي القديم لا على مستوى

(١) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: 87 - 88.

(٢) نفسه: 94، وينظر: في التحليل اللغوي: 87 - 97، والمسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي: 138 - 139.

(٣) مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: د. نعمة رحيم العزاوي: 203.

(٤) نفسه: 203.

تقسيم الجملة فحسب بل على مستوى اللفظ المفرد أيضا، ولعلّي لا آتي بجديد في ذلك، فقد نبه الدكتور نعمة رحيم العزاوي إلى مفاهيم كثيرة غلبت على تفكير النحاة العرب كانت ذات صفة منهجية تحويلية^(١)، كما نبه عليها غيره^(٢). وقد أفرد أحد الباحثين دراسة مستقلة لهذا الموضوع^(٣).

(١) ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: د. نعمة رحيم العزاوي: 94 – 96.
(٢) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: د. علي زوين: 47 – 48، وابن جني عالم العربية: د. حسام سعيد النعيمي: 178 – 180.
(٣) ينظر: نظرية النحو التوليدي التحويلي في الدراسات اللسانية العربية: كريم عبيد عليوي.

الدلالة الزمنية للجملة

ربط النحويون بين صيغ الفعل والزمان، ولَمَّا كان الزمان ثلاثة: ماضٍ، وحاضر، ومستقبل، كانت الأفعال كذلك، وقد وُجِّهَ لرأي النحويين في ربط الزمن بصيغة الفعل اعتراضان: الأول: أنهم أهملوا المجالات الزمنية التي يتضمنها الزمن الواحد، فالماضي مثلاً لا يعرف في أي زمان من الماضي، فهو يصدق على حدث مضى قبل لحظات، وعلى آخر مضى عليه زمان طويل، وهذا الأمر يبعث على قلة ضبط الأزمنة في النحو العربي^(١).

الثاني: أن النحويين قد خصصوا كل صيغة من صيغ الفعل بزمان معين، ولكن هناك الكثير من العبارات التي تخالف هذا التخصيص، فقد قصروا الفعل الماضي على الزمن الماضي، ولكن واقعه في الاستعمال يخالف ذلك فقد يدل على الحال أو الاستقبال أو قد يتجرد من الزمان، وكذلك الفعل المضارع^(٢).

وصفوة القول أن النحويين استصحبوا زمن الجملة الأصل، وأغفلوا الزمن النحوي مما دفع الكثير من الباحثين المحدثين أن يتصدوا لهذه المسألة، بين الإنكار على النحاة أو الدفاع عنهم، ومنهم الدكتور تمام حسان الذي خلص إلى أن " النحاة لم يحسنوا النظر في تقسيمات الزمن في السياق العربي، إذ كان عليهم أن يدركوا طبيعة الفرق بين مفردات النظام ومطالب السياق ... وما دام الزمن النحوي وظيفة في السياق يؤديها الفعل والصفة الخ، فلا بد أن تلعب القرائن الحالية والمقالية دورها كاملاً في تحديد هذا الزمن " ^(٣)، وقد أكد هذا المعنى كلُّ من الدكتور الساقى ^(٤) والدكتور النحاس ^(٥) والدكتور المخزومي ^(٦)، وقد ذهب إلى ذلك من قبل الدكتور محمود فهمي حجازي ^(٧) والدكتور إبراهيم أنيس ^(٨)، وممن عنوا بهذه المسألة كثيراً الدكتور كمال إبراهيم بدري ^(٩) بدري ^(٩) والدكتور علي جابر المنصوري ^(١٠) وغيرهم.

(١) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: 145، ودراسات في اللغة: د. إبراهيم السامرائي: 43.

(٢) ينظر: نفسه: 144.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان: 242-245.

(٤) ينظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: د. فاضل مصطفى الساقى: 108.

(٥) ينظر: دراسات في الأدوات النحوية: د. مصطفى النحاس: 38-39.

(٦) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: 143-154.

(٧) ينظر: علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارنة: د. محمود فهمي حجازي: 146.

(٨) ينظر: من أسرار اللغة: 172-175.

(٩) ينظر: الزمن في النحو العربي: د. كمال إبراهيم بدري.

(١٠) ينظر: الدلالة الزمنية للجملة العربية: د. علي جابر المنصوري.

ونتيجة لذلك اتجه الدرس اللغوي الحديث - وهو يراعي الزمن النحوي - إلى الربط بين الزمن الصرفي وسياقات الجمل ودلالاتها بحسب القرائن المقيدة لإطلاق الفعل، سواء أكانت القرائن مقالبة أم حالبة. وبناء على ذلك سننظر في ما قدمه الباحثون في نهج البلاغة لتأييد هذه المسألة . فقد تناول عدد من الباحثين الدلالة الزمنية للجملة في نهج البلاغة ومنهم محمود عبد حمد اللامي إذ عقد مبحثاً في رسالته لبيان هذه الدلالة في الجمل الفعلية، مقسماً هذه الجمل إلى ماضوية ومضارعية وأمرية^(١)، فلاحظ أن صيغة الماضي غالباً ما تستعمل في الزمان الماضي وقد قد قسمه إلى ماض مطلق أو منقطع أو قريب أو مستمر، كما تدل أيضاً على زمان الاستقبال نتيجة وجود قرائن لفظية أو حالبة بينها، ولاحظ أيضاً أن صيغة الماضي قد لا تدل على زمن محدد فتكون الجملة الماضوية مطلقة الزمن تصلح لجميع الأزمنة (الماضي، والحاضر، والمستقبل) وقد مثل لذلك كله.

وأما صيغة المضارع فقد قسم دلالتها الزمنية على الزمان الماضي والحاضر والمستقبل، والمطلق الذي لم يحدد بزمان خاص معتمداً في ذلك كله على السياق، ممثلاً لكل قسم من هذه الأقسام بمجموعة من الأمثلة.

وأما صيغة الأمر التي هي محل خلاف بين النحويين في دلالتها الزمنية سواء أكان ذلك من حيث الدلالة على الزمان الحاضر أم المستقبل أو الجمع بينهما أم من حيث تجردها من الدلالة الزمنية، فقد أكد الباحث أنها صيغة فعل، وذهب إلى "أن القول بتجردها عن الزمان فيه نظر؛ لأن الدلالة الزمانية هي من مقومات الأفعال"^(٢) وأضاف أيضاً أن فعل الأمر "لا بد من أن يدل على زمان ولكن دلالاته الزمنية ليست وضعية وإنما هي التزامية، أي أن الفعل لا بد من أن يدل على حدث، ويلزم أن يكون لهذا الحدث زمان، أو يكون الزمان من مستلزماته"^(٣). ووجد أن الدلالة الزمانية الغالبة للجملة الأمرية هي الاستقبال، ولكن هذا لم يمنع من أن يتلمس لها دلالات زمانية أخرى حددها السياق، وهي زمان الماضي، والحاضر، ممثلاً لكل دلالة بأمثلة من نهج البلاغة، إذ لم يجد هذه الصيغة مجردة من الزمان إلا في مثال واحد^(٤).

(١) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة: 63 - 102

(٢) الجملة الفعلية في نهج البلاغة: 97.

(٣) نفسه: 97.

(٤) ينظر: نفسه: 98 - 102

وأقرَّ الباحث سمير داوود سلمان بدلالة الصيغ الفعلية على الزمان مؤكداً في الوقت نفسه أن السياق هو الذي يحدد هذه الدلالات فصيغة الماضي تنصرف إلى الاستقبال، والاستمرار، والأمر، وكذلك صيغة المضارع، وأما صيغة الأمر فيرى أنها دالة على الزمان ولكنها "تعرف عن طريق السياق وتركيب الجملة"^(١).

وخصص الباحث عبد الكاظم جبر عبود فصلاً من رسالته لبحث الدلالة الزمنية للجملة المنفية، مقسماً هذه الجمل بحسب أدوات النفي الداخلة عليها، ومؤكداً في الوقت نفسه أن السياق هو الذي يحدد الدلالة الزمنية لهذه الجمل، وهذا السياق "لا يتحدد بقيود ضيقة، فهو يعني كل الظروف والملايسات التي تلم بالنص، سواء كان ذلك متصلاً بالمتحدث أم المخاطب أم البيئة أم المناسبة"^(٢)، ولم يختلف عن سابقه في تقسيم الزمن الماضي إلى المطلق، والمنقطع، والقريب، وزاد عليه الماضي المتصل بالحاضر، ذاكر زمان المستقبل، والزمان المنقطع، ممثلاً لهذه الأقسام جميعاً^(٣).

وأكد الباحث أحمد هادي زيدان أن السياق هو الذي يحدد الدلالة الزمنية لأدوات النفي فهي غير مختصة بدلالة زمنية واحد، فقد لاحظ أن أداة النفي الواحدة تدل دلالات زمنية مختلفة تبعاً للسياق الذي وضعت فيه، ومن ثم عرض الدلالات الزمنية التي خرجت إليها كل أداة من أدوات النفي بعد استقراء سياقاتها المختلفة^(٤).

وأقرَّت الباحثة يسرى خلف سمير الدلالة الزمنية للجملة الشرطية بعد أن ذكرت أقوال النحويين القدامى والمحدثين في دلالة الشرط على الزمن من عدمه، مشيرة إلى أن التركيب الشرطي في نهج البلاغة وإن غلبت عليه دلالة زمان الاستقبال، - بغض النظر عن الصيغ الفعلية الواردة فيه سواء أكانت ماضية أم مضارعة - إلا أنه لم يمنع بعض هذه التراكيب الشرطية من انصراف الزمان فيها إلى دلالات زمنية أخرى ولكن بنسبة أقل من دلالاته الأصلية، مثل الزمان الماضي، والزمان الحاضر، والزمان المستمر، ومن ثم حاولت رصد هذه الدلالات الزمنية في التراكيب الشرطية بعد أن قسمتها تبعاً للأدوات الشرطية التي تضمنتها^(٥)، وقد خلصت بعد ذلك

(١) دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 141.

(٢) أسلوب النفي في نهج البلاغة: 76.

(٣) ينظر: نفسه: الفصل الثاني: 74 - 121.

(٤) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 152 - 162.

(٥) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، دراسة نحوية تطبيقية: 286 - 305.

كلّه إلى القول: " إنّه يمكن ملاحظة الزمن الشرطي في أثناء النصوص المذكورة بعدم تقيده بالدلالة على الزمن المستقبل، بل شهد تنوعاً في التعبير عن الأزمنة جميعها، ماضية وحاضرة ومستقبلية ومستمرة، أو عدم التقيّد بزمن معين، فهو لم يخضع لتأثير صيغة فعلية أو أداة شرطية، فقد تأتي الصيغة الفعلية الماضية دالة على المستقبل وبالعكس، أو تأتي الأداة الشرطية الدالة على الماضي منصرفة للدلالة على المستقبل وكان الفیصل في تنوع هذه الأزمنة هو السياق، وبذلك نجد أنّ الزمن الشرطي هو زمن سياقي، تؤدي القرائن فيه أثراً مهماً في تحديده وتعيينه^(١).

وهو ما أكدّه الباحث كريم حمزة حميدي أيضاً بقوله: إن " الزمن الشرطي - في الأداة (إن) وغيرها من أخواتها (الجازمة وغير الجازمة) - وإنْ غلبت عليه دلالة المستقبل إلاّ أنّه لا تحكّمه قاعدة مُعيّنة ثابتة، وإنّما هو محكومٌ بسياقه"^(٢) معضداً رأيه هذا بما ذهب إليه بعض المحدثين. وإلى مثل ذلك ذهب الباحث أحمد هادي زيدان مؤكداً أن السياق هو الذي يحدد الدلالة الزمانية لجملة الشرط، فعلى الرغم من أن الغالب على هذه الجملة هو دلالة زمان الاستقبال، غير أنّها قد تأتي في سياق دال على الزمن الماضي أو الحاضر أو المطلق، ومن ثم عرض الدلالات الزمنية المختلفة لكل أداة من أدوات الشرط ممثلاً لها بجملة من نهج البلاغة^(٣).

وبعد هذا العرض نتبين أن الباحث العراقي أفاد من نصوص نهج البلاغة الموثقة بما يقوي رأيه في كثير من المسائل اللغوية، ومن بينها الدلالة الزمنية للجملة العربية وقطع بوج ود هذه الدلالة ووسع فيها على الرغم من منكريها.

(١) أسلوب الشرط في نهج البلاغة، دراسة نحوية تطبيقية: 305.

(٢) تراكييب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 24.

(٣) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 163 - 177.

المبحث الثاني

الدلالة التركيبية للجملة

مدخل

اللغة وظيفتان، وظيفة شكلية وأخرى دلالية، وهاتان الوظيفتان مترابطتان ترابطاً عضوياً وثيقاً، ونعني بالوظيفة الشكلية: النظام اللغوي، أي الوحدات التركيبية النظامية التي تستعملها اللغة في بناء أنماطها التركيبية على جميع المستويات التركيبية، كمستوى النحو، ومستوى الفونولوجيا (الصوت والصرف)، والمستوى المعجمي.

وأما الوظيفة الدلالية للغة فتتمثل بالجانب الدلالي أو المعنى، الذي من خلاله ترتبط اللغة بالعالم الخارجي، فاللغة تستخدم لغايات التواصل الدلالي ما بين الناس، فالدلالة هي الهدف الأساس لاستخدام اللغة بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، فعلى المستوى النحوي مثلاً لو استخدمنا المفردات نفسها من دون إضافة أو تعديل في جملتين مختلفتين من حيث التركيب النحوي، فإن المعنى يختلف تماماً، فهذه الجمل قد تستعمل في مواقف مختلفة مما يؤدي إلى إحداث فروق معنوية أسلوبية تأثيرية فيها.

واللغة على حدّ وصف تشومسكي مجموعة (متناهية أو غير متناهية) من الجمل، كل جملة فيها محدودة في طولها، قد أنشئت من مجموعة من العناصر، ويمكن أن تمثل كل جملة بمتواليّة محدودة من الفونيمات (الحروف) مع وجود عدد غير محدود من الجمل^(١)، ويرى جون ليونز أن غرض تشومسكي من هذا التعريف للغة هو التركيز على إبراز الخصائص التركيبية للغة^(٢) لقد ركز اللغويون الأوائل (الخليل وسيبويه) على المعنى وعدوه مقياساً أساسياً في وصف اللغة وتراكيبها ووحداتها الشكلية، في أثناء وضعهم القوانين اللغوية معتمدين في بعض الأحيان مقاييس غير لغوية مثل المنطق الفلسفي وصولاً إلى المعنى والشكل في آن واحد فالغرض الرئيس من وضع القواعد النحوية هو سلامة المبنى والمعنى معاً وبصورة عامة فإن المعنى لا يدرك إلا من خلال الشكل اللغوي، كما لا يمكن الوصول إلى الشكل إلا من خلال المعنى. ولذا عيب على النحويين - ولاسيما المتأخرين منهم - إهمال المعنى والاقتصار على دراسة الشكل في التراكيب اللغوية، وبتقادم الزمن أصبحت دراسة الشكل من مميزات الدرس النحوي، ودراسة المعنى من مميزات الدرس البلاغي.

(١) ينظر: البنى النحوية: تشومسكي: 17.

(٢) ينظر: اللغة وعلم اللغة: جون ليونز: 9.

وقد جسد الباحثون في نهج البلاغة هاتين الوظيفتين وهم يبحثون في الأنماط التركيبية للجملة، إذ سلكوا في دراساتهم سبيلين: سبيل النحو، وهو الكشف عن الأنماط التركيبية الشكلية للجمل (الوظيفة الشكلية)، وسبيل البلاغة، وهو الكشف عن المعاني والدلالات الناتجة من تغيّر هذه الأنماط التركيبية (الوظيفة الدلالية)، ومثل هذه الدراسات لم تكن منحصرة بالدارسين المحدثين فقط، فالاهتمام بالتركيب اللغوية، وبالمعاني التي تؤدّيها هذه التركيبي كان محط عناية الباحثين والدارسين منذ زمن ليس بالقريب. وفيما يأتي عرض لما بذله الباحثون من جهد في ذلك.

أولاً: الأنماط التركيبية (الشكلية) للجملة

تناول عدد من الباحثين الأنماط التركيبية للجملة في نهج البلاغة، وقد اختص كل باحث منهم برصد تلك الأنماط بنوع واحد أو أكثر من أنواع الجمل، فتناول الباحث علي عبد الفتاح محيي الأنماط التركيبية للجملة الخبرية في نهج البلاغة معتمدا التقسيم الثنائي للجملة (الاسمية والفعلية) القائم على أساس الشكل، وقد فصل أنماط هذه الجمل الواردة في نهج البلاغة تفصيلا دقيقا مبتدئاً بذكر الأنماط التركيبية للجملة الاسمية المثبتة البسيطة المؤلفة من المسند والمسند إليه فقط، ومن ثم المنسوخة بـ(لكنّ) أو(كأنّ) سواء كان المسند إليه فيهما معرفة أو نكرة أو كان المسند نكرة أو معرفة أو مصدرا مؤولا أو جملة أو شبه جملة (ظرف أو جار ومجرور) وهو بذلك قد جعل الجمل التي تقدم فيها الفاعل على فعله أو المبتدأ على كان وأخواتها ضمن الجمل الاسمية البسيطة التي لم يحدث فيها عدول في التركيب، ومن ثم الأنماط التركيبية للجملة الفعلية المثبتة مقسما الجملة الفعلية إلى ذات الفعل التام - اللازم والمتعدي سواء تعدى الفعل بنفسه إلى مفعول به واحد أو أكثر، أو تعدى إلى مفعوله بواسطة - والجمل ذات الفعل المبني للمجهول، والجمل ذات الفعل الناقص (كان وأخواتها) ومن ثم ذكر الأنماط التركيبية للجملة الاسمية والفعلية المنفية تليها الجملة الاسمية والفعلية المؤكدة. وقد فرّق الباحث بين التركيبي ذات الفعل الماضي والتركيبي ذات الفعل المضارع ولم يخلط بينهما إذ أحصى كل منهما بشكل مستقل. كما فرّق بين التركيبي التي جاءت على الأصل وبين التركيبي التي حدث فيها عدول عن الأصل.

ومنهجه في ذلك كله يقوم على الابتداء بذكر التركيبي النحوية البسيطة ذات المسند والمسند إليه فقط ثم يتعدها إلى غيرها سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية مثبتة أو منفية أو مؤكدة ثم يقوم بعد ذلك بعرض أنماط تركيبية مختلفة داخلية ضمن التركيب الأساس الذي ذكره أول مرة،

مبتدئ في كل تركيب من هذه التراكيب بذكر أقوال النحويين فيه، ومن ثم يبحث له عن أمثلة في نهج البلاغة فيذكر أولاً عدد مرات وروده يختار منها أمثلة لا تتجاوز الخمسة - غالباً - يقوم بعرضها مبيناً فيها المسند والمسند إليه، والباحث يبدأ أولاً بذكر الأنماط التركيبية التي لم يحدث فيها عدول في التركيب أي التي جاء ترتيبها على وفق الأصل وبعد ذلك يذكر الأنماط التركيبية التي حدث فيها عدول عن الأصل عن طريق التقديم أو الحذف.

إن الباحث - في ذلك كله - لم يكن معنياً بالجانب الدلالي الذي تؤديه الأنماط التركيبية للجمال في نهج البلاغة وإنما اقتصر بحثه في ذلك على الجانب النحوي الشكلي لهذه الأنماط، فإن ما قدمه في هذه الدراسة يمثل فهرسة للجمال الخبرية في أنماطها التركيبية المتنوعة كان الهدف منها الإتيان بأمثلة نثرية جديدة يعتد بها للاحتجاج والاستشهاد النحوي لتعزز شرعية القواعد النحوية التي قال بها النحاة وقد صرح الباحث بهذه الغاية في مقدمته ^(١)، فدراسته هذه تعليمية تطبيقية لا تحليلية تبدأ بذكر القواعد النحوية ومن ثم تأتي بأمثلة تطبيقية لها من نهج البلاغة، والباحث وإن قيد عنوان دراسته للجملة الخبرية بالدراسة النحوية إلا أنني أرى أن هذا العنوان كان من الممكن أن يضاف له كلمة (تطبيقية) ليصبح: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية.

لقد بذل الباحث جهداً كبيراً في رصد هذه الأمثلة فلا تكاد ترى تركيباً نحوياً للجملة الخبرية إلا وقد أحصى أمثلته في نهج البلاغة، ونظراً لسعة موضوع الباحث وكثرة الأنماط التركيبية فيه فضلاً عن سعة الميدان التطبيقي له وهو نهج البلاغة، فقد أغفل أمثلة لبعض هذه التراكيب، كما خلط في بعض الأفعال من حيث التعدي واللزم، مما دفع بعض الباحثين الدارسين لنوع معين من أنواع الجملة بشكل مستقل، مثل الجملة المبنية للمجهول، أو الجملة المنفية أن يستدركوا عليه أمثلة أخرى ويصوبوا بعض ما وقع فيه من الخلط، فقد أشار الباحث عبد الكاظم جبر عبود إلى أن ما قدمه الباحث في الجملة المنفية "لم يسلم له من وجهين: الأول: إغفاله جملة كثيرة من التراكيب والأنماط، والثاني: عدم دقته في تصنيف كثير من التراكيب ومن ذلك - مثلاً - عدّ كثيراً من الأفعال اللازمة متعدية، وعدّ كثيراً من الأفعال المتعدية لازمة" ^(٢) واستدرك عليه

(١) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: المقدمة

(٢) أسلوب النفي في نهج البلاغة دراسة نحوية دلالية: 13.

الباحث فراس عبد الكاظم حسن أمثلة في تراكيب الجملة المبنية للمجهول، وأرى أن ما قدمه الباحث من ذكر لهذه الأنماط التركيبية فضلا عما قدمه من إحصاء لها في نهج البلاغة كان يسهم وبشكل كبير في اغناء الباحثين الذين جاءوا بعده - لو رجعوا إليها - ولاسيما المهتمين بالدراسة التركيبية في نهج البلاغة، بل من بين هذه الأمثلة التي ذكرها الباحث ما يمكن أن يسجل في الرد على بعض المحدثين، فعلى سبيل المثال ذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن نظام الجملة الاسمية المثبتة المؤلفة من المسند والمسند إليه التي يكون فيها المسند وصفا منكرا أو اسما منكرا يتطلب البدء بالمسند إليه ولا يصح العدول عن هذا النظام إلا حين تبدأ الجملة بنفي أو استفهام، ورأى أن عدم جواز تقدم المسند المنكر في الجمل الاسمية المثبتة، يكاد يكون مقصورا على النثر، أما في الشعر فقد حاول الشعراء في القليل من الأحيان التخلص من هذا القيد، رغبة منهم في الفرار من التراكيب المألوفة كلما سنحت لهم الفرصة^(١) ومن النظر في ما قدمه الباحث من أمثلة في نهج البلاغة نجد أن الجملة الاسمية المثبتة التي كان فيها المسند منكرا اسما كان أو وصفا قد تقدم على المسند إليه فقد تقدم الخبر المشتق في: (تسعة عشر) موضعا، والجامد في: (ثلاثة) مواضع^(٢).

وسار الباحث فراس عبد الكاظم حسن على المنهج نفسه - ولاسيما في الفصل الثاني - في دراسته الجملة الفعلية المبنية للمجهول فقد خصص هذا الفصل لذكر الأنماط التركيبية التي ترد عليها الجملة المبنية للمجهول متبعا للباحث علي عبد الفتاح محيي لا في المنهج فقط وإنما في البناء الهيكلي للدراسة بشكل عام إذ إن أغلب التقسيمات الفرعية التي انعقد عليها هذا الفصل من الدراسة تتفق مع الدراسة السابقة إلا أن الباحث قد زاد عليها تفريعات جديدة (أنماطا تركيبية)، إذ عمد إلى التفصيل في مجيء نائب الفاعل - في جميع أنماطه التركيبية - إلى الاسم الظاهر، والضمير المتصل، والضمير المنفصل وهو ما لم يذكره سابقه، كما أفاد مما قدمه سابقه في ذكر أقوال النحويين في هذه التراكيب، ولنأخذ مثالا واحدا من أجل التوضيح، فقد اتفق الباحثان على عنوان: الجملة ذات الفعل المبني للمجهول المتعدي إلى مفعول واحد أصلا، فرّع منه الباحث علي عبد الفتاح محيي نمطين تركيبين هما الفعل المتعدي إلى المفعول الواحد بنفسه، والفعل المتعدي

(١) من أسرار اللغة: 270.

(٢) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: 32 - 33.

إلى المفعول بوساطة وهذا الأخير فرع منه أربعة أنماط تركيبية هي: المتعدي بوساطة حرف الجر، وبالهزمة، وبالتضعيف، وبالهزمة والسين والتاء^(١)، أما الباحث فراس عبد الكاظم حسن فقد وضع تحت هذا العنوان نمطا تركيبيا واحدا وهو الفعل المتعدي إلى المفعول بنفسه فرع تحت هذا النمط التركيبي أنماطا لم يذكرها سابقه وهي: مجيء نائب الفاعل اسما ظاهرا، وضميرا متصلا، وضميرا مستترا، وأهمل تعدي الفعل إلى المفعول بالواسطة^(٢). فما زاده الباحث على سابقه هو تفصيل مجيء نائب الفاعل إلى اسم ظاهر، وضمير متصل، وضمير مستتر، فالباحث وإن اتبع منهج سابقه إلا أنه حاول أن يقف على ما فاتته من تراكيب للجملة الفعلية المبنية للمجهول ويستدركها، فلو وازنّا بين الدراستين لوجدنا أن ما قدمه الباحث علي عبد الفتاح محيي - ولاسيما في الجملة ذات الفعل المبني للمجهول - كان أكثر دقة في تفصيل الأنماط التركيبية لهذه الجملة، في حين نجد أن ما قدمه الباحث فراس عبد الكاظم حسن يمثل استدراكا لما فات سابقه من تراكيب وقد أشار إلى ذلك في مقدمته^(٣).

والباحث وإن لم يكن معنيا بالجانب الدلالي الذي تؤديه الأنماط التركيبية للجملة المبنية للمجهول في نهج البلاغة - في هذا الفصل - وإنما اقتصر بحثه في ذلك على الجانب النحوي الشكلي لهذه الأنماط المستدركة، إلا أنه بحث في الفصل الثالث من دراسته الأغراض التي يؤديها حذف الفاعل من الجملة، وهو بحث قد سبقه غيره إليه إذ تناولته الباحث محمود عبد حمد اللامي في دراسته للجملة الفعلية في نهج البلاغة^(٤)، اعتمد فيه الباحث - كسابقه - على ما سطره البلاغيون في أغراض حذف الفاعل وهي لفظية ومعنوية اتفاقا في عدد هذه الأغراض وهي سبعة أغراض معنوية وثلاثة لفظية واختلفا في الأمثلة التطبيقية فقط.

فالباحث وإن درس أغراض حذف الفاعل - وهو بلا شك مظهر تركيبية يؤثر في تغيير المعنى - سنقف عنده فيما بعد، إلا أن هذا لا يعني أن الباحث قد درس الجانب المعنوي أو الدلالي للجملة ذات الفعل المبني للمجهول بجميع صورها، فالحذف في هذه الجملة لا يقتصر على الفاعل فقط بل يتعداه في كثير من الأحيان إلى حذف أجزاء أخرى من الجملة مما يؤدي إلى

(١) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: 125 - 128.

(٢) ينظر: المبني للمجهول في نهج البلاغة دراسة لغوية: 70 - 75.

(٣) ينظر: نفسه: 4.

(٤) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 48 - 54.

تغيير في المعنى مثل حذف المفعول به الذي هو في الأصل مفعول به ثان، سواء أكان هذا المفعول مما تعدى له الفعل بنفسه^(١) أو تعدى له بواسطة^(٢)، أو حذف المفعول به الثاني الذي هو بالأصل مفعول به ثالث^(٣)، إذ لم يتعرض الباحث لبيان أثر هذا النوع من الحذف في المعنى على الرغم من أنه رصد بعض أنماطه التركيبية، كما أغفل الباحث دراسة مظاهر تركيبية أخرى أسهمت في تحويل معنى الجملة المبنية للمجهول إلى معنى جديد من خلال التركيز على جزء مخصوص من أجزائها ومن بين هذه المظاهر التركيبية ظاهرة التقديم والتأخير، مثل تقديم نائب الفاعل على الفعل^(٤) أو المفعول به على نائب الفاعل^(٥)، وظاهرة الزيادة، ويقصد بها إضافة مورفيمات جديدة إلى الجملة (أدوات أو أسماء) لتصبح جملة ذات معنى جديد وهذه الزيادة إما أن تكون في صدر الجملة – وغالبا تؤدي إلى تغيير الحركة الإعرابية في الكلمات بعدها – أو تكون في وسطها أو آخرها، وتعمل هذه الزيادة على تغيير معنى الجملة نفيا وإثباتا واستفهاما وتوكيدا، و تقييدا، وهذه الزيادة قد تكون مسلطة على الفعل أو الفاعل أو ما ينوب عنه^(٦)، وتركيب الجملة المبنية للمجهول للمجهول مع كل مظهر من مظاهر الزيادة يكسبها معنى خاصا، وبذلك يكون الباحث قد أغفل دراسة مستوى من مستويات الدراسة اللغوية وهو المستوى التركيبي للجملة ذات الفعل المبني للمجهول، وبناء على ذلك نرى أن هذه الدراسة تناولت الجانب النحوي (الشكلي) لا التركيبي (الدلالي)، ولذا إن عنوان دراسته ينبغي أن يكون المبني للمجهول في نهج البلاغة دراسة صرفية

(١) أشار الباحث علي عبد الفتاح محيي إلى أن هذا التركيب ورد في نهج البلاغة في أكثر من موضع ولاسيما مع الأفعال: أعطى في (موضعين)، منع في (موضعين)، منح و وعد و سأل كل منها في موضع واحد. ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: 136 – 137. في حين استدرك الباحث فراس عبد الكاظم حسن مواضع كثيرة لهذا التركيب فقد أشار إلى أنه ورد في (أربعة وثلاثين) موضعا. ينظر: المبني للمجهول في نهج البلاغة دراسة لغوية: 87.

(٢) ورد هذا التركيب في تسعة (مواضع) عُدِّي إلى المفعول بوساطة التضعيف في (ثمانية) مواضع، وبوساطة الهزمة والسين والتاء في موضع واحد. ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: 137.

(٣) ورد هذا التركيب في موضع واحد مع الفعل (أرى). ينظر: نفسه: 138.

(٤) لم يحص الباحثان علي عبد الفتاح محيي و فراس عبد الكاظم حسن أنماط هذا التركيب في نهج البلاغة لأنهما يذهبان إلى أن هذا التركيب هو جملة اسمية مكونة من (مبتدأ وخبر) خبرها جملة فعلية، ولذا جاء إحصاؤه عند الباحث علي عبد الفتاح محيي ضمن تركيب المبتدأ المعرفة الذي خبره جملة فعلية من دون أن يفرد له إحصاء خاصا به. ينظر: نفسه: 17.

(٥) أشار الباحث علي عبد الفتاح محيي إلى أن هذا التركيب ورد في موضع واحد. ينظر: نفسه: 135.

(٦) رصد الباحث علي عبد الفتاح محيي تراكيب الجملة المنفية والمؤكد ذات الفعل المبني للمجهول. كما رصد فيها مظاهر التقديم والتأخير والحذف. ينظر: نفسه: 224 – 230، 306 – 309.

نحوية، وليس ما ذكره الباحث وهو دراسة لغوية؛ لأن من مستويات الدراسة اللغوية هو المستوى الدلالي.

وقد انمازت دراسة الباحث عن سابقه بما أثبتته من أنماط تركيبية للجمل ذات الفعل المبني للمجهول في ملاحقه حيث سجل هذه الجمل بأنماطها المختلفة مع أرقام الصفحات الواردة فيها في نهج البلاغة، في حين اكتفى سابقه بذكر أرقام الصفحات فقط.

وأما الباحثون الآخرون فقد رصدوا الأنماط التركيبية (الشكلية) للجمل في أساليبها المختلفة مثل (الطلب، والنفي، والشرط، والتوكيد) وسنقف عندها في المبحث الثالث.

ثانيا: الوظيفية الدالية للظواهر التركيبية

تخضع عناصر الجملة العربية لنظام ترتيبي، وفي ضوء هذا الترتيب يتحدد بناؤها التركيبي، فيكون لكل عنصر موقع خاص به تحدّه مجموعة من القوانين والقواعد، لكن هذه العناصر قد تخرج من نظامها الترتيبي الذي كانت عليه في الأصل إلى ترتيب آخر وهو ما يعرف بـ(العدول)، وهذا العدول الذي طرأ على ترتيب العناصر داخل الجملة هو ما يعرف أسلوبياً بـ(الظواهر التركيبية).

وهذه الظواهر التركيبية في جمل نهج البلاغة تناولها عدد من الباحثين سواء أكان ذلك بشكل مستقل أم في فصول. وقد حاول بعض الباحثين استيعاب الظواهر التركيبية جميعها ^(١) في حين اقتصر بعضهم على قسم منها ^(٢) وبعضهم درس مظهرها تركيبيا واحدا بشكل مستقل ^(٣)، والظواهر التركيبية التي تناولها الباحثون هي: التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتكثير، والوصل والفصل، والإطلاق والتقييد.

وأجمع الباحثون جميعا على أنهم تبناوا منهاجا تحليليا وصفيا في دراسة هذه الأنماط أو الظواهر، وفي الحقيقة أن منهجهم لم يكن تحليليا وصفيا، وإنما هو منهج تعليمي بلاغي، والفرق

(١) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: الفصل الثالث، والظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية، ودراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 80 - 108.

(٢) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: الفصل الأول، فقد اقتصر الباحث على دراسة مظهرين تركيبيين هما التقديم والحذف.

(٣) ينظر: الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): هادي شندوخ حميد السعيد، والتقييد في نهج البلاغة دراسة نحوية: عباس اسماعيل الغراوي، والتقديم والتأخير في نهج البلاغة دراسة نحوية أسلوبية.

بين المنهجين، أن المنهج التحليلي الوصفي يفضي إلى نتائج هي حصيلة الاستقراء والملاحظة، وغالبا ما تكون هذه النتائج غير مسبقة، بمعنى أن المحلل الوصفي خالي الذهن من أي نتيجة، وإنما يهتدي إلى هذه النتائج عن طريق الاستقراء والتحليل، مع مراعاة شروط هذا المنهج التي من أظهرها: الزمان، والمكان، ومستوى الأداء، وخطواته: الاستقراء، والتصنيف، والتعديد^(١)، ولذا يصدق هذا المنهج على ما قدمه النحويون والبلاغيون الأوائل في دراستهم لهذه الظواهر، إذ هدام استقراء هذه التراكيب ومن ثم تحليلها إلى أن يضعوا معاني لكل نمط من أنماطها، وأما المنهج التعليمي البلاغي فهو ينطلق من معاني البلاغيين أنفسهم والتسليم لها والاعتقاد بصحتها وتبنيها ومن ثم البحث عن أمثلة جديدة لإضفاء المشروعية لهذه الدلالات أو المعاني من جهة، ولتوضيحها للمتلقى على سبيل التعليم من جهة أخرى. فالمنهج التحليلي الوصفي يجاوز في أهدافه ونتائجه البعد التعليمي للبحث اللغوي، ونظرا لسهولة هذا المنهج، وصلاح أكثر نتائجه لأن تعتمد في مجال تعليم اللغة " عمدت الدراسات التعليمية إلى إتباع المنهج الوصفي في وضع الكتب التعليمية، وهو منهج يستهدف وصف الظاهرة اللغوية دون مقارنتها، أو دون الوقوف على مراحل التطور التي سبقتها، بل يصفها كما هي من حيث اطراد قواعدها، وشيوع هذه القواعد" (٢) لذا كان من الأجدى والأليق بالباحثين أن يبينوا أنهم اتبعوا منهجا تعليميا يسير على خطى الوصف. وقد وهم الباحثون أنهم بتحليل نصوص من نهج البلاغة قد اتبعوا المنهج التحليلي؛ لأن تحليل النصوص وشرحها وبيان مقاصدها شيء، وتحليل الظواهر المستقرة شيء آخر.

لقد سلك الباحثون - في هذه الدراسات - سبيل البلاغيين في الكشف عن مدلولات التركيب في نهج البلاغة إذ لم يتعرضوا لمقولات النحويين، إلا في حدود بيان مواضع الوجوب والجواز والمنع، أما ما تؤثره هذه التراكيب في المعنى فكان اعتمادهم غالبا على كلام البلاغيين، وأرى أن إشارات النحويين في دلالة التركيب على المعنى كثيرة منتشرة في المدونات النحوية فهذا الأمر لا ينحصر عند البلاغيين، فعلى الرغم من نسبة المعنى إلى البلاغة كثيرا، فلنني أرى أن نسبته إلى النحو هي الأولى. من ذلك نتبين أن المستوى الذي درس فيه الباحثون هذه التراكيب - وإن كان الهدف منه وصل النحو بالمعنى - يهدف وبشكل رئيس إلى الوصل بين البلاغة

(١) ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: 94 - 103.

(٢) المستشرقون والمناهج اللغوية الحديثة: 96.

والمعنى، مما يعني اهتماما كبيرا من الباحثين بالبلاغة على حساب النحو، ولذا كان اهتمامه م
 بالنتائج، أو المعاني من دون النظر في أصولها كثيرا، ومن دون استقصاء تلك المتغيرات جميعا .
 فالسمة الغالبة على هذه الدراسات هي سمة البلاغة لا النحو، وإن زعم بعضهم أنه مزج بينهما،
 إذ أشار الباحث حسن هادي نور إلى أن منهجه في دراسة الظواهر التركيبية في خطب نهج
 البلاغة قائم "على المزوجة بين الدراسة النحوية والدراسة الدلالية والبلاغية" (١) وما أشار إليه غير
 متحقق في ما أبداه في دراسته، لأن الاستشفاع بذكر كلام لأحد النحاة في أماكن متفرقة من
 الدراسة لا يعني أن الباحث قد وصل بين النحو والمعنى، فالسمة الغالبة على دراسته هي سمة
 البلاغة لا النحو.

وإذا كان الباحث قد تبنى هذا المنهج - وهو سبيل البلاغيين فقط من دون النحويين -
 بسبب تخصصه الدقيق في الدراسات الأدبية وعلى وجه الخصوص البلاغية منها. فإننا نجد أن
 هذا المنهج هو الغالب في دراسة الباحثين الآخرين في نهج البلاغة.

فضلا عن ذلك أن نتائج هذه الدراسات مكررة لما قال به القدماء، وربما توهم بعضهم
 أنه حين يستبدل أمثلة التقسيمات البلاغية بنصوص من نهج البلاغة، يكون قد درس النص
 وكشف أسراره وأضاء جوانبه الدلالية والجمالية، ولكنني وجدت مثل هذه الدراسات لا تعدو أن
 تكون تنظيرا بلاغيا يعزز شرعية هيكلية البلاغة في مقارنة النصوص البليغة ليس غير ، إذ
 سلك الباحثون جميعا سبيلا يهدف إلى تلمس أمثلة من نهج البلاغة ليعززوا بها شرعية ما قال به
 البلاغيون في معاني التراكيب، وبناء على ذلك، فإن منهجهم لا يختلف عن منهج الباحثين دارسي
 التراكيب النحوية (الشكلية) وإن اشتمل على تحليل النصوص، فالباحثون لم يدرسوا التراكيب اللغوية
 عند الإمام دراسة أسلوبية - كما أشار بعض الباحثين في عنوانات دراساتهم (٢) - من خلال
 إحصائها وتحليلها وصولا إلى تفرد الإمام (عليه السلام) وتمييزه بإيثاره تراكيب معينة على غيرها، وإنما
 درسوها دراسة تطبيقية في ضوء ما قدمه البلاغيون، ولذا أرى أن ما توصل إليه بعضهم من "
 نتيجة مفادها أن للإمام (عليه السلام) أسلوبا متميزا يجري على نظام خاص يراعي فيه التقديم والتأخير" (٣)
 هي نتيجة لا تشكل فرادة في استعمال الإمام لهذه التراكيب عن غيره، فلو اتخذ الباحثون ميدانا

(١) الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية: 3.

(٢) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية، والتقديم والتأخير في نهج البلاغة دراسة نحوية أسلوبية

(٣) الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 86.

تطبيقاً غير نهج البلاغة واتبعوا هذا المنهج لتوصلوا إلى هذه النتيجة نفسها، لأن استبدال الشاهد بشاهد غيره من نهج البلاغة لا يعني دراسة أسلوب الإمام. ومن ثمَّ أرى أن بعض هذه الدراسات التي اشتملت عنواناتها على عبارة (دراسة أسلوبية) أو (دراسة دلالية) كان الأليق بها أن تستبدل بـ (دراسة بلاغية تطبيقية).

وقبل الوقوف على جهد الباحثين في بيان دلالات هذه الظواهر التركيبية أود الإشارة إلى تعدد مناهج العلماء والدارسين - ولاسيما المحدثين منهم - في النظر إلى الجملة وتحليلها، فمنهم من يرى أن على الباحث أن يبدأ بمعرفة الوازع أو الدافع الذهني عند المتكلم، أي الحافز الذي دفعه للنطق بهذا التعبير أو ذاك، ثم يقوم بتحليل الجملة في ضوء ذلك، ومنهم من يرى أن عليه أن ينظر إلى الجملة على أنها الدافع الذي يظهر تصرفاً سلوكياً عند السامع، وفي ضوء هذا التصرف يستطيع الباحث تحليل الجملة، وقد اعتمد أصحاب المدرسة السلوكية وأنصارهم هذين المنهجين في التحليل لأنهم يرون أن اللغة تمثل ظاهرة شكلية مادية سلوكية اجتماعية، ونتيجة لذلك لم يهتموا بالصفة العقلانية للغة الإنسانية. وفي هذا المنهج تتجلى علاقة علم اللغة بعلم النفس لما تتضمنه طبيعة اللغة، بوصفها أحد مظاهر السلوك الإنساني، فإذا كان علم النفس يدرس السلوك الإنساني عموماً، فإن دراسة السلوك اللغوي أحد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس، ولا بد من الإشارة إلى أن ثمة فرقاً بين بحث اللغويين وبحث علماء النفس في قضايا اللغة، فعلم اللغة يهتم بالعبارات المنطوقة عند صدورها من الجهاز الصوتي للمتحدث، ولا علاقة له بالعمليات العقلية السابقة لصدور هذه العبارات؛ لأنها لا تدخل في إطار علم اللغة، فالذي يقع ضمن عمل اللغوي هو تلك الأصوات التي تصدر من المتحدث وتصل إلى المتلقي^(١).

ومنهم من يرى أن على الباحث أن يبدأ بتحليل الجملة من الجملة ذاتها إلى الوحدات المكونة لها، من الأكبر إلى الأصغر في ضوء القواعد التوليدية والتحويلية وهذا المنهج قائم على رفض القاعدة الرئيسية التي قدمها أصحاب المدرسة السلوكية منهجاً للتحليل، وهو منهج ظهر في أوائل الستينيات يتزعمه العالم اللغوي الأمريكي تشومسكي ومن ثم أصبح له أنصار ومؤيدون وهو منهج ينطلق من قاعدة رئيسة عمادها أن اللغة فطرية تقوم على عدد من العمليات العقلية

(١) ينظر: علم اللغة العربية: د. محمود فهمي حجازي: 48-49.

الداخلية^(١) فهو منهج بنيوي نصي. وهذان المنهجان لهما ما يؤيدهما في تراثنا النحوي والبلاغي. على أنني أجد أن منهج البلاغيين يوافق في معظمه منهج المدرسة السلوكية في تحليل الجملة لأنهم - غالباً - يركزون على الدافع النفسي الذي جعل المتكلم يصوغ عباراته بهذه الطريقة أو تلك، أو لنقل هو منهج البلاغيين العرب مع بعض الاختلاف. وهو الذي اعتمده الباحثون في نهج البلاغة على ما سنبينه فيما بعد.

وسنقف على ثلاث ظواهر تركيبية وهي: التقديم والحذف والزيادة.

التقديم

تناول الباحثون جميعاً - ولاسيما المعنيون بدراسة الوظيفية الدلالية للتركيب اللغوية - ظاهرة التقديم؛ لما لها من أهمية كبيرة في تغيير المعنى أو تحويله، وهي تقديم الخبر، والفاعل، والمفعول به، والظرف والجار والمجرور^(٢)، وزاد بعضهم على ذلك تقديم المبتدأ^(٣) أو تقديم بعض مكملات الإسناد مثل تقديم الحال على صاحبها^(٤) والمنهج الغالب لدى الباحثين هو دراسة التراكيب التي حدث فيها عدول عن الأصل، يستثنى من ذلك الباحث حسن هادي نور إذ لم يكتف برصد المعنى في التراكيب اللغوية التي حدث فيها عدول عن الأصل فقط، وإنما تناول التراكيب التي جاءت على الأصل، وانحصر هذا الأمر عنده في ظاهرتين هما التقديم والتأخير، والتعريف والتكثير في دراسته الأولى^(٥)، وشمل الظواهر التركيبية جميعاً في دراسته الثانية^(٦).

وهذا العدول في الترتيب - الذي تناوله الباحثون - هو مما وصفه النحويون بالجائز أما التقديم الواجب فلم يبقوا عنده، فلم نر عندهم - على سبيل المثال - ذكراً لمواضع الوجوب في دراستهم للتقديم، سوى تقديم ضمير الشأن^(٧) - إذ أشار النحويون إلى وجوب تقديمه - وهو مما تناوله البلاغيون وأشاروا إلى دلالة على تعظيم الأمر وتقديره^(٨)، حكماً من الباحثين - على ما

(١) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: 19.

(٢) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 13 - 40، ودراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 97 - 102.

(٣) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 84 - 85، والظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية: 10 - 21، والتقديم والتأخير في نهج البلاغة: 7 - 19.

(٤) ينظر: التقديم والتأخير في نهج البلاغة دراسة نحوية أسلوبية: 109 - 111.

(٥) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية.

(٦) ينظر: الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية.

(٧) ينظر: نفسه: 17 - 21.

(٨) ينظر: مفاتيح العلوم: 294، والطرار: 270.

أظن - بأن هذه المواضع خاضعة لأمر الصنعة والإعراب، وليس لها من المعنى شيء، بيد أن هذا الحكم ليس على إطلاقه، فإن من مواضع الوجوب ما هي خاضعة للمعنى بشكل مباشر ورئيس^(١).

وقد اتبع الباحثون منهجا في عرض المادة العلمية يقوم على ذكر عنوان المظهر التركيبي (التقديم) أولا ومن ثم يقدموا له مهادا تنظيريا من كتب البلاغة العربية، تذكر بعده التراكيب اللغوية التي يبحث في دلالتها، ويبدأ غالبا بتراكيب الجملة الاسمية ومن ثم تراكيب الجملة الفعلية، وقد لجأ الباحثون إلى تقسيم التراكيب اللغوية - عند دراستها - على مستويات دلالية مختلفة تبعا للسياق الواردة فيها فجعلوا هذه التراكيب إما أن تكون في سياق الإثبات، أو في سياق النفي، أو في سياق الاستفهام، أو في سياق التوكيد، لأنهم أدركوا أن دلالة التركيب الواحد تختلف من سياق إلى آخر. عدا الباحثين سمير داود سلمان^(٢) وحسن هادي نور - في دراسته الأولى^(٣) - لم يجعلوا يجعلوا هذه التراكيب في سياقات مختلفة، وقد عالج الباحث حسن هادي نور ذلك في دراسته الثانية إذ قسم التراكيب إلى مستويات مختلفة، ويبدأ الباحثون أولا بالإشارة إلى دلالات ذلك التركيب، ومن ثم يأتون بأمثلة له يسيرة من نهج البلاغة يتعرضون لها بشيء من التحليل ليتوصلوا إلى المعنى الذي أثبتوه لهذا التركيب.

وقد فصل الباحثون دلالات تقديم كل قسم من هذه الأقسام (المبتدأ، الخبر، الفاعل المفعول به... إلى غير ذلك)، وأرى أن دلالات تقديم أي عنصر من عناصر الجملة لا تختلف عن دلالات تقديم عنصر آخر، فهذه الدلالات هي دلالات التقديم بشكل عام فما كان منها في سياق الإثبات أفاد العناية والاهتمام الذي بدوره يفيد التخصيص أو التوكيد، فضلا عن ذلك إفادته التناسب بين الفقرات، وما كان منها في سياق النفي أو الاستفهام أو التوكيد أفاد تخصيص نفي الحدث عن المقدم أو الاستفهام عنه أو توكيده لا غير، فدلالات تقديم الخبر هي ذاتها دلالات تقديم الفاعل أو المفعول به أو الظرف والجار والمجرور، وإنّ أفراد الباحثين لكل عنصر من هذه العناصر عنوانا مستقلا. دليل على ما ذهبنا إليه من أنهم معنيون في تلمس الشاهد لكل بناء تركيبى أكثر من عنايتهم في إظهار الجانب الدلالي.

(١) ينظر: البنى النحوية وأثرها في المعنى: أحمد عبد الله حمود العاني.

(٢) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 97 - 103.

(٣) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 79 - 86.

وأما ما ذكره الباحثون من دلالات أخرى للتقديم كالتمكن من ذهن السامع، والتعجيل بالمسرة أو المساءة، والتعظيم، والمدح، والتحقير... إلى غير ذلك ^(١) فهي من دلالات البلاغيين التي جعلوها للتقديم وللتأخير في آن واحد، وهذا يعزز ما ذهبنا إليه من أن الباحثين اعتمدوا منهج البلاغيين لا غير؛ لأن مسلكهم في ذلك هو التعرض لأحوال كل من المسند والمسند إليه فيذكرون أن من أحوال المسند إليه التقدم والتأخر، ومن أحوال المسند التقدم والتأخر أيضاً، ومن ثم يتلمسون هذه المعاني لتقديم المسند إليه، كما يجعلون هذه الأسباب نفسها أو معظمها داعياً من دواعي تقدم المسند أيضاً ^(٢)!! وعلى هذا المنهج سار الباحثون في ذكر هذه الدلالات فجعلوها لتقديم المسند إليه (المبتدأ) على المسند (الخبر) أو الفاعل على الفعل كما جعلوها لتأخيره أيضاً، وأرى أن هذه المعاني التي أشار إليها الباحثون - وهي معاني البلاغيين - ناشئة إما عن طريق الـ بحث في الدوافع النفسية التي جعلت المتكلم يلجأ إلى التقديم ولا دليل عليها في النص اللغوي، أو أنها مستوحاة من دلالة الكلمات الواردة في هذه التراكيب وليس من دلالة التقديم، فدلالة التعظيم والمدح والتحقير جاءت نتيجة سياق حُشد فيه من هذه الصفات ما يتآزر في تحقيق هذه المعاني.

ولنقف على أمثلة مما ذكره الباحثون لنبين ذلك ومنها - على سبيل المثال - ما ذكره الباحث حسن هادي نور إذ أشار إلى دلالة التعظيم والمدح والتحقير، مستشهداً لكل دلالة منها بمثال واحد من نهج البلاغة وهي على التوالي: "السُّلْطَانُ وَزَعَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ" ^(٣) و"مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ" ^(٤) و"أَمَالُ مَادَّةِ الشَّهَوَاتِ" ^(٥) فلو تأملنا هذه الأمثلة لوجدناها مشتملة على ما ذهب إليه الباحث من معان ولكن ليس بسبب تقديم المبتدأ فيها، وإنما يرجع سبب ذلك إلى دلالة الكلمات المستعملة في هذه الجمل، فقد تلمس الباحث في كلمة (السلطان) في المثال الأول شيئاً من التعظيم لذا لجأ إلى تعريفه "فهو خليفة الله في أرضه وبين عبادته، لينفذ فيهم حكمه، ويكف الأذى عنهم، إذ لا بد أن يكون في المجتمع سلطة وإلا اضطرب

(١) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة: 14 - 15، و الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 85، والظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة: 13 - 16، ورسائل الإمام علي دراسة لغوية: 253 - 263، والتقديم والتأخير في نهج البلاغة: 16 - 19،

(٢) ينظر: شروح التلخيص: التفاتاني: 1/ 389 - 393.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 19/ 244.

(٤) نفسه: 10/ 132.

(٥) نفسه: 18/ 193.

النظام وعمت الفوضى" ^(١) وبهذا تكون دلالة التعظيم هي لكلمة السلطان لا لتقدمه، كما وجد الباحث في كلمات المثال الثاني (الصواب، الاقتصاد، التواضع) صفة مدح لأنها تعد من الفضائل فذهب إلى أن تقدم المسند إليه في هذه الجمل دلّ على المدح متناسيا أن هذه الكلمات جاءت متأخرة لا متقدمة وعلى ذلك ما علاقة تقديم المسند إليه بدلالة المدح، ولذا نجد أن الباحث في تحليله هذه الجمل عمد إلى إعادة صياغتها لتتوافق مع وظيفة التقديم في المدح فقال: " فهم مصيبون في قولهم، وأنهم مقتصدون في لباسهم، بلا مظاهاة و (بلا) مباهاة، وأنهم يمشون من غير تبختر أو خيلاء، وهذه بحق صفات أهل الفضائل، وذلك في معرض مدحهم" ^(٢) ووجد في كلمة المال في المثال الثالث - ولاسيما في وصف الإمام (عليه السلام) له بأنه مادة الشهوات - دليلا على دلالاته على التحقير معللا ذلك بقوله: "لأنه إذا زاد عن سد حاجة الإنسان وأصبح همه الأول وغايته من الدنيا، كان بذلك أساس الشهوات جميعا" ^(٣) وبناء على ذلك أرى أن لا علاقة لتقديم المسند إليه بهذه الدلالات أو المعاني وإنما هي معان مستوحاة من دلالة الكلمات وليس من دلالة التقديم، فدلالة التعظيم والمدح والتحقير جاءت نتيجة سياق حُشد فيه من هذه الصفات ما يتأزر في تحقيق هذه المعاني، ولعمري ما ذا يقول الباحث أو غيره لو حدث تغير في تركيب هذه الجمل فتقدم المسند على المسند إليه هل تبقى هذه المعاني على حالها أم تتغير؟ فنقول مثلا: (وزعة الله في أرضه السلطان) هل تنتقل الدلالة من التعظيم إلى التحقير أم تبقى على حالها؟ وكذا في المثال الثاني فلو قلنا: (الصواب منطقهم، والاقتصاد ملبسهم، والتواضع مشيهم) هل تتغير دلالة المدح؟ أو في المثال الثالث (مادة الشهوات المال) هل تتغير دلالة التحقير؟ نعم لو تغير تركيب هذه الجمل فتقدم المسند فيها على المسند إليه لذهب الباحث - تبعاً لما قاله البلاغيون - إلى ما ذهب إليه من الدلالات نفسها، وهو من عجيب ما ذكره البلاغيون بأن جعلوا دلالات تقديم المسند إليه هي نفسها دلالات تقديم المسند ^(٤)، وفي الحقيقة لا علاقة للتقديم والتأخير في هذه المعاني وإنما الكلمات والسياق هو الذي يحكم بهذه الدلالات. ولذا يلجأ أغلب الباحثين إلى الاستشهاد بأمثلة كان

(١) الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 85.

(٢) نفسه: 85. والظواهر التركيبية في خطب الإمام علي (عليه السلام) دراسة دلالية تطبيقية: 15.

(٣) نفسه: 85.

(٤) ينظر: من أسرار اللغة: 259.

المقدم فيها هو لفظ الجلالة للدلالة على التعظيم^(١). ومن ثم نجد أن البحث في مثل هذه الدلالات (التعظيم، والتحقير، والمدح...) قائم على معرفة الدوافع النفسية لدى المتكلم ، سواء البحث في حدسه، أم البحث في دلالات الكلمات في تراكيبه، ولا علاقة في ذلك كله لتقديم أو التأخير، وقد أحسن الباحث محمود عبد حمد اللامي عندما ذكر هذه الدلالات في تنظيره للتقديم، إلا أنه لم يذكرها في التطبيق، ولعلّه أدرك ألا علاقة للتقديم بهذه الدلالات^٢.

كما أود الإشارة إلى أن كثيرا من الأمثلة التي ذكرها الباحثون على أنه حدث فيها عدول في الترتيب؛ لأنها مما يجوز فيها التقديم والتأخير، هي في حقيقتها لا عدول فيها، لأنها غالبا ما تستعمل في هذا الترتيب (التقديم) ومن ذلك إذا كان المسند أو المسند إليه متعددا فالغالب تقديم غير المتعدد على المتعدد، فهذه التراكيب وإن أفادت التخصيص أو التوكيد إلا أنها غالبا ما تكون على هذا النمط من التقديم، وهذا الأمر يجعلنا نعتقد أن اعتماد تراكيب معينة على أنها أصل ومن ثم حدث عدول فيها غير قائم على إحصاء هذه التركيب وإنما قائم على ما ذكره النحويون من أصل افتراضي لها، وقد تنبه الباحثون إلى ذلك في بعض التراكيب اللغوية ولكنهم لم يقفوا عندها ويحصوا أمثلتها في التراكيب الأخرى، ولو فعلوا ذلك لوجدوا اطراد هذه الظاهرة في كلام الإمام (عليه السلام) فهي تشكل ملمحا أسلوبيا في تراكيبه، فقد أشار الباحثان محمود عبد حمد اللامي وحسن هادي نور إلى أن من دلالات تقديم المفعول به على الفاعل هو كثرة الألفاظ المتعلقة بالفاعل^(٣)، وأشار الباحث رافد ناجي وادي إلى أن من دلالات تقديم المسند إليه وهو (الفاعل في المعنى) على المسند الفعلي هو لإطالة المسند الفعلي^(٤)، وأرى أن هذه الظاهرة لا يقتصر وجودها في التركيبين المشار إليهما فقط، بل نجدها في كل تركيب كان فيه المسند أو المسند إليه متعددا ولاسيما في سياق الإثبات، ولبيان ذلك نعرض بعض الأمثلة التي ساقها عدد من الباحثين في تراكيب تقديم المبتدأ أو الخبر (شبه الجملة)، إذ إن أغلب هذه الأمثلة هي في حقيقتها لا يصح العدول عنها.

(١) ينظر: الجملة خبرية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 15، والتقديم والتأخير في نهج البلاغة دراسة نحوية أسلوبية: 27.

(٢) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 11 – 40.

(٣) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة: 26، والظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية: 43.

(٤) ينظر: التقديم والتأخير في نهج البلاغة: 26.

أولاً: تقديم المبتدأ على الخبر (الجار والمجرور) أو (الاسم)^(١)

- ١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلَّى لِحَلْفِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ^(٢).
- ٢ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَ بِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ^(٣).
- ٣ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنْعُ وَ الْجُمُودُ، وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ^(٤).
- ٤ - نَحْنُ الشُّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ^(٥).
- ٥ - وَأَنْتُمْ لَهَا مَيْمُ الْعَرَبِ، وَيَافِيحُ الشَّرَفِ، وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ^(٦).

ثانياً: تقديم الخبر شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) على المبتدأ^(٧)

- ١ - عَلَيْهِمْ لُبُوسُ الْإِسْتِكَانَةِ وَضَرَعُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ^(٨).
- ٢ - إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ وَالذَّلَّ اللَّازِمَ وَالْعَارَ الْبَاقِي^(٩).
- ٣ - مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجِلَةِ قَبْلَ الْإِمْكَانِ، وَالْأَنَاءَةِ بَعْدَ الْفُرْصَةِ^(١٠).
- ٤ - لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ^(١١).

لقد ساق الباحث حسن هادي نور أمثلة الفقرة (أولاً) للدلالة على التعظيم ما عدا المثال الأخير منها في المدح، في حين ساق أمثلة الفقرة (ثانياً) للدلالة على الاختصاص، وفي الحقيقة أن تقديم المبتدأ أو الخبر في هذه الأمثلة جميعها متعلق بتعدد أحدهما، ولا علاقة له بالتعظيم أو المدح وإن أفاد التقديم فيها الاختصاص، فلو تتبع الباحث أو الباحثون الآخرون هذه الجمل وأحصوها لوجدوا أن التأخير غالباً ما يكون للمتعدد حيث يقدم غير المتعدد، وبذلك يصدق على

(١) ينظر: الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية: 13 - 14.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 7 / 181.

(٣) نفسه: 9 / 147.

(٤) نفسه: 6 / 398.

(٥) نفسه: 9: 164.

(٦) نفسه: 7 / 179.

(٧) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 80 - 81، والظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية: 23.

(٨) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 6 / 247.

(٩) نفسه: 8 / 4.

(١٠) نفسه: 19 / 281.

(١١) نفسه: 6 / 350.

هذا النوع من الأمثلة أن يكون المتقدم أصلاً ولا مقتضى للعدول عنه بناء على هذه الغلبة في الاستعمال

وهذا الأمر لا ينحصر في الخبر إذا كان اسماً أو شبه جملة، بل يتقدم المبتدأ إذا كان خبره جملة متعددة أيضاً، ومن ذلك قوله (عليه السلام): "الدَّهْرُ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ، وَيَجِدُّ الْأَمَالَ وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ، وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصَبٌ وَمَنْ فَاتَهُ تَعَبٌ"^(١) فقدّم المسند إليه (الدهر) على المسند المسند الفعلي (يخلق) لإطالة الأخبار بالمسند الفعلي، وذلك بالعطف عليه (وَيَجِدُّ الْأَمَالَ، وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ، وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ) كما يتقدم المفعول به على الفاعل إذا كثرت الألفاظ المتعلقة به من ذلك قوله (عليه السلام): "وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ لَا تَشْغُلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ، مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ"^(٢) فلو أخرج المتقدم في هذه الأمثلة جميعاً لصعب تمييزه واشتد خفاؤه ولكانت في هذه الأمثلة ركة في الصياغة الأسلوبية، وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى هذا النوع من التقديم ولا سيما في تقديم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ^(٣)، كما أطلق عليه بعض المحدثين مصطلح (طول الإسناد، أو الامتداد)^(٤). وقد عرضت لهذه الأمثلة لأنني وجدت أن الباحثين لو تدبروا فيها لوجدوا أن التقديم فيها يرجع إلى سبب واحد وهو الميل إلى تأخير المتعدد. وبذلك يكون المتقدم أصلاً ولا مقتضى للعدول عنه، لا على سبيل الوجوب، لأن هذا مما لم يقل به النحويون، وإنما قصدت بذلك من جهة الأسلوب في التعبير.

ومن الدلالات التي خصصها الباحثون في نمط تركيبى واحد ما ذكره الباحث حسن هادي نور في تقديم المبتدأ على الخبر، وهي الدلالة على أن كون المقدم - وهو المبتدأ - أصلاً ولا مقتضى للعدول عنه، ومن ثم عمد الباحث إلى توضيح هذه الدلالة بقوله: "إذا أراد المتكلم أن يفيد السامع حكماً ما، فأى لفظ يدل على ذلك الحكم فالأصل فيه التقديم، ولا مقتضى للعدول عنه، فيأتي تقديمه في النطق نتيجة لذلك، لأن ترتيب الألفاظ في النطق لا يكون إلا بترتيب المعاني في

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 218 / 18.

(٢) نفسه: 202 / 10.

(٣) ينظر: من أسرار العربية: 271.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف: 57، والإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة دراسة تفسيرية: د. محمود عبد السلام: 439، والجملة العربية، مكوناتها، أنواعها، تحليلها: د. محمد إبراهيم عبادة: 134، والجملة الطويلة في القرآن الكريم: د. علي ناصر غالب، بحث منشور في مجلة دراسات نجفية، عدد: 2، لسنة: 2004م: 23.

الذهن" ^(١) وأرى أن هذه الدلالة غير منحصرة في تقديم المبتدأ وإنما تشمل تقديم أي جزء من أجزاء التركيب أيضا لأنها تتعلق بالمعنى أكثر من تعلقها بالشكل، فالتقديم في التراكيب اللغوية إذا كان جائزا من جهة النحو فهو واجب من جهة المعنى، وهذا مما لا خلاف فيه، فكل مقدم هو أصل في المعنى ولا يصح العدول عنه إلا إذا أراد المتكلم تغيير ذلك المعنى. وأرى أن هذه الدلالة تصدق لو أتى الباحث بالأمثلة التي أشرنا إليها سابقا والتي كان فيها المسند (الخبر) متعددا لوجد أن التقديم منحصر في غير المتعدد إذ يؤخر المتعدد منهما - غالبا - إذا كان الكلام في سياق الإثبات، أو جاء بأمثلة كان فيها المسند إليه (المبتدأ) واجب التقديم، وفي تلك الحالات يصح أن يقال أن التقديم أصل ولا مقتضى للعدول عنه.

وإذا كانت دلالة التقديم في سياق الإثبات تختلف عن دلالاته في سياق النفي أو الاستفهام، فهذا لا يعني شمول بعض التراكيب بهذه التقسيمات، مثل تقديم المفعول به على الفاعل، إذ لجأ أحد الباحثين إلى تقسيم هذا التركيب على سياقات مختلفة، فأفرد له سياقاً في الإثبات، وسياقاً في الاستفهام، وسياقاً في النفي ^(٢)، وأرى أن دلالة هذا التركيب هي واحدة سواء كان مثبتاً أو منفيًا أو مستفهماً، لأن النفي أو الاستفهام في هذا التركيب غير مسلط على المفعول به، وإنما هو مسلط على الفعل، فالنفي والاستفهام للفعل لا للمفعول به. ولو كان النفي أو الاستفهام مسلطاً على المفعول به مباشرة لجاز له أن يفرد لكل واحد منهما سياقه الخاص لاختلاف الدلالة.

وقد أغفل الباحثون جميعاً تقسيم تراكيب الجملة الفعلية التي يكون فيها الاسم مقدماً على الفعل، إلى التي يكون فعلها ماضياً والتي يكون فعلها مضارعاً، فقد فرّق عبد القاهر الجرجاني بين هذين النوعين من الجمل حين عرض للتقديم والتأخير إذ يقول " وإذ قد بينّا الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم والفعل ماضٍ، فينبغي أن ينظر فيه والفعل مضارع ... " ^(٣) وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى مثل ذلك بقوله: " فمن الواجب أن ننظر لصيغتي الماضي والمضارع على أنهما أمران مختلفان، وأن نفرّق بين حال الجملة مع كل منهما " ^(٤) إذ وجد أن موضع المسند إليه مع الفعل الماضي غالباً ما يتأخر عن المسند، ويندرج الالتجاء إلى غير هذا النظام من خلال تتبعه الجمل

(١) الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية: 11.

(٢) ينظر: نفسه: 39 - 42.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: 116.

(٤) من أسرار اللغة: 259.

القرآنية التي كان فيها لفظ الجلالة (الله) مسندا إليه فوجد من بين مئات الجمل (أربع عشرة) جملة فقط قد خولف فيها هذا النظام ^(١)، وبناء على ذلك عدّ " هذا النظام في هذه الآيات أسلوبا من أساليب القصر يحسن ألا نلجأ إليه إلا حين نريد قصر صفة من الصفات على المسند إليه، ومتى استقر هذا في الأذهان فلسنا بحاجة إلى دليل آخر على إفادة هذا القصر " ^(٢) ولو اتبع الباحثون هذا المنهج في نهج البلاغة لوقفوا على ملمح أسلوبه يوافق هذا الرأي أو يخالفه.

كما أن الباحث حسن هادي نور لم يدرس الأنماط التركيبية للتقديم جميعها في الجملة الخبرية، وإنما اكتفى بذكر الأنماط التركيبية التي لها حضور كبير في نهج البلاغة - على حدّ وصفه - من دون إحصاء، فعلى سبيل المثال لم يتناول الباحث دلالة تقديم شبه الجملة (الظرف أو الجار والمجرور) على الفعل ^(٣)، أو تقديم الاسم الظاهر (الخبر) على المبتدأ ^(٤)، أو تقديم المفعول به على الفعل ^(٥)، أو حذف الفعل ^(٦)، أو المفعول به ^(٧)، يزعم منه أن مثل هذه التراكيب ليس لها حضور (بارع) أو (يذكر) - على حد وصفه ^(٨) - ولو رجعنا إلى ما قدمه الباحثون من إحصاء لهذه التراكيب اللغوية في نهج البلاغة لوجدنا خلاف ذلك، فهل يصدق على تركيب مثل تقديم شبه الجملة على الفعل الوارد في أكثر من (مائة وثمانية وأربعين) موضعا أن يوصف بأنه ليس له حضور بارع ! أو هل يصدق على تركيب مثل تقديم الاسم الظاهر (الخبر) على المبتدأ الوارد في أكثر من (ست وأربعين) موضعا أن يقال فيه "أنني لم أجد له حضورا يذكر"! نعم قد تكون هذه التراكيب بالنسبة إلى غيرها أقل عددا ولكن هذا لا يمنع من دراستها وبيان دلالاتها. وهو ما صححه في دراسته الثانية إذ أدخل فيها هذه الأنماط التركيبية.

(١) ينظر: من أسرار اللغة: 262.

(٢) نفسه: 263.

(٣) أشار الباحث محمود عبد حمد اللامي إلى أن هذا التركيب ورد في نهج البلاغة في سياق الإثبات بالنسبة للجار والمجرور في (مائة وأربعة) مواضع، وللظرف في (عشرين) موضعا، وفي سياق النفي قدم الجار والمجرور على الفعل في (ثلاثة عشر) موضعا، وفي سياق الاستفهام قدم الجار والمجرور في (أحد عشر) موضعا، أما الظرف فلم يقدم في سياق النفي أو الاستفهام. ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 34 - 35.

(٤) أشار الباحث علي عبد الفتاح محيي إلى أن هذا التركيب ورد في نهج البلاغة في (ست وأربعين) موضعا وبصور مختلفة إذ كان الخبر فيها نكرة، أو معرفة. ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: 32 - 33. (٥) ورد هذا التركيب في نهج البلاغة في سياق النفي (أحد عشر) موضعا، وفي سياق الاستفهام في موضع واحد، وفي سياق الإثبات في (ثلاثة) مواضع. ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 29، 30، 31.

(٦) حذف الفعل في نهج البلاغة وجوبا وجوازا في (سبعة وسبعين) موضعا. ينظر: نفسه: 45.

(٧) حذف المفعول به في نهج البلاغة في أكثر من (مائة وسبعين) موضعا. ينظر: نفسه: 59.

(٨) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 80، 84.

الحذف

ظاهرة الحذف تمثل ثاني الظواهر التركيبية التي أجمع الباحثون - في ميدان الدلالة -

على دراستها لما تؤثر هذه الظاهرة في تغيير المعنى أو تحويله، فالحذف عنصر من عناصر التحويل لا يمكن لأي باحث عن المعنى أن يتجاوزه، وأبرز ما أشار إليه الباحثون في هذه الظاهرة هو حذف الفعل أو الفاعل أو المفعول به ^(١)، وزاد بعضهم حذف المبتدأ أو الخبر ^(٢)، وأضاف بعضهم حذف الفصلة (مكملات الإسناد) ^(٣) وزاد بعضهم على ذلك كله أن فصل مواضع الحذف فتناول حذف الاسم (الكلمة)، والحرف، والجملة ^(٤)، في حين اقتصر بعضهم على دراسة الحذف في عنصر واحد من عناصر الجملة مثل حذف الفاعل ^(٥).

وإذا كان منهج الباحثين في دراسة ظاهرة التقديم قائم على دراسة ما جاز منه في عرف النحويين من دون الواجب، فإن منهجهم في دراسة الحذف شمل الجائز والواجب، ويتجلى ذلك بصورة أوضح في تناولهم حذف الفاعل في الجملة ذات الفعل المبني للمجهول، ولم يختلف منهجهم في عرض المادة العلمية لهذه الظاهرة عن سابقتها، وقد حاول الباحثون أن يضعوا دلالات لحذف كل عنصر من عناصر الجملة، وأرى أن دلالات الحذف لأي عنصر من عناصر الجملة هي واحدة، فدلالات حذف الفعل لا تختلف عن دلالات حذف الفاعل أو المفعول به... إلى غير ذلك، فالغرض الدلالي من الحذف إما التركيز على ما تبقى من عناصر الجملة، وإما التعميم والتوسع في الدلالة.

وأما ما ذكره الباحثون من أغراض أخرى للحذف فجاء ذلك نتيجة خلطهم بين غرضين أساسيين للحذف هما: الغرض البلاغي، والغرض الدلالي، أو لنقل خلطهم بين منهجين في التحليل: المنهج السلوكي النفسي، والمنهج البنيوي النصي، لأن هذين المنهجين قد جمعا في منهج البلاغيين، وأعني بالغرض البلاغي أن الحذف الواقع في أي عنصر من عناصر الجملة لا يؤثر في المعنى بقدر ما يؤثر في الشكل (عدد كلمات الجملة)، أو يؤثر في المعنى وفي الشكل في آن واحد ولكن يلحظ فيه الشكل على حساب المعنى، أو يبحث عن المعنى من خلال الوقوف على

(١) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 41 - 62.

(٢) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 86 - 91.

(٣) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 281 - 310.

(٤) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 80 - 96، والحذف صورته ودلالاته في كتاب نهج البلاغة.

(٥) ينظر: المبني للمجهول في نهج البلاغة دراسة لغوية: الفصل الثالث:

الأسباب النفسية التي جعلت المتكلم يلجأ لهذا الحذف، وأما الغرض الدلالي أن يكون الحذف عنصراً مؤثراً في معنى الجملة من خلال الوقوف على الجملة كما هي لا غير، ولنقف على سبيل المثال على دلالة من دلالات الحذف كثيراً ما أشار إليها الباحثون وهي الإيجاز، جاء في معاني القرآن للفراء: "وإذا كان المعنى معلوماً طرح منه ما يرد الكلام إلى الإيجاز"^(١) فالإيجاز حذف عنصر من عناصر الجملة نتيجة علم المخاطب به، فقد يكون هذا المحذوف لا يؤثر في المعنى وإنما يؤثر في الشكل فقط، ولعل فيما أورده الدكتور فاضل السامرائي من أمثلة كافية في توضيح هذا المعنى، قال: "ومن ذلك أن يكون المحذوف معلوماً للمخاطب، أو متعارفاً عليه بين الناس، نحو (اللؤلؤ مثقال عشرين) وتسكت عن التمييز وهو (ديناراً)،...ومن ذلك في كلام العامة فلان عنده قلب، أو عنده معدة، على معنى أن عنده مرض قلب أو مرض معدة اعتماداً على الفهم العام الذي تعارف عليه الناس"^(٢) والملاحظ في مثل هذه الجمل أن الحذف لم يؤثر في المعنى فلو ذكر المحذوف لم تتغير دلالة الجمل، وهنا يفاضل البلاغيون بين هذه الجمل من حيث الحذف أو الذكر، فيذهبون إلى أن الجمل التي حدث فيها حذف هي جمل موجزة، فالإيجاز سمة من سمات الكلام البليغ، وآية ذلك قولهم خير الكلام ما قلّ ودلّ^(٣). ويدخل في ذلك إذا كان المحذوف حرفاً كحذف ياء النداء في نحو (أيها الناس) أو جزء من كلمة، مثل: لم يك، ولا أدر. وقد يكون الحذف نتيجة وضوح المعنى في السياق، أو كثرة دورانه على ألسنة الناس...إلى غير ذلك، وبعيدا عن التفصيل، إن جملة الأصل إذا عدل عنها بحذف عنصر من عناصرها وكان معناها واحداً أفاد الحذف الإيجاز؛ لأن تأدية المعنى بأقل عدد من الكلمات أبلغ. فالغرض هنا غرض بلاغي لا دلالي وهو الإيجاز.

ودفعاً لتوهم مفاده أنني لا أجد فائدة في مثل هذا النوع من الحذف لأنني أشرت إلى أن الحذف والذكر في مثل هذه المواضع لا يغير من المعنى شيئاً أقول نعم: أنه قد لا يغير من المعنى ولكن ذلك لا يجعلهما في مقام واحد من البلاغة فلو "ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام من

(١) معاني القرآن: الفراء: 278 / 2.

(٢) الجملة العربية تأليفها وأقسامها: د. فاضل صالح السامرائي: 77.

(٣) ينظر: قطوف لغوية: عبد الفتاح المصري: 45.

علو بلاغته، ولصار إلى شيء مشتركٍ مسترذل ، ولكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والركة" (١).

وقد أشار الباحثون إلى أمثلة كثيرة كان الحذف فيها مؤثراً في الشكل لا في المعنى من ذلك ما ذكره الباحثان محمود عبد حمد اللامي، وسمير داود سلمان في حذف المفعول به للإيجاز (٢)، أو حذف الحرف لتسهيل النطق (٣).

وقد يؤثر العنصر المحذوف في الشكل والمعنى معاً، كحذف الفاعل في جملة الفعل المبني للمجهول فتصبح هذه الجملة أقل عدداً مما لو كانت مبنية للمعلوم، أو حذف المفعول به، وهنا يلحظ الباحثون تغير الشكل في الجملتين، فيضعون تبعاً لهذا التغير دلالات، أو يلحظون المعنى من خلال الوقوف على الأسباب النفسية التي دفعت المتكلم لحذف الفاعل، فإذا كان الفاعل المحذوف معلوماً للمخاطب ذهبوا إلى الإيجاز، ومن ثم جعلوا له أسباباً مثل التعظيم، والتحقير، وإذا لم يكن معلوماً ذهبوا إلى الإبهام، ومن ثم وضعوا له أسباباً مثل الجهل به، أو الخوف منه، أو الخوف عليه، وإذا وجدوا أنه لا يصح تقدير فاعل بعينه ذهبوا إلى دلالة عدم تعلق الغرض بذكره ويدخلون هذه الدلالة في الإبهام أيضاً، وهذه كلها أغراض بلاغية، تبحث في الدوافع النفسية التي جعلت المتكلم يلجأ إلى الحذف، وأما الغرض الدلالي في جملة الفعل المبني للمجهول فيتم رصده من خلال البحث عن المعنى في الجملة كما هي؛ لأنها الممثل الوحيد عن المعنى الذي يريده المتكلم فالمحذوف لا يريده المتكلم ولا يقصده وإنما يريد الذي ذكره، ففي هذه الجملة يكون التركيز على الحدث والمفعول به دون سواهما. وهنا تحويل في المعنى من الكل إلى الجزء، أو لنقل من العام إلى الخاص، وقد يريد المتكلم خلاف ذلك حين لا يريد حصر المعنى في فاعل بعينه وإنما يجعله عاماً فينتقل بالمعنى من الجزء إلى الكل للتوسيع في الدلالة وهو ما يسمى بالعموم، ويغلب ذلك في حذف المفعول به لأنه تقييد للمعنى، وقد أشار الباحثون إلى هذه المعاني

(١) الطراز: 51 / 2.

(٢) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 60- 61، ودراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 87 -

88.

(٣) دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 81،

فضلا عن سابقتها^(١) وربما أدرك الباحث هادي شندوخ حميد أن معظم هذه الدلالات البلاغية لم تركز على الجملة التي حذف عنصر من عناصرها كما هي، لذا ركز على الجانب الدلالي في أمثلته لحذف الفاعل^(٢).

والذي يبدو لي أن حذف الفاعل في الجملة المبنية للمجهول ليس الغرض منه الإيجاز، سواء علم المخاطب بالفاعل أو لم يعلمه؛ لأن حذف الفاعل هنا لم يكن مراعاة لحال المخاطب، بل لأن المتكلم لا يريده في المعنى، ففرق بين الفاعل المحذوف والفاعل المستغنى عنه، والفرق بين الحذف والاستغناء، أن الحذف يكون من الموجود، ولما لم يكن موجودا في بعض التراكيب اللغوية، ووجوده أساس لسلامة التركيب يُلجأ إلى تقديره، وأما ما يستغنى عنه فلا حاجة لتقديره إذ بغيره يستقيم التركيب، فالفاعل هنا مستغنى عنه، فإذا لجأ المتكلم إلى بيان معنى واحد بجملتين حذف من إحداها عنصرا أو أكثر بناء على علم المخاطب بالعنصر المحذوف، أو لوضوح معناه في السياق، أو لكثرة دورانه على ألسنة الناس، جاز القول بأن الجملة التي هي أقل عددا جملة موجزة مختصرة؛ لأنها أدت المعنى نفسه الذي تؤديه الجملة الأخرى الأكثر عددا، من دون التركيز على جزء من أجزاء المعنى، أو تحويله، فالعنصر المحذوف يريده المتكلم ويقصده في المعنى إلا أنه اعتمد على المخاطب في إدراكه، وأما إذا لجأ المتكلم إلى بيان معانٍ مختلفة عما هي عليه في جملة الأصل فعمد إلى حذف ما لا يريده من ذلك الأصل وأبقى ما يريده ويقصده فلا يصح أن نقول في مثل ذلك إن الجملة التي حذف منها المتكلم عنصرا أو أكثر أنها موجزة قياسا على جملة الأصل، مثل تحويل الجملة المبنية للمعلوم إلى جملة مبنية للمجهول؛ لأن المفاضلة في مثل هذه الجمل يسلب ما أراده المتكلم من معنى فإذا قلنا إن الجملة التي حذف منها الفاعل ببناء الفعل للمجهول هي إيجاز لجملة الفعل المبني للمعلوم يعني ذلك أنهما متساويتان في المعنى ومن ثم تكون الجملة التي حذف منها الفاعل أبلغ من التي ذكر فيها، وفي الحقيقة أن لكل منها معنى أراده المتكلم فالجملتان بليغتان في معنهما، فلا ذكر الفاعل في جملة الأصل زائد إلا بلا فائدة ولا حذفه في الجملة المعدولة اختصارا في عدد الكلمات حتى يقال إيجاز، وإنما حذفه المتكلم لأنه لا يريده

(١) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 51- 54، ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 88، ودراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 86، ورسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة لغوية: 296 - 297. والمبني للمجهول في نهج البلاغة: 98 - 119.

(٢) ينظر: الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة: 26 - 28.

في المعنى وبذلك يكون المتكلم قد بنى كلامه على ما يريده من معنى، فشكل الجملتين يوحي بأن إحداهما إيجاز عن الأخرى ولكن معناهما يختلف في نفس المتكلم.

ولذا أرى أن ما ذكره الباحثون من أسباب في حذف الفاعل لا يؤثر في تغيير معنى

الجملة، ولعلّي أجد في ما ذهب إليه أحد النحاة من أن أسباب حذف الفاعل ليس من وظيفة النحوي، وإنما هي من وظيفة أهل المعاني^(١)، ما هو إلا إدراك منه بأن هذه الأسباب وإن تعددت تبقى الجملة ذات معنى يصح السكوت عليه ينبغي أن ينظر إليها كما ينظر إلى غيرها من الجمل، فما الفائدة من تقدير محذوف استغنى عنه المتكلم، فصاحب هذا الرأي لا يريد أن ينفي علاقة النحو بالمعنى كما ذهب أحد الباحثين معلقاً على هذا الرأي بقوله: "أننا لا نوافق على الفصل بين علم النحو وعلم المعاني؛ لأنهما توأمان منشأ وغاية، ولا يتصور أن تستقيم قواعد النحو وأحكامه عن تأمل المعاني والتعرف عليها بحسب ما لدى المتكلم من أغراض ومن هنا قيل الإعراب فرع المعنى"^(٢) ومن ذلك نتبين أن ما ذكره الباحثون من أن الحذف هو أحد أقسام الإيجاز^(٣) غير دقيق؛ لأن الإيجاز غرض من أغراض الحذف، فليس الحذف كله إيجازاً.

إن دراسة ظاهرة الحذف على أنها مظهر تركيبى يؤثر في تغيير المعنى - وعلى هذا بنى

الباحثون دراساتهم - تستلزم أن يكون ذكر المحذوف مؤثراً في المعنى أيضاً، وأعني بذلك أن الباحث لو ذهب إلى معنى معين كان سببه الحذف يستلزم أن يتغير هذا المعنى لو ذكر المحذوف وهذا مما لا أجده في كثير من الدلالات التي ذكرها الباحثون؛ لأنها لا تدخل في هذا التوصيف للحذف كونها لم تركز على تغيير المعنى في الجملة بقدر ما ركزت على أسباب الحذف، ولتقف عند هذه الدلالات لنرى الأثر الذي تركته في المعنى، فقد أشار الباحثون كثيراً إلى دلالة العلم بالمحذوف، أو تعظيمه، أو تحقيره، في أمثلة كثيرة سواء كان المحذوف في موضع الابتداء أو الخبر أو الفاعل أو المفعول به...، ولو أمعنا النظر في هذه الأمثلة فسنجد أن معظمها مما يجوز فيه الحذف أو الذكر، فإذا كانت هذه الدلالات جاءت نتيجة الحذف، فما مصير هذه الدلالات لو ذكر المحذوف هل تتغير؟

(١) ينظر: حاشية العدوي، شرح شذور الذهب: 218، نقلاً عن: النيابة في الموقع الإعرابي: د. عبد العظيم فتحي خليل، مجلة بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها، الرياض، 1987م: 1/ 191 - 192.

(٢) نفسه: 1/ 192.

(٣) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية:

من ذلك ما ذهب إليه الباحث حسن هادي نور من أن الإمام (عليه السلام) حذف المبتدأ لمعرفة المخاطب به^(١) في قوله: "قَاهِرُ مَنْ عَازَهُ وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ"^(٢) أي (هو) العائد على لفظ الجلالة (الله)، أو تعظيماً له^(٣) في قوله (عليه السلام): "الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ الْعَالَمِ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ"^(٤) أي (هو) العائد على لفظ الجلالة (الله)، أو تحقيراً له^(٥) في قوله (عليه السلام): "صُمُّ دَوُو أَسْمَاعٍ وَبُكْمُ دَوُو كَلَامٍ وَعَمِي دَوُو أَبْصَارٍ"^(٦) أي أنتم تحقيراً لهم. وما ذهب إليه الباحث هادي شندوخ حميد من حذف المبتدأ تعظيماً لشأنه وجلالة سلطانه لكونه يعود على لفظ الجلالة (الله)^(٧)، في قوله (عليه السلام): "لطيفٌ لا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ رَحِيمٌ لا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ"^(٨) أو حذفه للتحقير^(٩) في قوله (عليه السلام): "جُفَاءٌ طَغَامٌ عَيْدٌ أَقْرَامٌ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ"^(١٠) أي هم جفاة طغام على معنى التهكم والتحقير، أو ما ذكره الباحثان محمود عبد حمد اللامي وسمير داود سلمان من أمثلة لحذف المفعول به للإيجاز^(١١)، فهذه الأمثلة جميعاً مما يجوز فيها الحذف والذكر، فلو لجأ الإمام (عليه السلام) إلى ذكر المحذوف في هذه الأمثلة، فهل يعني ذلك أن هذا العنصر فقد دلالاته على التعظيم أو التحقير والتهكم، وبصراحة لا أميل إلى ذلك؛ لأنني أرى أن دلالة التعظيم والتحقير والعلم كلها مفهومة من سياق الجملة لا من الحذف، فليس الحذف هو الذي كشف عن دلالة العلم والتعظيم والتحقير وإنما الذي كشف عن هذه المعاني سياق حشد فيه الإمام (عليه السلام) من الصفات ما يتآزر في تجسيدها، إذ لو ذكر المحذوف لم تتغير الدلالة، فهذه في الحقيقة ليست دلالات للحذف وإنما هي أسباب توصل بها البلاغيون لمعرفة الدافع النفسي الذي ألجأ المتكلم لهذا الحذف، وينبغي أن يفرق الباحثون بين السبب والدلالة؛ لأن

(١) ينظر الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 89.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 6 / 395.

(٣) ينظر الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 89.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 8 / 268.

(٥) ينظر الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 90.

(٦) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 7 / 70.

(٧) ينظر: الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة: 18.

(٨) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 10 / 64.

(٩) ينظر: الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة: 18.

(١٠) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 13 / 309.

(١١) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 60-61، ودراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 87 -

الدلالة تستوحى مما بقي من أجزاء الجملة، وهب أن الحذف منح هذا العنصر دلالة من هذه الدلالات، فإنه - مع ذلك - لا يمثل عنصر تحويل في معنى الجملة بل يمثل عنصر تحويل في معنى اللفظ المفرد. وإخال أن الباحثين معنيون بدراسة دلالة الجملة وليس دلالة العنصر المحذوف، لذا كان عليهم أن يركزوا تحليلهم على ما ذكر أو ما بقي من أجزاء الجملة، لكونه يمثل معنى أرادته المتكلم، ويوازنوا بين معنى في جملتين حدث في إحداها حذف، فلا يجدي أن يقال إن الفارق بين الجملتين هو الحذف الذي هو بسبب العلم به أو تعظيمه أو تحقيره، لأن السؤال يبقى قائما ما الفرق بينهما من حيث المعنى؟

ومن جانب آخر أن هذه الأسباب يصح أن يقوم بعضها مقام بعض فلو أعدنا النظر في أمثلة الباحث حسن هادي نور التي ساقها على دلالة حذف المبتدأ على العلم به أو على التعظيم وهي مما يتعلق بلفظ الجلالة (الله) لصح أن نستخدم أيا من هذين السببين سببا للحذف في المثالين؛ لأن لفظ الجلالة معلوم عند المخاطب ومعظم في نفسه أيضا، ولعل الباحثين محمود عبد حمد اللامي، و هادي شندوخ حميد حاولا أن يفرقا بين السببين إذ جعلنا ما كان منهما تعظيما للمحذوف هو أن يكون في سياق لا يليق بذكر لفظ الجلالة استكراها لما فيه من ألفاظ فيكون الحذف هنا تعظيما وتنزيها^(١).

وأظهر ما تكون عليه هذه الأسباب من الخلط والتداخل إذا كان المحذوف - الفاعل مثلا - لا يعلمه المخاطب إذ يلجأ الباحثون إلى تقدير أسباب لا دليل عليها في تركيب الجملة مثل الخوف منه، أو الخوف عليه، أو الجهل به، أو للإبهام على السامع، وأرى أن البحث في مثل هذه الأسباب أو الأغراض هو بحث في حدس المتكلم، ولذا نجد أن هذه الأغراض تتداخل عند الباحث المحلل لأن كل واحد منها يصح أن يقوم مقام غيره، ولربما وجد الباحث محمود عبد حمد اللامي أن من بين هذه الأغراض ما يسيء إلى شخصية الإمام (عليه السلام) ويتنافى مع مكانته العلمية والدينية لذا قال: " أما بقية الأغراض التي ذكرها علماء العربية كحذفه - أي الفاعل - للخوف منه أو عليه، أو للجهل به، فإنها لم ترد في نهج البلاغة إطلاقا" ^(٢) إن المنهج السليم يقتضي على الباحثين أن يحصروا عملهم في الصورة اللفظية المنطوقة لا في الألفاظ المحذوفة أو المتصورة ،

(١) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 53، والحذف صورته ودلالاته في كتاب نهج البلاغة: 18.

(٢) الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: 54

فعلى سبيل المثال أن دراسة أثر حذف الفاعل يتوصل إليه الباحثون من خلال الوقوف على الجملة المبنية للمجهول ومعرفة الفارق الدلالي بينها وبين الجملة المبنية للمعلوم. لا من خلال معرفة أسباب الحذف.

وأرى أن الجملة الفعلية ذات الفعل المبني للمجهول المثبتة المكتفية بأقل عدد من عناصرها التأسيسية (المسند والمسند إليه) والمرتبة حسب الأصل هي جملة توليدية تحويلية في آن واحد (باعتقاد تقسيم الدكتور خليل أحمد عمايرة للجملة)¹، فهي توليدية بلحاظ ما تؤديه من دلالة مجرد الإخبار، وإن كنت لا أميل إلى القول بأن الجملة المبنية للمعلوم أو المبنية للمجهول المرتبة حسب الأصل إنما تدل على الخبر المجرد من خلال نقله من صورته الذهنية في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع من دون التركيز على معنى من المعاني؛ لأنها وإن دلت على ما فيها من خبر إلا أنها ركزت على ما تقدم منها وهو الحدث.

وهي تحويلية؛ لأن المتكلم قد عدل إليها من الجملة المبنية للمعلوم لغرض التغيير في المعنى من خلال إدخال عنصر من عناصر التحويل عليها وهو الحذف، ففي الجملة التوليدية الفعلية المبنية للمعلوم أراد المتكلم الإخبار من دون التركيز على معنى من المعاني وهو إخبار عن الحدث والفاعل، أو الحدث والفاعل والمفعول به، وأما في الجملة المبنية للمجهول فالتكلم أراد الإخبار أيضا من دون التركيز على معنى محدد إلا أنه استثنى الفاعل من الخبر لأنه لا يريده ولا يقصده في المعنى وإنما أراد أمرا آخر لا يتعلق بالفاعل، وهو الذي ينبغي أن يلاحظ وهو التركيز على الحدث والمفعول به مع اختلاف نسبة التركيز بينهما تقديما وتأخيرا، إثباتا ونفيا، استفهاما وتوكيدا. ومن ثم فإن قولنا بأنها جملة تحويلية هو بلحاظ الجملة التوليدية المبنية للمعلوم، ومن ثم تتحول هذه الجملة التوليدية المبنية للمجهول إلى جملة تحويلية - كما هو الحال في الجملة الفعلية المبنية للمعلوم - عندما يستخدمها المتكلم لنقل الخبر من خلال التركيز على جزء من أجزائه لإظهار عنايته واهتمامه به، باستخدامه عنصرا من عناصر التحويل التقديم، والزيادة، والحذف، والنبر... إلى غير ذلك.

كما أود الإشارة إلى أن الباحثين كثيرا ما يلجؤون إلى تقدير المحذوف وهم يبحثون عن المعنى، وأرى أن تقدير المحذوف من جهة النحو يساعد الباحث على فهم القواعد النحوية

(¹) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: 87 - 88.

الأساسية، وأما تقديره من جهة المعنى فإنه يفسد الغرض الذي من أجله حذف المتكلم ما حذف سواء أكان هذا الغرض بلاغياً أم دلالياً "ولما كان المتكلم قد حذف لغرض بلاغي فليس من حق السامع أن يبرز هذا المحذوف، وأنه إن فعل، فقد أفسد هذا الغرض البلاغي... فالأفضل إذا أن يفهم أن هناك حذفاً وأن يترك للسامع تقدير هذه الاحتمالات كلها، بل زيادة عليها" ^(١) وأما إذا كان المحذوف لغرض دلالي فإن المتكلم لا يريده في المعنى ولا يقصده وهنا ما الداعي إلى تقدير محذوف لا يريده المتكلم في المعنى.

ولذا ذهب الدكتور خليل أحمد عمارة إلى " أن على المحلل اللغوي أن يضع إشارة المجموعة الخالية مكان المحذوف خشية إفساد الغرض البلاغي الذي من أجله حذف المتكلم ما حذف، فتقلب الجملة من توليدية ذات معنى إخباري محايد إلى تحويلية ذات بعد دلالي آخر" ^(٢).

الزيادة (التقييد)

تمثل ظاهرة الزيادة ثالث الظواهر التركيبية التي لجأ بعض الباحثين – في ميدان الدلالة – إلى دراستها لما تؤثر هذه الظاهرة في تغيير المعنى أو تحويله، فالزيادة عنصر من عناصر التحويل لا يمكن لأي باحث عن المعنى أن يتجاوزها، وقد ركز الباحثون في دراستهم هذه الظاهرة على الجانب الدلالي والنحوي لأنهم ينطلقون من رصد عناصر لغوية جديدة أضيفت إلى الجملة الأصل وبذلك درسوا دلالة الجملة كما هي، لا بافتراض عناصر غير موجودة كما في ظاهرة الحذف، فالأصل في تركيب الجملة أن يقتصر بناؤها على الركنين الأساسيين (المسند والمسند إليه) من غير زيادة تصرف الكلام إلى حكم معين أو تحصره في وجه من الوجوه، إذ إن غرضها من ذلك الإخبار فقط، وهذا ما يؤديه التركيب الأصلي للجملة، وتسمى الجملة المطلقة، أما إذا زيد على ركني الجملة شيء مما يتعلق بهما أو بأحدهما لإفادتها بذلك فائدة فتسمى الجملة المقيدة، وقد عبر النحاة عن هذه الزيادة بالفضلات أو المكملات الإسنادية فالفضلة عندهم هي "عبارة عما زاد عن ركني الإسناد كالمفعول والحال والتمييز" ^(٣)، كما عبر عنها البلاغيون بالقييد الذي يضاف إلى الجملة الأصل لتحقيق زيادة في المعنى، فكل زيادة في المبنى تعني زيادة في المعنى، وقد وقف

(١) المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي: 167.

(٢) نفسه: 168.

(٣) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافت: جمال الدين محمد بن مالك: 417.

البلاغيون طويلا عند مفهوم (القيد والمقيّد) فعبد القاهر الجرجاني يرى فيه بأنه ما حصر معناه " بشيء يخصصه ويجعله في حكم نوع برأسه"^(١)، والسكاكي يقف عنده وقفة تفصيل مشيرا إلى قيمته الدلالية في السياق والمتمثلة بـ (تربية الفائدة) ومعددا وجوه التقييد^(٢) وكلما زادت المقيدات في الجملة ازداد معناها وضوحا "لما هو معروف من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد وضوحا وتخصيصا فتكون فائدته أتم وأكمل"^(٣) وأبرز ما أشار إليه الباحثون في هذه الظاهرة هو زيادة النواسخ^(٤) والنفي^(٥) والمفعولات^(٦) والتوابع^(٧) والشرط^(٨) والقصر^(٩).

ولو أنعمنا النظر في عناصر الزيادة هذه لوجدنا أنها تزداد في أول الجملة أو في وسطها أو في آخرها، وأن هذه العناصر منها ما يزداد على الأسماء ومنها ما يزداد على الأفعال ومنها ما يزداد على الأسماء والأفعال معا، ولمعرفة الأثر الذي تتركه هذه الزيادات أو القيود في معنى الجملة الأصل لا بد من معرفة معاني كل عنصر من هذه العناصر التي تزداد على الجملة الأصل فعلى سبيل المثال دخول إن أو إحدى أخواتها على الجملة الاسمية ينقلها من معنى الإخبار المجرد إلى معنى آخر تبعا لمعنى الأداة فـ (إن وأن) تنقل الجملة إلى معنى التوكيد، و(كأن) تنقلها إلى التشبيه، و(لكن) تنقلها إلى معنى الاستدراك، و(ليت) تنقلها إلى معنى التمني، و(لعل) تنقلها إلى معنى الترجي، وهنا تكون القيمة الحقيقية دلالية لمعنى الأداة، وكذلك الحال في كان وأخواتها إذ إنها تضيف على معنى الجملة الأصل ما تحمله كل أداة من معنى الزمن، وكذا الحال في بقية

(١) دلائل الإعجاز: 207.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم: 309، وشروح التلخيص: 32 / 2.

(٣) جواهر البلاغة: 157.

(٤) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 108 – 109، والظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة: 169 – 180، والتقييد في نهج البلاغة دراسة نحوية: الفصل الأول: 27 – 89.

(٥) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 109 – 111، الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة: 180 – 190، والتقييد في نهج البلاغة دراسة نحوية: 50، 54، 55، 88.

(٦) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 113 – 119، الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة: 190 – 204، والتقييد في نهج البلاغة دراسة نحوية: الفصل الثاني: 90 – 150.

(٧) ينظر: الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة: 204 – 215، والتقييد في نهج البلاغة دراسة نحوية: الفصل الثالث: 151 – 202.

(٨) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 111 – 113، الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة: 215 – 224، والتقييد في نهج البلاغة دراسة نحوية: الفصل الرابع: 244 – 254.

(٩) الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة: 224 – 229، والتقييد في نهج البلاغة دراسة نحوية: الفصل الرابع: 258 – 260.

الزيادات الأخرى، كالأدوات الداخلة على الأفعال إذ تضيف على معنى الجملة معاني آخر كالنفي والاستفهام والتوكيد والشرط.

وكما رصد الباحثان حسن هادي نور وعباس اسماعيل سيلان الدلالات الناتجة عن زيادة عنصر أو أكثر على الجملة الأصل اختص باحثون آخرون برصد الدلالات الناتجة عن زيادة أدوات بعينها على الجملة بشكل مفصل في نهج البلاغة.

وإذا كنا قد حاولنا تحديد دلالات التقديم والحذف فيما سبق، نرى أن دلالات الزيادة أو القيد تنتوع بتنوع القيود أو الزيادات فلكل عنصر من عناصرها دلالاته الخاصة به، وسنتناول ذلك بشكل أكثر تفصيلاً في مبحث الأساليب التعبيرية.

المبحث الثالث

الأساليب التعبيرية

مدخل

الأساليب تتحصر في قسمين اثنين: أساليب خبرية، وأساليب إنشائية، فالكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، سمّي كلاماً خبرياً، وإن كان الكلام بخلاف ذلك، أي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، سمّي إنشائياً.

وقد تناول الباحثون في نهج البلاغة هذين القسمين، فما يتعلق بالأساليب الخبرية تناولوا أسلوب النفي^(١)، والتوكيد^(٢)، والشرط^(٣)، وفيما يتعلق بالأساليب الإنشائية تناولوا أساليب الطلب فقط^(٤)، وهو ما يعرف بالإنشاء الطلبي، ويدخل في هذا القسم: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والنداء، والدعاء، والعرض، والتحضيض، والتمني، والترجي، وأما الأساليب الإنشائية غير الطلبية فلم يتناولوها أحد من الباحثين في نهج البلاغة، سوى ما قدمه الباحث سمير داوود سلمان من وقفة موجزة لأسلوب التعجب^(٥)، والبلاغيون لا يكادون يلقون بالا إلى هذا القسم الثاني من أساليب الإنشاء، لقلة المباحث المتعلقة به من جهة، ولأن أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، وأما النحويون فيوجهون عناية خاصة إلى معظم أنواع هذا القسم في مختلف أبواب النحو، بل عقدوا لبعضه أبواباً خاصة، ويدخل في هذا القسم: أفعال المقاربة، وأفعال التعجب، والمدح والذم، وصيغ العقود، والقسم، ورُبّ، وكَم الخبرية ونحو ذلك.

والأصل في الكلام أن يشتمل على مسند ومُسند إليه، ولكن حاجة المتكلم إلى إضافة معانٍ أخرى إلى كلامه تدفعه إلى أن يزيد عناصر جديدة تؤدي ما يريده من معنى، ولكل معنى أدواته الخاصة به، وحصر هذه الأدوات تبعاً للمعنى الذي تؤديه يجعلها تشكل أساليب مختلفة يلجأ المتكلم إلى استعمالها إذا دعت الحاجة إليها معبراً من خلالها عن أفكاره وأحاسيسه، وهنا تكمن القيمة الدلالية للأداة لما لها من أثر فاعل في بناء الجملة، إذ تعد مفتاحاً لها، كأدوات الاستفهام، والنداء والأمر، والشرط وغيرها، فهي تشير إلى الجو العام الذي يسيطر على فكر المتكلم عند نطقه

(١) ينظر: أسلوب النفي في نهج البلاغة، ودراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 129 – 131.

(٢) ينظر: أساليب التوكيد في نهج البلاغة: ، ودراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 131 – 134.

(٣) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، والأسلوب الشرطي في نهج البلاغة، ودراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 134 – 135.

(٤) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: عدوية عبد الجبار كريم الشرع، ودراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 121 – 128.

(٥) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 135.

بالجملة، أي أنها تحدد أسلوب الجملة وبذلك يتميز الاستفهام من النفي، أو النداء، أو الشرط، أو النهي، أو غيرها من الأساليب.

والملاحظ أنَّ كتب النحو العربي تعبر عن الأسلوب بالأداة؛ كونها تغير من معنى الجملة، ولذلك تحمل الأداة معنى أسلوب الجملة ^(١)، إذ إنّ "الأداة التي تنصدر الجملة هي التي تحدد عادة أسلوبها" ^(٢)، وبما أنّ للأداة وظيفتها فإنّ الوحدات الأخرى لها وظائفها الدلالية والنحوية ضمن أسلوب الجملة العام.

والملاحظ أنّ الدراسات المعاصرة تنظر إلى طبيعة الأسلوب من خلال وحدات الجملة التي تتفاعل في تكوين الأسلوب: الأداة + الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية = الأسلوب ^(٣).
فالأداة في الجملة لها وظيفتان:

1- الوظيفة النحوية: وهي التأثير في الحكم الإعرابي لما بعدها.

2- الوظيفة الأسلوبية: وهي نقل الجملة من أسلوب إلى آخر مستفاد من الأداة ومعنى التركيب الذي تكون الأداة جزءاً منه.

وعناية الباحثين في نهج البلاغة في دراسة هذه الأساليب الغرض منها دمج النحو بمعانيه، أو لنقل إعادة الصلة بينهما، باعتماد شواهد لغوية صحيحة ^(٤)، لأنه مما عيب على النحاة أنهم أغفلوا دراسة الأساليب بشكل مستقل إذ لم يشملوها بالعناية والاهتمام - على الرغم من أنهم عقدوا أبواباً خاصة لقسم منها - قدر عنايتهم بالإعراب "ولا ضير في الاهتمام بالإعراب وعلاقاته على أنه جانب من جوانب الدرس النحوي، لا على أنه النحو كلّهُ" ^(٥) فجاءت معظم هذه الأدوات مفرقة على أبواب النحو تبعاً لما تؤثره في الحكم الإعرابي لما بعدها، ومن هنا فإن معظم هذه الأساليب قد درست مفرقة على أبواب الإعراب ^(٦) فالنحويون لم يعقدوا باباً للجملة وما يعرض لها من ظروف ظروف مقالية أوحالية في أثناء التأليف، وما يطرأ عليها من تحولات، وتبدلات لغوية مختلفة، ولقد

(١) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني: الماقي: 230-269، والجنى الداني في حروف المعاني: المرادي: 152، 306.

(٢) بحوث ألسنية عربية: ميشال زكريا: 89-90.

(٣) ينظر: نفسه: 60.

(٤) ينظر: أسلوب النفي في نهج البلاغة: 8.

(٥) في النحو العربي نقد وتوجيه: 66.

(٦) ينظر: إحياء النحو: إبراهيم مصطفى: 3 - 4، ونحو التيسير: د. أحمد عبد الستار الجواري: 127، ونحو

المعاني: د. أحمد عبد الستار الجواري: 125.

وجد الباحثون أنه من المفيد المجدي أن تدرس الجملة من خلال جعلها موضوع الدرس النحوي "من حيث ما يطرأ على أركانها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف أو إضمار أو إظهار، ومن حيث ما يطرأ عليها من استفهام أو نفي أو تأكيد، كل هذا مما يرتبط ارتباطاً بموضوع الدرس النحوي، أعني الجملة، ارتباطاً وثيقاً لا يصح إغفاله وإهماله" ^(١) وقد حاول الباحثون في نهج البلاغة النهوض بأعباء هذه المهمة تلبية لحاجة الدرس النحوي والدلالي باعتماد نص لغوي موثوق به ينتمي إلى عصر الاستشهاد، فانفرد كل منهم بدراسة جانب من جوانب الجملة العربية من خلال رصد ما يطرأ عليها من تغيرات وزيادات تؤثر في المعنى، على أن هذه الدراسات لم تكن هي الأولى من نوعها بل هي مسبقة بدراسات كثيرة تتفق معها في العنوان والهدف وتختلف معها في الميدان التطبيقي، وجدير بالذكر أن بعض العلماء عملوا تصانيف جمعت فيها مجمل الأدوات النحوية وتكلموا عن معانيها في السياقات المختلفة، مثل (معاني الحروف) للرماني، و(الجنى الداني في حروف المعاني) للمرادي، وغيرها، وقد جمع ابن هشام الأنصاري أكثر من تسعين أداة نحوية، مستقصياً معانيها من خلال السياقات التي ترد فيها ^(٢)، وعمد أحد الباحثين إلى دراسة هذه الحروف في نهج البلاغة ^(٣)، ولكن الأساليب اللغوية لا تعرف بأدواتها التي تميزها وتحددها فحسب، بل إن من الأساليب ما تحددها القرائن اللغوية وتدلُّ عليها، وربما كانت مضمنة أساليب أخرى.

وسنبداً أولاً بذكر الأساليب الإنشائية الطلبية ومن ثم الأساليب الخبرية

الأساليب الإنشائية الطلبية

تناولت الباحثة عدوية عبد الجبار أساليب الطلب في نهج البلاغة، فقد خصصت لها دراسة مستقلة، في حين أفرد لها الباحث سمير داوود مبحثاً في دراسته، لذا كانت دراسة الباحثة عدوية عبد الجبار أكثر تفصيلاً وأوفى أمثلة، وقد غلب على منهجها طابع الإحصاء أكثر من التحليل في رصد الأنماط التركيبية لكل أسلوب من أساليب الطلب، إذ عمدت إلى فهرسة الجمل الطلبية وبيان أنماطها التركيبية المختلفة في نهج البلاغة.

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه: 28، وينظر: نحو الفعل: د. أحمد عبد الستار الجواري: 11 - 13.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: 1 / الباب الأول.

(٣) ينظر: حروف المعاني في نهج البلاغة دراسة نحوية: عبد الواحد وساك آل عجيل.

أولاً: أسلوب الأمر

عرضت الباحثة الأنماط التركيبية لصيغ الأمر في نهج البلاغة مشيرة إلى أن الأمر لا يحصل إلا بالفعل ^(١) وصيغته هي: افعل، ولتفعل، والمصدر النائب عن فعل الأمر، وأسماء الأفعال، والأمر بالخبر. ومن النظر في صيغ الأمر هذه لا أوافق الباحثة فيما ذهبت إليه من أن الأمر لا يكون إلا بالفعل، فمن بين هذه الصيغ الخمس لم يحصل الأمر بالفعل إلا في صيغة واحدة متفق عليها وهي (افعل)، ومع ذلك ذهب الدكتور مهدي المخزومي إلى إنكار فعلية صيغة (افعل) ^(٢) وقد سبقه إلى ذلك الأصوليون ^(٣)، ونبه أستاذنا الدكتور سامي علي جبار إلى أن هذه الصيغة خرجت من الدلالة الفعلية وأصبحت مرادفة لأداة الطلب، فالأمر في صيغة (افعل) لا يكون "مهماً سواء أكانت مستقلة أم كانت صيغة منقطعة من (لتفعل) ولكن تجريد الصيغة من الزمان وإخراجها من الدلالة الفعلية، وجعلها مجرد صيغة طلبية أو لنقل مرادفة لأداة الطلب، كل ذلك يبعد الصيغة عن التركيب، فليس للصيغة بعد التجريد من الفعلية، علاقة اسنادية" ^(٤).

وأما بقية الصيغ الأخرى فهي ليست بأفعال، فاللام الداخلة على الفعل المضارع هي التي حولت دلالة الجملة إلى الأمر وليس الفعل، بدليل لو جرد الفعل منها لأصبحت الجملة غير أمرية، فهي أداة أمر ولذا تسمى (لام الأمر) وهو مذهب البصريين خلافاً لما ذهب إليه الكوفيون من أن الأصل في صيغة (لتفعل) هو (افعل)، والأمر بالمصدر يختلف عن الأمر بالفعل من حيث الدلالة فقد ذهب ابن الأثير إلى أنه يفيد الاختصار والمبالغة والتوكيد ^(٥)، ويرى الفراء أن المصدر النائب عن فعل الأمر ليس كالشيء الذي يجب بفعل قبله " فضرِب الرقاب، فإنه حثهم على القتال إذا لقوا العدو، ولم يكن الحث كالشيء الذي يجب بفعل قبله " ^(٦)، وقد فرقت الباحثة بين الأمر بالمصدر والأمر بالفعل قائلة: " بعد استقراء الأمر بالمصدر في نهج البلاغة، وجدنا أن فيه حثاً أكثر من الأمر بالفعل" ^(٧)، وكذا الأمر بأسماء الأفعال فهناك من يميزها عن الفعل ويعدها قسماً رابعاً من

(١) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: 8

(٢) ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه: 120.

(٣) ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين: 154.

(٤) الجملة الطلبية في شعر أبي تمام دراسة لغوية أسلوبية: سامي علي جبار: 26.

(٥) ينظر: المثل السائر: 2 / 89 - 90.

(٦) معاني القرآن: 1 / 109.

(٧) أساليب الطلب في نهج البلاغة: 59.

أقسام الكلام لأن " لها سمات شكلية ووظيفية تختلف عن سمات الأفعال، والأسماء، وبقية الأقسام تبرر إفرادها بقسم خاص قائم بذاته" ^(١)، وأما الأمر بصيغة الخبر فمرجعه السياق.

لقد ركزت الباحثة على رصد الأنماط التركيبية المختلفة لأسلوب الأمر في نهج البلاغة وأحصتها، فعلى سبيل المثال الأمر بالفعل (افعل) فصلت فيه أنواع فعل الأمر في كل نمط تركيبى مبتدئة بالفعل الصحيح بأنواعه السالم والمهموز، ثم المعتل بأنواعه المثال والأجوف والناقص، ثم الفعل المزيد بصيغته الصرفية المختلفة موردة أنواع الفعل هذه جميعا في نمطين تركيبيين هما: (فعل الأمر المسند إلى ضمير المفرد المخاطب) و(فعل الأمر المسند إلى واو الجماعة) ومن ثم بينت الأنماط التركيبية لصيغ الأمر الأخرى، لقد غلب الإحصاء على منهج الباحثة أكثر من التحليل مشيرة إلى أن أسلوب الأمر في معظم هذه الأمثلة خرج إلى النصح والإرشاد. ^(٢)

فالباحثة لم تبين الفرق الدلالي - على سبيل المثال - بين الأمر بصيغة (افعل) والأمر بصيغة (لتفعل) في ضوء ما تيسر لها من شواهد كثيرة.

أما الباحث سمير داوود سلمان فقد ابتعد عن الإحصاء مكتفيا بما قدمته الباحثة، وركز على خصائص أسلوب الأمر في نهج البلاغة وهي:

- ١ - اعتماد أسلوب الأمر على الدلالة الحسية لغرض زرع الموعظة والنصيحة في قلب السامع
- ٢ - ربط أسلوب الأمر بالتعليل العلمي الطبيعي لغرض إيصال النصيحة.
- ٣ - ربط أسلوب الأمر بالدلالة النفسية.

وقد مثل لكل واحدة بمثال واحد ^(٣).

والملاحظ أن الباحثين لم يتناولوا الدلالة الزمنية لفعل الأمر (افعل) فقد اكتفت الباحثة عدوية عبد الجبار بالقول: " أما زمن الحدث الذي تفيده (لتفعل) في الأمر فهو الاستقبال " ^(٤) على أن الدلالة الزمنية لصيغة الأمر هي محل خلاف.

(١) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: د. فاضل مصطفى الساقى: 250 - 251.

(٢) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: الفصل الأول: 8 - 71.

(٣) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 123 - 124.

(٤) أساليب الطلب في نهج البلاغة: 52.

ثانياً: أسلوب النهي

إذا كان لأسلوب الأمر صيغ خمس فإن للنهي صيغة واحدة، وهي (لا تفعل) وقد عرضت الباحثة عدوية عبد الجبار أقوال النحاة في أصل الأداة (لا) من دون أن تبدي رأياً فيها، ولم تتناول الدلالة الزمنية للتركيب المشتمل عليها نفيًا أو إثباتًا، مركزة على إحصاء الأنماط التركيبية لجملته النهي، مؤكدة غلبة الدلالة على النصح والإرشاد في النهي^(١).

أما الباحث سمير داوود سلمان فقد أشار إلى أن أسلوب النهي في نهج البلاغة منه ما كان على سبيل الطلب والإلزام، ومنه ما كان على سبيل المجاز، ومن الأغراض البلاغية التي خرج إليها هو النصح والإرشاد، والدعاء^(٢)، ومما تجدر الإشارة إليه - وهو ما لم يلتفت إليه الباحثان - أنه إذا كانت الأدوات الداخلة على الجملة تنقلها من معنى إلى معنى آخر فتحولها من الخبرية إلى الإنشائية أو من توليدية إلى تحويلية نتيجة الزيادة بالأداة كما في أدوات الاستفهام وغيرها فإن الأداة (لا) لم تحوّل الجملة؛ لأنها أصل في الجملة فهي لا تمثل عنصر زيادة، وقد نبّه أستاذنا الدكتور سامي علي جبار إلى أنّ جملة النهي "جملة اسنادية، وأداة النهي جزء من التركيب، ولا يمكن انتزاعهما من الجملة، فليس لجملة النهي أصل خبري"^(٣).

ثالثاً: أسلوب الاستفهام

ذكرت الباحثة أدوات الاستفهام في العربية مقسمة إياها حسب تقسيم النحاة إلى حروف وأسماء وظروف، وهي: الهمزة، أم، هل، من، ما، كم، أي، كيف، متى، أين، أنى، أيان. ويرى الدكتور خليل عمايره أن هذه جميعاً هي أدوات استفهام لا علاقة لها بالاسمية، كما لا علاقة لها بالفعلية، فجملة الاستفهام جملة تحويلية اسمية أو فعلية، لها أصل توليدي يقصد به الإخبار ولكن يحذف منها أحد أركانها الرئيسة (الفاعل أو الخبر) فتبقى جملة تحويلية بالحذف، ثم يدخل عليها عنصر الاستفهام، الذي ينقل الجملة من معنى إلى معنى آخر، ولكل أداة معناها الخاص بها تضيفه على معنى الجملة، فكيف تحول معنى السؤال إلى جملة الحال، ومتى إلى الزمان، وأين إلى المكان... الخ.^(٤)

(١) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: 71 - 86.

(٢) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 125.

(٣) الجملة الطلبية في شعر أبي تمام: 29.

(٤) ينظر: في التحليل اللغوي: 115.

لقد رصدت الباحثة الأنماط التركيبية لكل أداة من أدوات الاستفهام وأحصتها ^(١)، ومن النظر في أنماط أسلوب الاستفهام التي قدمتها يتبين لنا أن الواقع اللغوي لهذه الأدوات يخالف ما ذهب إليه النحاة من أن هذه الأدوات لا يليها إلاّ الفعل وإن حدث خلاف ذلك فإنه يحمل على أنه لغة قبيحة وغير جائزة إلاّ في الشعر ^(٢)، إذ وردت هذه الأدوات جميعا داخلية على الجملة الفعلية والجملة الاسمية، كما يتبين لنا أيضا أن معظم هذه الجمل الاستفهامية قد طرأ عليها أكثر من عنصر عمد إلى تحويلها من المعنى الذي كانت عليه في جملة الأصل إلى المعنى الجديد الاستفهامي، فلو لجأت الباحثة إلى تحليل الجمل الاستفهامية لوجدت أن جملة الأصل إما قد تعرضت إلى تغيير في ترتيب عناصرها أولاً تبعاً لعناية المتكلم ومن ثم طرأ عليها عنصر الاستفهام، أو أنه حذف جزء منها أولاً ومن ثم طرأ عليها عنصر الاستفهام، أو أنه زيد عليها قيد من القيود أولاً ومن ثم طرأ عليها عنصر الاستفهام، وبمعنى آخر أن الباحثة لم تقف على المظاهر التركيبية لجملة الاستفهام بقدر رصد أنماطها التركيبية على سبيل الإحصاء.

ولتوضيح ذلك سنحلل بعض الأمثلة التي ساقتها الباحثة ومن ذلك: قوله (عليه السلام): "يَا نَوْفُ أَرَاقِدُ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ" ^(٣) فالأصل التركيبي لهذه الجملة يتكون من جملتين: نواف، ونوف رامق. ولما لم يكن الإمام (عليه السلام) على علم بأي الوضعين عليه نوف، فإنه قدم الكلمة التي تشير إلى الوضع أو الحالة، ولم يقدم نوف، مع إن (نوفل) هو المبتدأ في الجملتين، وحقه التقديم لأنه معرفة مع نكرة، لما لم يكن على علم فقد ربط الجملتين في جملة واحدة مقدما أحد الوضعين وهو الذي يتوقعه عليه، فيكون ترابط الكلمات فيها كما يأتي: أراقد أنت أم رامق / فجملة الأصل كما نلاحظ قد تعرضت إلى تقديم وحذف واستفهام.

ومن ذلك أيضا قوله (عليه السلام): "أَوْ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ وَإِخْوَانَهُمُ وَالْأَقْرَبَاءُ" فالجملة الأصل في هذا التركيب: (أنتم أبناء القوم والآباء وإخوانهم والأقرباء) مبتدأ وخبر، ثم أراد الإمام (عليه السلام) أن ينفي ذلك فعمد إلى التحويل بعنصر الزيادة وهو قيد النفي فأصبحت الجملة: (لستم أبناء القوم والآباء...)، ثم أدخل الهمزة في صدر الجملة المنفية ذات الخبر المؤكد بالنفي فأفادت، سياقاً، أن الإمام (عليه السلام) يعدهم أبناء القوم والآباء، ولكنه يريد أن يستفهم من السامع

(١) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: الفصل الثاني: 87 - 149.

(٢) ينظر: الكتاب: 1 / 98 - 99، والمقتضب: 2 / 75.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 18 / 265.

ليعرف رأيه في ذلك فقال: أو لستم أبناء القوم والآباء ...، ونلاحظ من ذلك أنه طرأ على جمل الأصل قيد النفي أولاً ومن ثم عنصر الاستفهام.

فالهزة عنصر استفهام عندما يكون في تعبير يقصد به المتكلم معرفة أمر يجهله - كما في المثال الأول - أو لمعرفة رأي السامع في أمر يراه ويرى أنه على درجة من اليقين فيه - كما في المثال الثاني -. أما إن كانت الهزة فيما يسمى بالجميل التي يخرج الاستفهام فيها إلى معنى آخر كالتعجب والتوبيخ والإنكار ... الخ، فإن ذلك يتوقف على السياق الذي تقال فيه الجملة وتكون الهزة حينئذ للمعنى الذي قيلت له ولا علاقة لها بالاستفهام.

فقد أشارت الباحثة عدوية عبد الجبار والباحث أحمد هادي زيدان في كثير من الأمثلة إلى أن الهزة خرجت من الاستفهام إلى معان أخرى وهي: (التعجب، التنبيه، التحذير، التذكير، التوبيخ، الإنكار)^(١)، وهما بذلك يذهبان - كما يذهب النحاة - إلى أن الهزة في هذه الأمثلة تكون فيها للاستفهام إلا أنها خرجت إلى معنى آخر.

والذي أراه أن هذه الهزة في أي من هذه الأمثلة التي ساقها الباحثان لا تكون للاستفهام، وإنما هي للمعنى الذي جاءت له في الجملة (الإنكار، التعجب، التقرير، التوبيخ...)، بدلالة السياق على هذا المعنى، والسياق عنصر رئيس من عناصر المعنى، وإذا قمنا بدراسة الأمثلة التي وقفا عندها على أن همزة الاستفهام خرجت فيها إلى معان أخرى، فإننا سنجد أنها تناقض تعريف الاستفهام تماماً، أو لنقل أنها تقف في نقطة تعاكسه ولا تلتقي معه في شيء، فالاستفهام يكون ممن يجهل لطلب العلم ممن يعلم^(٢)، فالتكلم في جملة الاستفهام جاهل بالموضوع الذي يستخبر عنه، والسامع عالم به أو يفترض أن يكون هكذا، فالأمثلة التي وقفا عندها دلت الهزة فيها على هذه الأغراض، ولكن المتكلم وهو الإمام علي (عليه السلام) - في جميع هذه الأغراض - عالم بالأمر مطلع عليه متأكد منه، فالأولى في مثل هذه الأمثلة أن لا يقال فيها أن الاستفهام خرج إلى معنى كذا وكذا، وإنما يقال أن الهزة للإنكار أو للتوبيخ، أو للتعجب ... إلى غير ذلك.

كما أود الإشارة إلى أن الباحثة عدوية عبد الجبار قد أوردت أمثلة لجمال استفهامية بغير أداة الاستفهام تحت عنوان (حذف الهزة للاستفهام) قائلة: "إذا جاءت جملة فيها معنى الاستفهام،

(١) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: 91 - 108، وخطب نهج البلاغة، بحث في الدلالة: 195 - 196.

(٢) ينظر: الحدود في النحو: الرماني: 42، والتعريفات: 18.

من غير أداة تدل عليه، فإننا نقدر (الهمزة) بدون تردد، وذلك لأنها أم باب الاستفهام" ^(١) وهذا ما يراه النحاة، فيقدرون الهمزة اعتماداً على قرينة معينة كوجود (أم) المعادلة، أو قرائن أخرى مثل وجود جواب للسؤال، أو يكون أداء الجملة بنغمة صوتية صاعدة.

وأميل إلى من يرى أن الاستفهام باب من أبواب المعنى يؤدي بالأداة، ويؤدي بنغمة صوتية، وكل من هذين العنصرين يؤدي معناه ويقع في موقعه أصالة وليس نيابة عن غيره، فالنغمة الصوتية أصل في اللغة المنطوقة، واللغة المنطوقة أصل اللغة، فالتنغيم أسلوب من أساليب العربية في نقل المعنى، فلا حاجة إلى تقدير محذوف (الهمزة) في مثل هذه الجمل ^(٢).

رابعاً: أسلوب النداء

ذكرت الباحثة أحرف النداء ودلالاتها، وقد عرضت أقوال النحويين في عامل نصب المنادى من دون أن تبدي رأياً فيها أو ترجح أحدها، كما عمدت إلى إعراب المنادى، مشيرة إلى أنه لم يرد في نهج البلاغة من أحرف النداء إلا حرفان هما: (يا) و(أي)، ومن ثم بينت الأنماط التركيبية لجملة النداء، وقد ركزت الباحثة على الجانبين النحوي والبلاغي لأسلوب النداء، مشيرة إلى صور المنادى المتعددة مثل: المفرد، والمضاف، والمرخم، والمعرف بـ (أل)، والنداء بـ (اللهم)، وحذف حرف النداء، ذاكرة بعض الأغراض البلاغية التي خرج إليها النداء مثل: التعجب، والاستغاثة، والذم، والدعاء، والشكوى، والنصح والإرشاد، والإغراء والتقرير، والتحذير... إلى غير ذلك ^(٣).

والنداء باب واسع في العربية وقد أفرد له النحويون والبلاغيون باباً خاصاً وقد بحثه كل منهم بحسب ما يتطلب اختصاصه، وقد عمد بعض الباحثين إلى دراسته بشكل مستقل سواء أكان ذلك في العربية أم في القرآن الكريم أم في غيره من النصوص اللغوية البليغة ^(٤)، فضلاً عما اشتملت عليه كثير من الدراسات الأكاديمية، بيد أن الباحثة حاولت رصد أمثلته في نص موثوق مثل نهج البلاغة.

(١) أساليب الطلب في نهج البلاغة: 109.

(٢) ينظر: في التحليل اللغوي: 147 – 151.

(٣) ينظر: أساليب الطلب في نهج البلاغة: الفصل الثالث: 150 – 188.

(٤) ينظر على سبيل المثال: النداء في اللغة والقرآن: د. أحمد محمد فارس، ودلالة النداء في القرآن الكريم: حسين علي هادي.

الأساليب الخبرية

اختص بعض الباحثين في نهج البلاغة بدراسة أسلوب واحد من هذه الأساليب بشكل مفصل، في حين تناولها آخرون مجتمعة من دون رصد أنماطها التركيبية المختلفة، وإنما الاكتفاء بإيراد بعض الأمثلة عليها، من خلال عرض أدواتها وبيان طريقة عملها والدلالات التي تخرج إليها.

أولاً: أسلوب النفي

وقف الباحث عبد الكاظم جبر عبود على أسلوب النفي في نهج البلاغة بدراسة مستقلة تناول فيها أدوات النفي الصريحة كلها، ذكراً أقوال النحويين في عمل كل أداة ومن ثم أحصى الأنماط التركيبية التي طرأت عليها تلك الأدوات. ومنهج في ذلك البدء بذكر الأداة أولاً وعرض ما قاله النحويون فيها، ومن ثم رصد أنماطها التركيبية، مقسماً هذه الأدوات إلى أدوات نفي مختصة وأدوات نفي غير مختصة^(١).

وقد سبقه الباحث علي عبد الفتاح محيي في رصد الأنماط التركيبية للجملة الخبرية المنفية^(٢)، إلا أن الباحث قد استدرك عليه أنماطاً تركيبية، ولاسيما الجملة المنفية في سياق الكلام الإنشائي، فقد خصص الفصل الثالث لدراسة (الدلالة الضمنية على النفي في الاستفهام والاستبعاد والمغايرة)^(٣)، كما تعرض الباحث إلى الدلالة الزمنية للجملة المنفية^(٤) فضلاً عن ذلك أن جهد الباحث لم يقتصر على فهرسة الجمل المنفية كما فعل سابقه، وإنما خلص إلى آراء نحوية اعتماداً على ما وجده في تراكيب نهج البلاغة ناقش فيها بعض ما ذهب إليه المحدثون في عمل أدوات النفي، من ذلك مناقشته رأي الدكتور الجواري من أن اقتران خبر (ما) و(ليس) بـ (الباء) الزائدة هو الأصل، لما وجده في نهج البلاغة من أن عدم اقترانها بالباء هو الغالب، وهو ما يعزز مذهب النحويين ومنهجهم في دراسة هذه التراكيب^(٥)، ومناقشته أيضاً رأي الدكتور السامرائي بأن (ما) أكد من (ليس) إذ ظهر للباحث نتيجة إحصاء تراكيبيهما "أن (ما) أفادت التوكيد من خلال ما يطرأ

(١) ينظر: أسلوب النفي في نهج البلاغة دراسة نحوية دلالية: الفصل الأول: 10 - 72.

(٢) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: الفصل الثالث.

(٣) ينظر: أسلوب النفي في نهج البلاغة دراسة نحوية دلالية: الفصل الثالث: 122 - 177.

(٤) ينظر: نفسه: الفصل الثاني: 73 - 122.

(٥) ينظر: نفسه: 67 - 68.

على جملتها من مؤكّدات لا من خلال ما تؤدّيه هي من معنى، والذي يبدو أن في عدم طرّوء هذه المؤكّدات على جملة (ليس) إمارة يحتج بها على أن (ليس) تفيد التوكيد بنفسها لا بالاستعانة بما يطرأ عليها^(١).

فالباحث لم يكتف برصد الأنماط التركيبية للجملة المنفية وإحصاءها، وإنما وقف عند دلالتها في مواضع كثيرة.

وتعرض الباحث سمير داوود سلمان إلى أسلوب النفي إلّا أنه أجمل القول بذكر أداتين من أدوات النفي وهما: (لا) و (لم) مكتفياً بذكر مثال واحد لكل منهما^(٢).

ورصد الباحث أحمد هادي زيدان الجمل المنفية في خطب نهج البلاغة وتعرض لها من خلال الأدوات التي تضمنتها، وصولاً إلى بيان دلالاتها، فذكر وظيفة هذه الأدوات وطريقة عملها، وقد غلب عليه الاهتمام بالدلالة الزمانية لهذه الجمل من دون ذكر الأنماط التركيبية للجملة المنفية^(٣).

ثانياً: أسلوب الشرط

الشرط أسلوب لغوي، يقوم على تعليق عبارتين تنزل أولاهما منزلة السبب وثانيهما منزلة المسبب، وتؤدي وظيفة التعليق أدوات تقوم بربط العبارتين ربطاً وثيقاً يحول من دون استقلال أحدهما عن الأخرى ربطاً يفهم منه أن تحقق العبارة الثانية معلق على تحقق العبارة الأولى تعلقاً يقتضيه معنى الأداة نحو: إن تجتهد تنجح، فالنجاح معلق على الاجتهاد، يتحقق بتحقيقه وينعدم بانعدامه.

وقد درس أسلوب الشرط في نهج البلاغة في دراستين مستقلتين الأولى للباحثة يسرى خلف سمير والثانية للباحث كريم حمزة حميدي، وبالرغم من اختلاف منهج الباحثين في عرض المادة العلمية، إلّا أنهما اتفقا في دراسة المسائل المتعلقة بأسلوب الشرط، وتناول أسلوب الشرط باحثون آخرون في مباحث من رسائلهم^(٤)، وقد اتفق الباحثون على أن الجملة الشرطية هي جملة مستقلة

(١) أسلوب النفي في نهج البلاغة دراسة نحوية دلالية: 68.

(٢) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 129 – 131.

(٣) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 152 – 163.

(٤) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 134 – 135، وخطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 163 – 177.

واحدة تتميز عن بقية أنواع الجمل الأخرى ^(١). يتحدد معناها الأسلوبي من حيث كونها خبراً أو إنشاءً في أثناء الاستعمال اللغوي لها في السياق "فإذا جاء الجواب تركيباً إنشائياً كالأمر والنهي... كانت الجملة الشرطية إنشائية، وإذا لم يكن تركيباً إنشائياً كانت الجملة الشرطية خبرية وهذا يعني أنّ المعنى الأسلوبي للشرط يتحدد بالجواب؛ وذلك لأنّه العنصر الوحيد الذي يجوز مجيئه بصيغة تركيبية إنشائية أو خبرية بخلاف فعل الشرط" ^(٢).

وتنبهت الباحثة يسرى خلف سمير إلى أنّ المباحث النحوية القديمة لم تعن بتقنين المصطلحات الشرطية، وبذلك تغيّر استعمال المصطلحات الواقعة فيه، حتى تداخلت، وأصبح ما يقصد إليه تحت مصطلح، عند دارس، هو ما يدل عليه المصطلح نفسه عند دارس آخر، فلجأت الباحثة إلى تتبع هذه المصطلحات في كتب نحوية كثيرة القديمة منها والمعاصرة، وقد بذلت في ذلك جهداً تمثّل في الكشف عن إشكالية المصطلح ^(٣) وخلصت إلى الاستقرار على مصطلحات معينة في الشرط، وهذه المصطلحات التي ذكرتها هي المصطلحات التي استقر عليها الدرس النحوي الحديث في تناوله وعرضه أسلوب الشرط، فمضت إلى تقنينها وتقييدها قائلة: " أمّا المصطلحات التي نستعملها في بحثنا هذا، فهي مصطلح (أسلوب الشرط) للدلالة على التركيب كلّهُ وما يحصل لعناصر هذا التركيب من تقديم وتأخير وذكر وحذف، وتعدد أنماطه واختلافها، ومصطلح (التركيب الشرطي) أو (الجملة الشرطية) للدلالة على عناصر هذا الأسلوب ومكوناته، ومصطلح (أداة الشرط) التي هي مفتاح الجملة الشرطية، ومصطلح (فعل الشرط) وهو الجزء الذي يلي أداة الشرط، ومصطلح (جواب الشرط) وهو الجزء الثاني من التركيب الشرطي، وإن كانت تسمية الجزء الثاني من التركيب بمصطلح (الجزء) أقرب إلى مفهومه لأنّه جزاء لفعل الشرط، لكن هذا المصطلح كاد يختفي عند الباحثين المعاصرين" ^(٤). ومما هو حقيق بالذكر أن عدداً من الباحثين قد سبقوا الباحثة في عرض هذه المسألة نقداً وتحليلاً ^(٥).

(١) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: 20 - 21، تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 9 - 11.

(٢) أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: 259.

(٣) ينظر: نفسه: 24 - 27.

(٤) نفسه: 27.

(٥) من هذه الدراسات: الجملة الشرطية عند النحاة العرب: أبو أوس إبراهيم الشمسان: 75 - 79، وفي التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، دراسة لغوية في شعر السيّاب ونازك والبياتي: د. مالك يوسف المطّلبي: 13 - 22، والشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية: د. عبد السلام المسدي: د. محمد الهادي الطرابلسي: 15 - 23.

في حين أعرض الباحث كريم حمزة حميدي عن مناقشة هذه المسألة مكتفياً بما قدمته الدراسات السابقة مشيراً إلى أنَّ مصطلح (أسلوب الشرط) أصبح شائعاً في الدراسات الحديثة^(١). وأما أهم المسائل التي تناولها الباحثان فتتعلق بأدوات الشرط، والأنماط التركيبية لأسلوب الشرط، والظواهر التركيبية لأسلوب الشرط، والزمن في أسلوب الشرط، ورتبة جواب الشرط، والتوسع في أسلوب الشرط، وقد انفردت الباحثة يسرى خلف سمير بدراسة أسلوب الشرط التأويلي أو السياقي، وانفرد الباحث كريم حمزة حميدي بذكر تراكيب لغوية نادرة لأسلوب الشرط في كلام الإمام علي (عليه السلام)، وقد تضمنت هذه المباحث جميعاً عرضاً مفصلاً لآراء النحاة، ومن ثم تطبيقها على نص نهج البلاغة مخالفة كانت لها أو مماثلة .

١ أدوات الشرط

تناول الباحثون أدوات الشرط لكونها تمثل أهم عناصر الجملة الشرطية؛ وذلك لأنَّ الأداة هي التي تصوِّر الجملتين المنفصلتين بعضهما عن بعض جملة واحدة لا يتم المعنى إلاَّ بهما، وفي تفسير هذه العناصر يقول الزركشي (ت794هـ): "فإذا انحل الرباط الواصل بين طرفي المجازاة عاد الكلام جملتين كما كان"^(٢)، فضلاً عن ذلك فإنَّ هذه الأدوات هي التي تحدد معنى الجملة ودلالاتها، وقد ذكر الباحثون آراء النحويين القدماء والمحدثين في كل ما يتعلق بهذه الأدوات من حيث تصنيفها إلى (اسمية وظرفية وحرفية)^(٣) ومن حيث إعرابها^(٤)، ومن حيث طبيعتها (البساطة والتركيب)^(٥)، ومن حيث وظيفتها النحوية (الربط بين الجملتين، والجزم) وقد قسموا هذه الأدوات إلى جازمة، وغير جازمة، ومن حيث وظيفتها الدلالية فقد بيَّنوا دلالة كلِّ أداة وما تختصُّ به، وقد عمدوا إلى إحصاء هذه الأدوات في نهج البلاغة فوجدوا أنَّ ما ذكر منها (15) خمس عشرة أداة، وهي حسب الكثرة: (إنَّ - من - إذا - لو - أما - لمَّا - ما - كلما - لولا - متى - مهما - حيثما - أينما - أنى - أي) في حين أخرجت الباحثة يسرى خلف سمير الأداة (أي) بزعم أنها لم ترد في النهج، وأما الأدوات الشرطية الأخرى فقد خلا منها نهج البلاغة وهي: (أيَّان - كيفما - إذ

(١) ينظر: تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 7.

(٢) البرهان في علوم القرآن: 352/2.

(٣) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: 31 - 33، وتراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 14.

(٤) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: 34 - 35.

(٥) ينظر: نفسه: 36 - 40.

ما - لوما)، وأدوات الشرط هذه هي العنصر الأساس في بناء الجملة وتحويل دلالتها فكل أداة من هذه الأدوات تضيف على معنى الجملة ما تحمله هي من معنى، بحيث لا يمكن فهم معنى الجملة إلا من خلالها، وقد استطاع الباحثون أن يتلمسوا ما لهذه الأدوات من عمل نحوي إعرابي يؤثر في شكل الجملة وبنائها، وما لها من أثر دلالي في معنى الجملة الشرطية. وقد نبه بعضهم على أن قسما من هذه الأدوات قد خالف بعض القواعد النحوية من ذلك ما أشار إليه الباحث كريم حمزة حميدي من أن (مهما) قد وليها فعل ماضٍ، خلافاً لما هو شائع في القاعدة النحوية، وهو دخولها على المضارع^(١)، وقد أشار أحد الباحثين من قبل على أن دخول (مهما) على الفعل الماضي عربي فصيح^(٢).

٢ الأنماط التركيبية لأسلوب الشرط

إن لكل عنصر من عناصر الأسلوب الشرطي موقعاً خاصاً به، فالأداة لها موقع الصدارة في هذا الأسلوب، ثم يليها فعل الشرط فالجواب، وهو القياس الذي يكون عليه هذا التركيب. وعلى وفق هذا الترتيب تتشكل أنماط متنوعة بحسب الأداة وصيغ فعل الشرط وجوابه والصور التي يكونان عليها. ويمكن أن نسمي هذه الأنماط بـ (الأنماط المحفوظة الرتبة)؛ لأن كل عنصر فيها قد احتفظ برتبته الخاصة به. وقد عني الباحثان يسرى خلف سمير، وكريم حمزة حميدي بإحصاء هذه الأنماط التركيبية في نهج البلاغة من الناحية الشكلية، وقد فصلا أنماط هذا الأسلوب تفصيلاً دقيقاً، واتفق الباحثان على أن الأنماط التركيبية لأسلوب الشرط الواردة حسب الأصل بلغت ثمانية أنماط رئيسية أربعة منها كان فعل الشرط فيها ماضياً وجوابه إما ماضٍ أو مضارع أو طلب أو جملة اسمية، والأنماط الأربعة الأخرى كان فعل الشرط فيها مضارعاً وجوابه إما ماضٍ أو مضارع أو طلب أو جملة اسمية، وقد تضمن كل نمط من هذه الأنماط صوراً متعددة وقف الباحثان عندها وأحصيا أدوات الشرط الداخلة عليها^(٣).

(١) أكثر النحويين الذين تحدّثوا عن (مهما) ذكروا أنّها تدخل على فعلين مضارعين .
(٢) أثبت الدكتور شوقي ضيف صحّة هذا الاستعمال، مُستدلاً عليه بأبيات شعريّة فصيحة، ينظر: تيسيرات لغويّة: 131 - 132، وقد أقرّ مجمع اللغة العربيّة في القاهرة دخولها على الفعل الماضي، لورود نصوص فصيحة مُتعدّدة تشهدُ بجواز هذا الاستعمال، ينظر: من قضايا اللغة: د. مصطفى الرّمّاس: 232 .
(٣) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: 124 - 204 - ، وتراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 49 - 77، 115 - 130.

ومن الجدير بالذكر أن الباحثين لم يقتصر على الناحية الشكلية لهذه الأنماط وإنما وقفا على الجانب الدلالي الذي تؤديه من خلال الاستعانة بما قدمه أوائل النحويين في ذلك، وقد نبه الباحثان على أن ما ذكره النحويون من أن النمط المُطَرَّد في أسلوب الشرط هو (النمط الذي طرفاه فعلان مضارعان)، لا يستقيم وفقاً لما ورد في نهج البلاغة، فما كان طرفاه فعلين ماضيين هو النمط الأكثر دوراً في أسلوب الشرط في نهج البلاغة ^(١)، وقد تنبه من قبلهما أحد الباحثين إلى ذلك وعدّ هذا النمط هو الأكثر في العربية عامة ^(٢)، مع الإشارة إلى أن هذا النمط يخضع للأحكام النحوية والدلالية نفسها التي تنطبق على النمط الذي وصفه النحويون بالأصل، فمن حيث الحكم الإعرابي هو مجزوم مَحَلًّا، ومن حيث الدلالة هو ماضٍ لفظاً مستقبلي معنًى، وإذا كان النحاة قد ذهبوا في عرضهم لأنماط الأسلوب الشرطي إلى أن أفضل الأنماط تلك التي يكون بين صيغها تماثل لفظي، وذلك بأن تكون (ماضياً + ماضياً) أو (مضارعاً + مضارعاً) ^(٣)، فقد حاول الباحثان أن يتلمسا فرقا دلاليا بين استعمال هذين النمطين نظرا لكثرة استعمال النمط الماضي في نهج البلاغة، فذهبوا إلى أن الشرط معلوم أنه لا يصحّ إلاّ مع الاستقبال، ولكنّ استعمال النمط الماضي أقوى وأكثر تأكيداً من استعمال النمط المضارع، فصيغة الماضي في هذا التركيب وإن كانت دلالتها مستقبلية فإنّها تجعل الأحداث كأنّها حاصلة وواقعة بخلاف صيغة المضارع التي تبقى أحداثها مستقبلية الوقوع ^(٤).

وقد ذكر النحويون القدماء هذا الفارق الدلالي في استعمال هذين النمطين إذ ذكره كل من ابن جني ^(٥) والزرکشي ^(٦)، وممن ذكره من المحدثين الدكتور مصطفى جواد ^(٧) والمستشرق

(١) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: 124 وتراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 49.

(٢) ذكر الدكتور مالك المطلبي عدداً من المسوّغات التي تجعل هذا النمط هو الأكثر دوراً في العربية، معتمداً في ذلك على أقوال قسم من النحويين، وما توصّلت إليه بعض الدراسات المعاصرة – كرسالة: (الشرط في القرآن، للباحث عبد العزيز محمد الصالح) - وهذا ما جعله يتساءل عن الخصائص البنائية والدلالية التي يميّز بها هذا النمط حتى جعلته يستوعب مطلق الاستعمال الشرطي، لا في موضوع بحثه وحسب، بل في الشرط في العربية عامة، ينظر: في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر: 148-151.

(٣) ينظر: نفسه: 149.

(٤) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: 125، وتراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 50.

(٥) ينظر: الخصائص: 331/3.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 358/2.

(٧) المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية: د. مصطفى جواد: 48.

برجشتراسر^(١) ، فالنحاة حينما حددوا أنماط التركيب الشرطي نظروا إلى عمل الأداة وهو الجزم لذلك جعلوا النمط الأساس لهذا التركيب فعلين مضارعين ، لكنهم وقفوا أمام نمط أقوى دلالة من النمط الأساس وهو النمط بصيغة الماضي على الرغم من عدم ظهور عمل الأداة على هذه الصيغة، وهذا يعني أنّ استعمال هذه الصيغة تدعم الأسلوب الشرطي بسبب أنّ دلالة هذا النمط أقوى من دلالة النمط بصيغة المضارع، وبذلك يكون أثر الدلالة أقوى من أثر العامل.

٣ الظواهر التركيبية لأسلوب الشرط

ذكرنا في المبحث السابق أن عناصر الجملة العربية قد تخرج من نظامها الترتيبي الذي كانت عليه في الأصل، إلى نظام ترتيبي آخر، و الجملة الشرطية حالها حال بقية أنواع الجمل الأخرى، إذ يتعرض نظامها الترتيبي الذي كانت عليه في الأصل إلى عدول في الترتيب فتتحول الجملة الشرطية من جملة توليدية ذات بنية سطحية إلى جملة تحويلية ذات بنية عميقة نتيجة إدخال عنصر أو أكثر من عناصر التحويل عليها وهي (التقديم، والحذف، والزيادة).

ولكن الذي يميز جملة الشرط عن غيرها من الجمل أنها جملة تتألف من جملتين فقدتا خصائصهما الأولى وكوّنتا جملةً مركّبةً لها سمات وخصائص بنائية ودلالية جديدة والارتباط بين الجملتين معتمد على الأداة، ولذا أن عناصر هذه الجملة تختلف عن عناصر الجمل الأخرى، فإذا كان الباحثون قد تناولوا في مباحث التقديم أو الحذف في الجملة الاسمية أو الفعلية ما جوزه النحاة، فإنّ مسائل التقديم أو الحذف في هذه الجملة هي محل خلاف وجدل بين النحاة، ومن ذلك تقديم جواب الشرط على أداة الشرط وفعلها، فبعضهم أجازها، وبعضهم منعه، وحجتهم في ذلك أنّ الشرط قائم على علة ومعلول، وليس من العقل أن يتقدم المعلول على العلة، وكذا الحال في تقديم الاسم المرفوع على فعل الشرط، إذ يرى جمهور النحويين وجوب أن يلي أداة الشرط جملة فعلية، وهنا تكمن سمة الخلاف في البحث عن المظاهر التركيبية لأسلوب الشرط ولاسيما في (التقديم والتأخير) فهذا المظهر التركيبي عليه خلاف من جهة الشكل (النحو) بالنسبة إلى بقية أنواع الجمل، ويتفق معها في الدلالة.

لقد أحصى الباحثان الأنماط التركيبية التي حدث فيها عدول في أسلوب الشرط سواء أكان ذلك في التقديم أم الحذف والزيادة .

(١) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: برجشتراسر: 198.

وفيما يخص التقديم في جملة الشرط عرض الباحثان آراء النحاة القدماء والمحدثين في تقديم جواب الشرط على الأداة وفعل الشرط، وخلصا إلى أن الذي دفع النحاة إلى التمسك بعدم جواز التقديم هو التزامهم بنظرية العامل وأثره في بناء الجملة، وذهبوا إلى أن المقدم هو جواب الشرط فلا حاجة إلى تقدير الجواب ^(١). وهم بذلك يصوبون رأي الكوفيين، وما قدمه الباحثان في هذه المسألة يتفق مع عدد غير قليل من الباحثين المحدثين الذين أجازوا ذلك بالاعتماد على نصوص لغوية صحيحة سواء أكانت من القرآن الكريم أم من الشعر العربي ^(٢). كما صوّب الباحث كريم حمزة حميدي رأي الكوفيين أيضا في مسألة جواز تقديم الاسم المرفوع على فعل الشرط حيث ذهب إلى أنه فاعل مقدم ^(٣).

وأما دلالة التقديم في الجملة الشرطية – التي ذكرها الباحثان – فلم تختلف عن دلالات التقديم التي ذكرناها سابقا وتتجلى بالاهتمام والتوكيد والتركيز على المقدم، فضلا عن أغراض بلاغية أخرى ^(٤).

وأما ما يخص الحذف فقد بيّن الباحثان أن الجملة الشرطية – بوصفها جملة مستقلة بذاتها – تخضع لهذه الظاهرة فقد تُحذف أحد عناصرها التأسيسية، كالأداة أو فعل الشرط أو كلاهما، أو جواب الشرط .

وموارد الحذف هذه جميعا هي محل خلاف بين النحويين وقد عرض الباحثان أقوال النحاة في ذلك، وأحصت الباحثة يسرى خلف سمير أمثلة الجمل الشرطية التي حدث فيها حذف في مكوناتها، في حين ذكر الباحث كريم حمزة حميدي أمثلة منها من دون إحصاء وهذه الأمثلة جميعها تتفق مع ما اشتهر عن النحاة في مسائل الحذف سوى ما قدمته الباحثة يسرى خلف سمير

(١) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: 188- 192، وتراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 82.

(٢) ينظر على سبيل المثال: في النحو العربي نقد وتوجيه: 238 و 313، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي للحديث: د. مهدي المخزومي: 129، والتراكيب الإسنادية: د. علي أبو المكارم: 189، وأصول التفكير النحوي: د. علي أبو المكارم: 335-336، والجمل التي لها محل من الإعراب في القرآن الكريم، دراسة نحوية ودلالية: صاحب منشد عباس الزيادي: 192، وبناء الجملة العربية في ديوان النابغة الذبياني: عبد الجليل عبيد العاني: 257، وبناء الجملة العربية في ديوان أمريء القيس: قيس إسماعيل الأوسي: 353، والجملة العربية في ديوان ليبد بن ربيعة العامري: مجهد جيجان الدليمي: 319.

(٣) ينظر: تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 79.

(٤) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: 222- 224، وتراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 81 – 84.

من مثال واحد وجدته في نهج البلاغة يخالف مشهور النحويين في عدم جواز حذف أداة الشرط وحدها، مستعينة بما قدمه شارح النهج ابن أبي الحديد في تقدير هذه الأداة، وذلك في قوله (عليه السلام) لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل: "تَرْوُلُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُّ"^(١) وقد علق (ابن أبي الحديد) على هذا النص قائلاً: "خبر فيه معنى الشرط، تقديره: "إِنْ زَالَتْ الْجِبَالُ فَلَا تَزُلُّ أَنْتَ"، والمراد بالمبالغة"^(٢). وقد وافقت الباحثة الشارح في تعليل سبب حذف أداة الشرط في هذا المثال وهو أن يكون الكلام أبلغ تأثيراً في نفس ولده، واختلفت معه في تقديرها^(٣). وأما بقية أنواع الحذف فقد وردت على وفق ما أجازته النحويون، من ذلك حذف الأداة وفعل الشرط معاً، وعلى الرغم من إشارة الباحثين إلى أن هذا النوع من الحذف قد أجازته النحويون شريطة أن تسبق الجملة الشرطية بأسلوب طلبى (أمر أو نهى أو استفهام أو تمنى أو عرض أو تحضيض أو دعاء). إلا أن الباحثة يسرى خلف سمير أشارت - على وفق ما أحصته من أمثلة في نهج البلاغة - إلى أنه "لم يشهد حذف هذين العنصرين تنوعاً في الصيغ الطلبية التي سبقتهما، وإنما اقتصر حذفهما بعد صيغة طلبية واحدة هي صيغة فعل الأمر"^(٤) والباحثة ترى أن الفعل المجزوم في هذه الأمثلة جميعاً إنما كان بالشرط المقدر بعد الطلب لا بالطلب نفسه معللة ذلك بمقولة بعض النحويين من أن "هذه الأشياء (الأمر والنهي...) غير مفتقرة إلى الجواب والكلام بها تام"^(٥). مشيرة إلى أن الغرض من الحذف في هذه الأمثلة وهو الإيجاز لوجود دليل يدل على المحذوف يكون معلوماً عند المتلقي من غير حصول لبس في المعنى^(٦).

وأما حذف فعل الشرط وحده فما جاء منه في نهج البلاغة لم يخرج عما أقره النحويون، إذ توفرت فيه الشروط التي ذكروها، وهي ورود أداة الشرط (إن) مدغمة في (لا) الناهية في الأمثلة جميعاً^(٧)، وكذلك الحال في حذف جواب الشرط الذي يتميز بخضوعه لأنواع متعددة من صور

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 1 / 241.

(٢) نفسه: 1 / 241.

(٣) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة: 228 - 229.

(٤) أسلوب الشرط في نهج البلاغة: 232.

(٥) شرح المفصل: 48/7.

(٦) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة: 231 - 233.

(٧) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة: 235، وتراكم الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة: 85.

ظاهرة الحذف، لذلك فإنه يُعد من أكثر عناصر الجملة الشرطية تعرضاً لهذه الظاهرة، حيث رصدت الباحثة يسرى خلف سمير صورته^(١).

ثالثاً: أسلوب التأكيد

لم يكن للناطقين باللغة العربية أسلوب واحد في تأكيد كلامهم وتقويته، بل تعددت أساليبهم في ذلك وتنوعت، فلا نغالي إذا قلنا إنه يصعب على الباحث المدقق حصر هذه الأساليب، وقد ضمت مدونات النحويين والبلاغيين أساليب تأكيد الكلام وتقويته معززة إياها بشواهد لغوية صحيحة، بيد أن ما ورد في هذه المدونات لم يمنع بعض الباحثين من أن يزيد على هذه الأساليب تارة، أو يضيف لها أمثلة جديدة تارة أخرى، وقد حاولت الباحثة أصيل محمد كاظم - في دراسة مستقلة - جمع ما تفرق من هذه الأساليب في المدونات اللغوية، ومن ثم عرضها على نص نهج البلاغة بحثاً عن أمثلة تطبيقية لها، ونظراً لكثرة هذه الأساليب وتنوعها لجأت الباحثة إلى التفريق بين أسلوب وآخر، إذ قسمتها على ثلاثة أقسام: التأكيد بالحرف^(٢)، والتأكيد بالاسم^(٣)، والتأكيد بالأساليب^(٤)، وكل قسم من هذه الأقسام تتفرع منه أقسام أخرى. ومنهجها في ذلك كله البدء بمهاد تنظيري لكل حرف أو اسم أو أسلوب تبين فيه مقولات النحويين والبلاغيين فيما يتعلق بطريقة عمله ووظيفته اللفظية والمعنوية، ومن ثم رصدت أمثله التطبيقية وأحصتها في نص نهج البلاغة، وقد غلب على الباحثة منهج الإحصاء أكثر من التحليل، ولم تغفل الباحثة أن كثيراً من الأمثلة قد تؤكد بأكثر من مؤكد، فنبهت إليها ودلت عليها، واللافت للنظر أن الباحثة قد استغرقت كثيراً في ذكر التقسيمات والتفريعات على النوع الواحد فعلى سبيل المثال قسّمت التوكيد اللفظي الناتج عن التكرار على قسمين: الأول: تكرير اللفظ والمعنى، والثاني: تكرير المعنى دون اللفظ، ومن ثم قسّمت النوع الأول على: تكرير الحرف الذي بدوره يقسم على تكرير حرف النداء والمنادى، وتكرير الضميرين (توكيد المتصل بالمنفصل، وتوكيد المنفصل بالمتصل)، وتكرير الاسم الذي ينقسم إلى تكرير المفعول به، وتكرير المفعول المطلق، وتكرير اسم الفعل الذي ينقسم إلى تكرير اسم فعل ماضٍ، وتكرير اسم فعل مضارع، ومن ثم ختمت بتكرير الجملة المبنية للمجهول، وقد بينت الغرض

(١) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة: 237 - 252.

(٢) ينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة دراسة دلالية: أصيل محمد كاظم: الفصل الأول: 12 - 88.

(٣) ينظر: نفسه: الفصل الثاني: 88 - 131.

(٤) ينظر: نفسه: الفصل الثالث: 132 - 185.

الدلالي من التوكيد في كل قسم من هذه الأقسام، إن المنهج الذي اتبعته الباحثة و - هو فهرسة الجمل المؤكدة وإحصاؤها - هو الذي دفعها إلى الإكثار من هذه التقسيمات.

ومن الجدير بالذكر أن الباحثة عقدت مبحثاً بعنوان التأكيد بأساليب نهج البلاغة، وهي: (الاستدلال)، و(الترغيب)، و(التنفير)، و(نفي قيد صفة الموصوف)، و(كمال صفة الموصوف) ^(١)، وأرى أن هذه العناوين وما قدمته الباحثة من أمثلة لها لا علاقة لها بالتأكيد البتة.

وتتاول الباحث أحمد هادي زيدان أساليب التأكيد في خطب نهج البلاغة وعرض منها أربعة أقسام: التأكيد بالأدوات، والتأكيد بالقصر، والتأكيد بالقسم، والتأكيد بالتكرار، ومن ثم عرض لكل أداة من أدوات التأكيد، وقد غلب على منهجه الوضوح وقلة التقسيمات مكتفياً بذكر بعض الأمثلة من دون إحصاء، مبيناً الأغراض الدلالية التي يؤديها التأكيد في هذه الأمثلة، وقد قدّم من خلال دراسته أمثلة تطبيقية تعزز ما ذهب إليه النحويون من قواعد وقوانين سواء أكان ذلك في توكيد الإثبات أم في توكيد النفي ^(٢)، ولم يشر الباحث إلى أن في خطب نهج البلاغة ما خالف تلك القواعد أو شدّ عنها.

وبعد هذا العرض أرى أن ما قدمه الباحثون من دراسات نحوية في نهج البلاغة يمثل جهداً كبيراً يضاف إلى ما قدمه الباحث العراقي في تعزيز هذه القواعد النحوية وترسيخها من خلال رصد الأمثلة الكثيرة لها من نهج البلاغة من جانب، وتوظيف هذه القواعد في بيان المعنى من جانب آخر، فضلاً عن ذلك فإن هذا الجهد سعى إلى فهرسة الجمل بأنواعها المختلفة على مستويي الأنماط التركيبية، والظواهر التركيبية، كما يمثل هذا الجهد تكملة لما بذله الباحثون في بيان الدلالة الصوتية والصرفية في نهج البلاغة، فيتعاوض هذه الجهود جميعاً يمكننا الوقوف على دلالة هذا النص، والكشف على أسرار الإبداع اللغوي فيه.

(١) ينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة دراسة دلالية: 173 - 185.

(٢) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 177 - 191.

الفصل الرابع

الدراسات الدلالية

مدخل

العلوم اللغوية سلسلة متصلة الحلقات وجميعها من الأهمية بحيث لا يمكن إغفالها، وعلم الدلالة أحدث حلقات الدرس اللغوي الحديث، وهو علم قوي الصلة بعلوم اللغة ولا يمكن فصله عنها، فهو غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية، إنه قمة الدراسات اللغوية^(١)، ولذا يُعدّ مكملاً لمستويات التحليل اللغوي: الصوتي، والصرفي، والنحوي، إلّا أنه من أعقد فروع (علم اللغة)^(٢)؛ لأنه يستقطب مجمل العلاقات التكوينية للعمل الأدبي، وتمثّل المفردات المحور الأساس الذي تدور حوله الدراسات الدلالية، فالباحث الدلالي يقوم برصد المفردات في النص، ومن ثمّ يسعى إلى بيان دورها في خلق المعنى، بيد أن هذه المفردات تدخل في علاقات معجمية وتركيبية تضفي عليها تطوراً دلالياً نتيجة الاستعمال المجازي والاستعاري مما يؤدي إلى خلق الصور الجمالية والتوسع في المعاني.

إن ما قدمه الباحثون في هذا الجانب يمثل استثماراً لجهود البلاغيين الذين جعلوا من علم البيان نظرية دلالية كاملة الأبعاد، فالباحث في المجاز والكناية أمثلة لتعدد المعنى وتنوعه على أساس أنها صور للتغيير الذي يصيب معاني الكلمات أو العبارات. وقد حصر بعض الباحثين في نهج البلاغة دراساتهم الدلالية في مجالات ثلاثة: أولها: دراسة المفردات، وثانيها: دراسة الإطار أو السياق، وثالثها: دراسة المصادر الخارجية وبيان أثرها في دلالة النص، وبذلك حصروا مجال علم الدلالة بالمعنى، غير أن بعضهم الآخر جعل علم الدلالة محصلة لمستويات اللغة المختلفة فهو يمثل عندهم فرعاً من فروع علم اللغة يحاول دراسة المعنى وسبر أغواره، وينظرون إليه على أنه الهدف النهائي من تحليل البنية صوتياً وصرفياً ونحوياً ومعجمياً^(٣) ونظراً لما تناولناه في الفصول السابقة سنكتفي ببيان المجالات الدلالية التي وقف عندها الباحثون، وقد تشكلت لدينا ثلاثة مباحث: المبحث الأول: دلالة الألفاظ، والمبحث الثاني: دلالة التراكيب، والمبحث الثالث: دلالة المصادر الخارجية.

(١) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): 213.

(٢) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: د. نايف خرما: 314.

(٣) ينظر: منهج البحث اللغوي: د. علي زوين: 88 – 89.

المبحث الأول

دلالة الألفاظ

١ - الدلالة المعجمية

لجأ بعد الباحثين إلى الوقوف على مجموعة محددة من ألفاظ نهج البلاغة، وهذه الألفاظ غالباً ما تصنف ضمن حقل دلالي واحد.

ومن بينهم الباحثة فضيلة عبوسي محسن إذ قدّمت دراسة بعنوان: (ألفاظ العقيدة والشرعية في نهج البلاغة، دراسة ومعجم)، وقد قسّمت الباحثة دراستها على قسمين: القسم الأول: لدراسة الألفاظ المتعلقة بالعقيدة والشرعية، والقسم الثاني: عمل معجم موضوعي لهذه الألفاظ، وكان منهجها في القسم الأول (الدراسة) يقوم على تقسيم الألفاظ على حقول دلالية متعددة مثل: الألفاظ المخصصة بالذات الإلهية، والألفاظ المخصصة بالصفات الإلهية، والألفاظ المخصصة بالإسلام، والإيمان والقرآن، والكفر، ... الخ، وفي بعض الأحيان تقسم الحقل الدلالي الواحد على مجموعة من الحقول الدلالية مثل الحقل الدلالي لـ (الألفاظ المخصصة بالحياة واليوم الآخر) قُسم على: ألفاظ الآخرة والروح وما يتعلّق بهما، وألفاظ الشيطان، وألفاظ الجنة والنار، وألفاظ الملائكة. ويندرج تحت كل حقل دلالي من هذه الحقول مجموعة من الألفاظ المتعلقة به.

ومنهجها في عرض هذه المادة قائم على ترتيب هذه الألفاظ حسب الكثرة في الاستعمال مبتدئة بالأكثر استعمالاً، إذ تبدأ الباحثة بذكر اللفظ أولاً، ومن ثم تبين عدد مرات وروده في نهج البلاغة، ثم تسوق أقوال اللغويين في دلالاته المعجمية، وما يتعلق بأصل اشتقاقه في بعض الأحيان، من ذلك لفظ الجلالة (الله) و(اللهم) و(الإله) و(الملائكة) ^(١)، أو ما يتعلق بعربيته، من ذلك لفظ (إبليس) و(البرزخ) ^(٢)، أو ما يتعلق بسبب تسميته، وقد ترجّح من بين ما ذكرته دلالة تراها أنسب للفظ الوارد في نهج البلاغة.

وأما منهجها في القسم الثاني (المعجم) فهو قائم على إعادة ترتيب ما ذكرته من الألفاظ حسب حروف الهجاء - كل حسب حقله الدلالي - معتمدة الحرف الأول من جذر اللفظ، مبيّنة معنى اللفظ بشكل مختصر بما لا يتجاوز الكلمة في بعض الأحيان، وهذا القسم من الدراسة لا يختلف عن سابقه إلا في إعادة ترتيب الألفاظ وذكر أرقام صفحات ورودها، واختصار دلالتها،

(١) ينظر: ألفاظ العقيدة والشرعية في نهج البلاغة، دراسة ومعجم: فضيلة عبوسي محسن: 10، 17، 19، 134.

(٢) ينظر: نفسه: 127، 138.

فبعد أن كانت الألفاظ مرتبة حسب الكثرة رتبت هجائيا حسب الحرف الأول، وأضيف إليها أرقام صفحات ورودها.

وكان بإمكان الباحثة الاستغناء عن هذا القسم الذي لا فائدة منه سوى التكرار بأن ترتب الألفاظ في قسم (الدراسة) حسب حروف الهجاء، ومن ثم تشير إلى أرقام الصفحات الواردة فيها الألفاظ في الهامش، ولو فعلت ذلك لبان لها أن لا حاجة إلى عقد هذا القسم من الدراسة. ولأصبح عنوان دراستها (ألفاظ العقيدة والشريعة في نهج البلاغة دراسة معجمية).

وأما ما زعمته الباحثة من أن الغرض من إقامة القسم الثاني هو عمل معجم موضوعي لألفاظ العقيدة والشريعة فهو غير متحقق؛ لأن عمل معاجم الموضوعات لا تكون بهذه الطريقة، وإنما تقوم على عقد مباحث (موضوعات) محددة تدرج تحتها النصوص المرتبطة بها، وعلى سبيل المثال فيما يتعلق بلفظ الجلالة (الله) فإنه يقسم على عدد من الموضوعات مثل: توحيده، وإبداعه الخلق، وأوصافه، وتعظيمه، وحمده... إلى غير ذلك من الموضوعات، ومن ثم تدرج تحت كل موضوع من هذه الموضوعات النصوص المرتبطة به، من دون شرح أو تفسير؛ لأن الغرض منه هو تقسيم النص على موضوعات محددة، وبمعنى أدق إعادة ترتيب أجزاء النص حسب الموضوعات، ومع ذلك فإن هذا الجهد قد سبقها إليه باحثون آخرون في أكثر من مصنف شملت موضوعات نهج البلاغة جميعها^(١)، ومن بينها (المعجم الموضوعي لنهج البلاغة) إذ الغرض من تأليفه تلافي بعض المؤاخذات التي اشتملت عليها المصنفات السابقة، فقد فاقت فهارسه ثلاثة أضعاف فهارس من سبقه، كما أن العبارات التي استخرجها لكل مبحث أكثر من العبارات التي استخرجتها الفهارس الأخرى، ثم أن مؤلفه لم يعتمد اعتمادا كلياً في عملية الاستقصاء على الفهارس اللفظية، وإنما وسعها بالتعمق في معاني العبارات فحصل على رصيد كبير من العبارات بما يخص كل موضوع أو مبحث فرعي^(٢). وهذه المعاجم الموضوعية كلّها سابقة على جهد الباحثة، وهي لم ترجع إليها أو تقف عندها.

(١) ومن هذه المصنفات: الدليل على موضوعات نهج البلاغة: علي أنصاريان، وتصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون، والهادي إلى موضوعات نهج البلاغة: علي المشكيني، وفهارس الموضوعات العامة في نهج البلاغة وهي فهارس ملحقة بكتاب نهج البلاغة بتحقيق الدكتور صبحي الصالح: 701 - 746.

(٢) ينظر: المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: أويس كريم محمد: المقدمة، بين فيها المؤلف سبب التأليف والمنهج الذي اعتمده في تصنيف هذا المعجم.

ولو ذهبنا إلى أن الباحثة أرادت لهذا المعجم أن يكون معجماً مفهرساً - وهو ما لم تصرح به- لقلنا أيضاً إنه لا يحمل مقومات المعجم المفهرس، لأن من آليات المعجم المفهرس النافع أن يشتمل على النص الكامل الذي يراد فهرسة ألفاظه، ومن ثم لا يكتفى بذكر اللفظ وحده، وإنما تورد تحته نصوصاً مختصرة مشتملة عليه، وغالباً لا يقتصر على إثبات أرقام الصفحات الوارد فيها اللفظ، وإنما يضاف إليها رقم الخطبة، ورقم السطر، من دون ذكر دلالة اللفظ، وفي هذه الحالة يسهل على أي شخص متتبع يروم الرجوع إلى ألفاظ بعينها ببسر وسهولة ليفيد منها، وإذا لم يتسن للباحثة إدراج النص الكامل لنهج البلاغة في هذا المعجم، كان عليها أن تثبت إزاء كل لفظ رقم الخطبة أو الرسالة أو الحكمة الوارد فيها هذا اللفظ ولا تكتفي بذكر رقم الصفحة في كتاب شرح ابن أبي الحديد؛ لأن هذا الأمر يستلزم ممن يريد الاستفادة مما قدمته الباحثة أن يضع بين يديه دراسة الباحثة وشرح ابن أبي الحديد وهو من الشروح المطولة الذي يبلغ عدد أجزائه عشرين جزءاً، وفي هذا الأمر عنت ومشقة على كثير من القراء أو المتتبعين لألفاظ النهج، في حين أن الباحثة لو تثبتت أرقام الخطب أو الرسائل والحكم أمام الألفاظ المذكورة لاستطاع المتتبع الرجوع إلى أي كتاب يشتمل على نص نهج البلاغة وليس بالضرورة كتاب شرح ابن أبي الحديد.

ومع ذلك كله نقول إن الباحثة إذا كانت تريد من هذا الجهد فهرسة ألفاظ العقيدة والشريعة فقد سبقها إليه آخرون لا في هذه الألفاظ فحسب بل إلى ما يمتد ليشمل ألفاظ نهج البلاغة جميعها، فقد صدر (المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة) قبل دراسة الباحثة بوقت غير قليل^(١).

وأما إذا كان هدف الباحثة هو عمل معجم لدلالة ألفاظ العقيدة والشريعة - وهو غير المعجم الموضوعي أو المعجم المفهرس - كان بإمكانها الاكتفاء بما قدمته في القسم الأول (الدراسة)، بعد إعادة ترتيب الألفاظ حسب حروف الهجاء لا الكثرة في الاستعمال، ومع ذلك أيضاً فإن مثل هذا الجهد قد سبقها إليه آخرون، وإن لم يكن مقصوراً على ألفاظ العقيدة والشريعة، وإنما هو في بيان معاني الألفاظ التي يصعب فهمها وتمتاز بغرابتها لدى بعض القراء في نهج البلاغة،

(١) استعانت دار التعارف للمطبوعات بما أعده ونشره العالمان المحققان: كاظم محمدي، وحمد دشتي، من فهارس لنهج البلاغة، لتخرج هذا المعجم بطلته الجديدة، ينظر: نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه.

ومن ذلك ما قدّمه الدكتور صبحي الصالح في فهارسه لنهج البلاغة ^(١)، والدكتور إبراهيم السامرائي ^(٢)، فضلا عما ذكرته المعاجم العربية من دلالة لهذه الألفاظ .

وعودا إلى ما قدّمته الباحثة في هذه الدراسة، نرى أن ما يميزها أو يمكن أن يسجل لها أنها جمعت طائفة من الألفاظ تنتمي إلى حقل دلالي واحد تتفرع منه حقول دلالية أخرى، ومن ثم جمعت أيضا أقوال اللغويين في هذه الألفاظ بعد أن كان بعضها مفرقا في بطون الكتب، ومثل هذا الأمر له من الأهمية ما لا يخفى على المشتغلين بمواضيع نهج البلاغة ودلالاتها، ولكن مما لا ريب فيه أن الألفاظ مفردة منفصلة لا تشكل جانبا مهما من لغة أي مبدع أو شاعر أو أديب، وإنما تصبح ذلك الجانب المهم إذا سبكت في ضوء قواعد اللغة جملا وفقرا وفصولا ونظمت في قوالب الفكر دلالات محسوسة عليها، ومن ثم ليست هناك جدوى علمية من الإسهاب في الوقوف عند ألفاظ أي أديب إلا إذا كانت الغاية الرئيسة من ذلك دراسة الألفاظ دراسة بيئية تكشف عن علاقة صاحبها الأديب بالحياة وتشير إلى منبتها، وهذا ما لا أجده في مبتغى الباحثة.

على أن دراسة ألفاظ الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة وتصنيفها ضمن حقول دلالية معينة، وبيان دلالاتها المعجمية، وعمل معاجم لها، كان غاية باحثين آخرين ممن لم تدخل دراساتهم ضمن حدود دراستنا، سواء أكان ذلك على شكل بحوث علمية، أو رسائل جامعية وإتاما للفائدة أشير إلى بعض منها، من ذلك دراسة بعنوان (ألفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة دراسة معجمية دلالية) فهي من حيث الغاية لم تختلف عن سابقتها، في عمل معجم لألفاظ هذا الحقل الدلالي، ومن ثم بيان دلالاتها، ولكنها تبنت منهجا صحيحا - يتلافى ما قدمناه من اعتراضات على الدراسة السابقة - حيث بدأت أولا بعمل معجم مفهرس لهذه الألفاظ، وهذا المعجم وجدناه منسجما مع آليات عمل المعاجم المفهرسة ^(٣)، ومن ثم شرعت ببيان دلالات هذه الألفاظ، ولم تكتف الباحثة بما قدّمه المعجم العربي من دلالات لها، وإنما ركزت كثيرا على السياقات الواردة فيها، وبهذا تكون الباحثة قد استعانت بمقوم أساس في كشف دلالة اللفظ وهو السياق، ونتيجة لذلك لم تحصر اللفظ في دلالة واحدة، وإنما كشفت عن دلالات متعددة للفظ الواحد تبعا للسياقات التي يرد فيها ^(٤)، ومن ثم أفردت

(١) ينظر: نهج البلاغة: تحقيق صبحي الصالح: 651 - 696.

(٢) ينظر: مع نهج البلاغة، دراسة ومعجم.

(٣) ينظر: ألفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة: إيمان سامي محمد الشوبكي: الفصل الأول. 10 - 44.

(٤) ينظر: نفسه: الفصل الثاني: 44 - 135.

الباحثة فصلا لدراسة القضايا اللغوية في هذه الألفاظ، وهي: المشترك اللفظي، والترادف، والقضايا الصرفية، والقضايا الصوتية، والمسائل البلاغية^(١)، ثم ختمت الباحثة دراستها بقراءة إحصائية لبيان عدد تكرار هذه المفردات^(٢)، وبذلك تكون الباحثة قد استوفت جوانب دراستها جميعا وفق منهج واضح مترابط، ولكن مثل هكذا دراسات تبقى عاجزة أمام تفسير النص وتحليل بنائه اللغوي؛ لأنها رصدت ركنا واحدا من أركان الدلالة وهو المعجم، فالنص "بنية ذات عناصر متظافرة أصوات، ومعجم، وتراكيب، ودلالة"^(٣) فإن علم الدلالة يقوم على "معينة البنية الداخلية للنص وكشف طريقة تشكيل المستويات التركيبية والصوتية والصرفية داخل نسيج الخطاب"^(٤).

على أن من دارسي نهج البلاغة من وظّف دراسة معجم ألفاظه (الكلمات) بما يحقق مزية إضافية لدلالة النص، منطلقا من اتجاه يرى أن للمفردة معنى وإحالة أي إن دلالة المفردة في النص مرتبط بمرجع لغوي أو تاريخي أو ثقافي، ومن بينهم الباحث نوفل أبو رغيث فقد ذهب إلى "أن دراسة المعجم الذي ينطوي عليه النهج من شأنها أن تقود إلى التعرف على طبيعة اللغة الشعرية ومكوناتها وبؤر إشعاعها الجمالي وتساعد في عملية تأويل النصوص وتوجيهها دلاليا بالاستفادة مما توفره من إضاءة خلفيات النصوص"^(٥) ومؤكدا في الوقت نفسه من "أن معرفة الحقول المعجمية بألفاظها وتراكيبها ودلالاتها يفصح عن إحدى صور المنظومة المعرفية المرتبطة بالحالة النفسية للمبدع، التي تتبثق عنها الشعرية، ومن المزايا التي توفرها دراسة المعجم هي أنها تكشف عن وجه الحقبة الزمنية، وعن ملامح البيئة التي احتضنت عملية إنتاج النص"^(٦) مضيفا إلى ذلك، أن هذه الحقول المعجمية لا تسجل "مزية شعرية بمجرد ألفاظها وتنوعها بل تؤدي ذلك على وفق مواضعها في النصوص وقدرتها على إيجاد عناصر الجمال فيها"^(٧)، ومن ثم عمد الباحث إلى إلى تسجيل مجموعة محددة من الألفاظ في قوائم مختلفة تنتمي كل واحدة منها إلى حقل دلالي معين، وهي: معجم الأمكنة والوقائع، ومعجم ألفاظ الطبيعة، ومعجم الأعلام، ومعجم ألفاظ الحكمة

(١) ينظر: ألفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة: الفصل الثالث: 135 – 161.

(٢) ينظر: نفسه: الفصل الرابع: 161 – 181.

(٣) دينامية النص: د. محمد مفتاح: 61.

(٤) المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة: د. محمد رشاد الحمزاوي: 130.

(٥) المستويات الجمالية في نهج البلاغة: 162.

(٦) نفسه: 162.

(٧) نفسه: 162.

والفلسفة^(١)، ولم تكن ألفاظ هذه الحقول الدلالية على سبيل الإحصاء، وإنما على سبيل الشاهد ليتوصل من خلالها إلى أن "هذا التنوع والثراء الذي تكتنزه به لغة نهج البلاغة، يأخذ المستوى التركيبي طبيعته الجمالية منبعثة مما يولده هذا الثراء والتنوع من إحساس لدى السامع بثقافة عالية وقيمة معرفية ينطوي عليها النهج تجتذب السامع إلى التأمل وتشده لمعرفة المزيد"^(٢).

وممن سبقه إلى هذه الغاية في دراسة ألفاظ لغة الإمام (عليه السلام) الباحث كامل حسن البصير حين سجل مجموعة من ألفاظ لغة رسائله (عليه السلام) ضمن موضوعات^(٣)، هي: الحرب وما يتعلق بها بها من أسلحة وأعداء ومقاتلة وخطط، والزهد وما يدور حوله في ذم الدنيا والتحذير من الموت، والموضوع الفلسفي والمنطقي والكلامي، والموضوع الإداري، والموضوع التجاري.

وكانت غايته الرئيسية من ذكر ألفاظ هذه الموضوعات هي الربط بين نتاج الإمام (عليه السلام) وبيئته التي عاش فيها من جانب، وبيان مميزات ألفاظه (عليه السلام) من جانب آخر بما يخدم النص ويعزز بلاغته، وقد خلص الباحث - نتيجة النظر في هذه الألفاظ - إلى "أن مميزات ألفاظ الإمام هذه جعلت منها في مجال فن الرسالة ألفاظاً كتابية أدبية ارتفعت عن مستوى ألفاظ التخاطب العادي في الشؤون اليومية والأمور الطارئة العابرة، بخلاف ألفاظ معظم رسائل عصره التي كانت محلية عامية"^(٤) مضيفاً إلى ذلك ما يحقق فرادة الإمام (عليه السلام) باستعمال هذه الألفاظ بأنها "خالصة من الغرابة، وتنافر الحروف، ومخالفة القياس والغموض، وإذا هي مألوفة مأنوسة ملحنة موسيقية اصطلاحية محددة، صحيحة فصيحة، جزلة قوية، رقيقة لينة"^(٥)، إن وقوف الباحث على ألفاظ الإمام (عليه السلام) في رسائله، لم يكن غاية في حد ذاتها وإنما كان سبباً لنتيجة أراد الباحث أن يؤكد، وهي تفوق الإمام على جميع من عاصره أو سبقه في كتابة فن الرسالة، على الرغم من أنه (عليه السلام) استعان بألفاظ البيئة نفسها التي استعان بها الآخرون، وهنا يكمن سر التفوق والإبداع الناتج عن ثقافة واسعة، وحسن اختيار، وبراعة في التوظيف.

وهو ما فعله أيضاً الباحث علي فرج نعمة (رحمه الله) حينما تناول أثر البيئة في صور

الإمام (عليه السلام) البلاغية فقد سجل مجموعة من الألفاظ ضمن حقول دلالية متنوعة هي: ألفاظ

(١) المستويات الجمالية في نهج البلاغة: 164 - 170.

(٢) نفسه: 170.

(٣) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 306 - 309.

(٤) نفسه: 315.

(٥) نفسه: 315.

الحيوان والطير، والحشرات، والنباتات، والكواكب والأفلاك والظواهر الطبيعية، والمعادن والأحجار الكريمة^(١).

إن ما بذله الباحثان كامل حسن البصير، ونوفل أبو رغيف، من محاولة الربط بين تعدد الألفاظ وانتمائها إلى حقول دلالية متنوعة داخل سياق النص أضفت عليه قيما دلالية جديدة؛ "لأن المبدع حين يستقي ألفاظه من المعجم فإنه يختار ما يناسب المعنى، ولكن المفردة في إطارها المعجمي تتشكل في النص من خلال الاستعمال وتصبح جزءا من بنية دلالية جديدة في علاقتها بتركيب النص وبنائه اللغوي"^(٢)، فلا معنى للمفردة ولا قيمة إذا أخذت منعزلة عن السياق الذي ترد فيه.

وممن وقف على ألفاظ نهج البلاغة الباحث على فرحان جواد في دراسة بعنوان: (لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة وصفية) وقد قسم الباحث دراسته على قسمين، القسم الأول: الاشتقاق، تناول فيه موضوعات صرفية خالصة، أشرنا إليها في الفصل الثاني من دراستنا، وأما القسم الثاني: فقد خصّصه الباحث لدراسة دلالة الألفاظ في نهج البلاغة، وقبل الوقوف على منهج الباحث في هذا القسم أود الإشارة أولا إلى عنوان هذه الدراسة، فقد قيّد الباحث عنوان دراسته بـ(لغة الإمام)، ويبدو لي أن لغة أي مبدع أو شاعر، أو خطيب تعني: كلمات مفردة، وعبارات، وجملا، وفقرات، ونصا كاملا (قصيدة أو خطبة أو رسالة) ومن أراد أن يدرس لغة شخص ما عليه أن يضع هذه جميعا نصب عينيه، ومن ثم ينطلق من النص لتشخيص الظواهر وتفسيرها وكيفية تعامل صاحب هذا النص مع اللغة بوصفها أداة فنّه.

والذي أراه أن الباحث ركّز على دراسة الكلمات المفردة - في قسمي دراسته - وأهمّل الجوانب الأخرى ونأى بنفسه عنها، فلم يتعرض إلى الجانب التركيبي؛ لأنه يراه باب واسع يحتاج إلى بحث برأسه^(٣)، وبناء على ذلك أرى أن العنوان الذي يطابق مضمون دراسته هو: ألفاظ الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة صرفية معجمية.

وعودا إلى ما قدمه الباحث في دلالة ألفاظ نهج البلاغة، أود الإشارة إلى أنه قسم مادة هذا الباب على فصول ومباحث اشتملت على عناوين فرعية كثيرة، تضمن الفصل الأول منها: الدلالة

(١) ينظر: الصورة البيانية في نهج البلاغة: علي فرج نعمة: 31 - 35.

(٢) أسلوبية البناء الشعري، دراسة في شعر أبي تمام: 202.

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: المقدمة.

العامة والخاصة لألفاظ الإمام، وقد اشتمل مبحث الدلالة العامة على الموضوعات الآتية: تغيير الدلالة، ويشمل (تخصيص المعنى، واتساعه، وتغيير استعماله)^(١)، والعوامل الخاصة التي تتأثر بها الدلالة، ويشمل (الحضور، وحسن التعبير، وانحطاط المعنى ويقصد به الألفاظ التي ماتت ولم تعد تستعمل)^(٢)، والألفاظ البدوية^(٣)، وما وافق من عربيتنا المعاصرة لغة الإمام^(٤)، والتصحيح اللغوي وما يتعلق به^(٥).

ولعلّ القارئ وهو يطالع هذه العنوانات يقدر في ذهنه أن الباحث أراد أن يوازن بين دلالة الألفاظ عند الإمام (عليه السلام) وبين دلالتها في العربية (المعجم) ليدلل على مواضع تغيير الدلالة، فيجد - مثلاً - ألفاظاً كانت تستعمل في معان عامة، عمد الإمام إلى تخصيص دلالتها، أو ألفاظاً كانت مخصصة في دلالة معينة، لجأ الإمام إلى تعميم دلالتها، أو ألفاظاً كانت تستعمل في دلالة معينة، استعملها الإمام في غير دلالتها، أو ألفاظاً ماتت وقلّ استعمالها، وأعاد إليها الإمام الحياة نتيجة استعماله لها، وهكذا الأمر في بقية الموضوعات التي ذكرها.

فليس بالمستغرب على القارئ أن يتصور ذلك أو يتوقعه، لأن الباحث معني بدراسة ألفاظ لغة الإمام وبيان سماتها وخصائصها، ولكن المستغرب أن الباحث لم يتناول ذلك في هذه الموضوعات، وإنما وزن بين ألفاظ الإمام وبين الألفاظ المستعملة في لغتنا المعاصرة. فالألفاظ التي وقف عندها الباحث في هذه الموضوعات جميعها لم تخالف دلالاتها المعجمية، تخصيصاً أو اتساعاً أو تغييراً... الخ، وإنما الألفاظ في لغتنا المعاصرة (الفصيحة أو العامية) هي التي خالفتها، وغيّرت دلالاتها، أو استعملتها كما هي من دون تغيير في الدلالة أو تبديل في الصيغة.

فمنهج الباحث في هذه الموضوعات جميعها يبدأ بذكر اللفظ أولاً، ثم يبين دلالاته المعجمية، مستشهداً بما ورد منه في نصوص نهج البلاغة بما يوافق هذه الدلالة، ومن ثم يذكر أن هذا اللفظ في لغتنا المعاصرة خصصت دلالاته ليصبح دالاً على معنى كذا، أو اتسعت دلالاته ليشمل معنى كذا، أو استعمل في دلالاته كما هي، أو هجر استعماله، أو مازال مستعملاً في لغتنا العامية، أو يصح أن نجعله شاهداً على تصحيح خطأ شائع في لغتنا المعاصرة... الخ. إن كل واحد مما

(١) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 148 - 162.

(٢) ينظر: نفسه: 162 - 172.

(٣) ينظر: نفسه: 172 - 179.

(٤) ينظر: نفسه: 179 - 186.

(٥) ينظر: نفسه: 186 - 192.

ذكرت مثل عند الباحث عنوانا يقبع تحته مجموعة من الألفاظ. وقد اعتمد الباحث في ذلك كله اعتمادا كلياً على ما قدمه الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابيه: (مع نهج البلاغة)، و(من معجم الجاحظ). ثم ختم هذا المبحث بأن رصد ما قدمه الدكتور مصطفى جواد في كتابه قل ولا تقل، من تصحيح لغوي اعتمد فيه على ألفاظ نهج البلاغة.

وأرى أن الباحث إذا كان يريد هذا المعنى ويقصده وهو الموازنة بين دلالة ألفاظ الأمام ودلالاتها في لغتنا المعاصرة، كان عليه أن يضع عنوانا لدراسته يكون دليلاً على ما قدمه مثل: (دلالة الألفاظ بين نهج البلاغة، وبين استعمالنا المعاصر، دراسة موازنة)، أو (أثر ألفاظ الإمام (عليه السلام) في لغتنا المعاصرة) أو (تغيير الدلالة في ألفاظ لغتنا المعاصرة، نهج البلاغة انموذجاً) أو غير ذلك، فلا يصح أن يعقد عنوانا يسميه دلالة الألفاظ في نهج البلاغة، ومن ثم يبحث فيه غير ذلك، وخلاصة القول: إن عنوان هذا المبحث لا يطابق مضمونه، وكان على الباحث إما أن يغير العنوان ليتلاءم مع المضمون، أو يبحث في المضمون ما يلئم العنوان الذي ذكره.

على أنني أجد أن ما قدمه الباحث - باستثناء الدلالة المعجمية للألفاظ - قد أبعد كثيراً عن موضوعه، فهو لا يمت بصلة إلى دلالة ألفاظ الإمام، وإنما هو شديد التعلق بدراسة الألفاظ في لغتنا المعاصرة وبيان ما لحق بها من تغيير في الدلالة، وكل الذي عمله الباحث أن جعل نهج البلاغة معياراً يحتكم إليه في بيان دلالة هذه الألفاظ، ليدل على ما لحقها من تطور أو تغيير أو خطأ في الاستعمال.

ومع ذلك إن هذا الجهد لم يكن صنعة الباحث، وإنما هو جهد عالمن كبيرين من علمائنا وهما الدكتور إبراهيم السامرائي ^(١)، والدكتور مصطفى جواد ^(٢) وكل الذي فعله الباحث أن قسم جهدهما على الموضوعات التي عقد عليها مباحثته. ومع ذلك أيضاً فقد وضع دلالات بعض الألفاظ في موضوع كان حقاً أن تكون في موضوع غيره، وسأذكر مثالين فقط تجنباً للإطالة، وضعهما الباحث في موضوع تغيير استعمال الدلالة، المثال الأول: لفظ (الجشب) وهو الغليظ من الطعام أو بلا آدم، ثم استشهد الباحث على اللفظ بدلالته هذه بنصوص من كلام الإمام (عليه السلام) وبعدها نقل كلام الدكتور السامرائي "وقد توسع فيه المعاصرون إلى الغليظ من العيش ضمن

(١) ينظر: من معجم الجاحظ، ومع نهج البلاغة.

(٢) ينظر: قل ولا تقل: د. مصطفى جواد.

اللباس"^(١) وكان على الباحث أن يضع هذا المثال في موضوع اتساع الدلالة لا تغيّرها. وأما المثال الثاني: لفظة (حيوان) فقد أشار الباحث إلى أن الإمام استعمله ليدلّ به على كل حي من الأحياء، مستشهدا بنصوص من نهج البلاغة، ثم ذكر أننا لا نستعمل هذا اللفظ في لغتنا المعاصرة إلا إذا أردنا به البهائم^(٢)، وكان على الباحث أن يضع هذا المثال في موضوع تخصيص الدلالة لا تغيّرها.

كما اشتملت هذه الدراسة على موضوعات أخرى في دلالة الألفاظ ومن بينها الغريب، والدلالة النصية، إلا أننا سنقف عندها فيما بعد؛ لأننا في معرض الحديث على الدلالة المعجمية، إذ كل ما لم يتصل بها سنؤجل الحديث عنه إلى حينه.

وما هو وثيق الصلة بالدلالة المعجمية - فضلا عما ذكرته - ما قدّمه الباحث في عنوان (الدلالة اللفظية)^(٣) إذ عمد إلى تصنيف مجموعة من الألفاظ ضمن حقول دلالية معينة، وهي: المكان، والنبات، والحيوان، والكواكب، والجواهر والحلي، والأحداث، وما ورد من ألفاظ لهذه الدلالات لم يكن على سبيل الحصر والإحصاء وإنما كان على سبيل التمثيل - وإن لم يصرح الباحث بذلك - وقد أكد الباحث أن دلالات هذه الألفاظ لم ترتبط عند الإمام بالدلالة المعجمية فحسب وإنما أسبغ (ﷺ) على كل لفظ منها روحا وحياة وجعل له كيانا خاصا به، ورداء يرتديه لا يصلح لغيره من الألفاظ الأخرى " فكانت الألفاظ تحمل روحا إلى أفق الحياة بما تحمله من بهجة وحزن وفرح وألم فجاءت اللفظة مشحونة بفيض من الأحاسيس والمشاعر لتصور حدثا ما فيسبق التصوير الدلالة المعجمية؛ لأنها كامنة في ذهن المتلقي انبعاثا من جديد يسمو بها عن دلالتها القديمة"^(٤).

ويمكننا أن ندخل الألفاظ التي ذكرها الباحث تحت عنوان (الدلالة العاطفية في المحاكاة الثانوية)^(٥) ضمن ما قدمه في الدلالة المعجمية، لأن الباحث وإن أشار إلى أن هذه الألفاظ تحمل دلالات ذات إحياء نفسي، إلا أنه لم يقف عندها ومن ثم يبين ما تشتمل عليها من إحياء، وإنما اكتفى بذكرها ضمن حقل دلالي معين، مثل: الألفاظ التي تتعلق بخلق الإنسان، ثم ختم القول "إن

(١) ينظر: لغة الإمام علي (ﷺ) في نهج البلاغة: 157.

(٢) ينظر: نفسه: 157.

(٣) ينظر: نفسه: 242 - 248.

(٤) نفسه: 242.

(٥) ينظر: نفسه: 238 - 241.

كل لفظة قد ارتبطت بدلالة إيحائية خاصة عند الفرد" ^(١)، فلعلّ الباحث أدرك ما لهذه الألفاظ من إحياء يتعدى الدلالة المعجمية إلا أنه لم يبينه للقارئ، فلو سأل أحدهم ما الإحياء الذي تؤديه هذه الألفاظ؟ لا يجد في ما قدمه الباحث جواباً لسؤاله، سوى وصف عام أنها ذات إحياء نفسي، ووقع خاص، تخشع لها النفوس.

وأرى أن الباحث وإن صنف هذه الألفاظ على وفق دلالاتها المعجمية، قد أحسن كثيراً حينما لاحظ ما يكمن وراء هذه الدلالة من قيمة رمزية أو إيحائية هي التي بوأتها لتحتضن بهذه المكانة الرفيعة في كلامه (عليه السلام)، بيد أن هذه الملاحظة كانت بحاجة إلى وقفة تحليل من قبل الباحث، وهنا يكمن دور الكلمة في السياق.

ومن نافلة القول أشير إلى الجهد الكبير الذي بذله الباحث في تحديد الدلالة المعجمية لألفاظ الإمام وبيان أثرها في المعجم العربي ^(٢) عبر ما قدمه من رصد وإحصاء لألفاظه (عليه السلام) في ثلاثة معاجم كبيرة وهي: تهذيب اللغة، ولسان العرب، وتاج العروس، ليدلل على حجم النصوص المستشهد بها من جانب، وبيان الدلالة المثبتة لهذه الألفاظ من جانب آخر، منطلقاً مما ورد منها في لسان العرب ومن ثم يوازنها بمعجمي التهذيب وتاج العروس، وفضلاً عن ذلك فقد أوضح الباحث الطريقة التي تعامل بها صاحب "اللسان" في عرض ألفاظ النهج ونصوصه. ولم يكتف الباحث بذلك بل نجده يبحث في معجم (العين) عن هذه الألفاظ ودلالاتها، لبيان أيّ هذه المعاجم أكثر اهتماماً بألفاظ النهج ونصوصه وقد توصل الباحث إلى أن بدايات التأليف المعجمي متمثلة بمعجم العين لم تعن بلغة الإمام (عليه السلام) قياساً على ما ورد منها في "التهذيب" قائلاً: "من اللافت للنظر أن يلحظ في المعجم العربي في بدايات تأليفه قلة العناية باللفظة العلوية من جهة وقلة الاستشهاد بها من جهة أخرى" ^(٣).

إن ما قدمه الباحث يساعد الباحثين على رصد ما انفرد الإمام (عليه السلام) باستعماله من ألفاظ أو دلالات، كما يساعدهم أيضاً على الإحاطة بالدلالات المتعددة للفظ الواحد، ففيمما اختص الأزهري في التحديد الدقيق لدلالة اللفظ، توسع ابن منظور في إعطائه دلالات هامشية أخرى، فضلاً عن ذلك إنه يمكن الباحثين من معرفة دلالات ألفاظ النهج الواردة في هذه المعاجم. وكل

(١) لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 241.

(٢) ينظر: نفسه: 250 - 275.

(٣) نفسه: 252.

ذلك من خلال الجداول التي عملها الباحث لألفاظ نهج البلاغة، فقد رتب الألفاظ فيها حسب حروف الهجاء معتمدا الحرف الأول، إذ جعل جدولا للألفاظ المبدوءة بحرف الهمزة، وجدولا للألفاظ المبدوءة بحرف الباء... إلى حرف الياء.

ومنهجه في ذلك تقسيم هذه الجداول على حقول، خصّص الحقل الأول لذكر اللفظ مع بيان رقم الخطبة أو الكتاب أو الحكمة الوارد فيها ورقم الصفحة والجزء، والحقل الثاني لدلالة اللفظ في التهذيب مع بيان رقم الصفحة والجزء، والحقل الثالث لبيان دلالة اللفظ في اللسان مع بيان رقم الصفحة والجزء. وقد استعمل رموزا أوضح دلالتها للموازنة بين معجم التهذيب وبين معجم اللسان، ومن الجدير بالذكر أن الباحث لم يذكر من ألفاظ النهج الواردة في لسان العرب، سوى الألفاظ التي استشهد عليها صاحب "اللسان" بنصوص من نهج البلاغة.

على أن هذا الموضوع (ألفاظ الإمام في معجم لسان العرب) قد درس فيما بعد دراسة مستقلة نكتفي بالإشارة إليها؛ لأنها تخرج عن حدود دراستنا فقد وقف الباحث رائد عبد الله زيد على ما يقرب من تسعمائة شاهد منسوب إلى الإمام علي (عليه السلام) في موادّ بأبنية مختلفة في معجم لسان العرب، فبعد أن عكف على تفصيلها وجمعها لجأ في الفصل الأول من دراسته إلى نقلها نقلا مباشرا مكتفيا بذكر اللفظ والشاهد الذي أورده ابن منظور من كلام الإمام علي (عليه السلام) من دون أن يبين دلالة ذلك اللفظ وبعد أن انتهى من تعداد هذه الألفاظ التي رتبها حسب حروف الهجاء عمد إلى دراستها في فصول رسالته، وقد وازن الباحث بين ما ورد منها في اللسان وما ورد منها في النهج ورصد نتيجة ذلك اختلافات مرجعها التصحيف أو التحريف أو الاختلاف في الروايات، مقسما هذه الاختلافات على موضوعات نحوية وصرفية^(١).

وممن عُنِيَ بذكر الدلالات المعجمية لألفاظ نهج البلاغة الباحث أحمد هادي زيدان، فعلى الرغم من أن الباحث لم يكن معنيا بهذه الدلالات على وجه الخصوص، وإنما عُنِيَ بدراسة دلالة الخطب في نهج البلاغة بشكل عام، إلا أنه ذكر دلالات معجمية لكثير من ألفاظ النهج، وهي ألفاظ التضاد، والمشتراك اللفظي، والترادف، والألفاظ المتقابلة^(٢). وكذلك الحال عند الباحثة تغريد عبد فليحي، فعلى الرغم من أنها عُنِيت بدراسة دلالة التقابل في نهج البلاغة بشكل عام، إلا أنها

(١) ينظر: ما بني من ألفاظ اللغة على أقوال الإمام علي في لسان العرب: رائد عبد الله أحمد زيد.

(٢) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 218 - 275.

ذكرت دلالات معجمية لكثير من ألفاظ النهج، (ما يقرب من ثمانين لفظاً) في "التقابل الدلالي في الألفاظ المفردة"^(١) وأكثر من تسعين لفظاً في "التقابل الدلالي في المشتقات والأسماء والأفعال"^(٢).

٢ الدلالة المجازية

يرى اللغويون أن لكل لفظ من الألفاظ دلالة مركزية، وهي القدر المشترك من المعنى الذي يتفق حوله الناس جميعاً، والذي يسجل في المعجم فيطلق عليه الدلالة المعجمية، وله بجانب ذلك دلالات أخرى يطلق عليها الدلالة المجازية، فالمجاز في الألفاظ يعني "مغادرة المفردة لدلالاتها المعجمية لتموين دلالة جديدة، تسهم في الاتساع والتوكيد والإدهاش"^(٣). والمجاز نوعان عقلي ولغوي، فالعقلي ما أستفيد عن طريق العقل وإحياءات الفطرة، واللغوي ما أستفيد عن طريق اللغة ومدرجات اللسان^(٤)، وسنكتفي ببيان جهد الباحثين في رصد المجاز اللغوي، لأنه يتعلق بالألفاظ المفردة، ونؤجل الحديث عن المجاز العقلي، لأنه يتعلق بالتركيب والجمل وهو ما سنتناوله لاحقاً. رصد بعض الباحثين ألفاظاً في نهج البلاغة اشتملت على دلالات مجازية انحصرت في (المجاز المرسل): وهو ما استعملت فيه الألفاظ في غير معناها الأصلي، لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي^(٥)، ومن بينهم الباحث حسن هادي نور إذ أشار إلى أن أمثلة هذا النوع من المجاز في سياقات الجملة الخبرية أكثر حضوراً من أمثله في النوع الآخر (المجاز العقلي) إلا أن الباحث لم يقدم إحصاء لهذه الأمثلة وإنما وقف على أمثلة قليلة من دون الإشارة إلى مثيلاتها، وقد وزّع هذه الأمثلة بحسب درجة تواترها على ثلاث علاقات، وهي: السببية، والسببية، والجزئية^(٦). في حين أشارت الباحثة نجلاء عبد الحسين عليوي إلى قلة هذا النوع من المجاز في خطب الحرب مقارنة بالمجاز العقلي، وبالرغم مما قدمته من تنظير للمجاز اللغوي (المرسل) بشكل مطوّل إلا أنها لم تأت إلا بمثال واحد كانت العلاقة التي سوّغت المجاز فيه هي الجزئية^(٧).

(١) ينظر: التقابل الدلالي في نهج البلاغة: الفصل الأول: 29 - 70.

(٢) ينظر: نفسه: الفصل الثاني: 70 - 119.

(٣) الصورة الفنية معياراً نقدياً، منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير: د. عبد الإله الصائغ: 370.

(٤) ينظر: أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة: د. محمد حسين الصغير: 41.

(٥) ينظر: معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة: 1 / 304، والمجاز وأثره في الدرس اللغوي: محمد بدري: 52.

(٦) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: 143 - 144.

(٧) ينظر: الأداء البياني في خطب الحرب: نجلاء عبد الحسين عليوي: الفصل الثاني، المبحث الثاني.

وممن عُنِي به أيضا الباحث ميثاق علي عبد الزهرة حيث رصد هذا النوع من المجاز في ألفاظ المشتقات واكتفى أيضا بذكر مثال واحد لكل علاقة من علاقاته، وهي: السببية، واعتبار ما يكون، والجزئية^(١).

وذكر الباحث عباس علي حسين أمثلة للمجاز في اللفظ المفرد (المرسل)^(٢) وقد ورّع هذه الأمثلة أن جعل مثالا واحدا أو أكثر لكل علاقة من علاقاته، وهي: السببية، المسببية، المحلية، الآلية، الجزئية، الملزومية، الحالية، وغاية الباحث في الإشارة إلى هذا النوع من المجاز هو بيان تأثر كلام الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة بالقرآن الكريم، فبعد أن يذكر واحدة من هذه العلاقات يعرف بها أولا ثم يبدأ بذكر مثال أو أكثر من القرآن الكريم عليها ومن ثم يدلّ على موضع اللفظ الذي يتضمن دلالة مجازية وبعد ذلك يأتي بأمثلة من نهج البلاغة ضمّت هذا اللفظ القرآني استعمله الإمام بالدلالة المجازية نفسها، والملاحظ في هذه الموازنات التي عقدها الباحث أن الإمام أورد ألفاظا قرآنية من دون أن يغير في دلالاتها المجازية.

إن ما قدمه الباحثون لا يتعدى تقديم الشاهد اللغوي لتعزيد ما ذهب إليه البلاغيون في تقسيمات هذا النوع من المجاز.

٣ الغريب

تناول عدد من الباحثين مجموعة من ألفاظ نهج البلاغة يمكننا أن نصنفها ضمن مصطلح الغريب في كلامه (عليه السلام) إذا أخذنا "الغريب" بمفهومه الواسع، وهذا يعني أننا سنقف على جهد بعض الباحثين في بيان هذه الألفاظ والتدليل عليها وإن لم يعالجوها تحت مصطلح الغريب، وإنما وضعوها تحت مسميات أخرى. فاللفظ الغريب له صلة بما تقدم ذكره من دلالة معجمية، ودلالة مجازية؛ لأن المعيار الذي يحدد الغريب هو (البعد والغموض) فاللفظ إذا لم يكن مستعملا أو كان نادرا وصف بالغرابة، كما أن اللفظ إذا كان مستعملا متداولاً ولكنه استعمل في معنى جديد أو نادر وصف بالغرابة أيضا.

وممن وقف عند هذه الألفاظ الباحث كامل حسن البصير وهو يصف مميزات ألفاظ الإمام

(١) ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة: 111 – 112.

(٢) ينظر: أثر القرآن الكريم في نهج البلاغة، دراسة في الشكل والمضمون: 163 – 175.

(عليه السلام) في رسائله، إذ وصف بعض هذه الألفاظ بالغرابة، وبعضها بالثقل لتنافر حروفها وتقارب مخارجها، وبعضها بالمخالفة للقياس، فالباحث لم يصنف هذه الألفاظ جميعها ضمن "الغريب" لأن مفهوم الغريب انحصر عنده باللفظ الحوشي (المرتبط بالحياة البدوية) واللفظ الغامض (غير واضح المعنى)، وما يعيننا أن الباحث وقف على مجموعة من الألفاظ تستوقف القارئ سواء في صياغتها أو في دلالتها، وقد أكد الباحث أن أولى مميزات ألفاظ الإمام (عليه السلام) في رسائله "خلوصها من الغرابة في الغالب: فمن يقرأ رسائل الإمام من ذوي الثقافة المتوسطة لا يتوقف عند معاني ألفاظه مستعينا بهامش وملتجئاً إلى معجم؛ ذلك لأن ألفاظه واضحة منتشرة بين الناس" (١) ومع ذلك فقد أحصى الباحث مجموعة يسيرة من الألفاظ (اثني وثلاثين لفظاً) ذهب إلى أنها من الألفاظ الغريبة الحوشية في رسائل الإمام (عليه السلام) إلا أن هعلق على هذه القائمة قائلاً: "إن هذه القائمة يسيرة في عددها إذا قيست إلى مجموع ألفاظ رسائل الإمام البالغ عددها اثني وعشرين ألف وتسعمائة كلمة، ثم إنها ... أقل ما يتوقع من رجل كان قريب عهد بالعصر الجاهلي وكان ذا إطلاع على لغتهم وعلى هذا يمكن أن نقرّ بأن ميزة خلوص ألفاظ الإمام من الغرابة جعلتها ألفاظاً بينة ظاهرة متبادرة إلى الفهم مأنوسة الاستعمال" (٢)، وأما الألفاظ الثقيلة فقد ذكرها الباحث وهو يتحدث عن الميزة الثانية لألفاظ الإمام وهي خلوصها من تنافر الحروف مؤكداً أن "ألفاظ الإمام رشيقة على اللسان سهلة على النطق تجري في التلاوة مجرى النسمات لا تضطرب أو تتعثر" (٣)، بيد أن حكم الباحث على ألفاظ الإمام بهذه الميزة - الذي بناء نتيجة الاستقراء - لم يمنعه من أن يذكر عدداً يسيراً من الألفاظ شعر أن فيها شيئاً من الثقل قائلاً: "وإذن فلنقيد بأن استقراءنا هذا قد هدانا إلى الوقوف عند ألفاظ رأينا فيها شيئاً من الثقل لتنافر حروفها وتقارب مخارجها وهذه الألفاظ هي: تفتات، فاقعس، تخرج، يستزل، ولتخسان، ومثبورا، ولأججعجك. (٤) ثم ذكر الباحث "أن المتأمل في هذه الألفاظ المدرجة في جملتها لا يسعه أن يأخذ حكماً عليها بالثقل وتنافر الحروف؛ ذلك لأن ثقلها ليس مستكرها وتنافر حروفها ليس مضطرباً إذا قيست إلى تلك الألفاظ التي نص البلاغيون القدامى على ثقلها وتنافر حروفها

(١) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 309.

(٢) نفسه: 311.

(٣) نفسه: 311.

(٤) نفسه: 312.

كلفظتي (هعخع، ومستشزرات (١) " (٢) .

وأما مخالفة ألفاظ الإمام للقياس فقد أكد الباحث أن من مميزات ألفاظ الإمام "خلوصها من مخالفة القياس فألفاظ الإمام جارية على القانون الصرفي وملتزمة بقواعد الاشتقاق ولم يشذ منها عن قواعد الصرف والقياس إلا لفظ واحد في قوله: نحن مأجورون على صلتها مأزورون على قطيعتها" (٣) إذ إن القياس الصرفي في (مأزورون) يقتضي أن يكون غير مهموز (موزورن) ولكن الباحث أشار إلى أن هذه المخالفة للقياس إنما كانت لتحقيق انسجاما صوتيا في العبارة: (نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها).

وأرى أن ما قدمه الباحث في ذكر هذه الألفاظ الغريبة أو الثقيلة أو المخالفة للقياس يمثل شجاعة علمية وتحليلا موضوعيا، يلتزم معايير البحث العلمي بعيدا عن سلطة التقديس أو المحاباة والمجاملة، وعلى الرغم من كل ما أبداه الباحث في وصف هذه القوائم بأنها قليلة محدودة لا تؤثر في مميزات ألفاظه (عليه السلام) إلا أنه وقف عندها مفردة من دون أن يرجعها إلى سياقها، لأنه اكتفى منها بالجانب الوصفي، لا التحليلي، ولو لجأ إلى ذلك لاستطاع أن يجد ثمة ربط بين هذا الغريب ودلالة النص، إذ إن أهم ما يميز ألفاظ الغريب هو دلالتها على الشدة مما يحاكي المعاني التي وردت في سياقها، فضلا عن ذلك أن الألفاظ التي تتكون من الأصوات الثقيلة أو التي تتطلب وقتا أطول لفهمها وإحالتها على مراجع خارج النص تشكل غموضا صوتيا ومعنويا (٤).

وممن تناول هذه الألفاظ أيضا الباحث علي فرحان جواد في مبحث بعنوان: الدلالة الخاصة في لغة الإمام علي (عليه السلام)، وقد قسم هذه الألفاظ تحت عناوين ثلاثة، هي: أولا: التفرد

(١) أغلب المحدثين يؤكدون إن (مستشزرات) ليست ثقيلة أو متنافرة الحروف، فقد وصف الدكتور إبراهيم أنيس هذا الرأي بأنه "بعيد عن الصواب" موسيقى الشعر: 24، وأكد الدكتور محمد النويهي أن هذه اللفظة جاءت مناسبة للمعنى، قائلا: "هذا التنافر لازم لزوما فنيا مؤكدا، لأنه ينطبق على الصورة التي يريد الشاعر أن يرسمها لهذه الخصلات الكثيرة الكثيفة الثقيلة التي تتراحم على رأس محبوبته وترتفع إلى أعلى ويغيب باقي الشعر الكثيف تحتها" الشعر الجاهلي: 1/ 44، وإلى مثل ذلك ذهب الدكتور مصطفى ناصف بقوله: "أعطى من المعنى، بهذا الطريق، ما لا سبيل إليه بكلمة أخرى" نظرية المعنى في النقد العربي: 6، وينظر: أسلوبية البناء الشعري: 11 - 12.

(٢) نفسه: 312.

(٣) نفسه: 312.

(٤) العربية والغموض: د. حلمي خليل: 143 - 144.

في لغة الإمام، ويشمل: التفرد باللفظ ويتضمن: (التفرد بالصيغ والألفاظ، والتفرد في الاستعمال)، والتفرد في التراكيب، وثانيا: الألفاظ النادرة، ويشمل: (الألفاظ النادرة الاستعمال، والألفاظ الشاذة الاستعمال)، وثالثا: الغريب في لغة الإمام.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عنوان "الغريب" الذي ختم فيه الباحث هذا المبحث لم يضع فيه أي لفظ من ألفاظ نهج البلاغة، لأن الباحث وهو يناقش معنى الغريب في كتب القدماء والمحدثين خلص إلى أن مفهومه يتسع ليشمل جميع ما ذكره في العنوانات السابقة، ولذا كان على الباحث أن يقدم ما أخره، ويجعل عنوان هذا المبحث (الغريب في لغة الإمام)؛ لأن كل ما قدمه الباحث في عنوانات هذا المبحث يصدق عليه مصطلح "الغريب" بناء على ما توصل إليه الباحث نفسه.

إن الباحث وهو يشير إلى ألفاظ الغريب في نهج البلاغة بعناوينها المختلفة لم يستند إلى الآليات والمعايير التي ذكرها في معرفة اللفظ الغريب، ومن ثم قام باستخراج هذا الغريب من النهج، وإنما استند إلى ما قاله السابقون في غرابة هذه الألفاظ، وعلى وجه الخصوص الدكتور إبراهيم السامرائي، كما أن الباحث في ذكره هذه الألفاظ اكتفى بالجانب الوصفي، ولم يتعرض لها بشيء من الدراسة أو التحليل، وعلى الرغم من ذلك تداخلت عنده بعضها من جهة الوصف، فما وصف بالتفرد بالمعنى أو الاستعمال وضعه في وصف التفرد باللفظ، من ذلك لفظ "ناد" في قوله (عليه السلام) "فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ"^(١) إذ استشهد الباحث بقول الدكتور السامرائي: "وكتب اللغة تخص الفعل بالبعير ... وكان حقيقا بأهل اللغة أن يستوقفوا استقراءهم، فيقفوا على قول الإمام هذا ونظائره، إذ إن الفعل ... ليس خاصا بالبعير"^٢ فالدكتور السامرائي أراد أن ينسب التفرد للإمام لا في اللفظ، وإنما في طريقة استعماله، والمعنى الذي يؤديه، فاللفظ كان مستعملا ولكنه بمعنى غير هذا المعنى.

وجمع الباحث بين وصف التفرد بالصيغ و التفرد بالألفاظ، وكان على الباحث أن يفرق بينهما، فيجعل التفرد باللفظ، والتفرد بالمعنى أو الاستعمال، والتفرد بالاشتقاق (الصيغة)

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 2 / 174.

(٢) مع نهج البلاغة: 99، ولغة الإمام علي (عليه السلام): 195.

ويعتمد التقسيم نفسه في الألفاظ النادرة؛ لأن كل قسم من هذه الأقسام له خصائصه، فالتفرد أو الندرة بالاشتقاق يعني أن هذا اللفظ معروف لدى السامع، جذرا لغويا، ومادة معجمية، ولكن الصيغة التي جاء عليها يندر أن تجيء لمثلها أو مما انفرد الإمام بها لفظا أو معنى، والباحث ذكر ما يتعلق بهذا الوصف ولكنه جعل قسما منه في التفرد بالصيغ والألفاظ، والقسم الآخر جعله في التفرد بالمعنى أو الاستعمال، وأرى من الناحية المنهجية التنظيمية كان عليه أن يفرد له عنوانا خاصا يجمع فيه ما يصدق عليه هذا الوصف. ومن ذلك لفظ "خشناء" ^(١) و "ضيفان" ^(٢) وأمثالهما، في التفرد، ولفظ "موتات" ^(٣) و "محاسن" وأمثالهما، في النادر.

واغفل الباحث أمثلة وصف مَثَلٌ أساسا مهما في مصطلح الغريب وهي الألفاظ النادرة بسبب طولها أو تنافر أصواتها فلم يأت، الباحث بمثال واحد تنطبق عليه هذه الصفة، علما أنه لم يشر إلى هذا الوصف، ولعلّه وجد أن ألفاظ الإمام تخلو من هذه الصفة، فنأى بنفسه من أن يضع لها عنوانا أو يشير إليها.

إن ما ذكره الباحث مَثَلٌ سمة بارزة في ألفاظ الإمام (عليه السلام) كانت بحاجة إلى وقفة تحليل تتعدى جانب الوصف، لتكشف مداليل هذا الغريب الذي ارتبط بالجدّة والإبداع ^(٤)، والذي منعه من ذلك أن دراسته وصفية لا تحليلية.

وممن عُنِيَ بدراسة الغريب في نهج البلاغة بشكل مفصّل الباحث عبد الكريم حسين السعداوي في دراسة بعنوان: (غريب نهج البلاغة، أسبابه أنواعه، توثيقه نسبته، دراسته) وقد استوعب الباحث بحق كل ما يتعلق بمفهوم الغريب في نهج البلاغة رسدا، ووصفا، وتحليلا، وقد بنى دراسته على منهج مترابط محكم، فكل باب أو فصل أو مبحث وجدته يأخذ برقاب من سبقة، ويتصل بما جاء بعده. وحرص الباحث على ألاّ يقيد الغريب في مبحث الألفاظ فقط - وهو ما ألفناه في كتب الغريب عامة - وإنما تعدها ليشمل غريب التراكيب، وغريب النظم.

ولعلّ أول ما يسجل للباحث ولدراسته أنه أسس آليات ومعايير واضحة اعتمدها منهجا

(١) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 196.

(٢) ينظر: نفسه: 197.

(٣) ينظر: نفسه: 201.

(٤) ينظر: دراسة لغوية في أراجيز روبة بن العجاج (القسم الأول): د. خولة تقي الدين الهلالي: 65.

في تحديد الغريب في نهج البلاغة، ودعا إلى اعتمادها في دراسة مفهوم الغريب في أي كتاب أدبي، وقد خلص الباحث إلى هذه المعايير بعد دراسة مستفيضة ومناقشات جادة لما قدمه العلماء من آراء وتعريفات في مفهوم الغريب ^(١)، كما أحسن في تقسيم مادة دراسته على وفق تقسيمات دقيقة شملت عنوانات متقاربة الدلالة استطاع الباحث أن يحدّها ويفصل بينها، ومن ذلك تقسيمه غريب اللفظ النادر ^(٢) إلى: النادر، والشارد، والحوشي، والقليل، وغريب بسبب ضيق المجال الدلالي، إذ بحث كل قسم من هذه الأقسام بشكل مستقل، وعلى الرغم من إدراك الباحث أن هذه الأقسام جميعها داخلة في باب الغريب النادر، إلّا أن حرصه على أن يميّز سمات كلّ منها دفعه إلى الفصل بينها.

وقد سلك الباحث هذا المنهج في غريب المعنى أيضا، إذ تلمس أسبابا من شأنها أن تكون تفسيراً لغرابة المعنى، ومن ثمّ قسم الألفاظ ذات المعاني الغريبة على هذه الأسباب ^(٣)، وهي: اختلاف البيئة والأسلوب الحضاري، والتناظر والتشابه، في الأصوات، وتداول اللفظة في أكثر من مجال، واستعمال اللفظة بين الحقيقة والمجاز، واتساع الدلالة. وبذلك يكون الباحث قد رصد الألفاظ التي تمتاز بغرابة معانيها ومن ثم وقف عندها دارسا ومحلّلا ومفسرا، مستعينا بمصادر متنوعة يقف المعجم العربي في مقدماتها. وكذا الحال في غريب الاشتقاق (الصيغ الصرفية) إذ لم يوردها الباحث مجتمعة في عنوان واحد، وإنما قسم هذه الصيغ الصرفية على أقسام ^(٤)، هي: الفعل وتصريفاته، والمصدر، والمشتقات، وأفعال التفضيل، والجموع، ومن ثم جعل كل قسم من هذه الأقسام مبحثا قائما برأسه، وقبل أن يتناول هذه الصيغ في عناوينها المختلفة، وضع الباحث ثلاثة معايير يحتكم إليها في تحديد الصيغة التي تتصف بالغرابة، هي:

١ - دلالة الصيغة على غير ما ذكرته كتب الصرف واللغة والمعاجم.

٢ - عدم ورود هذه الصيغة قبل كلام الإمام

(١) ينظر: غريب نهج البلاغة: 52 - 72.

(٢) ينظر: نفسه: 172 - 196.

(٣) ينظر: نفسه: 197 - 239.

(٤) ينظر: نفسه: 241 - 279.

٣ انتقاء الإمام لصيغة قل استعمالها وكانت غيرها أكثر استعمالا وشيوعا.

وذكر الباحث في هذا الفصل صيغا تفرد الإمام (عليه السلام) بها، أو خالف القياس باستعمالها، ومن ثم تلمس أسبابا لعدم مجيء هذه الصيغ على القياس الصرفي، إذ ذهب إلى أن سبب مخالفة القياس إما لتحقيق التوازن الصوتي، وإما لملاءمة معنى يريده الإمام ويقصده في سياق كلامه، وهذه الصيغة المخالفة للقياس تعضد هذا المعنى وتقويه.

وبهذا يكون الباحث درس اللفظ الغريب ضمن سياقه داخل النص وتلمس له وظيفة ودلالة، إذ لم يكتف بالوقوف عليه لفظا مفردا بعيدا عما يؤيده من معنى، ونتيجة لذلك ظهر للباحث أن الغريب مصدر من مصادر الإبداع، وسمة من سمات الفردة في التعبير.

ومما أود الإشارة إليه أن الباحث لم يقدم إحصاء للألفاظ الغريبة في نهج البلاغة، سواء أكان ذلك على مستوى الوصف (الموضوع) أم على مستوى الغريب بشكل عام، وإنما اكتفى بدراسة لفظ واحد في كل مبحث من مباحث دراسته وبعد الانتهاء منه يشير إلى عدد يسير جدا من الألفاظ التي تدخل ضمن هذا الوصف، ففي الغريب النادر تناول بالدراسة لفظا واحدا ومن ثم أحال على ألفاظ أخرى على سبيل التمثيل، وهكذا في الغريب الشارد، والقليل، الخ. وكذا الحال في بيان أسباب غرابة المعنى، وغريب الاشتقاق، وعلل الباحث سبب عزوفه عن عمل معجم يضم الألفاظ الغريبة في نهج البلاغة، أنه وجد أن هذه الألفاظ قد أشير إليها في أكثر من مصدر بدءا من شروح وتعليقات واستدراكات نهج البلاغة، وصولا إلى مؤلفات خصصت لهذا الغرض مثل ما قدمه الدكتور صبحي الصالح وغيره^(١).

واشتملت هذه الدراسة على موضوعات أخرى في مباحث الغريب تتعدى اللفظ المفرد وتتصل بالتراكيب أو النظم، إلا أننا سنقف عندها فيما بعد؛ لأننا في معرض الحديث عن الدلالة في الألفاظ المفردة، إذ كل ما لم يتصل بها سنؤجل الحديث عنه إلى حينه.

وبعد هذا العرض بودي أن أسجل ملاحظة هي جديرة بالاهتمام، وقد تعمدت تأخير الحديث عنها؛ لأنها تتعلق بما قدّمه الباحث في تمهيد هذه الدراسة لا بفصولها ومباحثها، فقد

(١) غريب نهج البلاغة: 24.

تناول الباحث في التمهيد مفهوم الغريب في اللغة والاصطلاح ومن ثم مفهومه في نهج البلاغة، أوضح فيه الآليات والمعايير التي سيعتمدها في تحديد الغريب في النهج.

وأرى أن الباحث لو اكتفى بهذا القدر من الموضوعات في تمهيده، لكان أليق بدراسته شكلاً ومضموناً، بيد أنه زاد على ذلك أن سوّد صفحات كثيرة تقرب من "المائة" تناول فيها موضوعين: أحدهما: الدفاع عن شبهات أثّرت حول نهج البلاغة، وخصّ من بين هذه الشبهات شبهة قيل فيها "إن الذي جمعه هو الذي وضعه" ويقصد بها أن ما جاء في نهج البلاغة هو كلام الشريف الرضي ولا علاقة له بكلام الإمام علي (عليه السلام). وقد انبرى الباحث للرد على هذه الشبهة.

والآخر: ذكر المصادر والأسانيد التي اشتملت على نصوص من كلام الإمام (عليه السلام) الواردة في نهج البلاغة، وقد قسم هذه المصادر والأسانيد على أقسام أربعة، هي:

١ - المصادر والأسانيد التي ذكرها الشريف الرضي في نهج البلاغة.

٢ - المصادر والأسانيد التي دونت كلام الإمام (عليه السلام) ساعة إلقائه.

٣ - المصادر والأسانيد التي سبقت عصر الشريف الرضي.

٤ - المصادر والأصول التي عاصر مؤلفوها الشريف الرضي.

وأرى أن هذين الموضوعين - الدفاع عن النهج وذكر المصادر التي تضمنت بعض نصوصه - لا علاقة لهما بموضوع الدراسة وهو "الغريب" وإنما أقحمهما الباحث إقحاماً، وإذا كان ولا بد كان عليه أن يوجز ويتجنب الإطالة فيهما، إذا كان ما قدمه في هذا الشأن هو من صنيعته وجهده - وهو ما ألمح إليه في أكثر من موضع - ولكن الأمر خلاف ذلك، لأنني وجدت أن ما ذكره الباحث جميعه، قد عُرِضَ في دراسة مفصّلة بذل فيها صاحبها في البحث والتقصي والمتابعة من الجهد ما يستحق الثناء عليه والإشادة به، وهذه الدراسة هي "مصادر نهج البلاغة وأسانيده" للسيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، وقد حاولت أن أوازن بين ما قدمه الباحث وبين ما جاء في دراسة السيد عبد الزهراء الخطيب، فوجدت أن ما ذكره الباحث في هذين الموضوعين جلّه مأخوذ عن هذه الدراسة، إذ نقل منها نصوصاً كاملة مطوّلة كما هي من دون تغيير أو تبديل في عباراتها، كما نقل أسماء المصادر والأسانيد كلها مع ما ورد فيها من

إحالات في الهامش، إلا أنه أعاد ترتيبها حسب سنوات وفاة مؤلفيها بعد أن رتبها السيد عبد الزهراء الخطيب حسب حروف المعجم، ومن العجيب المستغرب أنه لم يشر إليها في أي موضع، إلا في إشارة واحدة يستشف منها التقليل من قيمة ما جاء في هذه الدراسة من جانب، وسعة اطلاع الباحث أن زاد عليها من جانب آخر، قال قبل البدء بدراسة هذين الموضوعين: " وكُتِبَ في مثل هذا الموضوع، فللكثير من الباحثين السبق في ذلك، ولكن هذه البحوث لم تذكر إلا اليسير وعلى نحو مقتضب" ^١ ومن ثم ذكر في الهامش قسماً من أسماء البحوث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع ومن بينها دراسة السيد عبد الزهراء الخطيب.

وفي الحقيقة أن الباحث هو الذي أورد شيئاً يسيراً مقتضياً في هذا الموضوع إذ عمد إلى اختصار ما ورد في كتاب "مصادر نهج البلاغة وأسانيده" في جميع ما قدمه من دون الإشارة إليه، ولو لمرة واحدة. وأرى أن مثل هذا الأمر يوهم القارئ أن هذا الجهد جميعه هو للباحث من جانب، ويتنافى مع الأمانة العلمية في حفظ جهود الآخرين من جانب آخر. ولذا كان على الباحث أن يتجنب هذا الموضوع لأنه لا علاقة له بدراسته، أو يكتفي بمجرد الإشارة للدراسات التي تناولته.

وممن تناول ألفاظ الغريب في خطب نهج البلاغة الباحث حيدر أحمد حسين تحت عنوان (الاستغراب) ^(٢) إذ ذهب إلى أن هذه الغرابة إما أن تكون من جهة اللفظ وإما أن تكون من جهة المعنى، وقد أورد أمثلة لكل منهما نقلها من الدراسة السابقة "غريب نهج البلاغة" من دون أن يشير إليها.

٤ - العلاقات الدلالية في الألفاظ المفردة

رصد الدرس اللغوي قديماً وحديثاً ألفاظاً تتميز بصفة الاقتران اللفظي والمعنوي وقد جاء ذلك نتيجة التوسع في البحث لتلمس العلاقات الدلالية داخل كيان اللغة أجمعها، ومن بين هذه العلاقات التي تقوم على أسس لفظية أو معنوية هي علاقة الترادف وعلاقة المشترك اللفظي وعلاقة التضاد وعلاقة التقابل، فلذا كانت العلاقة قائمة على أساس التشابه في المعنى والاختلاف

(١) غريب نهج البلاغة: 74.

(٢) ينظر: المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) دراسة بلاغية: 228 - 239.

في اللفظ فهي من (الترادف)، وإذا كانت العلاقة قائمة على أساس التشابه في اللفظ والاختلاف في المعنى فهي من (الاشتراك)، وإذا كانت العلاقة قائمة على المعنى وضده في اللفظ الواحد فهي من (التضاد)، وأمّا مفهوم (التقابل) فقد استقر عند المحدثين بوصفه ظاهرة دلالية تكون "مع الأضداد والمشارك والترادف ما يسمى بالعلاقات الدلالية" ^(١)، أو علاقات المعنى. وقد يكون من باب التجويز أن تعد ظاهرة التقابل ضمن تلك العلاقات؛ لأنّ طبيعة العلاقة في (التقابل) لا تقتصر على الدلالة أو المعنى، وإنّما تمتد تلك العلاقة لتشمل الدال أو اللفظ أيضاً، إذ عرّف المحدثون (ظاهرة التقابل) بأنّها تعني "وجود لفظتين تحمل كل منهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى مثل: الخير والشر، والنور والظلمة، والحب والكراهية، والكبير والصغير، وتحت وفوق، ويأخذ ويعطي، ويضحك ويبكي" ^(٢)، فالشرط الذي يفرضه النظر اللغوي الحديث للتقابل هو تعاكس الدلالة بين طرفي التقابل، وقد أدى ذلك الشرط إلى توسيع مفهوم التقابل ليشمل أي نمطين لغويين يقومان على فكرة التعاكس في الدلالة، وبذلك صار معنى التقابل يعني أنّ هـ "لفظان أو تركيبان أو عبارتان متضادتان أو متخالفتان أو متناقضتان في الدلالة بحيث يكون أحدهما ضد الآخر أو خلافه أو نقيضه بالمعنى ويدرك ذلك بالقرائن الدلالية المتعارف عليها كالقرينة السياقية أو الحالية أو غيرهما" ^(٣).

وقد وقف بعض الباحثين على العلاقات الدلالية في ألفاظ نهج البلاغة ومن بينهم الباحث أحمد هادي زيدان إذ خصص فصلاً في دراسته لبحث هذه العلاقات الأربع في خطب النهج ^(٤)، ففي التضاد رصد بعض الألفاظ التي وصفها اللغويون بأنها من الأضداد أي التي تحمل معنيين متضادين، ومنهج الباحث في ذلك يقوم على تقسيم هذه الألفاظ على ثلاثة أقسام هي: الأسماء والأفعال والصفات، يبدأ أولاً بذكر اللفظ، ثم يورد أقوال اللغويين فيه ومن ثم يرصد المواضع التي ورد فيها في الخطب ثم يحلل هذه النصوص ليتوصل إلى دلالة اللفظ مستعيناً بالسياق والقرائن التي تحيط بدلالته، وذهب إلى أن جميع هذه الألفاظ في أقسامها

(١) ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية: عبد الكريم محمد حافظ العبيدي: 50، وينظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم: منال صلاح الدين عزيز الصفار: 18.

(٢) ظاهرة التقابل في علم الدلالة: د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، ع10، 1984م: 15.

(٣) التقابل الدلالي في القرآن الكريم: 23.

(٤) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: الفصل الثالث: 216 – 285.

الثلاثة تخرج عن مفهوم التضاد؛ لأن الإمام (عليه السلام) لم يستعملها في معان متضادة ^(١) وأرى أن البحث في علاقة التضاد في اللفظ الواحد ينبغي أن يكون ميدانه اللغة أجمعها، ولا يقتصر البحث عنه في لغة شخص واحد؛ لأن هذا اللفظ غالبا ما يحمل دلالة حقيقية واحدة عند المتكلم وأما الدلالات الأخرى فهي نتيجة الاستعمال المجازي، وأما ما يكسب اللفظ دلالات حقيقية متضادة هو استعماله عند أكثر من متكلم، ولأجل إظهار المعاني المتضادة للفظ يحتاج الباحث إلى أكثر من نص لغوي، وهذا لا يمنع من أن يرد اللفظ في النص الواحد بدالتين متضادتين فعلى سبيل المثال أن لفظة (ظنّ) وردت في القرآن الكريم بمعنى الشك وبمعنى اليقين ^(٢)، ولكني أود القول بأن البحث عن الألفاظ ذات الدلالات المتضادة في النص الواحد مثل القرآن الكريم أو نهج البلاغة أو ديوان شاعر .. إلخ يفضي إلى القول بأنها قليلة جدا أو غير موجودة، وهذه النتيجة - غالبا - لا تعكس حجم علاقة التضاد في ألفاظ العربية، والمنهج السليم في ذلك هو تتبع دلالة اللفظ في أكثر من نص بل في اللغة أجمعها وهو ما فعله اللغويون في كتب الأضداد.

واتبع الباحث المنهج نفسه في الكشف عن المشترك اللفظي ^(٣) ومن الجدير بالذكر أن معظم الألفاظ التي ذكرها في هذا الموضوع هي ألفاظ تعددت معانيها نتيجة الاستعمال المجازي وقد علّل الباحث الجمع بين ألفاظ المشترك اللفظي والألفاظ التي تعددت معانيها نتيجة المجاز بأن هذه الألفاظ " صورتان لظاهرة واحدة ما دامت النتيجة التي يفضي إليها (المشترك اللفظي) أو (تعدد المعنى) هي نتيجة واحدة، وهي اللفظ ذو الدلالات المتعددة، وأن ما يصنف اللفظ ضمن هذا النوع أو ذلك هو السياق وحده " ^(٤) ونحن نتفق مع الباحث في أن هاتين الصورتين تمثلان ظاهرة واحدة وهي تعدد المعنى للفظ الواحد، ولكن نختلف معه من جهتين: إحداهما: أنه بحث هذه الألفاظ تحت عنوان واحد وهو المشترك اللفظي، والأخرى: أنه عدّ هذه الألفاظ جميعها من المشترك اللفظي.

(١) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 218 - 235.

(٢) ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد- للأصمعي والسجستاني ولابن السكيت: 34 - 35.

(٣) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 236 - 247.

(٤) ينظر: نفسه: 238.

فأما اعتراضنا الأول فإننا نرى أن المشترك اللفظي والاستعمال المجازي للفظ يجتمعان من جهة ويفترقان من جهة أخرى، فهما يجتمعان في تعدد المعنى ويفترقان في العلاقة ما بين المعاني المتعددة، فالتباين التام شرط أساسي في دلالات ألفاظ المشترك اللفظي، فعلى سبيل المثال أن لفظة (حميم) دالة على الماء الحار، ودالة على القريب^(١)، وبهذين المعنيين وردت في النهج^(٢) والملاحظ أنه لا توجد أيّ علاقة بين المعنيين، في حين أن هناك علاقة بين دلالات اللفظ المستعمل مجازياً وقد أوضح البلاغيون هذه العلاقات ومثلوا لها مثل: السببية، والمسببية، والجزئية ... إلخ، والباحث ملتفت لهذا الفارق ولذا كان عليه - من الناحية المنهجية أو التنظيمية - وهو يريد دراسة هذين الموضوعين إما أن يفرد لكل منهما عنواناً، أو يضع لهما عنواناً يشتركان فيه وهو (تعدد المعنى) ومن ثم يشير إلى أن هناك ألفاظاً في النهج تعددت معانيها لأسباب هي: المشترك اللفظي، والاستعمال المجازي ومن ثم يورد الألفاظ المتعددة المعنى تحت ما يلائمها من هذين السببين، وبذلك يتسنى له دراسة هذه الألفاظ تحت عنوان واحد في موضوعين مستقلين.

وأما الاعتراض الثاني فإننا نرى أن ما ذهب إليه الباحث من أن هذه الألفاظ جميعها تعدّ من المشترك اللفظي لأنها تؤدي معاني متعددة بجانب الصواب ويؤدي إلى خلط المصطلحات اللغوية ويضيع الفوارق الدقيقة بين مصطلح وآخر.

فقد أشار سيبويه إلى ظاهرة المشترك اللفظي، وعلى الرغم من أنه لم يتوسع فيها تنظيراً وتطبيقاً، إلا أنه أوضح الفكرة الأساسية التي تقوم عليها، وجاء ذلك عنده في الباب الذي عقده تحت عنوان (هذا باب اللفظ للمعاني)^(٣) إذ قال فيه: "اعلم أنّ من كلامهم ... اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"^(٤)، والظاهر من كلام سيبويه أنه يقصد اتفاقهما في اللفظ واختلافهما في المعنى إنما هو في أصل الوضع، وزاد سيبويه فكرته إيضاحاً بما قدّمه من أمثلة قال: "واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدتُ عليه من المؤجدة، ووجدتُ إذا أردتُ وجدان الضالة"^(٥)، وعلى وفق ذلك عُرف المشترك اللفظي في الاصطلاح "كون اللفظ موضوعاً لمعنيين معاً على البديل من غير

(١) ينظر: المنجد في اللغة: كراع النمل: 181.

(٢) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 239 - 240.

(٣) ينظر: الكتاب: 20/1.

(٤) نفسه: 20/1.

(٥) نفسه: 20/1، هناك معاني أخرى تحملها كلمة (وجد) كالمحبة والغضب والعلم والاستغناء، ينظر: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً: د. توفيق محمد شاهين: 326-331.

ترجيح، ويسمى اشتراكاً لفظياً، وذلك اللفظ يسمى مشتركاً لفظياً^(١) وإذا ضممننا إلى هذين التعريفين ما قيل في المشترك اللفظي من أنه دال على أكثر من معنى^(٢)، وأنه يشترط في معانيه التباين التام^(٣) قلنا: إن المشترك اللفظي: هو اللفظ الدال بالوضع على معان متباينة عند أهل اللغة، وأما المعنى المجازي للفظ فهو ما استعملت فيه الألفاظ في غير معناها الأصلي، لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي^(٤)، وهنا تكمن قيمة المصطلح اللغوي في تحديد الظواهر اللغوية وإن كان بينها تشابه في بعض الجوانب، فتعدد المعنى سمة مشتركة بين المشترك اللفظي والاستعمال المجازي للفظ، ولكنه لا يلغي خصوصية كل منهما، فلا يصح أن يقال: إن الألفاظ التي تعددت معانيها نتيجة الاستعمال المجازي هي من ألفاظ المشترك اللفظي، علماً أن الباحث في موضوع التضاد أخرج بعض الألفاظ من الأضداد لأنها اشتملت على معنيين متضادين إلا أن أحدهما حقيقي والآخر مجازي ومن هذه الألفاظ (وراء) قال: "وبناء على ما تقدم يظهر أن لكلمة (وراء) في خطب نهج البلاغة معنيين، أحدهما حقيقي، والآخر مجازي، وقد كشف السياق عن كلا المعنيين، وهذا ما يُخرج (وراء) من الأضداد، ذلك لأن مما اشترطه الأضداديون في ألفاظ التضاد هو (ألا يكون المعنى الثاني مجازياً)^(٥) "٦)، وكان على الباحث أن يخرج الألفاظ الألفاظ ذات المعاني المجازية من المشترك اللفظي أيضاً، فكما لا تصح أن تكون من الأضداد كذلك لا تصح أن تكون من المشترك اللفظي.

وأما في علاقة الترادف فقد اجتهد الباحث في تلمس الفروق الدلالية بين ألفاظ خطب النهج التي عدت من قبل اللغويين من المترادفات^(٧) ومنهجه في ذلك قائم على مبدئين: السياق، والاستبدال، فالسياق هو الحكم الفصل في تحديد المترادفات لذا لجأ الباحث إلى تتبع مجموع سياقات اللفظ في خطب نهج البلاغة للوقوف على دلالاته، والاستبدال مقياس آخر

(١) كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي: 776/3.

(٢) ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها: 369/1.

(٣) ينظر: دلالة الألفاظ: 136.

(٤) ينظر: معجم البلاغة العربية: 1 / 304، والمجاز وأثره في الدرس اللغوي: 52.

(٥) الأضداد في اللغة: حسين محمد، (بحث): مجلة اللسان العربي، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط، المغرب الأقصى، مج 8، ع 1، 1390هـ-1971م: 104.

(٦) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 224.

(٧) ينظر: نفسه: 248 - 264.

للترادف يقوم على مبدأ الاستعاضة الذي يعني استبدال الكلمة بما يرادفها في النص اللغوي من دون أي تغيير في المعنى، وبناء على هذين المبدأين أخرج الباحث معظم الألفاظ التي تناولها من دائرة الترادف، لقد أحسن الباحث بإتباعه منهجا سليما في التحليل ولكن يبدو لي أنه في بعض تحليلاته لم يقدم فروقا دلالية واضحة بين اللفظين المترادفين ومن ثم حكم عليهما بنفي الترادف، ومن ذلك لفظ (الإنسان / البشر) فقد أشار الباحث إلى أن السياقات التي وردت فيها كلمة الإنسان جاءت لتعبر عن هذا المخلوق في عالمين مختلفين الأول: عالم ما قبل الحياة الدنيا، والثاني: عالم الحياة الدنيا، وأما لفظ البشر فورد في موضعين فقط أحدهما يصف المخلوق في الحياة الآخرة، وثانيهما يصف المخلوق في الحياة الدنيا إلا أنه ورد بمعنى الرسل^(١)، والملاحظ أنه لا يوجد فرق دلالي واضح بين لفظتي الإنسان والبشر ومع ذلك أقرّ الباحث بعدم ترادفهما قائلا: " ويتضح من تتبع كلمتي (الإنسان) و(البشر) في خطب النهج أن لكل واحدة منهما معنى تختلف به عن الأخرى، ودليل ذلك اختصاص كل واحدة منهما بموضع دون سواه، وذلك ما يجعل الكلمتين غير مترادفتين، على الرغم من ورودهما في بعض المعاجم بمعنى واحد"^(٢).

إن دراسة الترادف في ألفاظ نهج البلاغة كان غاية باحث آخر بيد أن دراسته لا تدخل ضمن حدود دراستنا، ولذا سنكتفي بالإشارة إليها إتماما للفائدة، إذ قدّم الباحث فراس تركي عبد العزيز دراسة مستقلة عن مفهوم الترادف متخذاً من القرآن الكريم ونهج البلاغة ميدانا تطبيقيا^(٣) تطبيقيا^(٣) ومنهجه في هذه الدراسة لا يختلف عن سابقه في الاعتماد على مبدأي السياق والاستبدال، وقد شغل التنظير لمفهوم الترادف مساحة كبيرة من هذه الدراسة وانحصر التطبيق في فصلها الأخير واكتفى الباحث بذكر الألفاظ التي قال اللغويون بترادفها وحصر اختياره لهذه الألفاظ بأن تكون واردة في القرآن الكريم وفي نهج البلاغة فهو لم يقف على ألفاظ وردت في القرآن فقط أو في نهج البلاغة فقط، وخلص الباحث - بعد أن اجتهد في بيان الفروق الدلالية بينها - إلى خلوها من ظاهرة الترادف.

(١) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 251 - 252.

(٢) نفسه: 252.

(٣) ينظر: مفهوم الترادف وقيّمته الدلالية بين لغة القرآن الكريم ونهج البلاغة: فراس تركي عبد العزيز.

وأما علاقات التقابل فقد اجتهد الباحثون في تلمس الألفاظ التي ترد في سياق واحد وتحمل دلالات متقابلة ويمكن اجمال هذه العلاقات بحالتين: الضد والنظير وهو مبدأ قياسي لغوي اعتمده اللغويون والنحويون فقالوا إنهم يحملون الشيء على ضده كما يحملونه على نظيره^(١)، واختلف منهج الباحثين في تقسيم هذه الألفاظ فقسمها الباحث أحمد هادي زيدان على أربعة حقول دلالية ومن ثم بحث كل مجموعة من هذه الألفاظ تحت الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه وهي: التقابل الزمني، والمكاني، والعقائدي، والنوعي^(٢)، في حين تناولت الباحثة تغريد عبد فلحي هذا الموضوع بشكل مستقل في دراسة بعنوان: (التقابل الدلالي في نهج البلاغة) وقد اعتمدت الباحثة في تقسيم هذه الألفاظ المنهج نفسه إلا أنها زادت من الحقول الدلالية التي تنتمي إليها هذه الألفاظ وسبب الزيادة أنها لم تذكر الألفاظ المتعلقة بالعقائد في حقل دلالي واحد (الحقل العقائدي) كما فعل سابقها وإنما قسمته على حقول متعددة، فالدراستان متقاربتان من حيث المنهج سواء أكان ذلك في العناوين الفرعية أم في طريقة عرض المادة العلمية، ويختلفان في حجم المادة العلمية المقدمة، فلما كانت دراسة الباحثة تغريد عبد فلحي معنية بهذا الموضوع بشكل مستقل اشتملت على ألفاظ أكثر وتقسيمات أوسع إذ تناولت التقابل الدلالي في ألفاظ الأسماء والأفعال والمشتقات، ومن ثم انتقلت إلى التقابل في الجمل والأساليب. ومما أود الإشارة إليه أن الباحثة قسّمت التقابل الدلالي في الألفاظ المفردة على قسمين ومن ثم وضعت عنوانا لكل قسم أولهما: التقابل الدلالي بين الألفاظ المتجانسة بحثت فيه الألفاظ ضمن حقولها الدلالية، وثانيهما التقابل الدلالي في الألفاظ غير المتجانسة بحثت فيه الألفاظ من دون حقول دلالية، والباحثة تعني بالألفاظ المتجانسة أن التقابل حاصل بين لفظين هما على الضد أو الخلاف أو النقيض في اللفظ والمعنى، وتعني بالألفاظ غير المتجانسة أن التقابل حاصل بين لفظين يحمل أحدهما دلالة صريحة على معنى معين، في حين يحمل الآخر دلالة تلميحية على معنى يضاد أو يناقض أو يخالف دلالة اللفظ الأول. وأرى أن تقيد العنوانين بـ (المتجانسة وغير المتجانسة) يضيف عليهما سمة الغموض والإيهام؛ لأن مفهوم التجانس يعني اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيه^(٣) وهذه الألفاظ جميعها مختلفة لفظا ومعنى وكان

(١) ينظر: الأصول: د. تمام حسان: 227.

(٢) ينظر: خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: 268 – 274.

(٣) ينظر: الطراز: 2 / 185 .

على الباحثة أن تضع لهذين القسمين عنوانا واضحا لا لبس فيه، مثل التقابل الدلالي الصريح، والتقابل الدلالي غير الصريح، كما أغفلت الباحثة مسألة مهمة في تقسيمها وهي أن التقابل تارة يكون بين الألفاظ المتضادة وتارة أخرى يكون بين الألفاظ غير المتضادة (المتناظرة).

وممن تناول التقابل في نهج البلاغة الباحثة إيمان عبد الحسين علي إلا أنها سلكت منهجا آخر فلم تقابل بين الألفاظ وإنما قابلت بين الموضوعات على شكل ثنائيات متقابلة وقد اتبعت منهجا في تقسيم هذه الثنائيات يقوم على مبدأ الفصل بين الثنائيات المتقابلة المتضادة، بمعنى أن كل واحدٍ منها يمثلُ ضداً للآخر وهي (التوحيد/الشرك) و(الإيمان/الكفر) و(الحق/الباطل) ^(١) والثنائيات المتقابلة غير المتضادة، وقد أطلقت عليها تسمية الثنائيات المتناغمة وهي (الدنيا/الآخرة) ^(٢)، متخذة من نهج البلاغة بنية نصية واحدة، ومعنى ذلك أن هذه الموضوعات ليس بالضرورة أن تتقابل في تراكيب متجاورة، وإنما يكفيها أنها وردت في نص النهج وإن كانت متباعدة، فهي تبحث مثلا عما قاله الإمام (عليه السلام) في الإيمان، ثم تبحث عما قاله في الكفر وتقابل بين الموضوعين وكذا الحال في (الدنيا/الآخرة)، واللافت للنظر أن الباحثة لم تلتزم بهذا المنهج ففي ثنائية (التوحيد/الشرك) إذ لم تقدم لنا سوى أمثلة يسيرة مما قاله الإمام في التوحيد، وأما موضوع الشرك فلم تورد له أمثلة توضح رؤية الإمام فيه، وبهذا تكون وقفت على موضوع التوحيد من دون الشرك، وفي ثنائية (الحق/الباطل) قدمت نصوصا تقابل فيها لفظا الحق والباطل في سياق جملي واحد، أي تقابل دلالي في الألفاظ لا في الموضوعات، فالباحثة لم تبحث عن موضوع الحق أو موضوع الباطل في النهج ومن ثم تقابل بينهما وإنما اكتفت بإيراد النصوص التي تقابل فيها لفظ الحق مع لفظ الباطل، وأرى أن الباحثة كانت بحاجة إلى بذل جهد أكبر ووقفة متأنية في التقصي والتحليل؛ لأن ما قدمته في هذه الموضوعات لا يعكس رؤية متكاملة لموضوعات الإمام وإنما يمثل جانبا يسيرا منها.

(١) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: 46 – 55.

(٢) ينظر: نفسه: 56 – 58.

المبحث الثاني

دلالة التراكيب

تؤدي اللغة في تراكيبها المختلفة وظيفتين رئيسيتين: أحدهما: التعبير عن الحقائق من خلال توصيل الأفكار ونقلها، والأخرى: التعبير عن العواطف والانفعالات، وإثارة المشاعر، والتأثير في السلوك الإنساني، والوظيفة الثانية هي قوام التعبير الأدبي، فإذا كانت دلالة اللفظ المفرد تنتقل بين الحقيقة والمجاز، فإن التراكيب أو العبارات تدل على المعاني أيضا لا بصريح الألفاظ، وإنما بصور كثيرة تظهر دقائق المعنى وأسراره، فالمتكلم يعمد إلى لغة التصوير الإيحائي، بوصفها وسيلة من وسائل تمثيل المعاني، ونافذة من نوافذ مخاطبة الحس والوجدان، وهو بذلك يجمع في فنّه " كل ما احتوته الألفاظ من قوة التعبير والتصوير، وكل ما من شأنه أن يساعد على التوصيل بحيث يستثير الخيال " ^(١)، وعبد القاهر الجرجاني من أوائل من أشار إلى ذلك بقوله: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل " ^(٢).

١ - الدلالة الحقيقية والمجازية في الجمل والتراكيب

تقوم العلاقات بين الألفاظ في الجملة الواحدة وبين الجمل بعضها مع بعض على أساس تأدية المعنى، وهنا يظهر دور السياق في تحديد معاني الألفاظ، فقد تنتظم هذه الألفاظ داخل سياقها التركيبي ولا تخرج على دلالاتها المعجمية، في حين يكسبها السياق دلالات مجازية أو ثانوية أو هامشية مختلفة عن معناها المعجمي، فالسياق يمثل الحجر الأساس في علم الدلالة، فهو يكشف جانبا مهما من جوانب تشكيل المعنى، وقد ذهب أصحاب نظرية السياق أبعد من ذلك فهم " كثيرا ما يرددون القول بأن الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها في النظم " ^(٣) ومن أجل ذلك يقرر الباحثون الداليون أنه ليس هناك معنى للفظ إلا من خلال سياقها، والمقصود بالسياق " النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم " وهو تعريف يشمل الكلمات والجمل... والخطبة أو الرسالة كلها.

(١) قواعد النقد الأدبي: لاسل أبركرومبي: 35.

(٢) دلائل الإعجاز: 268.

(٣) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان: 54.

والسؤال هنا كيف تعامل الباحثون في نهج البلاغة في الكشف عن المعاني الحقيقية أو المجازية في الجمل والتراكيب؟

اختلف منهج الباحثين في رصد الدلالات الحقيقية أو المجازية في جمل الإمام وتراكيبه فبعضهم ركز على دلالة اللفظ داخل التركيب الاسنادي للكشف عن إنشاء علاقات جديدة من ألفاظ قديمة، وبمعنى آخر الكشف عن دلالات مجازية متأتية من ألفاظ استخدمت في دلالاتها الحقيقية، فالمجاز في هذه الصور متأت من إسناد اللفظ إلى غيره في الجملة الواحدة، في حين ركز باحثون آخرون على الكشف عن المجاز المتأتي من التراكيب (الجملة المتعددة) وهذا المجاز في صورتيه (في الجملة الواحدة أو الجملة المتعددة) هو ما يعرف بالمجاز العقلي لأنه يتوصل إلى فهمه بطريق العقل وقد يطلق عليه المجاز الاسنادي أو الاسناد المجازي لأنه إنما يفهم في التركيب لا في الكلمة "فالألفاظ لم تنتقل عن أصلها اللغوي فدلالاتها على ذاتها بذاتها والكلمات لم تجتز وضعها في الأصل إلى مقارب أو مشابه، وإنما يستشعر بهذا المجاز عن طريق التركيب في العبارة والإسناد في الجملة فهو مستتب من هيئة الجملة العامة ومستخرج من تركيب الكلام التفصيلي دون النظر في لفظ معين أو صيغة منفردة"^(١). وركز باحثون آخرون على الكشف عن الأغراض والمعاني التي يشتمل عليها نهج البلاغة من دون الوقوف على الحقيقة أو المجاز فيها، وليبيان ذلك نقسم جهد الباحثين على مجموعات ثلاث:

المجموعة الأولى : غايتها الكشف عن المجاز الاسنادي (العقلي) ضمن حدود الجملة الواحدة وقد سلك الباحثون في هذه المجموعة منهجا تعليميا يقتضي خطى البلاغيين ويتبع آثارهم من خلال اتباع التقسيمات أو المسارات القائمة على أساس العقل والمنطق والتي توجه الانتقال الدلالي في الجملة وتصرف الذهن إلى المعنى الجديد، إذ ابتدأ الباحثون بذكر علاقات هذا النوع من المجاز ثم عرّفوا بها ومن ثم رصدوا لها بعض الأمثلة من نهج البلاغة مدللين على موضع المجاز فيها .

فقد رصد الباحث حسن هادي نور أمثلة المجاز العقلي في الجملة الخبرية مشيرا إلى قلّتها ومكتفيا بذكر مثالين فقط، مثال للعلاقة الزمانية وآخر للعلاقة السببية، من دون الإحالة

(١) أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة: محمد حسين الصغير: 44.

على بقية الأمثلة الأخرى ^(١).

ولم تخرج الباحثة نجلاء عبد الحسين عليوي عن هذا الوصف فيما قدمته من أمثلة للمجاز الإسنادي في خطب الحرب، على الرغم من أنها لم تبدأ أولاً بذكر العلاقات ، فالباحثة تبدأ بذكر المثال، ومن ثم تشرحه مشيرة إلى موضع المجاز فيه ومنتية إلى بيان علاقة المجاز، فكانت أمثلتها جميعها تدور حول العلاقة: السببية، عدا مثالا واحدا في العلاقة المكانية ^(٢).

في حين ذكر الباحث ميثاق علي عبد الزهرة أمثلة للمجاز العقلي في أبنية المشتقات وقد وزع هذه الأمثلة على علاقات: السببية، المكانية، الفاعلية، المفعولية ^(٣)، ومن النظر فيما قدمه الباحث نجد أنه في بعض أمثلته لم يكشف عن الدلالة المجازية المتأنية من الإسناد وإنما ركز على بيان نوع العلاقة المجازية فقط، فلو سأل القارئ ما الدلالة المجازية في الأمثلة التي ذكرها الباحث لا يجد جوابا لسؤاله سوى أن العلاقة المجازية في هذه الأمثلة هي الفاعلية أو المفعولية، وكان على الباحث أن يقدم تحليلا يكشف من خلاله عن الدلالة الحقيقية للألفاظ أولاً ومن ثم يبين الدلالة المجازية التي انتقلت لها هذه الألفاظ نتيجة الإسناد ومن ثم يوضح العلاقة بين الدلالة الأولى الحقيقية والدلالة الثانية المجازية.

وممن عني ببيان المجاز العقلي الباحث عباس علي حسين الفحام، إذ رصد بعضاً من أمثلته التي يرى فيها أثراً للقرآن الكريم وقد أحسن الباحث في التدليل على مواضع المجاز في هذه الأمثلة من خلال بيان المعاني الحقيقية للألفاظ ومن ثم بيان أثر الإسناد في نقل المعنى وموردا الأمثلة القرآنية التي تأثر الإمام (عليه السلام) بها ونقل عنها وقد قسم أمثلته على علاقات ثلاث هي: الزمانية، والمكانية، و السببية، وقد أشار الباحث إلى أن ما قدمه لا يمثل إحصاء لوجوه وعلاقات المجاز العقلي، وإنما انحصر جهده في ذكر شواهد قليلة قدمها دليلاً عملياً لأثر المجاز القرآني في كلام الإمام (عليه السلام) ^(٤).

(١) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 145.

(٢) ينظر: الأداء البياني في خطب الحرب في نهج البلاغة: الفصل الثاني، المبحث الثاني.

(٣) ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة: 104 – 110.

(٤) ينظر: أثر القرآن الكريم في نهج البلاغة، دراسة في الشكل والمضمون: 175 – 184.

وأشار الباحث سمير داوود سلمان إلى أمثلة يسيرة فيها مجاز عقلي عمد إلى بيانه مؤكداً أن الغرض منه هو الاتساع في المعنى وتوكيده من دون أن يبين علاقة هذا المجاز بالدلالة الحقيقية^(١).

المجموعة الثانية : غايتها الكشف عن المجاز في التراكيب (الجمل المتعددة) ولم

يبتعد الباحثون في هذه المجموعة كثيراً عن منهج البلاغيين في بيان الدلالات التي أرادها الإمام (عليه السلام) من جملة وعباراته لا بصريح الألفاظ أو الجمل وإنما من خلال الكشف عما يكمن وراءها، واتبع الباحثون منهجاً تحليلياً في بعض هذه النصوص أو التراكيب، ومن بينهم الباحث محمود عبد حمد اللامي إذ عقد فصلاً في دراسته تحت عنوان (الدلالة الإضافية للجمل الفعلية في نهج البلاغة) أوضح فيه الدلالات الثانوية التي قصدها الإمام من تراكيبه، ومنهجته في ذلك البدء بذكر الدلالة أولاً ومن ثم التعريف بها من خلال إيراد أمثلة مصنوعة، ثم يذكر نصوصاً من النهج تشتمل على هذه الدلالة، وبعدها يلجأ إلى تحليل هذه النصوص، وقد أحسن الباحث فيما قدمه من تحليلات عكست جهداً كبيراً، وقد رصد الباحث ثمانى دلالات هي: الفخر، والشكوى، وتعظيم الله سبحانه وتعالى، ومدح الرسول، والذم، والتوبيخ، والتحذير، وتحريك الهمة^(٢).

وذكر الباحث علي فرحان جواد أغراضاً استوحاها من تراكيب الإمام، وعلى الرغم من أن الباحث أورد هذه الأغراض في فصل أطلق عليه (ظل المعنى أو المعنى الشعوري/النفسي عند المتلقي) فهو لم يبين عند تقسيمه هذه الأغراض الدلالة الحقيقية أو المجازية فيها، فذكر تسعة أغراض هي: الزهد، والجهاد والقتال والحرب، والتذكير ببدء الخلق، والشكوى، والتعريض والعقاب والتقريع والتوبيخ، والتذمر، والوعظ والإرشاد، والحكمة، والسياسة^(٣)، والشواهد التي أثبتتها الباحثة لهذه الدلالات لا تتعدى الشاهدين لكل دلالة، ومع ذلك فهو لم يعمد إلى تحليلها وبيان مداليلها وإنما اكتفى بذكرها فقط، ومن النظر في هذه الشواهد نتبين أن دلالتها على هذه الأغراض متحصلة من ظواهر ألفاظها فهي لا تحتاج إلى إطالة نظر أو تأويل وعلى ذلك نقول

(١) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 163 – 166.

(٢) ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة: 110 – 135.

(٣) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 232 – 237.

إنها دلالات حقيقية لا مجازية، ولو تدبر الباحث في أمثلته وتأمل لوجد فيها أغراضا مجازية أخرى غير التي ذكرها، كما أن الباحث لم يذكر شواهد لبعض هذه الدلالات مثل: دلالة التعريض والعقاب، ودلالة السياسة، حيث اكتفى بذكر بعض مقولات الباحثين في هاتين الداليتين، في حين اكتفى بالإحالة على بعض النصوص من دون ذكرها وذلك في دلالة الوعظ والإرشاد، والحكمة، إن ما قدمه الباحث يمثل إشارة سريعة أو عابرة للأغراض التي يشتمل عليها نهج البلاغة لأنها خلت من الرصد على سبيل الإحصاء أو التحليل على سبيل الكشف أو التأويل.

المجموعة الثالثة : غايتها تقسيم كلام الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة حسب أغراضه

ومعانية من دون الإشارة إلى الحقيقة أو المجاز ومن ثم دراسة هذه النصوص وتحليلها كل حسب غرضه ومنهم الباحث عبد الحسين عبد الرضا العمري إذ عقد فصلا في دراسته تناول فيه أنماط الخطاب في نهج البلاغة ^(١)، ذكر منها اثني عشر غرضا هي: الخطاب الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والإداري، والعسكري، والفقهي، والزهد، والدعاء، والأخلاقي والتربوي، والطبيعي، والنفسي، والمعرفي، وقد فرّع من كل غرض من هذه الأغراض أغراضا فرعية، وقد اتبع الباحث في ذلك كلّ منها تحليلا لا يعتني بهذه الدلالات من حيث الحقيقة أو المجاز وإنما يهدف إلى الكشف عن رؤية الإمام ونظرته لهذه المواضيع المهمة في حياة المسلمين، فهو بحث دلالي أراد الباحث أن يستوعب فيه جوانب الحياة كل الحياة في كلام الإمام (عليه السلام) المتمثل في نهج البلاغة، وقد عكس الباحث في ما قدمه مقدرة عالية في الرصد والتحليل، وأرى أن هذه الدراسة يمكن أن تكون عوناً للقراء في استيعاب ما في النهج من روح إسلامية سمحة، فهي لم توجه للمتخصصين في علم العربية فحسب وإنما وجهها الباحث ليفيد منها القراء بمستوياتهم الثقافية المختلفة.

وممن عُنِيَ أيضا بدراسة دلالة الخطاب في نهج البلاغة الباحثة إيمان عبد الحسن علي وهذه الدراسة وإن اتفقت مع سابقتها من حيث العنوان إلا أنها اختلفت معها من حيث المنهج والتقسيم والعرض، فالباحثة لم تقسّم خطاب الإمام (عليه السلام) حسب موضوعاته وإنما قسمته

(١) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته: الفصل الثاني: 142 – 251.

حسب جهة التلقي وهو الخالق، والذات، والآخر، وما لا يعقل (الدنيا، والمكان)، وقد أوردت الباحثة نصوصاً تتعلق بكل جهة من هذه الجهات واكتفت بتعليقات سريعة على هذه النصوص من دون الغوص في تحليلها مع إشارتها إلى بعض دلالات هذه النصوص مثل الدعاء والشكوى والنصح والإرشاد والتأنيب^(١)، ومن النظر فيما قدمته الباحثة لا يمكننا وصفه بأنه دراسة دلالية لمعاني التراكيب في النهج وإنما هو أقرب إلى فهرسة بعض النصوص حسب جهة التلقي، ومن ثم تناولت الباحثة بعض موضوعات النهج القائمة على مبدأ ثنائيات التقابل.

وقسمت الباحثة فاتن فاضل كاظم العبيدي الخطاب في نهج البلاغة حسب موضوعاته على ثلاثة مستويات: الخطاب الديني، والسياسي، والجهادي، ومن ثم ذكرت تحت كل مستوى من هذه المستويات عناوين فرعية تنتمي إليه، وما قدمته الباحثة أشبه بفهرسة نصوص النهج حسب موضوعاته، واللافت للنظر أن الباحثة تنتقل من نص إلى آخر بعد أن تعلق عليه بعبارات موجزة، فتحليلها سطحي يعتمد في الغالب على شروح النهج^(٢).

وتناول الباحث نعمة دهش فرحان الطائي أنماط الخطاب وموضوعاته في نهج البلاغة في ضوء نظرية علم اللغة الاجتماعي، وأظهر الموضوعات التي تناولها، هي: الأنماط السلوكية، والنظام الإداري، والاقتصادي، والسياسي، والقضائي، والظواهر الاجتماعية، والثقافية، والسياقية^(٣).

٢ - دلالة التصوير البلاغي في التراكيب

وقف عدد من الباحثين على الصور الفنية / البلاغية في نهج البلاغة، مع الاختلاف في الجانب التطبيقي لها، فقد شملت نصوص نهج البلاغة جميعها عند بعضهم، في حين اقتصر على الخطب أو الرسائل أو الجمل أو المشتقات عند بعضهم الآخر.

وقد تباينت غاية الدارسين لهذه الصور الفنية، فمنهم من قدّمها شاهداً على ما ذهب

(١) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: 32 - 42.

(٢) ينظر: خطب نهج البلاغة، دراسة توصيلية: فاتن فاضل كاظم العبيدي: 148 - 199.

(٣) ينظر: نهج البلاغة في ضوء علم اللغة الاجتماعي: نعمة دهش فرحان الطائي.

إليه البلاغيون، ومنهم من قدّمها دليلاً ملموساً على أصالة هذه الصور في اللغة العربية، ليردّ بها على من يدعي أنها من صنعة أدب المحدثين، أو أن مرجعها الأثر الأجنبي، ومنهم من قدّمها دليلاً على تأثر نهج البلاغة بالقرآن الكريم ومنهم من وقف عندها دارساً ومحتلاً لبيان أثرها الدلالي والجمالي في النص، ومنهم من قدّمها دليلاً حجاجياً.. إلخ، فقد اختلف الباحثون في الغاية واتفقوا على أن نهج البلاغة قد اشتمل على صور فنية كثيرة عمدوا إلى إظهارها والتدليل عليها. ويمكننا تصنيف دراسات الباحثين في هذه الصور بحسب المنهج إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: مزجت بين المنهج التحليلي الوصفي والمنهج التعليمي البلاغي، والمجموعة الثانية: تبنت منهجاً تحليلياً وصفيّاً، والمجموعة الثالثة: تبنت منهجاً تعليمياً بلاغياً.

المجموعة الأولى: غايتها دراسة هذه الصور في أبعادها المختلفة لإظهار خصائصها ومميزاتها وتقسيماتها ورصد أمثلتها والكشف عن بنائها وتراكيبها والوقوف على مداخلها.

ويتصدر هذه المجموعة الباحث كامل حسن البصير، إذ خصص للصور الفنية في رسائل الإمام (عليه السلام) فصلاً في دراسته بعنوان (الصور الفنية في رسائل الإمام)، ورأى أن رسائله "تشكل أمثلة وشواهد لعلماء البيان على تقسيماتهم لفنون التشبيه والاستعارة والكناية، حتى أنهم لا يكادون يفكرون إلى نصوص أخرى في ذلك" ^(١) وقدّم لكل تقسيم من هذه التقسيمات مثلاً فذكر ثمانية أساليب للتشبيه، هي: التشبيه التام، والمجمل، والمؤكّد، وما أضيف فيه المشبّه به إلى المشبّه، وما كان فيه المشبّه به مصدراً مبنياً للنوع، والمركّب أو التمثيلي، والجمع، والتخيلي، كما بين الأغراض التي تؤديها هذه الصور التشبيهية وحصرها في خمسة أغراض، وذكر في الاستعارة ضربين: الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية أو التخيلية، وذكر في الكناية ثلاثة أنواع: الكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة، ومن ثم بين الأغراض التي تؤديها الكناية في هذه الأمثلة وحصرها في ثلاثة أغراض، وقد اتبع الباحث في ذلك كلّ منهجاً تعليمياً يهدف إلى الإتيان بالشواهد الصحيحة على وفق ما ذكره البلاغيون من تقسيمات ونظراً لما وجده الباحث من شمول صور الإمام لجميع تقسيمات البلاغيين رأى في هذه الصور رداً على رأي الدكتور طه حسين ومن ذهب مذهبه في القول بأن كتاب

(١) (رسائل الإمام علي (عليه السلام)) دراسة أدبية نقدية: 419.

(الخطابة) لأرسطو هو الذي أهدى قدامة بن جعفر وغيره من مؤرخي البلاغة العربية إلى شواهدهم^(١).

لقد بينّ الباحث من خلال وقوفه على صور التشبيه والاستعارة والكناية، أن ما ورد منها في نهج البلاغة لا يمثل مسألة كم^(٢) وإنما يمثل قبل ذلك مسألة نوع وكيفية؛ لأن "من يتأمل تشبيهات الإمام واستعاراته وكنائياته يدرك إلى أي مدى كان الرجل فنانا في رسائله شاعرا بفطرته"^(٣)، ومن ثم أوضح الباحث الأساليب التي اعتمدها الإمام (عليه السلام) في إدارة هذه الصور، وسعى إلى الكشف عن الأغراض التي أراد الإمام تحقيقها، فضلا عن ذلك ناقش الباحث مسألة التقليد والابتكار في هذه الصور، وتوصل إلى عدم جدوى البحث في هذه المسألة قائلا: "فليس من العلم في شيء أن نتبع صوره الفنية المتشابهة مع صور فنية في شعر عربي جاهلي أو مخضرم، ونلاحظ التقارب بين تشبيه له أو استعارة أو كناية وبين مثيلاتها في خطبة جاهلية أو مخضرمة، فنزعم بأن الإمام مقلد لتلك الصور وأخذ من تلك الفنون البيانية إذا ما الذي يدرينا أن ما يؤرخ من مقطوعة شعرية أو خطبة بالعصر الجاهلي وصدر الإسلام صحيح النسبة إلى عصره وليس منحولا"^(٤) كما يرى الباحث أيضا عدم جدوى البحث في ابتكار الإمام لهذه الصور، وعلى الرغم مما قرره الباحث فإن ذلك لم يمنعه من أن يتلمس تأثر الإمام بالقرآن الكريم، لأنه وجد أكثر من ثمانين بالمائة من صوره الفنية في رسائله إنما كانت ملتقى تمثلت فيه الصور الفنية للذكر الحكيم، إن ما قدمه الباحث من موازنات بين صور القرآن الكريم وصور رسائل الإمام لم يقف عند حدود بيان وجه المشابهة أو التقليد، وإنما يتعداها إلى بيان الكيفية التي تعامل بها الإمام مع هذه الصور، إذ لم يوردها الإمام كما هي وإنما انتقل بها إلى مجالات دلالية أخرى، مشيرا إلى أنه "ينبغي أن نعلم بأن الإمام لم يقلد صورا فنية قرآنية تقليدا حرفيا، ولم ينقلها إلى رسائله نقلا آليا، وإنما هضمها ومثلها، ثم صبها في أسلوبه كما تهضم النحلة رحيق الأزهار وتتمثله ثم تثمره عسلا شهيا فإذا هو ليس إياه"^(٥).

(١) ينظر: مقدمة نقد النثر: قدامة بن جعفر.

(٢) ذكر الباحث أن الإمام أورد ثلاثا وثلاثين استعارة، وأربعة وتسعين تشبيها، وثلاثا وتسعين كناية في رسائله، ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 417.

(٣) نفسه: 417.

(٤) نفسه: 428.

(٥) نفسه: 429.

ومن ثمّ قدّم مجموعة من الصور الفنية للإمام أضحت فيما بعد شائعة الاستعمال بين الأدباء وسارت على ألسنتهم بشكل أو بآخر، إن هذه الإشارات السريعة حول تقليد الإمام وابتكاره لصوره الفنية لم تكن هي غاية الباحث، بقدر التركيز على الخيال الواسع الذي امتلكه الإمام (عليه السلام) وكيفية توظيفه في "بث العواطف في نفوس الآخرين ونقلها إلى أذهانهم نقلا فنيا أميناً، يشركهم مع صاحبها مشاركة وجدانية ويربطهم بحاملها ربطاً شعورياً" ^(١). لقد توصل الباحث إلى مظاهر الخيال في صور الإمام من خلال التحليل الدقيق والشامل للصور الفنية الواردة في رسائل الإمام من دون أن يغفل إحصاءها.

وبهذا يكون الباحث قد وقف على الصور الفنية في رسائل الإمام تحليلاً وتأميلاً، وتقليداً وابتكاراً، وشواهد بلاغية، وحدد ملامحها وبين سماتها وخصائصها، وعلى الرغم من قلة حجم هذه الدراسة إلا أنها كانت غنية بالرصد والتحليل، كما أنها فتحت آفاقاً رحبة للدارسين الذين أعقبوه فقد بنوا على بعض مما قدمه دراسات مستقلة وبحوثاً مفصلة.

ومن بينهم الباحث علي فرج نعمة (رحمه الله) إذ قدّم دراسة مستقلة للصور الفنية في نهج البلاغة بعنوان (الصورة البيانية في نهج البلاغة) مقسماً هذه الصور على فصول رسالته فجعل فصلاً للتشبيه وآخر للاستعارة وآخر للكناية واتبع في ذلك كلّها منهجاً تحليلياً يقوم على ذكر الأمثلة ذات الصور الفنية ثم يلجأ إلى تحليلها، وقد وزّع أمثلته على وفق ما ذكره البلاغيون من تقسيمات، وقبل أن يشرع الباحث ببيان هذه الصورة وقف على مسألة مهمة وهي تقليد الإمام أو تأثره وابداعه في إعادة الصياغة فذكر المصادر التي مثلت روافد حيوية لصوره وهي: القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر والأمثال والبيئة الطبيعية والاجتماعية ^(٢). وفي التشبيه قدّم الباحث أمثلة كثيرة رتبها أولاً بحسب أدوات التشبيه وهي: التشبيه بالكاف، ومثل، وكأن، والتشبيه بالأفعال أو الأسماء، ومن ثم رتبها بحسب أنواع التشبيه وهي: التشبيه البليغ، والتشبيه بالإضافة، وتشبيه الجمع، والتشبيه بالمصدر، والتشبيه بأسلوب القصر، والتشبيه المقلوب، والتمثيلي، والضمني، وقد ركّز الباحث في تحليل هذه الأمثلة جميعها على بيان نوع العلاقة بين المشبّه والمشبّه به على المستوى البنائي الشكلي

(١) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 434.

(٢) ينظر: الصورة البيانية في نهج البلاغة: الفصل الأول: 1 - 43.

(السطحي) وعلى المستوى الدلالي (العميق) ومن ثم بيان نوع العلاقة بين طرفي التشبيه والسياق وصولاً إلى تحديد وجه الشبه بين طرفي التشبيه، والعلاقة بين المشبه والمشبّه به على المستوى السطحي غالباً ما تكون علاقة اختلاف أو تباين أو تضاد وقد اجتهد الباحث في إظهار نوع المخالفة وإن حصل بين بعض جوانبهما أو أجزائهما شيء من التطابق أو التقارب، وأما العلاقة على المستوى العميق فغالباً ما تكون علاقة توافق أو تطابق أو تماثل لجأ الباحث إلى بيانها والتعريف بها، وأما علاقة طرفي التشبيه مع السياق فقد امتازت بالتنوع فقد تكون علاقة توافق، أو علاقة مفارقة، أو علاقة تأكيد، أو علاقة تضاد... إلخ وبهذا لم يقف الباحث عند بيان وجه الشبه، وإنما توسع في ذلك ليشمل الجوانب التي تحيط بالصورة التشبيهية إذ يتعرض - في تحليله بعض الأمثلة - إلى فنون بلاغية أخرى تضيف على الصورة جمالية وإيضاحاً مثل الجناس والتقابل، وأنه يبين معاني الكلمات التي ترد في أمثله في كثير من الأحيان^(١).

وأما في الاستعارة فقد ورّع أمثله على ثلاثة أنواع هي: التصريحية والمكنية، والتمثيلية، ولم يختلف منهجه في تحليل أمثله عما سبق^(٢)، وفي الكناية تخلى الباحث عن تقسيم أمثله على تقسيمات البلاغيين ولجأ إلى تقسيمها على قسمين: الكناية في البنية التركيبية، والكناية في البنية الإفرادية^(٣)، ومن ثم أفرد الباحث فصلاً لبيان الأغراض التي تحققها هذه الصور البلاغية وقد وقف على أربعة أغراض رئيسة هي: الوضوح والإبانة، والمبالغة، والإيجاز، والتحسين والتقييح الذي يكون من خلال (الترغيب والترهيب) وقد أورد أمثلة كثيرة لكل غرض من هذه الأغراض^(٤).

لقد اجتهد الباحث في إظهار الجانب الدلالي (المعنوي) والجانب الجمالي (الفني) في الأمثلة التي قدمها في فصول رسالته (التشبيه والاستعارة والكناية والوظائف التي تؤديها) وظنّ أنه بتجنبه الغوص في تقسيمات البلاغيين جميعها وبتقليله من مساحة التنظير لما ذكره من أقسام وتقريعات سوى الموضوعات الرئيسة يبتعد قدر الإمكان عن المنهج التعليمي، إذ أراد

(١) ينظر: الصورة البيانية في نهج البلاغة: الفصل الثاني: 44 - 89.

(٢) ينظر: نفسه: الفصل الثالث: 90 - 120.

(٣) ينظر: نفسه: الفصل الرابع: 122 - 149.

(٤) ينظر: نفسه: الفصل الخامس: 150 - 181.

لدراسته أن تكون ميدانا تطبيقيا عمليا، وظيفتها تحليل النصوص وإظهار خفاياها الدلالية والجمالية، وفي الحقيقة أن هذا الأمر لم يتسن للباحث إذ لم يتمكن من الإفلات من المنهج التعليمي البلاغي على طول الرسالة وعرضها، فقد رأينا أن هذه الدراسة لم تقم إلا على تقسيمات البلاغيين وإن لم تستوف جميعها، فالباحث مزج بين المنهجين (التعليمي والتحليلي) وإن أراد لها أن تكون دراسة تحليلية حين قرر ذلك بقوله: "وقد عدلنا عن التقسيمات المنطقية التي تثقل الرسالة وتجعلها دراسة تعليمية أكثر مما تكون محاولة لإبراز جمالية الصورة ودلالاتها"^(١)، ومما يسجل لهذه الدراسة ويميزها عن غيرها هو كثرة أمثلتها، وبهذا يكون الباحث قد درس الصورة البلاغية/الفنية في نهج البلاغة دراسة تحليلية تكشف عن مصادرها وتقف على عناصر الجمال فيها وتميط اللثام عن دلالاتها، وتقدمها شاهدا لغويا صحيحا يستوعب تقسيمات البلاغيين ويعزز شرعيتها.

ولم تخرج الباحثة نجلاء عبد الحسين عليوي عن هذا الوصف بما قدمته من أمثلة لهذه الصور البلاغية في خطب الحرب، فقد خصصت لها فصلا في دراستها لم تجعل له عنوانا، وإنما جعلت لكل صورة من هذه الصور مبحثا مستقلا^(٢)، ففي التشبيه أشارت الباحثة إلى أن التشبيه البليغ جاء في مقدمة أنواع التشبيه الأخرى في خطب الحرب ومن ثم وزعت أمثلتها على أنواع التشبيه: البليغ، والتمثيلي، وما كان فيه المشبه به مصدرا مبينا للنوع، والمجمل، والمفصل^(٣)، واللافت للنظر في ما قدمته الباحثة أنها أعادت أمثلة الباحث عباس علي حسين ولاسيما في صورة التشبيه بـ(الإبل). وأما في الاستعارة فقد وزعت الباحثة أمثلتها على الاستعارة المكنية، والتصريحية، والتمثيلية، والترشيحية^(٤)، وفي الكناية أوردت الباحثة أمثلة كثيرة لجأت إلى شرحها وبيان دلالاتها^(٥)، فالباحثة لم تكثف في تقديم هذه الأمثلة شواهد لغوية على تقسيمات البلاغيين، وإنما تناولتها بشيء من التحليل والوصف، معتمدة بشكل كامل على ما قدمته شروح النهج في بيان دلالات هذه الصور، وتبين لها نتيجة هذا التحليل بعض سمات

(١) الصورة البيانية في نهج البلاغة: 125.

(٢) ينظر: الأداء البياني في خطب الحرب في نهج البلاغة: الفصل الثاني.

(٣) ينظر: نفسه: الفصل الثاني، المبحث الأول.

(٤) ينظر: نفسه: الفصل الثاني، المبحث الثالث.

(٥) ينظر: نفسه: الفصل الثاني: المبحث الرابع.

وخصائص هذه الصور، ومنهج الباحثة يفتقر إلى التنظيم أو الترتيب في عرض المادة العلمية، حيث لم تجعل عناوين فرعية داخل هذه المباحث تعنى بأنواع هذه الصور أو خصائصها ومميزاتها، أو الأغراض التي تؤديها، أو تأثيرها أو تأثيرها، وإنما أوردت هذه المواضيع ضمن الشرح، فهي تبدأ بالنص ثم تعلق عليه بعبارات يسيرة مختصرة. ولو وازنا بين دراستها والدراسة التي سبقتها للباحث (كامل حسن البصير) لوجدنا أن هذه الأخيرة تتفوق عليها من جهة العرض والتنظيم والنتائج والإحصاء.

المجموعة الثانية: غايتها الوقوف على أمثلة مختارة من هذه الصور بغية تحليلها؛ لبيان أثرها الدلالي والجمالي في النص. على وفق منهج تحليلي وصفي، يبتعد عن تقسيمات البلاغيين.

ومن بينهم الباحث عباس علي حسين الفحام إذ خصص دراسة مستقلة للصور الفنية في كلام الإمام بيد أنه حصر هذه الدراسة في الخطب فقط؛ لأنها قد درست في الرسائل من قبل سابقه (كامل حسن البصير).

وقد وقف الباحث عند الوسائل التي تتشكل منها الصورة الفنية مقسما إياها على التصوير بالكلمة المفردة والتصوير بالتركيب^(١)، إذ جعل التصوير بالكلمة على ثلاثة أقسام: التصوير بالاسم (الجمع)، والتصوير بالفعل، والتصوير بالحرف، وبحث في هذه الأقسام الدلالات الإيحائية والتخييلية التي تثيرها هذه الكلمات في ذهن السامع معتمدا على الجرس الموسيقي والصيغة الصرفية^(٢)، وهو مما تناولناه في الفصول السابقة.

وأما التصوير بالتركيب فقد بحث فيه التشبيه، والاستعارة، والكناية، ولم يبين الباحث منهجه في دراسته لعناصر الصورة على وفق المنهج التعليمي أو الإحصائي الذي يقوم على تقديم هذه الصور شواهد لما قال به البلاغيون، وإنما اتبع منهجا تحليليا يقوم على اختيار نصوص محددة اشتملت على صور فنية (تشبيه أو استعارة أو كناية) وقف عندها دارسا ومحلا لبيان الأثر الدلالي والجمالي لهذه الصور في النص، ففيما يخص صور التشبيه تناولها

(١) ينظر: التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام): الفصل الأول: 58 - 114.

(٢) ينظر: نفسه: 58 - 74.

في موضعين الأول: تشبيه الإمام (عليه السلام) أصحابه، وقد اختار الباحث من هذه التشبيهات صورة واحدة وهي التشبيه بالإبل، وقد تكشف للباحث أن هذه الصورة اشتملت على دلالات متعددة بما تمتلكها من تفاصيل دقيقة ضمنها الإمام (عليه السلام) في أكثر من نص، ومن ثم أتى الباحث بالنصوص التي تشتمل عليها وعمد إلى تحليلها، والموضع الثاني: تشبيه الدنيا، وقد اختار الباحث منها تشبيه الإمام قلّة ما تبقى من الدنيا وهي تشبيهات تصور الدنيا بمشاهد قصر المدة وسرعة الانقضاء، وتشبيه الرحيل عن الدنيا في صورة السفر، وقد أتى الباحث بالنصوص التي تشتمل على هذه الصور وعمد إلى دراستها وتحليلها ^(١). فالباحث في دراسته للتشبيه لم يقف على أمثلة متنوعة من التشبيهات وإنما وقف على صورة تشبيهية محددة وظّفها الإمام (عليه السلام) في أكثر من نص، ولعل غايته من ذلك أنه أراد أن يقف على المشهد التفصيلي الذي رسمته هذه الصورة في نصوصها المتعددة ليخلص إلى "أن الصور في تشبيهات الإمام غالباً ما تبني على مجموع أجزاء يركّب بعضها من بعض في مشهد تمثيلي تتوحد فيه الأجزاء وتتجمع الأشتات؛ لأن أكثر المعاني المراد تصويرها عقلية لا يتأتى للتشبيه المفرد المستغني عن التفصيل عرض صورها بتلك الغاية من الدقّة" ^(٢).

وأما في الاستعارة والكناية فلم يقف على صورة واحدة وإنما اختار نصوصاً ذات صور استعارية أو كناية متنوعة لجأ إلى تحليلها وبيان مداليلها ^(٣). وقد أحسن الباحث وأجاد بما قدمه من دراسة تحليلية تطبيقية لهذه الصور ضمنها مقولات البلاغيين قدامى ومحدثين، ومع ذلك فالباحث لم يقدم لنا وصفاً عاماً أو تفصيلياً عن الأغراض التي أرادها الإمام (عليه السلام) من تشبيهاته أو استعاراته أو كنيائاته أو الأساليب التي اعتمدها الإمام في هذه التشبيهات.

ومن ثم تناول الباحث مسألة التقليد والابتكار في صور الإمام متمسكاً بملامح التقليد في المصادر التي اعتمدها الإمام وهي القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر، والأمثال ^(٤). وقد توصل الباحث من خلال دراسة هذه المصادر إلى "أن الأسلوب الذي انتهجه الإمام في خطبه هو صياغة الصور الفنية على أساس الأصل المختزن في ذهن معدلاً من علاقات الصور

(١) ينظر: التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام): 74 – 95.

(٢) نفسه: 95.

(٣) ينظر: نفسه: 95 – 123.

(٤) ينظر: نفسه: الفصل الثاني: 128 – 199.

القديمة مضيفا ومحورا أو مولدا ومشتقا منها صورا جديدة تخضع لموقفه الآتي" ^(١) مؤكدا هذه النتيجة في دراسته الثانية بقوله: " وخلص القول إن الإمام عليا (عليه السلام) أخذ من التشبيه القرآني فجسد به المعنى الموهوم وسلك سبيل القرآن في تركيب الأجزاء واستيفائها طلبا لتكامل المعنى لا النقل الحرفي للصورة، وإنما هو المران على استكناه بلاغة القرآن التشبيهية في مجالات متحركة بالعرض والأسلوب والصورة." ^(٢) وهذه النتيجة مطابقة لما توصل إليه سابقه الباحث كامل حسن البصير، وبهذا يكون الباحث قد وقف على الصور الفنية في كلام الإمام (عليه السلام) وفق منهج تحليلي مقارن.

واتبع الباحث طارق محمد حسن منهجا تحليليا خالصا في دراسته لهذه الصور من دون أن يفرد لكل منها عنوانا خاصا إذ خصص لها مبحثا بعنوان (الصور الأدبية) ^(٣) منطلقا من مبدأ أساسي رسم ملامحه من خلال ما قدمه أرسطو في فن الخطابة وهو قيمة هذه الصور من الناحية الحجاجية، فهي وسائل إقناع يوظفها الخطيب - نظرا لما تمتلكه من عناصر الإثارة والتشويق والجذب النفسي - في إيصال المعنى، فالعمدة فيما يتعلق بفن الخطابة هي الحجج والبراهين؛ لأن هدفها المنشود هو إحداث الإقناع في موضوع معين، ومن ثم فإن جميع الوسائل الأخرى والاستدرجات القولية والفعلية في الكلام والمتكلم إن هي إلا وسائل لتعميق الدلالة، فالباحث وقف عند هذه الصور من هذه الزاوية بأنها حجج وبراهين غايتها إحداث الإقناع مشيرا إلى أن هذه الصور " قد استطالت البحوث فيها وفي بيان جوانبها البلاغية، ولكننا هنا بصدد الإشارة إلى بيان فاعلية هذه المبادئ البلاغية في الإطار الخطابي والأفق الأسلوبي الخطابي، ومدخليتها في إحداث الأثر الإقناعي المؤثر وسير ديمومته الجمالية والإبداعية. ولا بد لنا هنا أن نحكم رؤية أرسطو في رسم المسار الفني للصورة الأدبية في الأسلوب الخطابي وبيان مدى النجاح الذي تحققه مع مبادئها التي رسمها وعلاقتها مع الأنواع الخطابية المختلفة" ^(٤).

لقد أبدى الباحث براعة في التحليل ومقدرة عالية في رصد الجزئيات والتفاصيل، مشيرا إلى ما اكتنف هذه الصور من فنون بلاغية كثيرة مثل السجع والجناس والتوازن والتوازي والتقابل.. الخ

(١) التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام): 185.

(٢) أثر القرآن الكريم في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون: 216.

(٣) ينظر: بنية الخطبة في نهج البلاغة دراسة في ضوء نظرية أرسطو في الخطابة: 103 - 116.

(٤) نفسه: 103

مضيفاً إليها نكات دقيقة وعلاقات طريفة ساعدت على إظهار جمالية النص وكشفت عن دلالاته وعكست الواقع الذي عاشه الإمام (عليه السلام).

على أن دراسة الصور الفنية في كلام الإمام (عليه السلام) من الناحية الحجاجية لم تكن منحصرة بالباحث، بل كانت غاية باحثين آخرين ممن تخرج دراساتهم عن حدود دراستنا، سنكتفي بالإشارة إلى بعض منها إتماماً للفائدة، من ذلك ما قدمته الباحثة وسيمة نجاح في دراسة بعنوان (حجاجية الصورة في خطب علي بن أبي طالب) إذ أقامت الباحثة عملها على تمهيد وفصلين، خصصت الأول منهما لدراسة مادة الصورة، وخصصت الثاني لأشكال الصورة وطرائق عرضها، وبنيت الباحثة منهجها على الانطلاق من نظرية الحجاج ومن النظرية التجريبية العرفانية في دراسة الاستعارة، وتوصلت إلى أنه لمكونات النسق الاستعاري وظيفة حجاجية غايتها الخطبة عموماً، وأن الاستعارات في خطب الإمام علي (عليه السلام) السياسية لم تتخلص من المقصد الحجاجي، بل هي أداة للحجاج بلا منازع^(١).

وتناول الباحث علي أحمد عمران الصور الفنية في الخطب الحربية للإمام علي (عليه السلام) في أبعادها التخيلية والحجاجية، وقد وفق في تبين الأبعاد الحجاجية التي تحملها الصورة في خطاب النهج، بدءاً من الصور القائمة على التشابه، والصور القائمة على التداخي، والبحث في مصادر الصور، وانتهاءً إلى وظائف الصور، وقد قدّم الباحث في ذلك كلّ تحليلات وافية ورصد مظاهر أسلوبية كثيرة تعبر عن فرادة الإمام في خطبه الحربية، بالاعتماد على منهج يسير من التطبيق إلى التنظير^(٢). فضلاً عن ذلك فهناك بحوث علمية تناولت هذه الصور^(٣).

وممن عُنِي بدراسة هذه الصور الباحث ميثاق علي عبد الزهرة، إذ خصص لها فصلاً في دراسته بعنوان (الدلالة المجازية) ومنهجه في ذلك أن أفرد لكل صوره من هذه الصور (التشبيه، والاستعارة، والكناية) عنواناً ذكر تحته عدداً من الأمثلة يبدأ أولاً بذكر المثال ثم يلجأ إلى شرحه وتوضيحه بعبارات يسيرة مختصرة، والغرض من هذا الشرح هو بيان دلالة الصورة

(١) ينظر: حجاجية الصورة في خطب علي بن أبي طالب: وسيمة نجاح .
(٢) ينظر: أسلوب علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبه الحربية: علي أحمد عمران، وقد طبعت هذه الأطروحة المكتبة المتخصصة بأمير المؤمنين (عليه السلام)، إيران، مشهد المقدسة، 1432 هـ - 2011 م.
(٣) ينظر: الصورة الفنية في كلام الإمام علي (عليه السلام): (مقال) نشر في مجلة المنهاج، ط2، العدد الخامس، 1997م: 165 - 172.

التشبيهية أو الاستعارية أو الكنائية ^(١)، ومن النظر فيما قدمه الباحث لا يمكننا وصفه بأنه دراسة تحليلية، وإنما هو تفسير أو شرح ظاهري سطحي للنص.

وأفرد الباحث سمير داوود سلمان مبحثاً لدراسة هذه الصور بعنوان (من دلالات التصوير البلاغي في جملة نهج البلاغة) قدم فيه مثالين لكل من التشبيه والكناية اجتهد في تحليلهما ^(٢)، وأرى أن ما قدمه الباحث لا يمثل سوى إشارة سريعة لوجود هذه الصور في النهج، لأن الوقوف على مثال أو مثالين لا يعكس القيمة الفنية أو البلاغية التي حظي بها النهج، وإن الاكتفاء بالقول بوجود هذه الصور في النهج لا يقدم شيئاً ذا فائدة، فلا يخلو نص أدبي من هذه الصور ولكن تتفاضل هذه النصوص فيما بينها من جهة عدد هذه الصور وطريقة بنائها والدلالات التي تؤديها.

وقدمت الباحثة إيمان عبد الحسن علي أمثلة للصور الفنية في نهج البلاغة، إذ خصصت لها فصلاً في دراستها بعنوان (الصورة حدّها وعناصرها ووسائلها) ^(٣) وقد أفردت لكل صورة من هذه الصور عنواناً (التشبيه والاستعارة والكناية)، ومنهج الباحثة في عرض المادة يقوم على حشد النصوص المشتملة على الصور الفنية، ومن ثم بيان محل الشاهد فيها، مستعينة بأقوال السابقين ولأسيما الباحث جعفر الحسيني في كتابه (أساليب البيان في القرآن) وبالرغم من أن الباحثة لم ترتب أمثلها على وفق تقسيمات البلاغيين ولم تشر إليها فيما قدمته نرى أن دراستها أقرب إلى المنهج التعليمي البلاغي؛ لأنها ركزت بشكل أساسي على بيان محل الشاهد في الصور البلاغية التي ذكرتها، بل إنها اقتصررت عليه في بعض الشواهد، ويبدو لي أن ما قدمته الباحثة لا يعدو تقديم الشاهد اللغوي على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية من دون الوقوف على تقسيماتها.

وسار الباحث محمد جواد علي على المنهج نفسه فيما قدمه من أمثلة للصور الفنية في الخطب الوعظية إذ أفرد لها مبحثاً بعنوان (الملاحح البيانية) ^(٤).

(١) ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة، دراسة دلالية: 112 – 137.

(٢) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام): 159 – 163.

(٣) ينظر: الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: 113 – 131.

(٤) ينظر: الخطب الوعظية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة موضوعية فنية: 127 – 137.

المجموعة الثالثة: غايتها رصد الشواهد الصحيحة لتعزيز ما ذهب إليه البلاغيون من تقسيمات لهذه الصور.

فقد اتبع عدد من الباحثين في دراسة هذه الصور منهجا تعليميا يقتضي خطى البلاغيين ويتبع آثارهم من خلال إيراد الشواهد حسب تقسيماتهم من دون الخوض في تحليلها وبيان دلالاتها، ومن بينهم الباحث حسن هادي نور إذ رصد أمثلة من هذه الصور في سياقات الجملة الخبرية مخصصا لها فصلا في دراسته بعنوان: (البنية التصويرية للجملة الخبرية في نهج البلاغة) ففي التشبيه لجأ الباحث إلى تناوله من خلال: (أقسامه، وأبنيته، وأدواته، والتشبيه بالمثل) فعلى مستوى الأقسام ذكر الباحث أمثلة قسمين فقط هما: الحسي - الحسي، والعقلي - الحسي، وسبب ذلك أن الباحث وجد أمثلة هذين القسمين متوافرة بكثرة في سياقات الخبر، وأما أمثلة الأقسام الأخرى (العقلي - العقلي، والعقلي، والحسي - العقلي) فلم يتناولها الباحث لأنه وجدها قليلة جدا ولا تشكل ظاهرة بارزة في بنية التشبيه، والباحث لم يقدم إحصاء للأمثلة هذه الأقسام أو يسجلها في ملاحق، وإنما اكتفى بإيراد أمثلة مختارة على القسمين المذكورين ^(١).

وفي أبنية التشبيه رصد الباحث سبعة أبنية رتبها حسب كثرة شواهدا وهي: التشبيه المرسل، والمجمل، والمفصل، والمؤكد، والتام، وما كان فيه المشبه به مصدرا مبينا للنوع، وما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، واكتفى الباحث بإيراد شاهد واحد على كل بناء من هذه الأبنية ^(٢)، من دون الإحالة على بقية الشواهد الأخرى، وفي أدوات التشبيه تناول الباحث ثلاث أدوات هي: الكاف، وكأن، ومثل ^(٣)، ثم ختم بالتشبيه بالمثل بعد أن أورد له مثالين فقط ^(٤).

وأما الاستعارة فتناولها الباحث من جهتين، هما: الأصل والنوع، وفي أصل التشبيه الاستعاري ذكر أصليين: استعارة المحسوس للمعقول، واستعارة المحسوس للمحسوس ومثل لكل منهما بمثالين ^(٥)، وفي أنواع الاستعارة ذكر أربعة أنواع رتبها حسب كثرة أمثلتها وهي: الاستعارة المكنية، والتصريحية (الأصلية والتبعية)، والمرشحة، والتخيلية، وقد أورد لكل نوع

(١) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 123 - 133.

(٢) ينظر: نفسه: 134 - 136.

(٣) ينظر: نفسه: 137 - 140.

(٤) ينظر: نفسه: 140 - 141.

(٥) ينظر: نفسه: 148 - 149.

منها أمثلة يسيرة أشار إلى مواضع الاستعارة فيها ^(١).

وأما صور الكناية فوجدها الباحث أقلّ الصور وروداً في سياقات الخبر، ومن ثمّ تلمسها في مستويين: مستوى البنية التي قامت عليها، وقد قسّم هذا المستوى على نمطين: البنية التركيبية، والبنية الإفرادية، وجعل المستوى الثاني في أنواع الكناية وأقسامها، وقد وقف عند نوعين منها: الكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، ومثل الباحث عن كل بناء أو نوع بأمثلة يسيرة من دون إحصاء ^(٢). وبهذا يكون الباحث قد درس الصور الفنية وفق منهج تعليمي يبحث عن الشاهد الذي يعزز ما ذهب إليه البلاغيون من تقسيمات في هذه الصور.

وبعد هذا العرض بودي أن أسجل الملاحظات الآتية

1_ إن هذه المجموعات تشترك في أسس، هي حصيلة التأثير والتأثير فيما بين أولئك الباحثين، ومن أظهر هذه الأسس هو الاشتراك في الأمثلة فمن يطالع هذه الدراسات يلحظ فيها تكرار الأمثلة فضلاً عن ذلك التقارب في التحليل؛ لأنها تنهل من معين واحد وهو نهج البلاغة وشروحه، والاشتراك أيضاً في التقسيمات لأنهم ينهلون من معين الدراسات البلاغية ويقتفون تقسيماتهم، بيد أن هذا التجانس لا يعني التطابق التام، ذلك أن كل باحث كان يسعى لإيضاح شخصيته التي تميزه عن غيره.

2_ قد تكون الخصائص الفارقة بين مجموعة وأخرى خصائص ثانوية إلاّ أنني آثرت تمييزها من غيرها توخياً للدقة في الوصف.

3_ آثرت أن أعرض كل دراسة من دراسات المجموعات الثلاث بصورة منفردة لخصوصية منهج كل منها ولضعف العلاقات فيما بينها إذ لا يجمعها سوى تناول الصور الفنية علاوة على ذلك أن كل باحث كانت له غاية هي غير ما لغيره من دراسة هذه الصور رغبت بالإشارة إليها.

4_ يتفاوت الباحثون في طريقة عرض الأمثلة بين الإيجاز والتفصيل وهذه الظاهرة تتضح بشكل أوضح فيما قدمه الباحث سمير داوود سلمان إذ لم يقدم سوى مثالين على التشبيه ومثالين على الكناية، كما يتفاوتون أيضاً في طريقة تحليلها وإن وجدت سمات مشتركة فيما بينهم، فبعضهم يكتفي ببيان محل الشاهد في حين أن بعضهم الآخر يحاول أن يقدم صورة كاملة عن الشاهد.

(١) ينظر: الجملة الخيرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 150 - 157.

(٢) ينظر: نفسه: 157 - 164.

المبحث الثالث

مصادر لغة الإمام (عليه السلام)

من القليل أن تجد دراسة من الدراسات التي عنيت بكلام الإمام (عليه السلام) لم تعن بالوقوف على المنابع الثقافية التي استقى منها الإمام لغته بدءاً من الألفاظ والتراكيب والأساليب وصولاً إلى الصور الفنية البليغة وانتهاءً بالدلالة التي تؤديها نصوص الإمام (عليه السلام) فنلاحظ فيما بين أيدينا من هذه الدراسات أن هناك إجماعاً على دراسة هذا الموضوع وإن اتخذ مسميات مختلفة أو جيء به دليلاً على موضوعات متباينة، فعلى الرغم من اختلاف الباحثين في رصد الموضوعات اللغوية فإنهم اتفقوا على أن كل موضوع من هذه الموضوعات إنما هو متأثر أو مستند إلى مرجعيات ثقافية، وقد أجمع الباحثون على بيانها وهي: القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي، والأمثال العربية، فضلاً عن ذلك البيئة وأثرها في لغته (عليه السلام).

وعلى الرغم من أن شرّاح النهج قد بينوا هذه المصادر وأشاروا إليها فقد أفردت لها دراسة مستقلة بعنوان (الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية) للباحث كاظم عبد فريح المولى، في حين درس آخرون مصدراً واحداً من هذه المصادر بشكل مستقل مثل: (الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة) للباحث هادي شندوخ حميد، و(الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون) للباحث عباس علي حسين الفحام، و(المثل في نهج البلاغة، دراسة تحليلية فنية) للباحث عبد الرحمن علي الشاوي، فضلاً عن البحوث العلمية^(١)، أما غالبية الباحثين فقد تناولوا هذه المصادر ضمن دراساتهم التي انمازت بالتنوع في رصد المباحث اللغوية والأدبية.

وعلى الرغم من اتفاق الباحثين في رصد هذه النصوص المقتبسة أو المضمنة فإن منهجهم في التعامل معها يختلف من باحث لآخر فقد ركّز بعض الباحثين على إظهار الوظائف الدلالية والفنية التي تؤديها هذه النصوص، في حين لجأ بعضهم إلى دراستها لغوياً أو بلاغياً لإظهار مدى تأثر نهج البلاغة بها، واكتفى بعضهم برصد أمثلة من هذه النصوص مع بيان أسلوب الإمام في التعامل معها.

(١) ينظر: الأمثال في نهج البلاغة: عبد الهادي الفضلي، مجلة رسالة الإسلام، كلية أصول الدين، العدد: 3 - 10، السنة الثانية، 1968م، والحديث الشريف في نهج البلاغة: جبار حمودي علي، مجلة رسالة الإسلام، كلية أصول الدين، عدد: 6 و 5، السنة الثالثة، نيسان، 1969م، والتفسير في نهج البلاغة: كاسد ياسر الزبيدي، مجلة رسالة الإسلام، كلية أصول الدين، 1971م.

ويتأمل مناهج الباحثين نجد أن المنهج الذي يستقيم ومباحث الدراسات الدلالية هو المنهج الذي يتبنى إظهار الوظائف الدلالية للنص المقتبس أو المضمّن؛ لأنّ استدعاء آية، أو بعضه، أو حديث نبوي، أو بعضه، أو معناها، أو استدعاء الشعر، أو المثل، أو الحكم، يَمْنَح النصّ الإبداعي بُعْداً دلاليّاً لمساحة أوسع، فهو استمداد دلالي يَرَفِد العملية الأدبية من خلال التفاعل بين المضيف والمُستضاف، لِيُنْتِجاً نصّاً جديداً، ويكون ذلك بوعي من المُبدع وقصد، فيصبح النصّ الجديد نصّاً له ظلّ؛ لأنّ "النصّ الحقيقي في حاجة إلى ظلّه بشكلٍ لازم" ^(١) عند ذلك يصبح النصّ مُورقاً، قادراً على استلهاً النصّ الغائب، واستثماره في بنية النصّ، فينضج دلالةً، ويتفجّر معنىً. ويغضّ النظر عن المُسمّيات واختلافها تبقى هذه الأنواع مُنضوية تحت مشروعية مُتعارفٍ عليه ^(٢) تُؤدّي إلى تدعيم الخطاب النهجي وتكثيف دلالاته، فمُتلقي نصوص النهج يجد نفسه إزاء هذه الأنواع الاقتباسية باحثاً عن أثرها الدلالي، والسؤال الذي ينبغي للباحث الدلالي أن يجيب عنه هو ما الأثر الذي تتركه هذه النصوص في دلالة النصّ المشتمل عليها؟ وما السبب الذي دفع المتكلم إلى استدعائها؟

إنّ للنصّ المقتبس أو المضمّن في نهج البلاغة أثره في كشف المعاني التي يريدّها الإمام؛ لأنه عنصر فاعل في توضيح الدلالة، لما له من أثر في توجيه النصّ، ولما كان البناء القرآني أقدر النصوص للقيام بذلك، كان وروده في النهج أكثر من غيره؛ لذلك لا عَجَب أن نرى الإمام (عليه السلام) يَقتبس بعضاً من مُفرداته، أو تراكيبه، أو آياته، أو صُورهِ، أو معانيه، حتّى صار البناء القرآني شكلاً أدائياً شائعاً في عباراته.

فمما لا شك فيه أن النصّ يستمدُّ قوّته وسلطته من خلال تأثيره في المتلقين، ويتأتّى ذلك من خلال ارتباط النصّ بالموروث الأدبي، والثقافي، والديني، والنفسي لأولئك المتلقين، وبذلك يتحقّق التفاعل والتداخل بين النصوص السابقة واللاحقة عن طريق (الاقتباس والتضمين). فلا بد للباحث الدلالي أن يقف عند هذه المصادر من الناحية الحجاجية فهي وسائل إقناع يوظفها المتكلم - نظراً لما تمتلكه من عناصر الإثارة والتشويق والجذب النفسي - في إيصال المعنى، فغاية الإمام (عليه السلام) هي الحجج والبراهين؛ لأنّ هدفه المنشود هو إحداث الإقناع في موضوع معين،

(١) لذة النص: 27

(٢) ينظر: النصوص الأدبية بين السرقة والاقتباس: غانم محمود، مجلة آفاق عربية، عدد: 3، آذار، السنة الثامنة عشر، بغداد: 13.

فإنّ جميع هذه النصوص المقتبسة أو المضمّنة إن هي إلا وسائل لتعميق الدلالة، وقد ذهب الدكتور محمد مفتاح إلى ذلك حينما أطلق على هذه النصوص تسمية "النصوص الخارجية" قائلاً: "إن النصوص الخارجية تقوم بوظائف متعددة داخل النص، أهمها اتخاذها حجة للإقناع، ويأتي في مقدمتها القرآن والتصوف والمأثورات الشعبية والثقافية العامة"^(١).

نخلص من ذلك إلى أنه لا يمكننا أن نسجل ما ذكره الباحثون في مصادر لغة الإمام أو (الاقتباس والتضمين) جميعه على أنه بحث دلالي خالص سوى ما اشتمل منه على بيان الوظائف الدلالية لتلك المصادر أو النصوص، ومع إقرارنا بذلك سنعرض هذه الدراسات جميعها بعد تصنيفها بحسب المنهج إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: غايتها رصد وتحليل النصوص المقتبسة والمضمّنة من أجل إظهار الوظائف الدلالية والفنية التي تؤديها هذه النصوص، فضلاً عن بيان حجمها وطريقة تعامل الإمام معها، وبيان الأسباب التي دفعت إلى استدعائها. والمجموعة الثانية: غايتها إظهار تأثير نهج البلاغة في هذه المصادر من دون التركيز على ما لهذا الأثر من أهمية في دلالة النهج. والمجموعة الثالثة: غايتها رصد بعض النصوص المقتبسة أو المضمّنة في نهج البلاغة وربطها بمرجعياتها الثقافية من دون تحليلها أو بيان أثرها، أي الاكتفاء بالإشارة إلى بعض الشواهد، من خلال بيان الأساليب التي اعتمدها الإمام في الأخذ عن هذه المصادر.

المجموعة الأولى : ويتصدر هذه المجموعة الباحث كاظم عبد فريح المولى في دراسته (الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية) إذ اتبع منهجا يقوم على رصد المقتبسات والتضمينات من جهة ومن ثم بيان وظائفهما الدلالية والفنية من جهة أخرى، ولأن فرّق الباحث بين الاقتباس والتضمين أن جعل لكل منهما باباً مستقلاً، فإن الوظيفة الدلالية التي يؤديانها - في الحقيقة - هي واحدة، ولكن الباحث أراد كغيره من الباحثين الكثيرين ألا يخالف العرف البلاغي المتفق على إسباغ صفة التقديس على النص الديني، وعندها فلا مانع من اتباع تقسيماته. لقد بذل الباحث جهداً كبيراً في تفصي مواضع الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، كما أنه بيّن الطرق التي اعتمدها الإمام في ذلك، إذ أفرد لكل طريقة أو أسلوب عنواناً مستقلاً،

(١) دينامية النص: 105.

فالاقْتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تنوعت أساليبهما بين اقتباس المفردات ^(١)، والتراكيب ^(٢)، والنصوص بصورة مباشرة ^(٣)، أو غير مباشرة، وهذا الأخير إما أن يكون قريباً ^(٤)، أو بعيداً ^(٥)، وكذا الحال في تضمين الشعر أو المثل فمنه ما كان بصورة مباشرة ^(٦)، وأنواع تضمين الشعر: تضمين شطر بيت، أو تضمين بيت شعري، ومنه ما كان بصورة غير مباشرة ^(٧) قريب أو بعيد، ولأن استطاع الباحث أن يمسك بالنوع الأول من الاقتباس أو التضمين (المباشر) بصوره المختلفة بأقل جهد، فإنه بذل جهداً كبيراً في الإمساك بالنوع الثاني من الاقتباس أو التضمين (غير المباشر) ولا سيما البعيد منه، وهو بذلك عكس مقدرة كبيرة - بما يمتلكه من نباهة وذاكرة - على تقصي أوجه الربط وإحالتها إلى موارد الاقتباس أو التضمين، وقد توصل الباحث إلى أن الاقتباس من القرآن الكريم بأنواعه المختلفة احتلّ مساحة واسعة جليلة من النص النهجي إذا ما قورن ببقية المصادر الأخرى التي وظّفها الإمام (عليه السلام) في كلامه.

إن حرص الباحث على تفصيل هذه المقتبسات والتضمينات وبيان أنواعها وأساليبها والابتعاد عن خلط بعضها مع بعض من خلال ما عقده من عناوين مستقلة لكل نوع منها، لم يكن هو الهدف الوحيد من دراسته، وإنما مثّل مقدمة لدراسة كل نوع منها دراسة تحليلية وفق مقاربات نقدية وبلاغية أظهر فيها الوظيفة الدلالية التي تؤديها هذه المقتبسات أو التضمينات، وقد امتد إظهار الأثر الدلالي لها على طول الدراسة وعرضها، فعلى الرغم من أن الباحث جعل كل باب في ثلاثة فصول هي: الأنواع، والوظائف، والخصائص سواء أكان ذلك للاقتباس أم للتضمين، إلا أنه لم يتخلّ عن بيان الأثر الدلالي للنص المقتبس أو المضمّن في هذه الفصول الثلاثة، ففي الفصل الأول من كل باب لم يكتفِ الباحث بذكر أنواع الاقتباس أو التضمين وإنما أشار إلى الأثر الدلالي الذي تركه في دلالة النص النهجي، فبعد أن يذكر

(١) ينظر: الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: كاظم عبد فريح المولى: 16 - 31.

(٢) ينظر: نفسه: 32 - 35، 65 - 68.

(٣) ينظر: نفسه: 36 - 41، 69 - 70.

(٤) ينظر: نفسه: 42 - 52، 71 - 75.

(٥) ينظر: نفسه: 53 - 62، 76 - 79.

(٦) ينظر: نفسه: 163 - 167، 176 - 178.

(٧) ينظر: نفسه: 168 - 173، 179 - 181.

الباحث النص الذي يشتمل على مفردات أو تراكيب أو نصوص مقتبسة أو مضمّنة يلجأ إلى تحليله بلاغيا من جوانب متعددة كإظهار ما اشتمل عليه من كناية أو استعارة أو تشبيه، فضلا عن بيان المعاني اللغوية لأغلب مفرداته، ومن ثم يشير إلى الوظيفة الدلالية التي تؤديها هذه المفردات أو التراكيب أو النصوص المقتبسة، إذ أشار الباحث في غير موضع إلى أن الإمام (عليه السلام) إنما اقتبس المفردة القرآنية - خصوصا - لأنها تمثل " شحنة دلالية عميقة تعود بالمتلقي إلى المعاني المرتكزة في ذهنه، والسياق الذي اقترنت به " (١) فهذه المفردات " قادرة على منح إشارات دالة، ومُحيلة إلى معانٍ مُختزلة " (٢)، فالمفردة القرآنية التي اقتبسها الإمام تمثل "إشارة مركزة لنص، أو سياق عرفت به، يكفي ذكرها لاستحضار النص الحاضن لها، أو السياق المصاحب لها" (٣)، وكذا الحال في التراكيب والنصوص القرآنية التي يسهل على المتلقي الإشارة إلى مرجعيتها القرآنية. وأما في تضمينه الشعر أو المثل فقد أشار الباحث بعد أن بيّن نوع التضمين إلى أن وظيفته الدلالية تكمن في معرفة المتلقي لسياق البيت الشعري أو المثل ليربط بينها وبين ما يريده الإمام، وقد بيّن معظم سياقات هذه النصوص الشعرية والأمثال.

وأما في الفصل الثاني من كل باب فقد شرع الباحث ببيان الوظائف الدلالية والفنية للنص المقتبس أو المضمّن وقد ذكر في الوظائف الدلالية للاقتباس أنماطا وظيفيًّا هي: (وظيفة التوكيد، والتذكير والتنبيه، والشرح والتعليل، والترغيب والترهيب، والتحذير، والإيجاز، والمدح والذم، والسرد، والنصح والإرشاد، والتعظيم والتحقيق) (٤) وذكر في الوظائف الدلالية للتضمين أنماطا وظيفيًّا هي: (البيان والتوضيح، والتهديد والوعيد، والتوبيخ، والوعظ والنصح والإرشاد، والإقناع والإفهام) (٥).

وذكر عقب كل وظيفة من هذه الوظائف مجموعة يسيرة من النصوص الدالة عليها، ومن النظر في هذه النصوص أرى أن الباحث لم يكن دقيقا في استظهار الوظائف الدلالية لبعض هذه النصوص، فما ذكر منها دالا على التوكيد أراه أقرب في دلالاته على التذكير

(١) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 25.

(٢) نفسه: 17.

(٣) نفسه: 232.

(٤) ينظر: نفسه: 82 - 97.

(٥) ينظر: نفسه: 185 - 195.

والتنبيه، كتوظيف الإمام للآيات المتعلقة بإقامة الصلاة ^(١)، أو ما ذكر منها دالا على الشرح والتعليل، هو أقرب في دلالته على المدح أو التعظيم، كتوظيف الإمام للآيات التي تذكر صفات النبي (ص) وتبين فضله على الأمة ^(٢)، فضلا عن ذلك أن أغلب هذه النصوص يصدق عليها أكثر من دلالة واحدة، فهي تنفتح لتستوعب معظم هذه الدلالات فتكون دالة على التوكيد والتذكير والتنبيه والنصح والإرشاد والترغيب والترهيب، وكذا الحال في دلالات التضمين، فمن الصعوبة بمكان فصل إحدى هذه الدلالات والإشارة إلى أنها هي الدال الوحيد من الاقتباس أو التضمين، فضلا عن ذلك أن هذه الدلالات ما هي إلا أغراض إيحائية أو دلالات ثانوية لا تكشف عن السبب الحقيقي الذي دفع الإمام إلى الاستشهاد أو الاقتباس بهذه الكثرة من آيات القرآن الكريم.

وأرى أن الباحث لو ركّز على بيان سياق النص القرآني المقتبس وربطه بسياق حال المخاطب أو المخاطب - وهو ما فعله في تضمين الشعر والمثل - لوجد أن الإمام لا يروم إلى استحضار النص القرآني في ذهن المتلقي ليحقق الوظائف التي ذكرها فقط، وإنما يتعداها إلى أبعد من ذلك، فالمتلقي في زمان الإمام قريب العهد بالقرآن الكريم وهو قادر على كشف تلك النصوص في كلامه ولربما يقرأها أو يرددتها في كل يوم، إلا أن معناها الحقيقي غاب عن ذهنه أو كاد، وهنا يأتي دور الإمام في ربط هذه النصوص أو الإحالة إليها لخلق حالة من المفاجئة أو الصدمة التي تصيب المتلقي وكأنه يسمع تلك النصوص لأول مرة بعد أن كشف الإمام عن معانيها، فالمتلقي يجد نفسه مصداقا لما تضمنته هذه النصوص القرآنية من وعد أو وعيد وغير ذلك لتكون رادعا قويا وحجة بليغة وبرهانا ساطعا، ولعلّ غفلة الكثير عن معاني القرآن الكريم هو الذي دفع الإمام إلى تفسير بعض آياته وبيان معاني كلماته، فضلا عن ذلك أن الاستشهاد بالآيات القرآنية يدخل في باب الاستشهاد بالمشهورات وهو من العناصر الأساسية في فن الخطابة وتسمى أيضا (الذائعات) وهي مما اشتهرت بين الناس وذاع التصديق بها عند جميع العقلاء أو أكثرهم أو طائفة خاصة ^(٣)، فلها تأثير كبير على السامعين في الإقناع؛ لاشتهارها وانتشارها فيكون للسامع ميل وانجذاب نحوها ولذا لا يعتبر فيها إلا أن تكون مشهورات

(١) ينظر: الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 82 - 83.

(٢) ينظر: نفسه: 86.

(٣) ينظر: المنطق: محمد رضا المظفر: 370.

ظاهرة أي الاكتفاء بما هو مشهور ومقبول لدى عموم المستمعين؛ لأن غير المشهور سيكون بمثابة غير المؤلف لأذهانهم مما يؤثر في الوظيفة الإقناعية ، كما أن بعض هذه النصوص المقتبسة يؤدي وظيفة الربط بين الماضي البعيد الموعل في القدم وبين الحاضر أو القريب، فتحدث نوع من المطابقة في ذهن المتلقي، بالإضافة إلى أن الإمام أراد أن يؤكد من خلال هذه النصوص أنه ينطلق من مشروعية إسلامية تفقه القرآن وتعي السنة النبوية، فقد كان الإمام (عليه السلام) يعبر عن نفسه "أنا القرآن الناطق"^(١) كما قال في أوائل خطبه أيام مبايعته بعد مقتل عثمان: "أنا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم ألا وإنَّ القدر السابق قد وقع والقضاء الماضي قد تورّد وإنِّي متكلم بَعْدَ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) وَقَدْ قُلْتُمْ رَبَّنَا اللَّهُ فَاَسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى مِنْهَا جِ أَمْرِهِ وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ثُمَّ لَا تَمُرُّوا مِنْهَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا"^(٢)

وأما في الدلالات الفنية فقد ذكر الباحث الدلالات الصوتية^(٣) والنحوية^(٤) والبلاغية^(٥) للنصوص التي اشتملت على اقتباس أو تضمين مقسما كل دلالة من هذه الدلالات على أقسام فرعية فالدلالة النحوية تضمنت: (الضمائر، والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتكثير، والأساليب من استفهام، وأمر، ونهي، ونداء، ونفي، وتوكيد)، والدلالة البلاغية تضمنت: (التجسيم والتشخيص، والتشبيه، والاستعارة، والكناية) وقد سلط الباحث الضوء على هذه الدلالات في النص المتشتمل على اقتباس أو تضمين تارة، واقتصر على بيانها في محل الاقتباس أو التضمين فقط تارة أخرى. وما قدّمه الباحث في ذلك ما هو إلا دراسة لغوية لنصوص نهج البلاغة ذات المرجعيات الثقافية (الدينية والأدبية) وليست دلالات للاقتباس أو التضمين.

إن ما قام به الباحث في الفصل بين هذه الوظائف إلى دلالية وفنية ومن ثم الفصل

(١) شرح نهج البلاغة: السيد عباس موسوي: 4 / 289.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 10 / 24.

(٣) ينظر: الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة: 98 – 102، 202 – 202.

(٤) ينظر: نفسه: 103 – 112.

(٥) ينظر: نفسه: 113 – 120، 196 – 201.

بين الدلالات الفنية إلى صوتية ونحوية وبلاغية، تجعلنا نؤكد تبنيه المنهج التعليمي الذي يعتمد تفكيك النص الواحد عبر إظهار دلالة واحدة من دلالاته المتعددة، وإن تضمن شرحاً أو تحليلاً، فالقارئ إذا أراد أن يقف على الدلالة الكاملة للنص - على وفق هذا المنهج - عليه أن يراجع هذه التقسيمات جميعها الدلالية منها والفنية - فضلاً عما ذكر من دلالات في بقية فصول الدراسة - لتتشكل لديه الصورة الكاملة لدلالة النص وجماليته، ولو اتبع الباحث في هذا الفصل منهجاً تحليلياً يقوم على إظهار الوظائف الدلالية والجمالية مجتمعة في النص الواحد لكان أليق بدراسته، ولتجنب التكرار الحاصل في بعض مباحث الدراسة وفصولها، فقد ذكر الباحث الأثر الدلالي لهذه المقتبسات والتضمينات، في الفصل الأول ومن ثم أعاد بيان ذلك الأثر في الفصل الثاني، فضلاً عن ذلك أن بعض الشواهد أعاد الباحث تكرارها أكثر من مرة لأنها استوعبت كل تلك الدلالات.

وأما الفصل الثالث من كل باب فقد جعله الباحث لخصائص الاقتباس والتضمين مقسماً هذه الخصائص إلى خصائص دلالية وأخرى فنية، بحث في الخصائص الدلالية ما ينتج عن هذه الاقتباسات أو التضمينات من دلالة أثناء التغيير في بنيتها، بتحويل صيغتها من الفعل المضارع إلى فعل الأمر أو الفعل الماضي، أو من الجمع إلى المفرد، أو من الخطاب إلى الغيبة، وجميع الأمثلة التي ذكرها في ذلك تتعلق بالمفردات والتراكيب فقط ^(١)، أو ما ينتج من دلالة أثناء تغيير مواقعها في داخل النص، كأن تكون في بداية النص، أو في أثناء النص، أو نهاية النص، وجميع الأمثلة التي ذكرها في ذلك تتعلق بالنصوص التي لم يحدث فيها أي تغيير، أي التي اقتبسها الإمام كما هي ^(٢)، أو ما ينتج من دلالة أثناء التنوع في أساليب المقتبسات وتغير أشكالها، كأن يكون اقتباساً جزئياً (مفردات أو تراكيب)، أو تراكم الاقتباسات في النص الواحد، أو التغيير في المقتبسات من خلال التركيز على الحدث من دون الأشخاص، أو تغيير أزمان الأفعال ^(٣). وأما الخصائص الفنية فقد قسمها الباحث على خصائص صوتية ونحوية وبلاغية ^(٤).

(١) ينظر: الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 122 - 125

(٢) ينظر: نفسه: 126 - 131، 212 - 216.

(٣) ينظر: نفسه: 132 - 139، 207 - 210.

(٤) ينظر: نفسه: 140 - 156، 218 - 230.

إن ما ذكره الباحث في هذا الفصل لا يختلف عما أشار إليه في الفصلين السابقين، ولا سيما الفصل الأول، ولذا نجد أن كثيرا من الأمثلة والتحليلات هي مكررة، أو تحمل الفكرة ذاتها، إلا أنه أعاد طرحها وفق تقسيمات جديدة تحت عنوان (الخصائص) فالباحث لم ينفك عن بيان الأثر الدلالي والفني للاقتباس أو التضمين داخل النص. ولكن حرصه على أن يذكر الوظائف الدلالية للاقتباس والتضمين في صورته المختلفة سواء كان جزئيا أو كاملا، أو حدث فيه تغيير أو لم يحدث، أو وقع في بداية النص أو وسطه أو نهايته، أو جاء مفردا أو متراكما إلى غير ذلك، هو الذي دفعه إلى أن يتبنى هذا المنهج في ذكر العناوين الكثيرة التي يعالج كل منها مظهرا من مظاهر الدلالة، أو جزئية من جزئياتها.

وبالبحث - بحق - قد بين معظم الوظائف الدلالية التي أداها الاقتباس أو التضمين، في فصول دراسته الثلاثة، ولكنني أرى أنه لو اتبع منهجا غير الذي اتبعه في تقسيم دراسته لابتعد عن كثير من مظاهر التكرار، ولاجتمعت تحليلاته المتفرقة حول النصوص التي درسها، لتظهر دراسة دلالية تطبيقية للاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، فلو قسم دراسته على ثلاثة فصول: الأول لتوظيف القرآن الكريم والحديث الشريف، والثاني: لتوظيف الشعر، والثالث: لتوظيف النثر، لكان أليق بها، حيث يبدأ في كل فصل من هذه الفصول بذكر موارد الاقتباس أو التضمين ومن ثم يقوم ببيان وظائفهما الدلالية ضمن منهج تحليلي يجمع كل ما يتعلق بالنص الواحد من دلالات سواء كانت صوتية أو نحوية أو بلاغية. أو دلالية كالتفسير والإقناع والمطابقة وغيرها، أو أغراضا إيحائية كالإيجاز والتذكير والنصح والإرشاد وغيرها، ومع ذلك أجد أن الباحث أجاد في ما بذله من جهد كبير في الوقوف على الجانب الدلالي الذي تركته النصوص المقتبسة أو المضمنة.

ومن الجدير بالذكر أن الباحث نأى بنفسه عن الوقوف على النصوص المقتبسة أو المضمنة التي تصدرت بعبارة قال تعالى، أو قال رسول الله، أو قال الشاعر أو نحو ذلك، وهي نصوص كثيرة، لأنه ملتزم بما حدّه البلاغيون لمفهوم الاقتباس أو التضمين، إذ جعلوا مثل هذه النصوص تدخل في ساحة الاستشهاد لا الاقتباس أو التضمين، وأرى أنها من الناحية الوظيفية أو الدلالية لا تختلف عن بقية النصوص المقتبسة أو المضمنة، فهي تستدعي ما وراءها من سياقات.

وممن تناول الأثر الدلالي للاقتباس والتضمين الباحث خالد كاظم حميدي فقد خصص لهما بحثاً في دراسته وعدّهما ضمن القسم التداولي لأنه يرى " أن العبرة فيهما تكمن في عملية التوظيف الفني "(١) وعلى الرغم من أن الباحث لا يجد فرقاً بين توظيف النص القرآني والحديث الشريف والنص الأدبي، إلا أنه أراد ألا يخالف العرف البلاغي المتفق على إسباغ صفة التقديس على النص الديني، كما أنه رفض إبعاد النصوص التي تنصدر بـ (قال تعالى، أو قال النبي (ص)) ونحوهما من دراسته؛ لأنه يرى أن هذا الشرط يصلح أن يكون مانعاً في النص الشعري، فتلك الكلمات النثرية تسبب قطعاً في الشكل الشعري القائم على الإيقاع والموسيقى، وذهب إلى أن "إعمام هذا الشرط على النثر فيه نظر؛ لتوافق هذه الكلمات مع القول النثري، ولانسجامها مع سياقه، وربما أدت هذه الكلمات وظائف دلالية وجمالية لها وقع في نفس المتلقي، فهي تهيوه نفسياً لتلقي نص تراثي مقدّس، وهو ما تؤيده كثير من الخطب الإسلامية البليغة، ومنها نصوص الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة "(٢).

وقد اتبع منهاجاً تحليلياً خالصاً ابتعد فيه عن التقسيمات الكثيرة كشف من خلاله عن الأثر الدلالي الذي تتركه هذه النصوص، وركّز في تحليله على استدعاء سياقات النصوص المقتبسة وربطها بسياق حال المتكلم أو المتلقي لإحداث نوع من التوافق بينهما، من دون الخوض في الوظائف الصوتية أو النحوية أو البلاغية التي ذكرها سابقه، ومؤكداً أن كل نوع من أنواع الاقتباس أو التضمين قد وظّفه الإمام بأساليب متنوعة، إلا أنه اكتفى بذكر مثال واحد أو مثالين على كل نوع من أنواع الاقتباس أو التضمين سوى تضمين الشعر إذ زاد في عدد الأمثلة، وتوزعت أمثله في الاقتباس من القرآن الكريم على ما صرح الإمام فيه بكلمة (قال تعالى)، وما لم يصرح فيه الإمام بهذه الكلمة، وما تصرف فيه الإمام أن حول بعض صيغه من دلالتها على الغائب إلى المخاطب (٣)، ولم يختلف منهجه في توزيع أمثلة الاقتباس من الحديث الشريف (٤) أو تضمين الشعر (٥) عمّا سبق، بيد أن أمثله في تضمين المثل قسّمها

(١) أساليب البديع في نهج البلاغة : 151.

(٢) نفسه: 153.

(٣) ينظر: نفسه: 153 – 159.

(٤) ينظر: نفسه: 160 – 163.

(٥) ينظر: نفسه: 164 – 170.

على ما ضمنه الإمام منها بشكل مباشر، وما ضمنه بشكل غير مباشر ^(١).

وقد أحسن الباحث في موازنته بين سياقات النص المقتبس و النص المقتبس، إذ كشف من خلال هذه الموازنات عن الدور الذي يؤديه الاقتباس أو التضمين في كشف المعنى وإيضاحه للمتلقى، فضلا عن الأثر الذي يتركه فيه، وقد خلص إلى "أن الاقتباس والتضمين لا يؤديان أثرهما الجمالي والدلالي إلا عندما يصبحان مكونين من مكونات النص الجديد، وذلك بعد انتزاعهما من نصوص آخر أخذت من الثقافة المحيطة أو القادمة من آفاق وأزمنة آخر ... وعلى وفق هذه الشروط يُتاح للمنشئ أن يذكر المؤلف المقتبس منه أو لا يذكره، ويُتاح له أيضا أن يقيي النص المقتبس أو المضمن، محافظا على شكله الأصلي، أو يتصرف بشكله بحدود بحيث لا يفقده هويته البنائية كلها" ^(٢).

وعلى الرغم من أن الباحث لم يوافق سابقه في رصد ظاهرة الاقتباس والتضمين وزعم أن ما قدمه يمثل رسدا سطحيا ^(٣)، أرى أن ما قدمه من تحليلات في كثير من أمثله لا تختلف عما قدمه سابقه ولاسيما في تضمين النصوص الشعرية أو الأمثال.

وخصص الباحث طارق محمد حسن فصلا من دراسته بعنوان (مرجعيات الخطاب في خطب الإمام علي) بيّن فيه الوظائف الدلالية التي تؤديها هذه المرجعيات مبتدئا بالتوظيف القرآني وقد بيّن فيه الأسباب التي دفعت الإمام إلى توظيف النص القرآني في كلامه (مظاهر التوظيف القرآني ومرجعياته) مستوحيا هذه الأسباب من نصوص نهج البلاغة ^(٤)، ومن ثم بيّن الأساليب التي اعتمدها الإمام في الأخذ عن القرآن الكريم، وقد ذكر منها ثلاثة: فإذا كان التوظيف صريحا أو مباشرا ومتصدرا بـ "قال الله تعالى، أو يقول تعالى" ونحو ذلك، أطلق عليه تسمية (الاقتباس)، وأما إذا كان التوظيف من دون لفظ الله عز وجل أطلق عليه تسمية (التضمين)، وقد أخطأ الباحث في تسميته بالتوظيف غير الصريح أو غير المباشر، لأن الإمام وظّف النص القرآني في هذا الأسلوب من دون أن يغيّر فيه سوى أنه لم يصدره بقول "قال تعالى، أو يقول تعالى" ونحو ذلك، فالفارق بين الأسلوبين هو في نسبة النص أو عدم نسبته

(١) ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة: 170 – 173.

(٢) نفسه: 174.

(٣) ينظر: نفسه: 152 هامش رقم: 3

(٤) ينظر: بنية الخطبة في نهج البلاغة في ضوء نظرية أرسطو للخطابة: 39 – 43.

فكلاهما توظيف مباشر ، أما النحو الثالث فقد جعله للتوظيف غير المباشر، بأن يُدرج الإمام معنى القول أو بعض مظاهر لفظه لا كلها، متصرفاً فيه مدمجاً إياه ضمن سياق الكلام وقد أطلق عليه تسميه (الحل)^(١)، ومن ثم ختم الباحث ببيان الوظائف التي يؤديها هذا التوظيف من خلال الوقوف على عدد من الأمثلة استوعبت الأساليب التي ذكرها، وقد اتبع الباحث منهجا في إظهار هذه الوظائف يقوم على الموازنة بين سياقات النص القرآني الموظف وسياق نص النهج الموظف، منطلقا من فكرة أساسية مفادها أن هذه النصوص ما هي إلا حجج وبراهين جاهزة يستعين بها الإمام ليوضحها تارة، وليقوي بها كلامه تارة أخرى، وفي أموره جميعا (المشاورية، والمشاجرية أو المنافرية، والبرهانية) فما بين النص المقتبس والنص المقتبس علاقة مترابطة إذا يوضح كل منهما الآخر وهذا الأمر سيقف دون أن يحدث تلاعب بالنص بيد من يشاء الإدعاء بفهمه، وتعبير آخر غلق النص على دلالاته ، وبذلك تتجسد بلاغة الخطاب الإقناعي، ويسجل للباحث أنه لم يجتزئ من نصوص نهج البلاغة محل الشاهد فقط، أو يجزئ النص ذا المرجعيات القرآنية الكثيرة فيقف على كل جانب منه بشكل مفرد، وإنما يورد النص بسياقه الذي يكشف عن مضمون ما أراده الإمام منه؛ ولذا نرى أن تحليلاته في بيان الوظائف الدلالية مركزة وغنية وعاكسة لتعلق النص بمرجعياته شكلا ومضمونا.

وأما في الأمثال والحكم فقد بين الباحث أهميتهما في التوظيف بعد أن ساق أقوال العلماء في ذلك مع موازنتها بما قال به أرسطو، ومن ثم بين أن الأمثال التي استعان بها الإمام في كلامه كانت على عدة أقسام - بناء على ما قدمه في معنى المثل^(٢) - : المثل القرآني: وهو نمط خاص من الأمثال لأنه منسوب إلى الله سبحانه وتعالى ويظهر هذا النمط في خطبه (عليه السلام) من خلال انتزاع المواعظ والأمثال والمثلاث من القرآن الكريم عما حكاه عن قصص السابقين وما ذكره من الأوصاف والصُّور لواقع الحياة الدنيا ، والمثل القصصي أو التاريخي: ويشتمل هذا المثل على ذكر أحوال الأمم الماضية ووقائعها وأحداثها لغرض أخذ العظة والعبرة والانتفاع من مواقع الزلل ومواضع الخطأ لتصحيح مسيرة الإنسانية التكاملية ، والأمثال العربية: وتتمثل في استشهاد (عليه السلام) بأمثال العرب وأقوالها المأثورة، التي يوردها بصيغتها الثابتة حيناً

(١) ينظر: بنية الخطبة في نهج البلاغة في ضوء نظرية أرسطو للخطابة: 44 - 57.

(٢) ينظر: نفسه: 57 - 74.

وبالتصرف في بعض ألفاظها بما يتناسب والمقام حيناً آخر، ويوردها ملتحمة مع الكلام وكأنها جزء منه غير منفصلة عنه حيناً ثالثاً، أو لجوئه في الكثير من الأحيان إلى إنشاء الأمثال حسب الحوادث التي تكتنفها، بعبارة موجزة وسلسة ومعبرة عن الواقعة، وأصبحت فيما بعد أمثالاً تنسب إليه. وقد أورد الباحث أمثلة على هذه الأنواع جميعها ومن ثم أوضح أهمية استدعاء الإمام لها لما اشتملت عليه من دلالات تطابق ما يريد إيصاله وتكشف عن بيان حاله.

وأما الاستشهاد بالشعر فقد استطاع الباحث أن يبين خصائصه ووظائفه الدلالية، ولعل من أظهرها^(١):

- ١ - استشهاده بالشعر المفرد من سننه الخاصة دون من كان قبله من المتكلمين، مما يؤكد اقتضاه (عليه السلام) على موضع الغرض من البيت، ومكان إصابة المعنى به دون غيره من الحشو، وهذا سيثبت القول: إنه إنما يورد الاستشهاد بما يعبر عن الحقيقة التي يبتغي إيصالها إلى الآخرين من غير لحظٍ وتكلفٍ للتجميل الفني وإن أتاه بعد ذلك طوعاً.
- ٢ - وقوعه في خطبه القصار دون الطوال منها، ولعل السبب أن الأثر الفني والعمق الدلالي لتضمين الشعر تبقى نفوذته في ما قصُر من الخطب، لأن ظهوره فيها سيكون بارزاً، أما إذا طالت فإن أثره سيكون نقطة ضمن أفق عميق من التراكمات الدلالية الأخرى في النص، لذلك فإنه سيفقد تأثيره.
- ٣ - إن استشهاد الإمام (عليه السلام) بالشعر يتكاثف ويتركز إذا ما (احتد شعوره وتوهجت عاطفته)، وكأن الشعر ألزم لإبانة الغرض وبيان المرمى والقصد دون الكلام المنثور وتقرير الحجة به، لاشتماله على لغة خاصة تمتلك أكبر طاقة من الإيحاء بشكل لا تقتصر معه على معانيها المعجمية، وإنما على ظلال المعاني وما توحى به العبارات من ذكريات ذات أثر قوي في النفوس وما استقر بها من عاطفة، وتقرير المعاني والأفكار من خلال التمثيل برسم الصورة الشعرية.
- ٤ - إن من المعاني ما لا يدركه من كان يحضر مجلس الإمام في أمثال تلك المواقف المحتدة، إلا من خلال تلك الصور الشعرية واللغة التي ألفوها دون ما ينطوي عليه بيان الإمام من عمق

(١) ينظر: بنية الخطبة في نهج البلاغة في ضوء نظرية أرسطو للخطابة: 74 - 84.

ودقة، فكان الإمام (عليه السلام) يتوسل بتلك الوسيلة وفي تلك الأجواء الخاصة ليبُلِّغ ذلك المعنى المكتنز في نفسه الشريفة.

ومن ثم ختم الباحث بذكر أمثلة من استشهاده (عليه السلام) بالشعر قدّم من خلالها تحليلات وافية تمتاز بالعمق والدقة، كشفت عن مقاصد الإمام وأضاءت جوانب من الحالة النفسية التي مرّ بها في مواقف مختلفة من حياته، فضلا عن بيان حال مخاطبيه.

وبهذا يتضح لنا أن الباحث أظهر الأثر الدلالي الذي تركته هذه الاقتباسات أو المرجعيات على نص النهج وفق منهج تحليلي مترابط يوضح الأسباب التي دعت إلى استدعائها وبيّن طريقة تعامل الإمام معها، ويكشف عن الوظائف التي تؤديها من خلال استظهار سياقات هذه النصوص (المرجعيات) وربطها بسياق حال المتكلم أو المتلقي ليجد المطابقة بين السياقين فأصبح لديه المعنى الذي يريده الإمام واضحا مع ما يكتنفه من أغراض إيحائية أو دلالات إضافية، وهو بذلك يجسد مهمة الباحث الدلالي الذي يقوم بالكشف عن مضمون النص وتفسيره أولا، ومن ثم بيان ما يشتمل عليه من دلالات ثانوية أو إيحائية، فالباحث رصد ظاهرة الاقتباس وفق مرجعياته المختلفة رصدًا موضوعيًا عميقًا مع بيان أثرها في المتلقي واكتشاف معانيها المتولدة الجديدة.

وأفرد الباحث عبد الهادي عبد الرحمن على الشاوي دراسة بعنوان (المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية) لم يقف فيها على ما وظّفه الإمام (عليه السلام) في كلامه من الأمثال العربية فقط، لأن مفهوم المثل عنده يمتد ليشمل الأجناس الأدبية جميعها إذا تحققت فيها شروط المثل التي أشار إليها العلماء، وقد ذكر هذه الشروط في التمهيد^(١)، فالأمثال "حالة خاصة من حالات التمثيل ... فإذا شاع مثل هذا التمثيل على الألسنة سُمي مثلاً"^(٢) ولاسيما إذا كان يمتاز بجمالية في الأداء وقوة في الإبلاغ وحسن في الصياغة، فشروط المثل هي التمثيل والانتشار والسيرورة ضمن صياغة فنية تعتمد أساليب البيان، وقد اعتمد الباحث على ما ذكره الدكتور محمد حسين الصغير في حدّه مفهوم المثل إذ قال: "يرجح عندي أن يكون المثل في القرآن قد استعير لكل شأن ذي بال، ولكل حدثٍ مستغرب، و لكل قصةٍ أريد بها العبرة، ولكل وصفٍ لم يتعارف عليه العرب من ذي قبل،

(١) ينظر: المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: 4 - 13.

(٢) الأمثال العربية القديمة: رودلف زلهام: 26.

ولكل معنى لم تستطع الإفهام سير أغواره، وتشخيص فحواه، إلا بتقريبه تنظيراً وتمثيلاً حتى تداوله الناس واستوعبته العقول^(١) وبناء على ذلك فقد خصّص الفصل الأول من دراسته لبيان أنواع الأمثال التي وظفها الإمام في كلامه، وطرق تعامله معها، والوظيفة الدلالية التي تؤديها. فقد ذكر الباحث أن الإمام تعامل مع هذه الأمثال بثلاثة طرق، هي: الاقتباس أو التضمن، والتناص، والابتكار، وأدرج تحت كل طريقة من هذه الطرق أنواع الأمثال التي استعان بها الإمام وهي: أمثال القرآن الكريم والآيات التي تجري مجرى المثل، والحديث الشريف، والشعر، والأمثال العربية. فالأقتباس - عنده - خاص بالأمثال الدينية (القرآن الكريم والحديث الشريف) والتضمن خاص بالأمثال الأدبية (الشعر والأمثال والحكمة) وكل ذلك فيما لم يجر عليه أي تغيير أو إعادة صياغة أي وظّف كما هو، وأما التناص فيشمل ما هضمه الإمام من هذه الأمثال وأعاد صياغتها لتصبح جزءاً لا يتجزأ من كلامه وهو يدخل تحت مصطلح التقليد، وأما الابتكار هو ما أبدعه الأمام من هذه الأمثال تبعاً للظروف والمواقف المختلفة.

وأرى أن ما قدمه الباحث في مبحث (الأقتباس والتضمن) يمثل دراسة دلالية بالمعنى الذي أشرنا إليه سابقاً، من خلال إظهار الدور الوظيفي الذي أدته هذه الأمثال في الكشف عن معاني النهج، فقد ربط الباحث بين سياقات هذه الأمثال وسياق الكلام في نهج البلاغة ليتوصل إلى المقاصد التي أرادها الإمام، فضلاً عن بيان الأسباب التي دفعت الإمام إلى استدعاء هذه النصوص مقدماً ذلك وفق منهج تحليلي يقوم على إعادة قراءة النص بناء على هذه النصوص المقتبسة أو المضمنة^(٢).

وأما في مبحث (التناص) فلم يقدم فيه الباحث سوى ذكر المرجعيات الثقافية التي احتذى الإمام أمثلتها، سواء كانت هذه المرجعيات مما يسهل التعرف عليها لوجود العلامات الواضحة مثل الاشتراك في بعض المفردات أو المعاني الظاهرة، وهو ما اصطلح عليه بـ(التناص الجلي)، أو كانت هذه المرجعيات يصعب التعرف عليها لخفاء العلامات فيما بينهما وبين أمثال النهج، وهو ما اصطلح عليه بـ(التناص الخفي)، مفرداً لكل مرجعية من هذه المرجعيات عنواناً مستقلاً، فمنهج في ذلك يقتصر على ذكر المثل في نهج البلاغة ومن ثم الإشارة إلى مرجعيته، فيشير إلى النص

(١) الصورة الفنية في المثل القرآني: 67.

(٢) ينظر: المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: 14 - 35.

المأخوذ عنه سواء كان آية قرآنية، أو حديثاً نبوياً، أو بيتاً شعرياً، أو خطبة، أو مثلاً^(١) وما ذكره الباحث لا يختلف عما أشار إليه الباحثون الآخرون تحت مصطلح الاقتباس والتضمين غير المباشر (المعنوي) القريب أو البعيد، وهو ما يعرف أيضاً بمصطلح الحلّ، وهذا كله يدخل تحت مبدأ التصرف بالنص المقتبس بإضافة أو حذف أو إعادة صياغة^(٢)، ولكن يبقى هذا النوع من الاقتباس أو ما أطلق عليه الباحث بالتناسل يحمل قيماً دلالية لا تختلف عما تؤديه الاقتباسات المباشرة، كان حريّ به أن يقف عندها، فضلاً عن ذلك أن الاقتباس الخفي أكثر تأثيراً في المتلقي؛ لأنه يدعو للتأمل في التشابه والاختلاف، ذلك أن التشابه هو الأصل، والتغيير عند ذاك يعد عدولاً عن الأصل، وهذا يثير سؤالاً عن أسباب هذا التغيير دافعاً إلى إعمال الفكر وتنشيطه والالتفات إلى موازنة الأسلوبين.

وأما في أسلوب الابتكار فقد وقف الباحث عند إظهار مميزات الأمثال التي ابتكرها الإمام وهي تدور حول نقطتين أساسيتين: القدرة والموهبة التي امتلكها الإمام، ووجود البيئة المناسبة التي تتمثل في مجموع الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ألمت بالإمام، وقد تجسدت للباحث موهبة الإمام من خلال الدقة في صياغة هذه الأمثال عبر الاختيار الدقيق لمفرداتها الدالة والموحية، وملاءمة بعضها لبعض إذ وجد أن اللفظة كانت تستدعي أختها في التركيب، فضلاً عن ذلك ملاءمة هذه الأمثال لسياق المقام وسياق المقال، وقد دلل الباحث على هذه المميزات من خلال بعض الأمثلة التي تناولها بالشرح والتحليل^(٣).

وأما الفصول الأخرى من دراسته فقد خصصها لدراسة أمثال نهج البلاغة دراسة نحوية وبلاغية عرض في دراسته النحوية الأساليب والظواهر التركيبية التي اشتملت عليها هذه الأمثال^(٤)، وعرض في الدراسة البلاغية القيم التصويرية (التشبيه والاستعارة والكناية) والموسيقية التي اشتمل

(١) ينظر: المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: 36 - 58.

(٢) ينظر: رسائل الإمام علي دراسة أدبية نقدية: 294 - 298، والاقتباس والتضمين في نهج البلاغة: 41 - 63، وبنية الخطبة في نهج البلاغة دراسة في ضوء نظرية أرسطو في الخطابة: 46، وأساليب البديع في نهج البلاغة: 157.

(٣) ينظر: المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: 59 - 74.

(٤) ينظر: نفسه: الفصل الثاني: 75 - 127.

عليها أمثال النهج^(١)، ولذا لا حاجة بنا إلى عرض وتقويم ما قدمه الباحث في هذه الفصول؛ لأننا قد أشرنا إليها في الفصول السابقة.

وتتاول الباحث هادي شندوخ حميد دراسة بعنوان (الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة) ولعلّ عنوان هذه الدراسة يوحي بأن الباحث سيقف على بيان أثر القرآن الكريم في نهج البلاغة من جهة، وبيان ما تركه هذا الأثر في دلالة نهج البلاغة من جهة أخرى، بمعنى رصد مواضع التأثير أو التأثير ومن ثم بيان الوظائف الدلالية التي يؤديها، ليقدّم جواباً لسؤال يلح في مخيلة قارئ النهج وهو لماذا يكثر الإمام من استدعاء النص القرآني؟ وكيف تسهم هذه النصوص المقتبسة في الكشف عن المعاني التي يريدها الإمام؟ وما دورها في تبيان سياق حاله وحال مخاطبيه؟ إذ "إن في أي نص جانبيين : جانب موضوعي يشير إلى اللغة وهو المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة وجانب ذاتي يشير إلى فكر المؤلف ويتجلى في أس تعامله الخاص للغة، وهذان الجانبان يشيران إلى تجربة المؤلف التي يسعى القارئ إلى إعادة بنائها بغية فهم المؤلف أو فهم تجربته، والقارئ يمكن له أن يبدأ من أي الجانبين شاء مادام كل منهما يؤدي به إلى فهم الآخر"^(٢).

إن القراءة الدقيقة في هذه الدراسة تجعلنا نزعّم أن الباحث لم يقدم هذين الجانبين مجتمعين إلا في الفصل الأول من دراسته الذي عقده تحت عنوان (سلطة النص القرآني وآليات قراءته في نهج البلاغة) إذ خصص المبحث الأول فيه لبيان حجم الأثر القرآني في نهج البلاغة مكتفياً ببيان ذلك الأثر الكبير في صورتين فقط هما: مشاهد القيامة، وأوصاف الدنيا، وقد بيّن الباحث - من خلال الأمثلة الكثيرة التي ساقها - أن جميع ما ذكره الإمام في هاتين الصورتين إنما استوحاه من القرآن الكريم بيد أنه وظّفه في سياقات كثيرة ودلالات متنوعة، وقد بذل الباحث جهداً في تحليل هذه النصوص ذات المرجعيات القرآنية وبيان دلالاتها^(٣)، في حين خصص المبحث الثاني (آليات قراءة النص القرآني في نهج البلاغة) لبيان الأسباب التي جعلت الإمام يكثر من اقتباساته القرآنية ، ويبدو لي أن جميع ما قدّمه الباحث في هذا الجانب يدور حول

(١) ينظر: المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: الفصل الثالث: 128 - 173.

(٢) إشكاليات القراءة وآليات التأويل: نصر حامد أبو زيد: 21

(٣) ينظر: الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: 1 - 25.

بيان سبب واحد وهو تأصيل الفهم أو ما يمكن أن يسمى بفقہ التأسيس (أي فهم القرآن) ^(١) فالغرض الرئيس الذي ركّز عليه الباحث هو أن الإمام أكثر من استدعاء النصوص القرآنية، من أجل بيان حقائق القرآن وتقديمها للمتلقى نقيّة صافية مما شابها من تحريف أو تلاعب أو قصور في الفهم، مستنتجا أن الإمام نهض بهذه المهمة نتيجة أسباب كثيرة تلمسها في نصوص نهج البلاغة لعلّ من أظهرها المسؤولية الشرعية التي تجلّعه يقوم بهذا الواجب انطلاقاً من قوله تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } ^(٢)، مضافاً إلى ذلك كثرة تعدد القراءات للنص القرآني في عصره وفي العصور التي ستأتي بعده نتيجة التفسير بالرأي فأراد الإمام أن يبين رفضه ذلك المنهج في التعاطي مع القرآن، فضلاً عن قصور المتلقي في فهم معاني القرآن والوصول إلى حقائقه، فكانت غاية الإمام من إيراد الشواهد القرآنية مباشرة أو غير مباشرة بهذه الكثرة إنما هو لبيان دلالاتها للمتلقى عن طريق التفسير ^(٣) أو التأويل ^(٤) أو الشرح ^(٥)، وقد فرّق الباحث بين الشرح والتفسير؛ لأن الشرح يقف عند حدود بيان معاني المفردات في حين أن التفسير يمتد ليشمل كل ما يتعلق بالنص من (المبنى والمعنى)، ومن ثم ختم الباحث هذا الفصل ببيان ما يمتلكه الإمام من ذوق رفيع في اختياره للمفردات والنصوص القرآنية وكيفية التعامل معها من خلال إعادة صياغتها بأساليب فنية معتمداً على التصوير الفني المصحوب بحشد موسيقي مؤثر يستميل السامع ويؤثر فيه فضلاً عن إجرائية الحوار والإطناب في سرد بعض القصص مع الإيجاز في موارد أخرى ^(٦) ليتخذ منها "طريقة في الإقناع تتوسل بنوع من الإبانة والتوضيح وتعتمد على لون من الحجاج والجدل وتحرص على إثارة الانفعالات في النفوس على النحو الذي يؤثر في المتلقي ويستميله الي القيم الدينية السامية التي يعبر عنها القرآن الكريم" ^(٧).

وبذلك يتضح لنا أن الباحث ركّز على إظهار وظيفة دلالية واحدة للنص المقتبس وهي إظهار حقائق القرآن الكريم للمتلقى، من دون الوقوف على الوظائف الدلالية الأخرى التي يؤديها

(١) الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: 158

(٢) سورة النحل: 44.

(٣) ينظر: الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: 28 – 34.

(٤) ينظر: نفسه: 34 – 41.

(٥) ينظر: نفسه: 41 – 44.

(٦) ينظر: نفسه: 44 – 50.

(٧) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د جابر احمد عصفور: 404.

إلا في حدود إشارات سريعة وموجزة ولاسيما في الفصل الخامس من دراسته ^(١) فالباحث لم يفد من هذه الاقتباسات في بيان حال المتكلم والمتلقي مع إدراكه أن هذه الاقتباسات مرتبطة بهما، فالآية القرآنية أو المفهوم القرآني في التوظيف الضمني و كلامه (عليه السلام) متعاضدان، مما ينتج عن هذا التعاضد كشفٌ للدلالة القرآنية فضلاً عن مجيء النص القرآني لتأييد المضمون والفكرة، وإنَّ هذا التعالق النصي والتشابه المعنوي المتعاضد لا يُفقد النص ناحية الإبداع والجديّة من حيث الرؤية والبناء. فقد ذكر الباحث في تحليله نصوص نهج البلاغة التي تصف الدنيا أنها " تقتل نمطاً من التأكيد والاسترجاع لمفاهيم القرآن في تصوير حقيقة الدنيا والآخرة، تقصده الإمام (عليه السلام) لمقتضى يكمن في مقام الحال وقتئذٍ ومخاطبة الإنسان المطلق وتنبيهه لتلك الحقيقة المغفول عنها " ^(٢)، بيد أنه لم يبيّن مقام الحال الذي أشار إليه، وقد صرّح الباحث في خاتمة دراسته بأنه أغفل إظهار بعض هذه الدلالات بقوله: " لا تقتصر آليات قراءة النص القرآني عند الإمام (عليه السلام) بما ذكرناه، بل إن هذه الآليات منوطة بمقاصد ترتبط بالمقام والمتلقي، كشف عنها الإمام في ذلك المسلك التحليلي، أما غيرها من النصوص القرآنية فترتبط بمقاصد الإمام وذوقه في توظيف هذا النص أو ذاك " ^(٣).

فلو أنعمنا النظر في ما قدمه الباحث لوجدناه يدور حول استظهار قدرة نهج البلاغة على كشف حقائق النص القرآني وإمالة اللثام عن معانيه ومقاصده، أي توظيف النهج في الكشف عن الدلالة القرآنية، وأهم جانب آخر وهو غاية في الأهمية وهو إسهام هذه النصوص القرآنية في الكشف عن دلالة نهج البلاغة، فنهج البلاغة كشف عن كثير من حقائق القرآن وهو ما سعى الباحث إلى توضيحه، إذ "من المعلوم أنّ الإمام علياً (عليه السلام) كان مقررّاً للشرعية ومثبتاً لها وموضحاً لمقاصد سنن الرسول (ص) ومفرّعاً لأحكامها إذ كان هو الممنوح بجوامع العلم والمطلع على الأسرار الإلهية" ^(٤)، ولكن نصوص القرآن في نهج البلاغة كشفت أيضاً عن معاني النهج ومقاصده من جهة، وأظهرت حال المتكلم والمخاطب من جهة ثانية وهو ما لم يركّز عليه الباحث "ولهذا كان هناك بالضرورة ثلاثة أنواع من الخطب: المشورية، والمشاورية، والبرهانية، فأما المشوري فهو إما

(١) ينظر: الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة: 136 – 158.

(٢) نفسه: 18.

(٣) نفسه: 159.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: 1 / 60-61.

حض أو نهى ؛ لأن الذين يشيرون في الخواص وأولئك الذين يخطبون في المجامع إما أن يحضّوا أو ينهوا، وأما المشاجري، فمنه اتهام ومنه دفاع؛ لأن الذين يتشاجرون لا محالة إما أنهم يتهمون أو يدافعون، وأما البرهاني فمنه مدح ومنه ذم ويناسب كل نوع من هذه الأنواع زماناً فالمشوري يناسبه المستقبل؛ لأن الخطيب سواء كان يحض أو ينهي يشير بأمرٍ مستقبلي ويناسب المشاجري الزمان الماضي؛ لأن اتهام الواحد ودفاع الآخر يتعلق دائماً بأمرٍ حدث في الماضي، ويناسب البرهاني غالباً الزمان الحاضر لأن الذين يمدحون أو يذمون يتناولون الأحوال الراهنة... ولكل نوع من الأنواع الثلاثة غاية خاصة مختلفة، ولما كانت أنواع الخطابة ثلاثة فهناك ثلاثة أنواع من الغايات فغاية الخطيب المشاور هو النافع والضار.. وغاية الخطيب في المنازعات القضائية هو العادل أو الظالم.. وغاية من يمدح أو يذم هو الشريف والخسيس.. وبيّن مما فيه أنّ الخطيب يجب أن يكون مستعداً بقضايا في هذه الموضوعات الثلاثة^(١). وكان على الباحث أن يفيد من النصوص القرآنية التي وظّفها الإمام في بيان ذلك كلّ على مستوى الدلالات والمقاصد ومستوى بيان حال المتكلم والمخاطب ومن ثم يربط ذلك كله بالغرض الرئيسي الذي ركّز عليه وهو التأصيل لفهم القرآن وبيان حقائقه، فعلى هذا الأساس "لم يكن مقصوده من جميع الأقوال المنقولة عنه إلاّ الغرض الثابت من وضع الشرائع والسّنن وقد يتحقق هذا الغرض على نحو المنافرة أو المشاجرة أو المشاورة والتي هي جُلّ كلامه (عليه السلام)"^(٢)

وأما الفصول الأربعة الأخرى من دراسته فإننا نجد أن الباحث فيها غير معني ببيان الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة، وإنما بيّن فيها الأثر القرآني فقط، فهذه الفصول ما هي إلاّ دراسة لغوية لنصوص نهج البلاغة، مبتدئاً بالدلالة الصوتية ثم الدلالة الصرفية، فالنحوية، وآخرها السياقية، فما قدّمه الباحث في هذه الفصول لا يختلف عن أيّ دراسة لغوية معنية بنهج البلاغة سوى في الأمثلة التطبيقية، فكما اختار بعض الباحثين دراسة الرسائل فقط أو دراسة خطب الحرب فقط أو دراسة نهج البلاغة بشكل كامل، اختار الباحث نصوصاً معينة من نهج البلاغة وهي التي تمتاز بمرجعيتها القرآنية، إذ لجأ إلى دراستها لغوياً، فهو في كل موضوع من موضوعات هذه الفصول عندما يورد النص من نهج البلاغة يبيّن مرجعيته القرآنية من خلال ربطه بالآيات القرآنية

(١) الخطابة: أرسطو، ترجمة وشرح وتقديم د. عبد الرحمن بدوي: 36 - 39.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: 1 / 60

المرتبطة به ومن ثم يعود لدراسته ليكشف عما تضمّنه في الموضوع الذي هو قيد الدراسة، ولذا لا حاجة بنا إلى عرض وتقويم ما قدمه الباحث في هذه الفصول؛ لأننا قد أشرنا إليها سابقا في فصول دراستنا (الصوتية، والصرفية، والنحوية) وأرى أن فصول هذه الدراسة باستثناء الفصل الأول منها لا يصدق عليها عنوان (الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة) وإنما الأليق بها أن تكون بعنوان (نصوص نهج البلاغة ذات المرجعيات القرآنية دراسة لغوية).

وحاول الباحث سمير داود سلمان أن يدلل على أهمية الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأمثال في نهج البلاغة وسعى إلى الكشف عن دلالاته من خلال رصد بعض أغراضه ووظائفه في أمثلة يسيرة فأشار إلى أن من سماته الدلالية هي: تأكيد المعنى وإيجازه وترسيخه في الذهن، والتقرير، والتعليل، والتحذير، والتوضيح، وبيان حال أصحابه^(١)، وأرى أن الباحث لم يقدم في هذا الموضوع دراسة جادة وعميقة، فما قدّمه يمثل رسدا سطحيا لظاهرة الاقتباس أو التضمين، فضلا عن قلة الأمثلة التي قدمها.

المجموعة الثانية: وغاية الباحثين في هذه المجموعة إظهار مدى تأثير الإمام بهذه المصادر من خلال الكشف عن حجم ما استعان به الإمام في بناء لغته في نهج البلاغة ليس عبر رصد النصوص والتراكيب والمفردات المقتبسة فقط وإنما بالوصول إلى المعاني المشتركة بينهما، وطريقة نظم المفردات ورصفها، ودقة دلالاتها أيضا مع شرح تلك النصوص وتحليلها، ولكن من غير الوقوف على ما أسهمت به هذه المصادر في توضيح الدلالة وبيان حال المتكلم أو المتلقي، وقد أشار معظم الباحثين في دراساتهم إلى أن نهج البلاغة متأثر بأسلوب القرآن الكريم وعباراته بشكل كبير، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى الوقوف على هذا الموضوع ودراسته بشكل مستقل، وخير من يمثل هذه المجموعة الباحث عباس علي حسين الفحام فقد قدّم دراستين في هذا الجانب، الدراسة الأولى بعنوان (التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام)) خصص الفصل الثاني فيها لدراسة (مصادر التصوير في خطب الإمام) متلمسا ملامح التقليد أو التأثير في المصادر التي اعتمدها الإمام وهي القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر، والأمثال^(٢). وقد بين الباحث كثيرا من سمات التشابه أو التطابق بين صور القرآن

(١) ينظر: دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة: 145 – 152.

(٢) ينظر: التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام): الفصل الثاني: 128 – 199.

الكريم وصور نهج البلاغة، محاولاً قدر الإمكان التدليل على ملامح التشابه بينهما ليس من خلال تكرار هذه الصور كما هي فحسب وإنما من خلال بيان الاتفاق في الأسلوب المتبع في الصياغة عبر موازنات كثيرة بين خصائص ومميزات هذه الصور بدءاً من انتقاء المفردة الدالة الموحية بدقة المعنى وصولاً إلى تصوير المعاني الذهنية وانتهاء باستقصاء رسم المشهد بشكل تفصيلي، مقدماً في ذلك كلّ تحليلات وافية، معتمداً المنهج نفسه في إظهار ملامح تأثير الإمام ببقية المصادر الأخرى (الحديث النبوي، والشعر والأمثال)، ولعل كثرة ما وجده من تشابه بين صور القرآن الكريم وصور نهج البلاغة هداه إلى أن يبحث هذا الموضوع بشكل مستقل فجعله عنواناً لدراسته الثانية وهي: (أثر القرآن الكريم في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون) أعاد فيها الباحث ما توصل إليه في دراسته الأولى بعد أن ضمنها تفاصيل أخرى في ملامح الشبه، وزيادة في الأمثلة وقد تبنى فيها الباحث منهجاً مقارناً بين القرآن الكريم ونهج البلاغة، مقسماً دراسته على بابين: الباب الأول لدراسة الأثر في الشكل، والباب الثاني لدراسة الأثر في المضمون، ومع إدراك الباحث بأن الشكل والمضمون يتمازجان فيما بينهما فلا شكل بلا مضمون ولا مضمون بلا شكل، إلا أنه فصل بينهما ليقف على خصائص ومميزات كل منهما بشكل تفصيلي، وقد عقد الباحث كثيراً من الموازنات بين استعمال القرآن الكريم للمفردات، والجمل وما تشتمل عليها من (تقديم وتأخير، وحذف، واستفهام، وأمر، وشرط، ونداء، وقسم)، والصور الفنية من (مجاز، وتشبيه، واستعارة، وكناية)، والوسائل الموسيقية من (سجع، وتكرار، وجناس، وتوازن)، وبعض الموضوعات من (تعظيم الله عزّ وجلّ وتزيينه وأسمائه وصفاته وأفعاله، والحياة والموت، وخلق الإنسان والكون، والجهاد، والدعوة إلى التقوى)، وبين استعمال ذلك كلّ في نهج البلاغة، فوجد تطابقاً كاملاً فيما بينهما، فضلاً عن الاقتباسات الصريحة التي حفل بها النهج على مستوى الألفاظ المفردة والنصوص الكاملة حيث ختم دراسته بفهرس تفصيلي للشواهد القرآنية التي وظّفها الإمام (عليه السلام) في كلامه، وقد رتبها بحسب أسبقيتها في نهج البلاغة.

ومنهج الباحث في عرض مادته العلمية يقوم على البدء بذكر خصائص هذه الموضوعات في القرآن الكريم عن طريق عرض بعض الأمثلة القرآنية ومن ثم يعرض لخصائصها في نهج البلاغة ليبين مدى التطابق الحاصل بينهما، وهذا التطابق تارة يكون بين

الألفاظ ودلالاتها سواء كانت حقيقية أو مجازية، أي أن الإمام استعمل هذه الألفاظ بدلالاتها القرآنية (المجازية والاستعارية والكنائية) وتارة يمتد هذا التطابق أو التشابه ليكون في شكل الطريقة التي انتهجها القرآن الكريم ونهج البلاغة في بعض هذه الموضوعات مثل بناء الجملة وطريقة التشبيه وغيرها.

لقد أثبت الباحث كثيرا من الاقتباسات القرآنية التي وظّفها الإمام في كلامه على مستوى المفردات والنصوص والأساليب والموضوعات، ودلّل على مدى انصهار روح الإمام بروح القرآن الكريم بحيث أضحي نهج البلاغة بالدليل العلمي والعملية الصدى الحقيقي للقرآن الكريم، بيد أن تبنيه هذا المنهج في عرض مادته العلمية جعله في بعض الأحيان يذهب إلى تأثر نهج البلاغة بالقرآن الكريم كونهما يشتملان على الموضوع نفسه مثل التقديم والتأخير في أركان الجملة ^(١) أو حذف بعض أجزائها ^(٢) أو طولها ^(٣) أو تكرار بعض الحروف أو الألفاظ فيها ^(٤)، أو حدوث الجناس أو التوازن بين بعض ألفاظها ^(٥) إلى غير ذلك.

وأرى أن هذه الموضوعات هي غير منحصرة في القرآن الكريم وإنما تمتد لتشمل سائر كلام العرب ، فهذا الاستنتاج في بعض حالاته غير دقيق؛ لأن هذه الأساليب تمثل مظهرا من مظاهر اللغة العربية، و هي فنون أصيلة تستمد أصلاتها من أصالة اللغة وعراقتها، والعرب كانت تميل بطبيعة سلفتها إلى التوسع والتفنن في كلامها، والتنوع في تعابيرها ، وعلى الرغم من موافقتي لما ذهب إليه الباحث من أن الإمام (عليه السلام) كان متأثرا في هذه الأساليب بالقرآن الكريم، إلا أنني لا أوافقه على قصر هذا التأثير بالقرآن الكريم وحده، وإنما يدل أيضا على استيعاب الإمام للغة العربية وتفننه في توظيف أساليبها، وتمكنه من بناء مفرداتها في خطاب يحقق وظيفة الإمتاع والإفهام، فلو وقفنا على ما قال به الأوائل في هذه الأساليب - وهم يدرسون القرآن الكريم - لتبين لنا أصلاتها من جهة، وشيوع استعمالها من جهة أخرى، فاستعمال الألفاظ في دلالات مجازية - مثلا - لا يمكن حصره في القرآن الكريم ومن ثم القول بأن هذا

(١) ينظر: أثر القرآن الكريم في نهج البلاغة: 117 - 127.

(٢) ينظر: نفسه: 127 - 134.

(٣) ينظر: نفسه: 150 - 160.

(٤) ينظر: نفسه: 282 - 304.

(٥) ينظر: نفسه: 304 - 346.

الأسلوب لما كان موجودا في نهج البلاغة فهو دليل على تأثر النهج بالقرآن الكريم، فقد قيل " كان المجاز عندهم - أي العرب - منهلا وموردا عذب الارتشاف، وسبيلا مسلوكا لهم على سلوكه انعكاف، ولذلك كثر في كلامهم حتى صار أكثر استعمالا من الحقائق" ^(١)، فالقول بتأثر كلام الإمام (عليه السلام) بالقرآن الكريم لأنه يشتمل على هذه الأساليب، هو قول فيه نظر، ويصح مثل ذلك لو كان استعمال هذه الأساليب مقصورا على القرآن الكريم من دون سائر كلام العرب.

ومن النظر فيما قدمه الباحث ولاسيما في الباب الأول نرى أنه أراد أن يشير إلى كثرة ما اقتبس الإمام من ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه وبالدلالات نفسها فضلا عن الصور الفنية، بيد أنه وجد أن هذه الألفاظ أو التراكيب قد تكون بدلالات حقيقية أو مجازية أو تشبيهية أو استعارية أو كنائية أو ذات إحياءات صوتية فعمد إلى بيانها كل حسب موضوعه، فهذا الباب بمجمله يدور حول استظهار المفردات أو التراكيب المقتبسة من القرآن الكريم من دون أن يركز على بيان الأسباب التي دفعت الإمام إلى استدعاء هذه المفردات أو التراكيب، كما أنه لم يقف على الأسباب التي جعلت الإمام يغير في بنية بعضها، وبمعنى آخر أن الباحث لم يبحث الوظائف الدلالية التي تؤديها، بقدر وقوفه على استظهار هذه النصوص المقتبسة، فهو لم يقف على الجانب الدلالي الذي أضفته هذه الاقتباسات على نص النهج، سواء أكانت هذه المفردات أم التراكيب اقتبسها الإمام كما هي أم غير في بنائها؛ لأنه لم يوازن بين سياقاتها القرآنية وسياقاتها في نهج البلاغة ليجد الوظيفة الدلالية التي تؤديها، وإنما وزن بينهما ليدلل على ملامح التأثير، إن مراعاة هذه الاعتبارات "تمثل الاتجاه الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى وتطبيق هذا المنهج ينبغي أن يصدق على النصوص المنطوقة ذات المقام الحاضر الحي كما ينبغي أن يصدق على النصوص ذات المقام المنقضي والذي يمكن إعادة بناءه بالوصف التاريخي، ومن هنا تأتي قيمة هذا المنهج لدراسة كتب التراث العربي، وإن الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعتبر دائما سبباً في قصور الفهم" ^(٢)، ولعل الباحث يدرك أن وراء هذه الاقتباسات غرضا دلاليا وتوظيف فني، إلا أنه لم يقف عند بيانه؛ لأنه كان مهتما في بيان أثرها في صياغة نهج البلاغة أكثر من بيان أثرها في دلالاته.

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن قيم الجوزية: 14.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : 372

والمحاولة الوحيدة التي تسجل للباحث في بيان الأثر الدلالي للاقتباس يمكننا أن نتلمسها في الفصل الثاني من الباب الثاني الذي خصصه لرصد الآيات القرآنية التي اقتبسها الإمام بشكل مباشر من دون أن يغيّر في بنيتها أو يعيد صياغتها، حيث ذكر أن الإمام اتبع ثلاثة أساليب في اقتباس الشاهد القرآني وهي: نسبة الشاهد، وعدم نسبته، وإبراده في آخر النص (التذييل) وقد مثّل لكل أسلوب منها بأمثلة يسيرة، ليختم ببيان الوظيفة التي يؤديها الشاهد القرآني، وقد حصر هذه الوظائف بـ (اصلاح الذات وتهذيب النفس، والترغيب والترهيب، والوظيفة العبادية، والاحتجاج، والوظيفة العقلية) وأرى أن هذه ليست وظائف دلالية تكشف عن مضمون ما يريده الإمام ومن ثمّ فهي لا تساعد على تفسير النص، وإنما الأجدر بالباحث إذا كان يريد إظهار الأثر الدلالي الذي تتركه هذه الاقتباسات على نص النهج كان عليه أن يستظهر سياقات هذه النصوص القرآنية ويربطها بسياق حال المتكلم أو المتلقي ليجد المطابقة بين السياقين فيصبح لديه المعنى الذي يريده الإمام واضحاً، وأما ما ذكره الباحث من وظائف يمكننا أن نطلق عليها أغراضاً إيحائية أو دلالات إضافية؛ لأن مهمة الباحث الدلالي الكشف عن مضمون النص وتفسيره أولاً، ومن ثم بيان ما يشتمل عليه من دلالات ثانوية أو إيحائية، فالباحث رصد ظاهرة الاقتباس رسداً سطحياً مكتفياً ببيان تأثير نهج البلاغة بالقرآن الكريم في صور متعددة من دون تحليلها بعمق أو تبيان أثرها في المتلقي واكتشاف معانيها المتولدة الجديدة^(١).

واحتذت الباحثة نجلاء عبد الحسين عليوي المنهج نفسه في دراستها المصادر التي استقى منها الإمام صوره وهي القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والأمثال، مفردة لكل مصدر منها مبحثاً مستقلاً، والباحثة - في هذه المباحث - حاولت إظهار مدى تأثير الإمام بهذه المصادر، ففي القرآن الكريم أظهرت تأثير الإمام به عبر اقتباس آياته واستعمال دقّة دلالة مفرداته، والحدو على منهاجه في صياغة عباراته ورسم صوره وتشبيهاته^(٢)، بيد أنها لم توفّق في تسمية بعض عناوينها من ذلك عنوان (انتقاء المفردة القرآنية) فما بحثته تحت هذا العنوان لا يتعلق باقتباس المفردات القرآنية، وإنما يتعلق باستعمال المفردات على وفق دلالاتها القرآنية وفرق بين الاثنين، فالمفردات

(١) وقد ذهب إلى هذا الرأي أحد الباحثين في نهج البلاغة، ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة: 152، هامش: 3

(٢) ينظر: الصورة البيانية في خطب الحرب في نهج البلاغة: 16 - 38

القرآنية هي المفردات التي تكون شديدة التعلق بالقرآن الكريم وكأنها مخصصة به دون سواه فمجرد سماعها يقفز إلى ذهن المتلقي حضورها القرآني لتستدعي معها النص الذي يشتمل عليها، مثل: الأمشاج، لغوب، قارعة، الأجداث، وغيرها مما أشار إليها معظم الباحثين في نهج البلاغة وفي غيره، وهو ما لم تذكره الباحثة، وأما الدلالة القرآنية للمفردات فتتمثل في المفردات التي امتاز القرآن الكريم في تحديد دلالتها خلافا لما هو متعارف عليها ولاسيما في الألفاظ المتقاربة الدلالة مثل (المطر والغيث) و(الريح والرياح) و(العيون والأعين) وغيرها أو دلالة الاسم على الثبوت والاستقرار ودلالة الفعل على الحدوث والتجدد، فهذه الألفاظ شائعة الاستعمال بين الناس ولكن القرآن ميّزها بدقة معانيها، وفصل بين دلالاتها، وهذا هو الذي تناولته الباحثة فهي تريد القول إن الإمام (عليه السلام) لم يخرج عن المعنى الذي وضعه التعبير القرآني لمثل هذه الألفاظ؛ ولذا كان عليها أن تكون دقيقة في عنوانها مثل (استعمال الألفاظ بدلالاتها القرآنية).

وأما تأثر الإمام بالحديث النبوي الشريف فقد تلمسته في مظهرين: الاقتباس باللفظ، والاقتباس في المعنى موردة أمثلة لهما مستنتجة أن الإمام (عليه السلام) اقتبس من الحديث لفظه، وانتفع بصياغاته، واستمد منه تراكيبه^(١)، وأما تأثر الإمام بالشعر فقد ذهبت الباحثة إلى أن نصيبه محدود في مد الإمام بالصور البيانية، معللة ذلك بأن هذه الصور لم تعد ذكريات فاعلة في الإنسان العربي المسلم في إطاره الجديد^(٢)، وقد ذهب إلى هذا الرأي قبلها الباحث عباس علي حسين^(٣) ولا أوافق الباحثين فيما ذهبوا إليه؛ لأن حكمهما لم يكن مبنيا على قراءة نهج البلاغة بصورته الكاملة، وإنما منحصر في الخطب وحدها أو في خطب الحرب فقط هذا من جانب، ومن جانب آخر أنهما إذا كانا يقصدان أن الإمام لم يقتبس الصور البيانية التي وردت في الشعر كما هي فهو صحيح وهذا الحكم ينطبق على اقتباساته القرآنية أيضا فالإمام هضم هذه الصور وأعاد تمثيلها بأسلوب آخر، وإلا فإن لغة الإمام شعرية وإن لم تكن شعرا بالمعنى المتعارف عليه، فقد أخذ الإمام جميع ما في الشعر من خصائص ومميزات ووظفها في كلامه وزاد عليها، فهل خلت صورته من العاطفة والانفعال، والإيقاع والخيال، التي هي من أظهر عناصر الشعر؟ بل "إن عاطفته كانت شاملة أخذت عليه جميع فكره وقلبه أخذا متفاعلا متبلورا، فكانت قوية تخللت كل ما تناوله وانسابت في

(١) ينظر: الصورة البيانية في خطب الحرب في نهج البلاغة: 28 - 35.

(٢) ينظر: نفسه: 38.

(٣) ينظر: التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام): 186، 192.

دقائقه نابضة به في كل جزئية ومنعطف" ^(١)، وأما مظاهر الإيقاع فقد تصدى الباحثون لكشفها وبيان مواقعها في ألفاظه وعباراته وصوره ^(٢)، فقد وفر الإمام لألفاظه عناصر إيقاعية أكسبتها موسيقى ملحنة منحت فقراته تفعيلات دائرة على مستويي الموسيقى الداخلية والخارجية، حتى ذهب الباحث كامل حسن البصير إلى أن الإمام " كان يتقن في إدارة سجعته في نهاية جمل فقراته المشبعة بأضرب من الموسيقى الملحنة بألوان من الإيقاعات بشكل صير تلك الجمل أسطر أبيات" ^(٣) إن كثرة العناصر الشعرية التي اشتملت عليها ألفاظ الإمام وصوره أغرت بعض الباحثين في تتبعها وتحليلها ^(٤). فضلا عن ذلك إن ما ذهب إليه الباحثان يؤكد لنا بوضوح أنهما يبحثان عن تأثير الإمام بالشعر لا عن أثر الشعر في توضيح صور الإمام وإن ذكرا أمثلة لاستشهاده بالشعر في خطبه الحربية أو خطبه بشكل عام. وأما تأثير الإمام بالأمثال فقد بينت الباحثة أنه جاء بطريقتين: التضمين أو التلميح، والأمثال المبتكرة، وقد أوردت لكل طريقة أمثلة وقفت عندها مبنية معانيها بصورة موجزة، وتأثرت الباحثة - في ما قدمته في هذا الفصل - بالباحث عباس علي حسين واضح سواء على مستوى التقسيمات أو على مستوى الأمثلة.

لقد ركزت الباحثة - في ما قدمته من أمثلة - على مدى تأثير الإمام بهذه المصادر وأغفلت بيان أثرها الدلالي في نهج البلاغة، مكتفية في معظم شواهداها بالاقتصار على ذكر محل الشاهد مما جعلها تقدم شرحا سطحيا، وليس تحليليا يمتاز بالعمق في استكناه الوظيفة الدلالية لهذه الظاهرة.

ونخلص من ذلك إلى أن الدراسات ضمن هذه المجموعة لم تكن معنية ببيان الأثر الدلالي للاقتباس أو التضمين في نهج البلاغة بقدر عنايتها في إثبات المرجعية الدينية أو الأدبية التي حظي بها النهج على الرغم من اشتغالها على بيان بعض الوظائف الدلالية للاقتباس.

المجموعة الثالثة: ويتصدر هذه المجموعة الباحث كامل حسن البصير حيث خصص قسما من الفصل الثاني في الباب الثالث من دراسته للوقوف على المصادر التي استعان بها الإمام في كلامه تحت عنوان (مصادر لغة الإمام) وقد حدد الباحث المصادر التي أخذ منها الإمام لغته

(١) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 434.

(٢) ينظر: المبحث الثاني في الفصل الأول من دراستنا.

(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 349.

(٤) ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة.

وهي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي والأمثال، واكتفى برصد أمثلة من هذه النصوص مع بيان أسلوب الإمام في التعامل معها، من دون تحليلها، فقد بين أن الإمام استقى من القرآن الكريم من جهات خمس ^(١): أولها: الألفاظ المفردة وقد أسماها الباحث (الوجهة المعجمية)، وثانيها: الاستشهاد بالآيات القرآنية، وثالثها: هضمه الآيات القرآنية وتمثيله إياها، ورابعها: صياغته عباراته على منوال الصياغات القرآنية، وخامستها: أخذه معاني قرآنية وصياغتها بأسلوبه الخاص. وأما الحديث النبوي فقد ذكر له أمثلة توزعت بين ما استشهد به الإمام من أحاديث النبي (ص) وهي التي يتصدرها سمعت رسول الله (ص) يقول، أو قال لي رسول الله (ص)، ونظائرها، وبين المعاني التي أخذها من كلام النبي (ص) وأعاد صياغتها في ألفاظه وتعبيراته ^(٢)، وأما مظاهر أخذه من الشعر العربي فهي ثلاثة ^(٣): أولها: الاكتفاء بكتابة مقاطع شعرية وإرسالها، وثانيها: درج أشطر أبيات في فقراته كما لو كانت جزءاً منها، وثالثها: الاستشهاد بأبيات شعرية معلنا عن أصحابها، أو مكتفياً بالتنبيه إليها، وأما أخذه الأمثال فقد تجلّى في أسلوبين ^(٤): أولهما: الاستشهاد بها في درج عباراته كما هي أو قريبة مما هي من دون التنبيه إليها، وثانيهما: هضمها في تعابيره وحلها بين طيات كلمه بشكل محكم متقن لا ينتبه إليه ولا يحسن به إلا بإشارة ترشد إليه وتكشف عن مكنه. وقد أضى منهج الباحث كامل حسن البصير في طريقة عرضه مصادر لغة الإمام (عليه السلام) وبيانه للأساليب التي اتبعها الإمام في أخذه من هذه المصادر من دون التحليل أو بيان الأثر الدلالي لها معينا لكثير من الباحثين الذين أعقبوه حيث اكتفى بعضهم بإعادته، والتزم بعضهم الآخر تقسيماته مع تغيير الأمثلة بما يتناسب وموضوع دراسته.

إذ أعاد الباحث حسن هادي نور جميع ذلك في التمهيد بشكل مختصر باستثناء الشعر العربي إذ لم يذكره في (مصادر ثقافة الإمام) من دون أن يذكر السبب ^(٥). مضافاً عند ذكر هذه المصادر إحصاءً لها أخذه عن الدكتور صبحي الصالح في ضبطه كتاب نهج البلاغة.

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: 289 – 298.

(٢) ينظر: نفسه: 299 – 301.

(٣) ينظر: نفسه: 301 – 303.

(٤) ينظر: نفسه: 303 – 306.

(٥) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: 4 – 8.

ولم يختلف منهج الباحث علي فرحان جواد عن ذلك بالرغم من تناوله هذا الموضوع تحت عنوان (الدلالة النصية) إذ أطلق على هذه المصادر الدلالة القرآنية، والدلالة الحديثية، والدلالة الشعرية، والدلالة المثلية، ومع ذلك فهو لم يبين الدلالات التي استوحاها المتلقي من توظيف الإمام لهذه المصادر، وإنما اكتفى برصد بعض الأمثلة ذات المرجعيات الثقافية من دون تحليلها مبينا الطريقة التي اعتمدها الإمام في التعامل مع هذه المصادر ولاسيما مع القرآن الكريم^(١)، فقد ذكر أن الإمام تعامل مع القرآن الكريم في نواح عدة منها: الاستشهاد بالآية، أو جعل النص القرآني حكما، أو الاعتماد على لفظة من آية قرآنية، أو الاعتماد على قسم من آية قرآنية، أو يستوحي من الآية حكما، أو يضمّن كلامه إشارة صريحة للقرآن، أو يضمّن إشارة غير صريحة للقرآن، أو يتحدث بما يطابق القرآن، أو يفسر آيات القرآن، أو يكون كلامه على نسج أسلوب القرآن، وغير ذلك وقد مثل لكل أسلوب من هذه الأساليب بأمثلة يسيرة لا تتعدى المثال الواحد في بعضها، وأما في الحديث الشريف فقد ذكر أسلوبين لتعامل الإمام معه إما أن يصرح بنسبته إلى الرسول (ص) أو يلمح إليه، وأما في الشعر والأمثال فقد اكتفى بإيراد بعض الأمثلة.

وعقد الباحث محمد علي جواد البياتي مبحثا لبيان أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في الخطب الوعظية عند الإمام علي (عليه السلام) لم يقدم فيه سوى أمثلة أشار إلى أن الإمام اقتبس فيها من القرآن الكريم والحديث الشريف، من دون أن يبين أساليب الإمام في الاقتباس، وأغلب هذه الأمثلة تدور حول اقتباس المفردات أو التراكيب أو النصوص، فضلا عن ذلك أن الباحث لم يقف عند بيان دلالات هذه الأمثلة فلم يتناولها بالتحليل ليكشف عن معانيها، وإنما اكتفى ببيان بعض معاني مفرداتها، فالباحث يذكر النص ثم يشير إلى الآية القرآنية أو الحديث الشريف الذي أخذ عنه الإمام^(٢).

وممن اتبع تقسيمات الباحث كامل حسن البصير من دون الإشارة إليه مع تغيير الأمثلة الباحث علي فرج نعمة عند تخصيص الفصل الأول من دراسته لذكر (مصادر الصورة البيانية

(١) ينظر: لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: 215 – 225.

(٢) ينظر: الخطب الوعظية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة موضوعية فنية: محمد جواد علي البياتي:

150 – 159.

في نهج البلاغة) ^(١) مقسما هذه المصادر إلى دينية وثقافية، فالدينية هي: القرآن الكريم، وأساليبه: انتقاء المفردات، والاقتباس اللفظي، والاقتباس المعنوي ويتمثل في هضم الإمام للآيات القرآنية وتمثيله إياها، وأخذ معاني القرآن وصياغتها بأسلوبه الخاص، والحديث الشريف، وأساليبه: الاقتباس اللفظي، والاقتباس المعنوي، وأما المصادر الثقافية فهي الأمثال، وأساليبه: الاستشهاد بها من خلال عباراته وقره كما هي أو قريبة منها، وتضمن الإمام معناها، والشعر العربي، وأساليبه: تضمين بيت كامل، أو شطر بيت.

إن ما قدمه الباحث من شواهد على وجود هذه المصادر في نهج البلاغة وفي أساليبها المختلفة - ولاسيما في القرآن الكريم والحديث الشريف - لا يعدو عن تقديم الشاهد لإثبات الحالة من دون الخوض في شرح هذه الشواهد أو بيان ما تركته هذه المصادر من أثر في دلالة النهج.

نخلص من ذلك إلى أن هذه الدراسات جميعها اتفقت على رصد المصادر الثقافية التي اشتمل عليها نهج البلاغة وأشارت إلى الأساليب التي اعتمدها الإمام في التعامل معها، بيد أنها اختلفت فيما بينها من عدة جهات أظهرها:

- ١ - رصد الجانب الدلالي لهذه المصادر من عدمه، وبناء على ذلك لا يمكننا أن نعدها جميعا تمثل درسا دلاليا خالصا باستثناء المجموعة الأولى، أو بعض الإشارات المتناثرة في المجموعة الثانية، كما أن التفاوت في إظهار الجانب الدلالي سمة من سمات الدراسات التي ضمتها المجموعة الأولى.
- ٢ - التباين التام في طريقة شرح النصوص ذات المرجعيات الثقافية بين التعمق في إظهار الدلالة، وبين الشرح الظاهري السطحي، وبين الاكتفاء بإيراد النصوص من غير شرح.
- ٣ - التباين في رصد الأمثلة، سواء أكان ذلك من جهة عددها أم من جهة طريقة إيرادها، فقد اكتفى بعضهم بإيراد الأمثلة في حدود مرجعياتها الثقافية أي قطع النص من سياقه والاكتفاء بإيراد ما اشتمل على محل الشاهد فقط، مما أدى إلى خفاء دلالة النص وغياب فكرته العامة، في حين ساق بعضهم الأمثلة في سياقها الذي يوضح معناها

(١) ينظر: الصورة البيانية في نهج البلاغة: 1 - 43.

ويكشف عن مضمونها.

٤ +الاتفاق في معظم التقسيمات التي تتدرج تحتها النصوص ذات المرجعيات الثقافية، إذا أفاد الباحثون بعضهم من بعض، فضلا عن الامتاع من معين واحد في هذه التقسيمات وهو الدراسات البلاغية، بيد أنهم اختلفوا في تسمية هذه التقسيمات من حيث المصطلح فقد رأينا فيما بينهم تباينا في حدّ الاقتباس أو التضمين أو الشاهد أو التناص، فقد أطلق الباحث كاظم عبد فريح المولى على النصوص الدينية (القرآن الكريم والحديث الشريف) التي وظفها الإمام من دون نسبتها مصطلح الاقتباس ، وأطلق على النصوص الأدبية (الشعر والأمثال) التي وظفها الإمام من دون نسبتها مصطلح التضمين، ولم يتناول النصوص التي وظفها الإمام وقد أثبت نسبتها لأنها يصدق عليها مصطلح الاستشهاد إذ لا علاقة له بالاقتباس أو التضمين، في حين أطلق الباحث خالد كاظم حميدي مصطلح الاقتباس على النصوص الدينية سواء نسبها الإمام أو لم ينسبها، وأطلق مصطلح التضمين على النصوص الأدبية التي وظفها الإمام سواء نسبها أو لم ينسبها، وبهذا جعل الاستشهاد ضمن الاقتباس أو التضمين، والباحثان أطلقا مصطلح الاقتباس أو التضمين على النصوص التي وظفها الإمام في كلامه سواء أكان هذا التوظيف من دون تغيير في النص أم غير الإمام فيه أو أعاد صياغته، فالتقسيم قائم على أساس نوع النص (ديني أو أدبي)، أما الباحث طارق محمد حسن فقد أطلق مصطلح الاقتباس على النصوص الدينية والأدبية التي صرح الإمام بنسبتها، ومن ثم وظفها من دون أن يغير فيها (أي أوردتها كما هي)، وأطلق مصطلح التضمين على النصوص الدينية والأدبية التي لم يصرح الإمام بنسبتها، وقد وظفها من دون تغيير، وأما النصوص الدينية والأدبية التي غير الإمام فيها أو أعاد صياغتها فقد أطلق عليها مصطلح الحلّ، وبهذا يكون الباحث قسم الاقتباس أو التضمين على النصوص التي وظفها الإمام من دون تغيير اعتمادا على نسبة النص أو عدم نسبته لا على أساس النوع الديني أو الأدبي، وأطلق الباحث عبد الهادي عبد الرحمن علي الشاوي مصطلح الاقتباس على النصوص الدينية ومصطلح التضمين على النصوص الأدبية وعنده الاقتباس والتضمين في النصوص التي لم يحدث فيها تغيير، وأما إذا

حدث فيها حذف أو إضافة أو إعادة صياغة فهو (تتاص)، وبهذا نلاحظ أن الباحثين قد اعتمدوا ثلاثة معايير في هذه التقسيمات المعيار الأول: جنس النص أو نوعه (ديني أو أدبي)، والمعيار الثاني: طريقة توظيف النص (بصورة مباشرة من دون تغيير، أو بصورة غير مباشرة بحذف أو إضافة أو إعادة صياغة)، والمعيار الثالث: نسبة النص أو عدم نسبته، فبعض الباحثين اعتمد معيارا واحدا من هذه المعايير وبعضهم اعتمد معيارين.

الخاتمة

الخاتمة

كان اختيار هذا الموضوع يهدف إلى إظهار الجهد اللغوي الذي سعى الباحثون إلى إظهاره والتدليل عليه ومن ثم جعله سمة مميزة لإبداع الإمام علي (عليه السلام) وفي ضوء المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد التقويم، سعينا إلى الكشف عن ذلك الجهد مع بيان ما فات الباحثين، أو تفاوتهم في دراسة مستويات هذا الدرس، أو الوقوف عند المشكلات التي أثارها هذه الدراسات، وقد ذكرنا عقب كل مبحث في فصول هذه الدراسة مجموعة ملاحظات أو نتائج، وقد بلغ بنا المطاف إلى إعادة صياغة قسم منها بما يحقق لها الشمولية في كل مستوى من هذه المستويات. لتكون نتائج مشوبة بتوصيات:

1_ في المستوى الصوتي: اتفق الباحثون جميعا على أن أصوات ألفاظ الإمام (عليه السلام) موحية دالة، إلا أنهم تباينوا في ذكر الأمثلة التطبيقية على ذلك من جانب، وفي طريقة معالجتها من جانب آخر.

2_ تباين الباحثون في إظهار القيم الدلالية والنفسية والموسيقية في ألوان البديع المختلفة التي اشتمل عليها نهج البلاغة، إذ ركّز بعضهم على إظهار القيمة الدلالية فقط لهذه الألوان البديعية، في حين ركّز بعضهم الآخر على إظهار القيمة الموسيقية والجمالية والإيقاعية، وأهمّل الجميع قراءة الجانب النفسي عند المتكلم الذي تضيئه هذه الألوان البديعية، إذ لها دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه ، وإن هذا الاختلاف أو التباين ناتج عن طبيعة دراسة كل منهم من جانب، وتفاوتهم في ميدان التحليل الصوتي نتيجة تفاوتهم في الذائقة والخبرات من جانب آخر.

3_ بذل الباحثون في نهج البلاغة جهدا كبيرا في رصد الأنساق الصوتية والتدليل عليها بما يقابلها من مصطلحات تحت مسميات مختلفة مع بيان الأثر الوظيفي لها متباينين في استيعاب هذه الأنساق جميعا كما أن منهجهم في عرض المادة العلمية التي تدخل تحت هذه الأنساق الصوتية كان متباينا أيضا ، وسبب هذه التباين أن كل باحث استند إلى تقسيم من تقسيمات البلاغيين اعتمده منها في دراسته ، بيد أن من يجمع ما قدّموه في هذا الجانب يجده قد

استوعب الدرس الصوتي في نهج البلاغة ، وهو يتساق و ما أكدته الدراسات المعاصرة في علاقة الصوت بالمعنى والنغم.

4_ وفي المستوى الصرفي: لم يدرس أحد من الباحثين الصيغ الصرفية جميعها في نهج البلاغة بشكل مستقل، إذ انفرد كل باحث بدراسة جانب من هذه الصيغ سوى دراستين، ومن ثمّ هناك صيغ صرفية لم يتناولها الباحثون وهي: صيغ الأسماء، والتنثنية، والجمع السالمة، وجمع الجمع، واسم الجمع، واسم الجنس، والتأنيث، والتصغير، والنسب، والتغيرات التي تطرأ على الأفعال.

5_ اعتمد الباحثون جميعاً على منهج واحد وهو المنهج التعليمي في التصريف الذي يقوم على رصد الصيغة ومن ثم إحصائها - عند بعضهم - وتلمس دلالاتها في ضوء ما قال به الصرفيون، فلم يتناولوا تحليل النصوص التي ضمت هذه الصيغ، وإنما اكتفوا ببيان دلالات الصيغة وحدها، إلّا في أمثلة قليلة عند بعضهم.

6_ لم يخرج الباحثون في نتائجهم عمّا قال به الصرفيون القدامى، أو ما أقرته المجامع العلمية في هذه الصيغ سواء كان ذلك من حيث الكثرة والشيوع أو القلّة، أو من حيث الدلالات والمعاني، إذ جاءت متساوقة معها، سوى إضافة بعض الدلالات الجديدة لهذه الصيغ ومعظمها دلالات معجمية تتعلق بالمعنى اللغوي لهذه الألفاظ أكثر من تعلقها بمعاني الصيغ، وهذا لا يقلل من جهدهم بقدر ما يشير إلى المنهج الذي سلكوه في دراساتهم، فما قدمه الباحثون من دراسات صرفية في نهج البلاغة يمثل جهداً كبيراً يضاف إلى ما قدمه الباحث العراقي في تعزيز هذه القواعد الصرفية وترسيخها من خلال رصد الأمثلة الكثيرة لها من نهج البلاغة .

7_ على الرغم من تناول بعض الباحثين صيغ الجموع في نهج البلاغة فإن هذا الموضوع بحاجة إلى إعادة بحث بشكل أكثر تفصيلاً؛ إذ لم يقف الباحثون عليه سوى على صيغ جموع التكسير، من دون إحصاء هذه الصيغ.

8_ وفي المستوى النحوي: تناول الباحثون جوانب مختلفة في تراكيب نهج البلاغة عكست مناهج مختلفة وطرائق متباينة في الرصد والتحليل، إذ تناولوا ما فيه من تراكيب لغوية تعدّ شاهداً على قاعدة نحوية إيجاباً بإثباتها، أو سلباً بتشذيبها أو ندرتها، وتناولوا بلاغة هذه التراكيب ودلالاتها.

9_ لم يختلف منهج الباحثين دارسي التراكيب النحوية الشكلية عن منهج الباحثين دراسي معاني هذه التراكيب، على الرغم من أن هذا الأخير يشتمل على تحليل النصوص، فإنهم جميعا يتلمسون سبيلا يهدف إلى رصد أمثلة من نهج البلاغة ليعززوا بها شرعية ما قال به النحويون من قواعد وأحكام، أو ما قال به البلاغيون في معاني هذه التراكيب، فالباحثون لم يدرسوا التراكيب اللغوية عند الإمام دراسة أسلوبية من خلال إحصائها وتحليلها وصولاً إلى تفرد الإمام (عليه السلام) وتميزه بإيثارة تراكيب معينة على غيرها، وإنما درسوها دراسة تطبيقية في ضوء ما قدمه النحويون والبلاغيون، ولذا أرى أن ما توصل إليه الباحثون من نتائج لا تشكل فرادة في استعمال الإمام لهذه التراكيب دون غيره، فلو اتخذ الباحثون ميداناً تطبيقياً غير نهج البلاغة واتبعوا هذا المنهج لتوصلوا إلى هذه النتائج نفسها، لأن استبدال الشاهد بشاهد غيره من نهج البلاغة لا يعني دراسة أسلوب الإمام، ومن ثم أرى أن بعض هذه الدراسات التي اشتملت عنواناتها على عبارة (دراسة أسلوبية) كان الأليق بها أن تستبدل بـ (دراسة بلاغية تطبيقية).

10_ فصل الباحثون دلالات التقديم أو الحذف في كل قسم من هذه الأقسام (المبتدأ، الخبر، الفاعل المفعول به... إلى غير ذلك)، وأرى أن دلالات تقديم أو حذف أي عنصر من عناصر الجملة لا تختلف عن دلالات تقديم أو حذف عنصر آخر، فهذه الدلالات هي دلالات التقديم أو الحذف بشكل عام، ومن ثم أفراد الباحثين لكل عنصر من هذه العناصر، دليل على ما ذهبنا إليه في الفقرة السابقة من أنهم معنيون في تلمس الشاهد لكل بناء تركيبى أكثر من عنايتهم في إظهار الجانب الدلالي.

11_ إن بعض دلالات التقديم أو الحذف التي ذكرها الباحثون ناشئة إما عن طريق البحث في الدوافع النفسية التي جعلت المتكلم يلجأ إلى التقديم أو الحذف ولا دليل عليها في النص اللغوي، أو أنها مستوحاة من دلالة الكلمات الواردة في هذه التراكيب وليس من دلالة التقديم أو الحذف، فدلالة التعظيم والمدح والتحقير جاءت نتيجة سياق حُشد فيه من هذه الصفات ما يتآزر في تحقيق هذه المعاني.

12_ إن ما قدمه الباحثون في الدراسات نحوية يمثل جهداً كبيراً يضاف إلى ما قدمه الباحث العراقي في تعزيز هذه القواعد النحوية وترسيخها من خلال رصد الأمثلة الكثيرة لها

من نهج البلاغة من جانب، وتوظيف هذه القواعد في بيان المعنى من جانب آخر، فضلا عن ذلك فإن هذا الجهد سعى إلى فهرسة الجمل بأنواعها المختلفة على مستويي الأنماط التركيبية، والظواهر التركيبية، كما يمثل هذا الجهد تكملة لما بذله الباحثون في بيان الدلالة الصوتية والصرفية في نهج البلاغة ، فبتعاقد هذه الجهود جميعا يمكننا الوقوف على دلالة هذا النص، والكشف عن أسرار الإبداع اللغوي فيه.

13_ وفي المستوى الدلالي: حصر الباحثون دراساتهم في مجالات ثلاثة: أولها: دراسة المفردات، وثانيها: دراسة الإطار أو السياق، وثالثها: دراسة المصادر الخارجية وبيان أثرها في دلالة النص، وبذلك حصروا مجال علم الدلالة بالمعنى، غير أن بعضهم الآخر جعل علم الدلالة محصلة لمستويات اللغة المختلفة فهو يمثل عندهم فرعاً من فروع علم اللغة يحاول دراسة المعنى وسبر أغواره، وينظرون إليه على أنه الهدف النهائي من تحليل البنية صوتياً وصرفياً ونحوياً.

14_ لجأ بعض الباحثين إلى الوقوف على مجموعة محددة من ألفاظ نهج البلاغة، وهذه الألفاظ غالباً ما تصنف ضمن حقل دلالي واحد ، وعلى الرغم مما قدّمه في هذا الجانب، تبقى مثل هكذا دراسات عاجزة أمام تفسير النص وتحليل بنائه اللغوي، لأنها رصدت ركناً واحداً من أركان الدلالة وهو المعجم، فالنص بنية ذات عناصر متضافرة أصواتاً ومعجماً وتراكيب ودلالة، فليست هناك جدوى علمية من الإسهاب في الوقوف عند ألفاظ أي أديب إلا إذا كانت الغاية الرئيسة من ذلك دراسة الألفاظ دراسة بيئية تكشف عن علاقة صاحبها الأديب بالحياة وتشير إلى منبتها، وهذا ما لا أجده في مبتغى بعض الباحثين.

15_ اتفق الباحثون على أن نهج البلاغة اشتمل على صور فنية كثيرة عمدوا إلى إظهارها والتدليل عليها، بيد أن غاياتهم في دراسة هذه الصور كانت متباينة، وتبعاً لهذه الغايات اختلف منهجهم في تحليل هذه الصور بين الرصد السطحي والتحليل بعمق.

16_ اتفق الباحثون على أن كل موضوع من الموضوعات اللغوية التي تناولوها إنما هو متأثر أو مستند إلى مرجعيات ثقافية، أجمع الباحثون على بيانها، وبالرغم من اتفاقهم في رصد هذه المصادر إلا أن منهجهم في التعامل معها يختلف من باحث لآخر، وخلصنا نتيجة تأمل مناهج الباحثين إلى أن المنهج الذي يستقيم ومباحث الدراسات الدلالية هو المنهج الذي يتبنى إظهار الوظائف الدلالية للنص المقتبس أو المضمّن ، وما عدا ذلك لا يمكن أن يسجل على أنه

بحث دلالي خالص.

17_ وفي النتائج العامة التي تشمل المستويات جميعها: رصد البحث تفاوتاً عند بعض الباحثين سواء بين التنظير والتطبيق، أو الخروج عن موضوع الدراسة أو عدم دقة العنوانات على موادها.

18_ أفاد الباحثون بعضهم من بعض في مباحث الدرس اللغوي ، فضلاً عن ذلك أن هذه الدراسات تشترك في أسس، هي حصيلة التأثير والتأثير فيما بين أولئك الباحثين، ومن أظهر هذه الأسس هو الاشتراك في الأمثلة والتحليل؛ لأنها تنهل من معين واحد وهو نهج البلاغة وشروحه، والاشتراك أيضاً في التقسيمات لأنهم ينهلون من معين الدراسات البلاغية ويقتفون تقسيماتهم، بيد أن هذا التجانس لا يعني التطابق التام، ذلك أن كل باحث كان يسعى لإيضاح شخصيته التي تميزه عن غيره.

19_ إن أغلب هذه الدراسات اللغوية تجزئ النص وتحلل بناءه إلى جزئيات توصف في ضمن مستوى معين من مستويات النص من دون إعادة تركيبها مع المستويات الأخرى، لأنها غير معنية بذلك، ولهذا تبقى هذه الدراسات ضمن التوجهات التي تعنى بالجانب الشكلي البنيوي وحده من دون النظر إلى تكامل العمل أو كليته، فهي لم تكشف عن القيمة الـ دلالية الكلية الكامنة فيه، الفاتجة من مجموع تفاعل مستوياته المختلفة.

20_ لم يقدم الباحثون جميعاً إحصاء للصيغ والتراكيب، ومعظم الذين قدّموا إحصاء لم يثبتوه في ملاحق أو جداول، وبعض هذه الملاحق لم تحقق الفائدة المرجوة منها، إما لاقتصارها على ذكر أرقام الصفحات الواردة فيها الصيغ أو التراكيب، من دون ذكر الصيغ والتراكيب نفسها، أو أنها أغفلت جانباً مهماً من جوانب الإحصاء، ونرى أن الجهد الإحصائي إذا لم يبين عليه حكم ما كاطراد قاعدة أو الكشف عن ملمح أسلوبى فلا فائدة منه.

21_ إن ما قدمه الباحثون في الدراسات اللغوية يمثل استثماراً لجهود اللغويين والنحويين والبلاغيين الذين جعلوا من علم البيان نظرية دلالية كاملة الأبعاد، ويكشف عن قدرة الباحث العراقي في اغناء الدرس اللغوي بالشواهد اللغوية الفصيحة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع^١

- القرآن الكريم.
- أبعاد الصورة السمعية والإيقاعية في نهج البلاغة: د. شروق محسن كاطع الطائي (بحث)، أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة (سراج الفكر وسحر البيان)، ط 1، مركز دراسات الكوفة، 2011م.
- ابن جني عالم العربية: د. حسام سعيد النعيمي، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
- أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية: د. نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989م.
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديشي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1965م.
- الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس: صباح عباس سالم، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى جامعة القاهرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور محمود فهمي حجازي، 1398هـ - 1978م.
- أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: د. عصام نور الدين، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت 1982م.
- أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية: ميثاق علي عبد الزهرة الصيمري، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور عدنان عبد الكريم جمعة، 1424هـ - 2003م.
- أبنية المصادر في نهج البلاغة: فائزة عبد الأمير شمران الخاقاني، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، بإشراف الدكتور علي ناصر غالب، 1429هـ - 2009م.
- الأثر الدلالي للقرآن الكريم: هادي شندوخ حميد، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور عدنان عبد الكريم جمعة، 1429هـ - 2008م.
- الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون: عباس علي حسين الفحام، ط 1، العتبة العلوية المقدسة، منشورات الفجر، 1430هـ - 2010م.

(^١) رتبت المصادر التي استعنت بها في هذا البحث جميعها حسب حروف المعجم من دون أن أفرد للرسائل الجامعية أو البحوث العلمية قوائم خاصة بهما، ليسهل على القارئ الرجوع إلى أي مصدر من دون مشقة أو عناء، فضلا عن رغبة التمسيتها عند الأستاذ المشرف في استحسان هذا المنهج.

- إحياء النحو: إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1959م.
- الأداء البياني في خطب الحرب في نهج البلاغة: نجلاء عبد الحسين عليوي الغزالي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الكوفة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور حاكم حبيب الكريطي، 1423هـ - 2002م.
- أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، (د.ت).
- ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: د. مصطفى أحمد الزمّاس، ط1، مطبعة المدني، مصر، 1408هـ - 1987م.
- أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية: خالد كاظم حميدي الحميداوي، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الكوفة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور مشكور كاظم العوادي، 1432هـ - 2011م.
- أساليب التأكيد في نهج البلاغة دراسة دلالية: أصيل محمد كاظم، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القادسية، كلية التربية، بإشراف الدكتور جواد كاظم عناد، 1423هـ - 2002م.
- أساليب الطلب في نهج البلاغة: عدوية عبد الجبار كريم الشرع، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، بإشراف الدكتور علي ناصر غالب، 1421هـ - 2000م.
- الاستدلال في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: فاطمة كريم رسن، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية تربية البنات، بإشراف الدكتور حيدر لازم مطلق، 1430هـ - 2009م.
- إستراتيجيات التلقي في النص والتأويل مدخل نظري، محمد بن عياد، مجلة الأقلام، عدد: 4، آب، 1998م.
- أسرار البلاغة: الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني النحوي (ت 471هـ) أو (ت 474هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، ط 1، مطبعة المدني بجدة، 1412هـ - 1991م.
- الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة: د. عز الدين إسماعيل، ط 3، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي: د. ابتسام أحمد حمدان، مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود، ط1، دار القلم العربي، 1997م.
- أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، ط2، دار الكتب، 1982م.

- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1984م .
- أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية: يسرى خلف سمير ديوان السعيد، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة المستنصرية، كلية الآداب، بإشراف الدكتور نهاد فليح حسن العاني، 1430هـ - 2009م.
- أسلوب علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبه الحربية: علي أحمد عمران، (د.ط)، المكتبة المتخصصة بأمير المؤمنين (عليه السلام)، إيران، مشهد المقدسة، 1432هـ - 2011م.
- أسلوب النفي في نهج البلاغة، دراسة نحوية دلالية: عبد الكاظم جبر عبود، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القادسية، كلية الآداب، بإشراف الدكتور حاكم مالك الزيايدي (رحمه الله)، 1423هـ - 2003م.
- أسلوبية البناء الشعري دراسة في شعر أبي تمام: د. سامي علي جبار، ط 1، دار السيّاب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 2010م
- الأسلوبية الصوتية: د. محمد صالح الضالع، ط 1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م.
- إشكاليات القراءة وآليات التأويل: نصر حامد أبو زيد، ط 4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1996م.
- أصحح اطراد فُعُول مصدرًا لَفَعَلَ اللازم: د. جميل الملائكة (بحث): مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد: 29، لسنة 1978م.
- الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 1999م.
- أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة: د. محمد حسين الصغير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
- أصول تراثية في علم اللغة: د. زكي حسام الدين، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985م.
- أصول التفكير النحوي: د. علي أبو المكارم، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية، 1392هـ - 1973م.
- الأصول: د. تمام حسان، (د.ط) دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1981م.
- الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج (ت 316هـ) تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط 4، مؤسسة الرسالة، 1420هـ . 1999م.

- الأضداد في اللغة: حسين محمد، (بحث): مجلة اللسان العربي، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط، المغرب الأقصى، مج 8، ع 1، 1390هـ-1971م.
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: د. نايف خرما، المجلس الوطني للآداب والفنون والثقافة، الكويت، 1398هـ.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة: عبد الحميد أحمد يوسف هندأوي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2001م.
- الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة دراسة تفسيرية: د. محمود عبد السلام شرف الدين، ط1، دار مرجتن، القاهرة، 1413هـ - 1992م.
- الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: كاظم عبد فريح المولى، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية التربية، بإشراف الدكتور سوادي فرج مكلف، 1427هـ - 2006م.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: د. فاضل مصطفى الساقى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م.
- ألفاظ العقيدة والشريعة في نهج البلاغة، دراسة ومعجم: فضيلة عبوسي محسن، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، بإشراف الدكتور علي زوين، 1418هـ - 1998م.
- ألفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة: إيمان سامي محمد الشويكي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، كلية الدراسات العليا، بإشراف الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر، 2008م.
- الأمثال العربية القديمة: المستشرق الألماني رودلف زلهاييم، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، ط1، دار الإمان، بيروت، 1971م.
- الأمثال في نهج البلاغة: عبد الهادي الفضلي، مجلة رسالة الإسلام، كلية أصول الدين، بغداد، مطبعة الأزهر، عدد: 3 - 10، السنة الثانية، 1968م.
- أوزان الفعل ومعانيها: د. هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف، 1971م.
- أوضح المسالك على ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، ومعه كتاب عدّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 5، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، القاهرة، 1967م.

- الإيضاح العضدي: أبو علي الفارسي (ت377هـ)، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، مطبعة دار التأليف، القاهرة، مصر، 1389هـ . 1969م.
- الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت 739هـ)، حققه وعلّق عليه وفهرسه: د. عبد الحميد الهنداوي، ط 1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1999م.
- الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم: دراسة أسلوبية دلالية: عبد الواحد زيارة اسكندر المنصوري، رسالة ماجستير، مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور أحمد جاسم النجدي، 1416هـ - 1995م.
- الإيقاع في الشعر العربي: عبد الرحمن ألوجي، ط 1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، 1989م.
- البحث النحوي عند الأصوليين: د. مصطفى جمال الدين، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، 1980م.
- البحر المحيط: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (745هـ)، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، (د.ت).
- بحوث ألسنية عربية: ميشال زكريا، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، (د.ت).
- بديع القرآن: ابن أبي الاصبع المصري (ت 654هـ)، تحقيق: حنفي محمد شرف، ط 1، مكتبة نهضة مصر، 1957م.
- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أو الفضل إبراهيم، ط 1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1376هـ - 1957م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، 1992م.
- البلاغة الصوتية في القرآن الكريم: د. محمد إبراهيم شادي، ط 1، مؤسسة الرسالة، مصر، 1988م.
- البلاغة الفنية: د. علي الجندي، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966م.
- البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد الطلب، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1984م.
- بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي): د. محمد عبد المطلب، 1988م.

- بناء الجملة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط 1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م.
- بناء الجملة العربية في ديوان امرئ القيس: قيس إسماعيل الأوسي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القاهرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور محمود فهمي حجازي، 1397هـ-1977م.
- بناء الجملة العربية في ديوان النابغة الذبياني: عبد الجليل عبيد العاني، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القاهرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور محمود فهمي حجازي، 1397هـ-1977م.
- البنى النحوية: تشومسكي، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.
- البنى النحوية وأثرها في المعنى: أحمد عبد الله حمود العاني، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، بإشراف الدكتورة هدى محمد صالح التكريتي، 1423هـ - 2003م.
- بنية الخطبة في نهج البلاغة دراسة في ضوء نظرية أرسطو الخطابية: طارق محمد حسن مطر، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور ماجد عبد الحميد الكعبي، 1429هـ - 2008م.
- البنية الصوتية (الأمد والكثافة) للخطبة العلوية في نهج البلاغة (رد التحية إلى الله): د. أرشد الشيخ علي البهادلي، (بحث)، أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة (سراج الفكر وسحر البيان)، ط1، مركز دراسات الكوفة، 2011م. .
- بنية اللغة الشعرية: جان كوهين، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العمري، ط 1، دار توبقال، المغرب، 1986م.
- البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية: وسام جمعة لفتة المالكي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية التربية، بإشراف الدكتورة: سليمة جبار غانم، 1432هـ - 2011م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت 1205هـ)، تحقيق: عبد الستار احمد فراج وآخرين، الكويت، 1965م.
- التبصرة: مكي القيسي، تحقيق: د. محي الدين رمضان، نشر معهد المخطوطات العربية، الكويت، 1985م.

- تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة دراسة نحوية: كريم حمزة حميدي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، بإشراف الدكتور علي عبد الفتاح محيي الشمري، 1432هـ - 2011م.
- التراكيب الإسنادية، الجمل:(الظرفية، الوصفية، الشرطية): د.علي أبو المكارم، ط 1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1428هـ - 2007م.
- التصحيح والتكسير في اللغة العربية: د. عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة الخانجي، مصر، 1977م.
- تصريف الأسماء: محمد الطنطاوي، ط5، مطبعة وادي الملوك، مصر، 1955م.
- تصريف الفعل: أمين علي السيد، مكتبة الشباب، القاهرة، 1974م.
- تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون، ط 3، مركز النشر والتوزيع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، 1417هـ.
- التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام): عباس علي حسين الفحام، ط 1، مؤسسة دار الصادق الثقافية، 2012م.
- التطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، بيروت، دار النهضة العربية، 1973م.
- التطور النحوي للغة العربية: المستشرق الألماني برجشتراسر، أخرجه وصححه وعلّق عليه: د.رمضان عبد التواب، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1423هـ - 2003م.
- التعبير الموسيقي: د. فؤاد زكريا، ط1، مكتبة مصر، 1980م.
- تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة: محمود عبد حمد اللامي، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، بإشراف الدكتور صباح عباس السالم، 1429هـ - 2008م.
- التفسير في نهج البلاغة: كاسد ياسر الزيدي، مجلة رسالة الإسلام، كلية أصول الدين، 1971م.
- التفكير الصوتي عند الخليل: حلمي خليل، ط1، دار المعرفة، الإسكندرية، 1988م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية: د. عبد السلام المسدي، ط 2، الدار العربية للكتاب، 1986م.
- التقابل الدلالي في القرآن الكريم: منال صلاح الدين عزيز الصفار، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الموصل، كلية الآداب، 1414هـ - 1994م.
- التقابل الدلالي في نهج البلاغة: تغريد عبد فليحي كظوم الخالدي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، بإشراف الدكتور علي ناصر غالب، 1432هـ - 2011م.

- التقديم والتأخير في نهج البلاغة دراسة نحوية أسلوبية: رافد ناجي وادي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، بإشراف الدكتور سعدون أحمد علي الرّبيعي، 1430هـ - 2009م.
- التقييد في نهج البلاغة دراسة نحوية: عباس اسماعيل الغزّاوي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة المستنصرية، كلية التربية، بإشراف الدكتورة لطيفة عبد الرسول عبد علي، 1426هـ - 2006م.
- التكرار اللفظي أنواعه ودلالاته قديما وحديثا: صميم كريم الياس، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية، 1988م .
- التكرار مظاهره وأسراره: عبد الرحمن محمد الشهراني، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، بإشراف الدكتور علي محمد حسن العماري، 1983م.
- التكرير بين المثير والتأثير: د. عز الدين علي السيد، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1978م
- التلخيص في علوم البلاغة: أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني الشافعي (ت 739هـ)، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، ط 2، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1932م.
- التلقي والتأويل مقارنة نسقية: د. محمد مفتاح، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994م.
- تهذيب المقدمة اللغوية: عبد الله العلايلي، تحقيق: الدكتور أسعد علي، ط 3، دار السؤال، دمشق، 1985م.
- التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة: سامح رواشد، مجلة أبحاث اليرموك، أريد، الأردن، مجلد: 16، 1998م.
- التوازي في القرآن الكريم: وداد مكايي حمود الشمري، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، بإشراف الدكتور شجاع مسلم العاني، 1422هـ - 2001م.
- التوجيه الأدبي: طه حسين وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952م.
- تيسيرات لغويّة: د. شوقي ضيف، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1990م.
- ثلاثة كتب في الأضداد- للأصمعي والسجستاني ولابن السكيت: نشرها: د.أوغست هفتر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م.
- جامع الدروس العربية: مصطفى الغلايني، ط 11، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان، 1385هـ - 1966م.

- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، بغداد، 1980م .
- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير: د. أحمد ياسوف، ط 2، سوريا، دمشق، دار المكتبي، 1999م .
- جماليات النثر العربي الفني: د. طراد الكبيسي، دار الشؤون الثقافية العامة، الموسوعة الصغيرة (442)، بغداد، 2000م.
- الجمل التي لها محل من الإعراب في القرآن الكريم، دراسة نحوية ودلالية: صاحب منشد عباس الزبيدي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، بإشراف الدكتور صباح عباس السالم، 1419هـ - 1998م.
- الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية: حسن هادي نور تاج الدين، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، بإشراف الدكتورة حذام جمال الدين الألوسي، 1422هـ - 2001م.
- الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة نحوية: علي عبد الفتاح محيي الشمري، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، بإشراف الدكتور علي ناصر غالب، 1421هـ - 2001م.
- الجملة الشرطية عند النحاة العرب: أبو أوس إبراهيم الشمسان، ط 1، مطابع الدجوي، القاهرة، 1981م.
- الجملة الطلبية في شعر أبي تمام دراسة لغوية أسلوبية: سامي علي جبار، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور زهير غازي زاهد، 1406هـ - 1986م.
- الجملة الطويلة في القرآن الكريم: د. علي ناصر غالب، بحث منشور في مجلة دراسات نجفية، عدد: 2، لسنة: 2004م.
- الجملة العربية في ديوان لبيد بن ربيعة العامري: مجهد جيجان عبد الدليمي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القاهرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور محمود فهمي حجازي، والدكتور عبد الحميد السيوري، 1397هـ - 1977م.
- الجملة العربية، مكوناتها، أنواعها، تحليلها: د. محمد إبراهيم عبادة، ط 4، مكتبة الآداب القاهرة، 1428هـ - 2007م.

- الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية: محمود عبد حمد اللامي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القادسية، كلية التربية، بإشراف الدكتور جواد كاظم عناد، 1422هـ - 2001م.
- الجناس في نهج البلاغة: د. مهين حاجي زادة، د. رقية صادقة نيري، (بحث) أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة (سراج الفكر وسحر البيان)، ط 1، مركز دراسات الكوفة، 2011م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ)، تحقيق: د. طه م. حسن، بغداد، 1396هـ-1976م.
- جوهر القاموس في الجموع والمصادر: محمد بن شفيع القزويني، تحقيق محمد جعفر الكرباسي، (د.ط.)، منشورات جمعية منتدى النشر، النجف، 1982م.
- جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة): نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي (ت 737هـ)، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، (د.ط.)، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ت.).
- حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني: تحقيق: محمود بن الجميل، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2002م.
- حاجية الصورة في خطب علي بن أبي طالب: وسيمة نجاح، رسالة أستاذية، مرقونة في دار المعلمين العليا، تونس، 1999م.
- الحدود في النحو: الرماني (ت 384هـ)، تحقيق وشرح وتعليق: د. مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني، دار الجمهورية، بغداد، 1969م.
- الحديث الشريف في نهج البلاغة: جبار حمودي علي، مجلة رسالة الإسلام، كلية أصول الدين، بغداد، مطبعة الأزهر، ع 6 و 5، السنة الثالثة، نيسان، 1969م.
- الحذف صوره ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): هادي شندوخ حميد السعيد، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتورة عواطف كنوش مصطفى، 1424هـ - 2004م.
- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلّة: د. صالح أبو اصبع، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979م.

- حروف المعاني في نهج البلاغة دراسة نحوية: عبد الواحد وساك آل عجيل، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور عبد الحسين علك المبارك، 1427هـ - 2006م.
- الحقول الدلالية وإشكالية المعنى: أحمد جواد، مجلة المورد، وزارة الثقافة - جمهورية العراق، العدد: 2، لسنة: 2002م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، (د.ط)، المكتبة العلمية، (د.ت).
- الخطابة: أرسطو طاليس، ترجمة وشرح وتقديم: د. عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة والإعلام 1980م.
- الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية: حسين العمري، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2010م.
- الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية: إيمان عبد الحسن علي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، بإشراف الدكتورة أمل عبد الجبار كريم الشرع، 1429هـ - 2008م.
- خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة: أحمد هادي زيدان، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، بإشراف الدكتور صباح عباس السالم، 1427هـ - 2006م.
- خطب نهج البلاغة، دراسة توصيلية: فتن فاضل كاظم العبيدي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، بإشراف الدكتور قيس حمزة فالح الخفاجي، 1425هـ - 2004م.
- الخطب الوعظية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة موضوعية فنية: محمد جواد علي البياتي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة تكريت، كلية التربية، بإشراف الدكتور عبد اللطيف حمودي الطائي، 1426هـ - 2005م.
- دراسات في الأدوات النحوية: د. مصطفى الن مّاس، ط 1، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، مطابع دار القدس، الكويت، 1979م.
- دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م .
- دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.
- دراسات في اللغة: د. إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد، 1961م.

- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د. حسام النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، 1980م.
- دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ط1، عالم الكتب، 1976م.
- دراسة لغوية في أراجيز رؤية بن العجاج (القسم الأول): د. خولة تقي الدين الهلالي، بغداد، 1982م.
- دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): سمير داود سلمان، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور عبد الحسين علك المبارك، 1424هـ - 2003م.
- دروس التصريف: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3، مطبعة السعادة بمصر، 1958م
- دروس في البلاغة وتطورها: د. جميل سعيد، (د.ط)، مطبعة المعارف ببغداد، 1951م.
- دقائق التصريف: أبو القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب، تحقيق: د. حاتم الضامن، ط1، دار البشائر، دمشق، 2004م.
- دلائل الإعجاز: الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني النحوي (ت471هـ) أو (ت474هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط5، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 2004م.
- الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: د. صفية مطهري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.
- الدلالة الزمنية للجملة العربية: د. علي جابر المنصوري، ط1، مطبعة الجامعة، بغداد، 1984م.
- دلالة النداء في القرآن الكريم: حسين علي هادي، رسالة ماجستير، مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، 2006م.
- الدليل على موضوعات نهج البلاغة: علي أنصاريان، (د.ط)، إيران، 1398هـ.
- دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، ط3، مكتبة الشباب بمصر، 1972م.
- دينامية النص، تنظير وإنجاز: د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1987م.
- ديوان الأدب: اسحق بن إبراهيم الفارابي، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، القاهرة، 1394 - 1396هـ / 1974 - 1976م.

- رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: كامل حسن البصير، ط 1، دار المعرفة، بيروت، 2010م.
- رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية، سعد عزيز شنو، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور عبد الواحد زيارة اسكندر، 1431هـ - 2010م .
- رسائل الإمام علي دراسة لغوية: رملة خضير مظلوم البديري، العتبة العلوية المقدسة، 2012م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني: احمد بن عبد النور المالقي (ت 702هـ)، تحقيق: احمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1395هـ-1975م.
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1978م.
- الزمن في النحو العربي: د. كمال إبراهيم بدري، ط 1، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، 1984.
- شبه الجملة في اللغة العربية: عبد الإله إبراهيم عبد الله، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، بإشراف الدكتور: محمد حسين آل ياسين، 1403هـ . 1983م
- شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملوي، ط 2، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 2000م.
- شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري الهمداني (ت 769هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، دار الفكر، بيروت، 1985م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين الأشموني الشافعي (ت 900هـ)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1419 هـ . 1998م.
- شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي (ت 672هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، منشورات محمد علي ببيضون، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ - 2001م.
- شرح الحدود النحوية: عبد الله احمد بن علي الفاكهي (ت 972هـ)، دراسة وتحقيق: د. زكي فهمي الألوسي، 1988م.

- شرح الرضي على الكافية: محمد بن الحسن الرضيّ الاستربادي (ت 686هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، ط2، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، إيران، 1384هـ .
- شرح شافية ابن الحاجب: محمد بن الحسن الرضيّ الاستربادي (ت 686هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1395هـ - 1975م.
- شرح العبارة: الفارابي، نشر: ولهم كوتش اليسوعي، وستانلي مارو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1960م .
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: جمال الدين محمد بن مالك (ت 672هـ) تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد، 1977م.
- شرح الكافية الشافية: أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك الطائي (ت 672هـ)، تحقيق: عبد المنعم هريدي، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، (د.ت).
- شرح مراح الأرواح: ابن كمال باشا، ط2، مطبعة البابي الحلبي بمصر، 1937م.
- شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي يعيش النحوي (ت 643هـ) ، المطبعة المنيرية، (د.ت).
- شرح الملوكي في التصريف: ابن يعيش، تحقيق فخر الدين قباوة، ط 1، المكتبة العربية بحلب: 1973م.
- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، 1378هـ.
- شرح نهج البلاغة: السيد عباس موسوي، ط 1، دار الرسول الأكرم - دار المحجة البيضاء، بيروت، 1418هـ .
- شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت 679هـ)، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1412هـ-1992م.
- الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية: د. عبد السلام المسدي، د. محمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1985م.
- شروح التلخيص، وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ت 791هـ)، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب

- المغربي وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت777هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، (د . ت).
- الشعر الجاهلي: د. محمد النويهي، الدار القومية، القاهرة، 1966م.
- الصاحبى في فقه اللغة: أبو الحسن احمد بن فارس (395هـ)، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة أ، بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963م.
- الصرف القياسي وأثره في نمو اللغة: د. غريب نافع، ط2، مكتبة الأزهر، 1975م.
- الصورة البيانية في نهج البلاغة: علي فرج نعمة، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية التربية، بإشراف الدكتور جبار عودة بدن الشحمانى، 1427هـ - 2006م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د جابر احمد عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1974م.
- الصورة الفنية في كلام الإمام علي (عليه السلام): خالد محيي الدين البرادعي، (مقال) نشر في مجلة المنهاج، ط2، العدد: الخامس، السنة الثانية، 1417هـ - 1997م.
- الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية بلاغية، د. محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد بغداد، 1981م.
- الصورة الفنية معيارا نقديا، منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير: د. عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987م.
- الصيغ الفعلية في القرآن الكريم أصواتا وأبنية ودلالة: ثريا عبد الله عثمان إدريس، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، بإشراف الدكتور أحمد علم الدين النجدي، 1989م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي (ت745هـ)، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1423هـ.
- ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربيّة: عبد الكريم محمد حافظ العبيدي، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، 1410هـ - 1989م.
- ظاهرة التقابل في علم الدلالة: د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، عدد: 10، 1984م.
- ظاهرة التوازي في قصيدة الخنساء: موسى ربايعة، مجلة دراسات - العلوم الإنسانية، مجلد: 22 (أ)، عدد: 5، 1995م.

- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم: نذير حمدان، (د.ط)، دار المنارة، السعودية، جدة، (د.ت).
- ظاهرة الجناس في خطب الإمام علي (عليه السلام) ورسائله دراسة بلاغية: د. حسين عبد العال اللهبي، (بحث)، أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة (سراج الفكر وسحر البيان)، ط 1، مركز دراسات الكوفة، 2011م.
- الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية: حسن هادي نور تاج الدين، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية - ابن رشد - بإشراف الدكتور قحطان رشيد التميمي، والدكتورة عهود عبد الواحد عبد الصاحب العكيلي، 1431هـ - 2010م.
- العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد: هنري فليش، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين، ط 1، نشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1966م.
- العربية والغموض: د. حلمي خليل، ط 1، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية، 1988م.
- عضوية الموسيقى في النص الشعري: د. عبد الفتاح صالح نافع، ط 1، الزرقاء، الأردن، مكتبة المنار، جامعة اليرموك، 1985.
- علم الأصوات اللغوية: د. مناف مهدي الموسوي، ط 1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1998م.
- علم الدلالة: أحمد مختار عمر، ط 1، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1982م.
- علم الصوتيات: د. عبد الله ربيع محمود، د. عبد العزيز علام، ط 2، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1988م.
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): محمود السعران، ط 2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.
- علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ط 7، دار المعارف بمصر، 1980م.
- علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية: د. محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات في الكويت، توزيع دار العلم للملايين، بيروت، 1973م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 463هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 5، دار الجيل، 1401هـ - 1981م.

- عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية: د. مسعود بودوخة، ط 1، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، 2011م.
- العين: خليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985م.
- غريب نهج البلاغة (أسبابه، أنواعه، توثيق نسبه، دراسته): عبد الكريم حسين السعداوي، ط1، دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م.
- الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ط 2، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1986م.
- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى العسكري (ت395هـ) أو (401هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ت).
- الفعل في نهج البلاغة، دراسة صرفية: جبار هليل زغير، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القادسية، كلية الآداب، بإشراف الدكتور جواد كاظم عناد، 1426هـ - 2005م.
- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ط2، 1964م .
- فن الجناس (بلاغة - أدب - نقد): د. علي الجندي، دار الفكر العربي، مصر، 1954م.
- الفن والأدب: لويس هارتيك، تعريب: الدكتور بدر الدين قاسم الرفاعي، مراجعة: الدكتور عمر شخاشيرو، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1965م.
- فنون الأدب: تشارلتن، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة، 1945م.
- فنون بلاغية: د. أحمد مطلوب، ط 1، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، 1975م.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988م.
- في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام: د. خليل أحمد عمايرة، ط1، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، 1987م.
- في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، دراسة لغوية في شعر السيّاب ونازك والبياتي: د. مالك يوسف المطلبي، دار الرشيد، بغداد، 1981م .
- في التطور اللغوي: د. عبد الصبور شاهين، ط1، مكتبة دار العلوم، القاهرة، 1975م.

- في الشعرية: د. كمال أبو ديب، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1987م.
- في اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس: ط2، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1952م.
- في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي للحديث: د. مهدي المخزومي، ط 1، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1386 هـ - 1966م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، ط 2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2005م.
- في نحو اللغة وتركيبها منهج وتطبيق: د. خليل أحمد عمايرة، ط 1، عالم المعرفة، جدة، 1984م.
- القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: جمع ودراسة وتقويم: خالد بن مسعود بن فارس العصيمي، ط1، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 2002م.
- القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية: د. محمد صابر عبيد، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.
- قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، ط 2، مطبعة دار التضامن، بغداد، 1965م: 242 .
- قطوف لغوية: عبد الفتاح المصري، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1407 هـ - 1987م.
- قل ولا تقل: د. مصطفى جواد، مكتبة النهضة العربية، قدم له وأشرف على طبعه: الأستاذ عبد المطلب صالح، بغداد.
- قواعد النقد الأدبي: لاسل ايركرومبي، نقله إلى العربية: د. محمد عوض محمد، ط 2، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، بغداد، 1986م.
- الكتاب: سيبويه (ت 180هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، ط 4، مطبعة الخانجي، القاهرة، بولاق، مصر، 1988م.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ.
- كشف اصطلاحات الفنون: التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، راجعه: أمين الخولي، د. عبد المنعم محمد حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1328هـ - 1963م.

- الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى العكبري الحسيني الكوفي (ت 1094هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975م.
- لذة النص: رولان بارت، ترجمة: فؤاد صفا، والحسين سبحان، ط1، دار توبقال، المغرب، 1988م.
- لسان العرب: ابن منظور الأفرقي (ت 711هـ)، نسقه وعلّق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.
- اللسانيات من خلال النصوص: عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، 1984م.
- لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة وصفية: علي فرحان جواد الكردي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القادسية، كلية التربية، بإشراف الدكتور علي كاظم مشري، 1422هـ - 2001م.
- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي: محمد رضا مبارك، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1993م.
- اللغة العربية معناها ومبناها: د تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.
- اللغة وعلم اللغة: جون ليونز، ط1، دار النهضة العربية، (د.ت).
- ليس في كلام العرب: ابن خالويه (ت 370هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، 1979م.
- ما بني من ألفاظ اللغة على أقوال الإمام علي في لسان العرب: رائد عبد الله أحمد زيد، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، بإشراف الدكتور: يحيى عبد الرؤوف جبر، 1426هـ - 2005م.
- المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية: د. مصطفى جواد، ط2، مطبعة العاني، بغداد، 1385هـ - 1965م.
- مبادئ النقد الأدبي: ريتشاردز، ترجمة وتقديم الدكتور مصطفى بدوي، مراجعة الدكتور لويس عوض، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، ابريل، 1963، (د. ط)
- المبني للمجهول في التعبير القرآني: هاتف بريهي شياح، رسالة ماجستير، مقدمة إلى جامعة الكوفة، كلية الآداب، 1997م.

- المبني للمجهول في نهج البلاغة، دراسة لغوية: فراس عبد الكاظم حسن، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بابل، كلية التربية، بإشراف الدكتور صباح عباس السالم، 1423 هـ - 2003 م.
- المتخيل الشعري: محمد صابر عبيد، ط1، الاتحاد العام للأدباء، بغداد، 2000 م.
- المثل السائل في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي (ت 637 هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420 هـ.
- المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: عبد الهادي عبد الرحمن علي الشاوي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الكوفة، كلية الآداب، بإشراف الدكتور خليل عبد السادة إبراهيم، 1428 هـ - 2007 م.
- المجاز وأثره في الدرس اللغوي: محمد بدري عبد الجليل، (د.ط)، دار الجامعات المصرية، 1975 م.
- المحسنات البديعية (الجناس) في مرآة نهج البلاغة: مريم جلاي نجاد (بحث) أبحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة (سراج الفكر وسحر البيان)، ط 1، مركز دراسات الكوفة، 2011 م.
- المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي الشهير بابن سيدة (ت 458 هـ)، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، (د.ت).
- مدارات نقدية: في إشكالية النقد والحداثة والإبداع: فاضل ثامر، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987 م.
- المدخل إلى علم أصوات العربية: غانم قدوري الحمد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 2002 م.
- المرجع في اللغة نحوها وصرفها: علي رضا، المطبعة السورية، حلب، 1962 م.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيّب، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1970 م.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط 4، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1378 هـ - 1958 م.

- المسائل العسكرية في النحو العربي: أبو علي النحوي، دراسة وتحقيق: علي جابر المنصوري، ط2، مطبعة الجامعة، بغداد، 1982م.
- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي: د. خليل أحمد عمايرة، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004م.
- مستدرک نهج البلاغة: الهادي كاشف الغطاء، منشورات مكتبة الأندلس، بيروت، لبنان، (د.ت.).
- المستشرقون والمناهج اللغوية الحديثة: د. إسماعيل عمايرة، الزرقاء، 1992م.
- المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر: نوفل أبو رغيف الموسوي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2008م.
- مستويات النظم في التركيب القرآني: د. عبد الواحد زيارة اسكندر، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، 1998م.
- المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً: د. توفيق محمد شاهين، ط 1، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، 1400هـ-1980م.
- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة: د. محمد رشاد الحمزاوي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1987م.
- المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) دراسة بلاغية: حيدر أحمد حسين، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة ديالى، كلية التربية، بإشراف الدكتور فاضل عبود خميس التميمي، 1428هـ - 2007م.
- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، ط1، نشر جامعة بغداد، 1981م.
- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ)، تحقيق ومراجعة: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، ووعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية، للتأليف والترجمة، 1374هـ - 1955م.
- معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة، ط 1، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، 1977م.
- معجم التعريفات: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004م.
- معجم المصطلحات الأدبية: مجدي وهبة، ط1، مكتبة لبنان، بيروت 1974م .

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، وكامل المهندس، ط 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1970م.
- المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: أويس كريم محمد، ط 1، مجمع البحوث الإسلامية التابعة للاستانة الرضوية، مشهد، 1408 هـ .
- معجم النقد العربي القديم: د. احمد مطلوب، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية: د.محمد يونس علي، ط 2، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2007م.
- مع نهج البلاغة دراسة ومعجم: إبراهيم السامرائي، ط 1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1987م.
- المغني في تصريف الأفعال: محمد عبد الخالق ع ضريمة، ط2، مطبعة العهد الجديد، (د.ت).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، حققه وعلق عليه: د.مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، ط 1، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، 1378هـ.
- مفاهيم نقدية: رينيه ويلك، ترجمة: د. محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1987م.
- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت 626هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ - 2000م.
- المفصل في علم العربية: جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت 538هـ)، اعتناء: محمد بدر الدين النعساني، ط2، دار الجبل، (د.ت).
- مفهوم الترادف وقيّمته الدلالية بين لغة القرآن الكريم ونهج البلاغة: فراس تركي عبد العزيز، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الإسلامية في لبنان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الدراسات العليا، بإشراف الدكتورة مها خير بك ناصر، 1431هـ - 2010م.
- مقالات في الأسلوبية: د. منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990م.

- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، 1358هـ.
- مقدمة لدرس لغة العرب: عبد الله العلايلي، المطبعة العصرية.
- المقرَّب: علي بن مؤمن الاشبيلي بن منصور المعروف بابن عصفور (ت 669هـ)، تحقيق: د. أحمد عبد الستار الجواري، ود. عبد الله الجبوري، ط1، بغداد، 1392هـ - 1972م.
- من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، ط8، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003م.
- مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1979م.
- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: د. نعمة رحيم العزاوي، منشورات المجمع العلمي العراقي، 2001م.
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، ط1، دار المعرفة، 1961م.
- من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: د. محمد السيد سلم طين العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد: 36، مجلد: 9، 1989م.
- من قضايا اللغة: د. مصطفى النَّمَّاس، ط1، مطبوعات جامعة الكويت، مطبعة الفيصل، الكويت، 1995م.
- من معجم الجاحظ: د. إبراهيم السامرائي: ط1، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.
- المنجد في اللغة: أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي المشهور بكَرَاع النمل: تحقيق: د. أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، 1396هـ - 1976م.
- المنصف في شرح التصريف لأبي عثمان المازني (ت 249هـ): ابن جني (ت 392هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1954م.
- المنطق: العلامة محمد رضا المظفر، ط1، نشر: حبيب، إيران، قم، 1420هـ.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت 573هـ)، تصحيح: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة، قم، 1406هـ.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ميرزا حبيب الله الخوئي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2003م.

- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: د. علي زوين، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية: د. عبد الصبور شاهين، القاهرة، 1977م.
- موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952م.
- موسيقى الشعر العربي: د. شكري محمد عياد، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1968م .
- نحو التيسير، دراسة ونقد منهجي: د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1404هـ - 1984م.
- نحو الفعل: د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1394هـ - 1974م.
- نحو المعاني: د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1407هـ - 1987م.
- النحو والدلالة، مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي: د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط1، 1983م.
- النداء في اللغة والقرآن: د. أحمد محمد فارس، ط 1، دار الفكر اللبناني، 1409هـ - 1989م.
- النصوص الأدبية بين السرقة والاقتباس: غانم محمود، مجلة آفاق عربية ، عدد: 3، آذار، السنة الثامنة عشرة، بغداد.
- نظرية البنائية: د. صلاح فضل، ط3، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.
- نظرية المعنى في النقد العربي: د. مصطفى ناصف، ط 2، دار الأندلس، بيروت، 1401هـ - 1981م.
- نظرية النحو التوليدي التحويلي في الدراسات اللسانية العربية: كريم عبيد عليوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2012م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد التلمسان المقرئ (ت 1041هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت).
- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: روز غريب، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1952م.

- نقد النشر: قدامة بن جعفر، ط 4، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ - 1940م.

- نهج البلاغة: تحقيق الدكتور صبحي الصالح، ط 4، مطبعة وفا، إيران، قم، 1431هـ.
- نهج البلاغة في ضوء علم اللغة الاجتماعي: نعمة دهش فرحان الطائي، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية، بإشراف الدكتور نعمة رحيم العزاوي (رحمه الله)، 1432هـ - 2011م.

- نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه: ط 1، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1410هـ - 1990م .

- النيابة في الموقع الإعرابي: د. عبد العظيم فتحي خليل، مجلة بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها، الرياض، 1987م.

- الهادي إلى موضوعات نهج البلاغة: علي المشكيني، ط 1، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ومؤسسة نهج البلاغة، طهران، 1405هـ.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، عني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت).

الملحق (1): الرسائل والأطاريح في نهج البلاغة في الجامعات العراقية

عنوان الأطروحة	اسم الطالب	المشرف	الشهادة	الجامعة	الكلية	التاريخ
رسائل الإمام علي (عليه السلام)	كامل حسن البصير	صفاء خلوصي	ماجستير	بغداد	الآداب	1965
ألفاظ العقيدة والشريعة في نهج البلاغة، دراسة ومعجم	فضيلة عبوسي محسن	علي زوين	ماجستير	الكوفة	التربية	1998
التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام)	عباس علي حسين الفحام	سعيد عدنان المحنة	ماجستير	الكوفة	تربية البنات	1999
أساليب الطلب في نهج البلاغة	عدوية عبد الجبار كريم الشرع	علي ناصر غالب	ماجستير	بابل	التربية	2000
لغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة وصفية	علي فرحان جواد الكردي	علي كاظم مشري	ماجستير	القادسية	التربية	2001
الجملة الفعلية في نهج البلاغة دراسة دلالية	محمود عبد حمد اللامي	جواد كاظم عناد	ماجستير	القادسية	التربية	2001
الجملة الخبرية في نهج البلاغة دراسة أسلوبية	حسن هادي نور تاج الدين الحسيني	حذام جمال الدين الألوسي	ماجستير	بغداد	تربية ابن رشد	2001
أساليب التأكيد في نهج البلاغة دراسة دلالية	أصيل محمد كاظم	جواد كاظم عناد	ماجستير	القادسية	التربية	2002
الأداء البياتي في خطب الحرب في نهج البلاغة	نجلاء عبد الحسين عليوي الغزالي	حاكم حبيب الكريطي	ماجستير	الكوفة	الآداب	2002
أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية	ميثاق علي عبد الزهرة الصيمري	عدنان عبد الكريم جمعة	ماجستير	البصرة	الآداب	2003
المبنى للمجهول في نهج البلاغة (دراسة لغوية)	فراس عبد الكاظم حسن	صباح عباس السالم	ماجستير	بابل	التربية	2003
دراسة لغوية في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)	سمير داود سلمان	عبد الحسين علك المبارك	دكتوراه	البصرة	الآداب	2003
أسلوب النفي في نهج البلاغة دراسة نحوية دلالية	عبد الكاظم جبر عبود	حاكم مالك الزياي	ماجستير	القادسية	الآداب	2003
خطب نهج البلاغة دراسة توصيلية	فاتن فاضل كاظم	قيس حمزة فالح الخفاجي	ماجستير	بابل	التربية	2004
غريب نهج البلاغة (أسبابه، أنواعه، توثيق نسبه، دراسته)	عبد الكريم حسين عبد السعدي	عبد الله أحمد الجبوري	دكتوراه	المستنصرية	الآداب	2004
الخطب الوعظية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة موضوعية فنية	محمد جواد علي البياتي	عبد اللطيف حمودي الطائي	ماجستير	تكريت	التربية	2005
الفعل في نهج البلاغة دراسة صرفية	جبار هليل زغير الزيدي	جواد كاظم عناد	ماجستير	القادسية	الآداب	2005

عنوان الأطروحة	اسم الطالب	المشرف	الشهادة	الجامعة	الكلية	التاريخ
خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة	احمد هادي زيدان	صباح عباس السالم	ماجستير	بابل	التربية	2006
حروف المعاني في نهج البلاغة دراسة نحوية	عبد الواحد وساك آل عجيل	عبد الحسين علك المبارك	دكتوراه	البصرة	الآداب	2006
الاقتباس والتضمن في نهج البلاغة دراسة اسلوبية	كاظم عبد فريح المولى الموسوي	سوادي فرج مكلف	دكتوراه	البصرة	الآداب	2006
الصورة البيانية في نهج البلاغة	علي فرج نعمة	جبار عودة بدن الشحمانى	ماجستير	البصرة	التربية	2006
التقييد في نهج البلاغة دراسة نحوية	عباس إسماعيل الغزاوي	لطيفة عبد الرسول عبد علي	ماجستير	المستنصرية	التربية	2006
الجملة الخبرية في نهج البلاغة (دراسة نحوية)	علي عبد الفتاح محيي الشمري	علي ناصر غالب	ماجستير	بابل	التربية	2001
المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية	عبد الهادي عبد الرحمن علي الشاوي	خليل عبد السادة ابراهيم	ماجستير	الكوفة	الآداب	2007
التوحيد في نهج البلاغة	رزاق حسين فرهود	نعمة محمد ابراهيم	ماجستير	الكوفة	التربية	2007
التوابع في نهج البلاغة دراسة نحوية دلالية	وداد حامد عطشان		ماجستير	الكوفة	الآداب	2007
المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) دراسة بلاغية	حيدر أحمد حسين	فاضل عبود خميس التميمي	ماجستير	ديالى	التربية	2007
مستويات الشعرية في كتاب نهج البلاغة	نوفل هلال عبد المطلب الموسوي	بشرى موسى صالح	ماجستير	المستنصرية	التربية	2007
الاثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة	هادي شندوخ حميد	عدنان عبد الكريم جمعة	دكتوراه	البصرة	الآداب	2008
الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون	عباس علي حسين الفحام	محمد حسين الصغير	دكتوراه	الكوفة	الآداب	2008
تعلق شبه الجملة في نهج البلاغة	محمود عبد حمد اللامي	صباح عباس السالم	دكتوراه	بابل	التربية	2008
خطب الإمام علي (عليه السلام) ومواعظه تحقيق من شروح نهج البلاغة حتى نهاية القرن السابع الهجري	قاسم خلف مشاري	عبد الحسين علك المبارك و أحمد حياوي السعد	دكتوراه	البصرة	الآداب	2008
الخطاب في نهج البلاغة دراسة موضوعية فنية	إيمان عبد الحسن علي	أمل عبد الجبار كريم	ماجستير	بابل	التربية	2008
بنية الخطبة في نهج البلاغة دراسة في ضوء نظرية أرسطو في الخطابة	طارق محمد حسن مطر	ماجد عبد الحميد الكعبي	ماجستير	البصرة	الآداب	2008

عنوان الأطروحة	اسم الطالب	المشرف	الشهادة	الجامعة	الكلية	التاريخ
رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة بنيوية تكوينية	عهود ثعبان يوسف الأسدي	قيس حمزة فالح الخفاجي	ماجستير	بابل	التربية	2008
الخطاب في نهج البلاغة بنيته أنماطه مستوياته دراسة تحليلية	عبد الحسين عبد الرضا أعوج محمد العمري	عبد اللطيف حمودي الطائي	دكتوراه	بغداد	الآداب	2008
أبنية المصادر في نهج البلاغة	فائزة عبد الأمير شمران الخاقاني	علي ناصر غالب	ماجستير	الكوفة	التربية	2009
رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة (دراسة لغوية)	رملة خضير مظلوم البديري	عبد الكاظم محسن الياسري	ماجستير	الكوفة	الآداب	2009
الاستدلال في نهج البلاغة دراسة أسلوبية	فاطمة كريم رسن	حيدر لازم مطلق	دكتوراه	بغداد	تربية البنات	2009
أسلوب الشرط في نهج البلاغة دراسة نحوية تطبيقية	يسرى خلف سمير السعيد	نهاد فليح حسن العاني	ماجستير	المستنصرية	الآداب	2009
التقديم والتأخير في نهج البلاغة دراسة نحوية أسلوبية	رافد ناجي وادي الجليحاوي	سعدون أحمد علي الربيعي	ماجستير	بابل	التربية	2009
الظواهر التركيبية في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية تطبيقية	حسن هادي نور تاج الدين الحسيني	قحطان رشيد التميمي وعهود عبد الواحد عبد الصاحب العكيلي	الدكتوراه	بغداد	تربية ابن رشد	2010
رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية	سعد عزيز شنو	عبد الواحد زيارة اسكندر	ماجستير	البصرة	الآداب	2010
التقابل الدلالي في نهج البلاغة	تغريد عبد فليح كظوم الخالدي	علي ناصر غالب	ماجستير	الكوفة	تربية البنات	2011
نهج البلاغة في ضوء علم اللغة الاجتماعي	نعمة دهش فرحان الطائي	نعمة رحيم العزاوي	دكتوراه	بغداد	التربية	2011
تراكيب الأسلوب الشرطي في نهج البلاغة دراسة نحوية	كريم حمزة حميدي	علي عبد الفتاح محيي	ماجستير	بابل	التربية	2011
البنية المصدرية في نهج البلاغة دراسة في دلالة البنية الصرفية	وسام جمعة لفقة المالكي	سليمة جبار غانم	ماجستير	البصرة	التربية	2011
أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية	خالد كاظم حميدي الحميداوي	مشكور كاظم العوادي	دكتوراه	الكوفة	الآداب	2011
كتاب نهج البلاغة دراسة أسلوبية	مرتضى عباس فالح	حامد ناصر عبود الظالمي	ماجستير	البصرة	التربية	

الملحق (2): الرسائل والأطاريح في نهج البلاغة في الجامعات العربية

عنوان الأطروحة	اسم الطالب	المشرف	الشهادة	الجامعة	الكلية	التاريخ
حجاجية الصورة في خطب علي بن أبي طالب	وسيمة نجاح		الأستاذية	دار المعلمين العليا، تونس	—	1999
ما بني من ألفاظ اللغة على أقوال الإمام علي في لسان العرب	رائد عبد الله أحمد زيد	يحيى عبد الرؤوف جبر	ماجستير	النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين	الدراسات العليا	2005
أسلوب علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبه الحربية	علي أحمد عمران	محمد الهادي الطرابلسي	دكتوراه	منوبة	الآداب	2006
ألفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة	إيمان سامي محمد الشوبكي	يحيى عبد الرؤوف جبر	ماجستير	النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين	الدراسات العليا	2008
مفهوم الترادف وقيّمته الدلالية بين لغة القرآن الكريم ونهج البلاغة	فراس تركي عبد العزيز	مها خير بك ناصر	ماجستير	الإسلامية في لبنان	الآداب والعلوم الإسلامية	2010

الملحق (3): الرسائل والأطاريح في شروح نهج البلاغة في الجامعات العراقية

التاريخ	الكلية	الجامعة	الشهادة	المشرف	اسم الطالب	عنوان الأطروحة
2002	الأدب	الكوفة	دكتوراه	عبد الكاظم محسن الياسري	هادي عبد علي هويدي	المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت 656هـ-)
2005	التربية	ديالى	ماجستير	مشحن حردان مظلوم الدليمي	احمد بطل وسيج	شرح نهج البلاغة لكامل الدين البحراني (ت 679هـ) دراسة بلاغية
2007	الأدب	الكوفة	ماجستير	محمد عبد الزهرة غافل الشريفي	سجاد عباس حمزة	المباحث النحوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت 656هـ-)
2007	التربية	بغداد	ماجستير	أحمد بحر هويدي الراوي	حيدر محسن سلمان	اثر موضوعات كتاب البلاغة والتطبيق بنصوص مختارة من نهج البلاغة للإمام علي (ع) ...
2007	التربية	البصرة	دكتوراه	حامد ناصر عبود الظالمي	مرتضى عباس فالح السلمي	التأويل في ثلاثة من شروح نهج البلاغة
2008	معهد التاريخ العربي	معهد التاريخ العربي	دكتوراه	خولة عيسى الفاضلي	يحيى رمزي محسن	موارد ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة
2008	الأدب	بغداد	دكتوراه		مصطفى كاظم شغيدل	المباحث اللغوية في منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوني
2009	التربية	الكوفة	ماجستير	صباح عباس عنوز	حوراء عبد علي سعيد	البحث البياني في كتاب (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) لحبيب الله الهاشمي الخوني (ت: 1324هـ)
2010	الأدب	الكوفة	ماجستير	عبد الكاظم محسن الياسري	ظافر عبيس عناد	جهود حبيب الله الخوني النحويّة في شرح نهج البلاغة
2011	التربية	الكوفة	ماجستير	مناف مهدي الموسوي	وصال عبد الواحد خضير الخرساني	مباحث دلالية في شرح نهج البلاغة للشيخ كمال الدين ميثم البحراني (ت 679هـ)

The Ministry of Higher Education
& Scientific Research
Basra University
College of Education for Human Sciences
The Dep. of Arabic Language



Linguistic Studies of Nahj Al Balaghah in Iraqi Theses and Dissertations A study in Method and Evaluation 1965 – 2011

**By
Ahmed Hussein Abed al-Sadah Al-Juheishi**

Supervised by
Professor Dr. Sami Ali Jabbar Al-Mansouri

A Dissertation
Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for PhD Degree
in the Philosophy of Arabic Language and Literature

1435 A.H

2011 A.D

Abstract

This researching study deals with linguistic studies, that Iraqi theses and dissertations have investigated, in which *Nahj Al Balaghah* is their practical field. This special attention has started from the attention of researchers themselves in studying the book. They find out that most linguistic researches have been represented in *Nahj Al Balaghah* book, Imam Ali (Peace be upon Him). I have not found a book that has received more researchers' attention and been studied and analyzed than this book with one single exception, The Holy Quran and the Prophetic tradition (Hadith). *Nahj Al Balaghah* Book has received a great outstanding position in the fields of academic researches in our Iraqi universities since their first establishment times by which university studies had been started. In this respect, the first study of this book was in 1965 in Baghdad University/ College of Arts, by researcher Kamil Hassan Al-Baseer. Then other researchers continued studying its illustrations, clarifying its aims and meanings, revealing its imageries and structures, and showing its extraordinary content.

The aim of this researching study is showing the efforts of Iraqi researchers' efforts in the fields of linguistic subject and knowing them in the light of their resources, procedures, mechanisms, and in what problems and situations they have revealed. Then, the approach of this researching study described these studies, disassembling them, and

capering them with what have been determined by the grammatical, morphological, rhetorical studies, and in the modern linguistic discussion.

The material of these studies is distributed to four levels; each level becomes a title of a chapter. The first chapter deals with the efforts of researches in the phonetic studies; it consists of two researching discussions: The first researching discussion deals with the reference of the sound in a single pronunciation; the second researching discussion deals with rhythmical elements. The second chapter is particularized in the morphological studies; it consists of three researching discussions: The first researching discussions is the forms and signals of verbs; the second researching discussions is the forms and signals of references; and the third researching discussion is the forms and signals of derivations and the forms and signals of broken plurals. The third chapter deals with grammatical studies. It consists of three researching discussions: Thee first researching discussion is the efforts of researchers in the parts of sentence, the time signal of sentence; the second researching discussion is the structural signals (in form) of sentence, the functional signal of the structural senses in presenting, and deletion and increase; the third researching discussion is the expression techniques that imply: structural techniques and informative techniques. The fourth chapter deals with the efforts of researchers in semantic studies; it implies three researching discussions: The first researching discussion is articulation signals that

implies the dictionary signals, metaphorical signals, extraordinary signals, and semantic relations in single articulations; the second researching discussion is structural signal that implies the real signals and the metaphoric signals of sentences and structures; the third researching discussion is semantic trace of the language authority of Imam Ali (Peace be upon Him). In all that, I followed an evaluating and analysing approach that can counterpoise between these studies and their authoritative experts. I reached at various researchers' attitudes in presenting linguistic subjects, their different methods in their successions, and their different ways in studying them that make their studies follow different approaches in which they become highly different in their directions , and they maybe, in some times, similar and identical in many common characteristics and features.

The Iraqi researchers have done great efforts in investigating linguistic examples and analyzing them; so that they could reinforce the rightfulness what former times linguists had achieved in the linguistic subject of its different levels.

Ahmed Hussein Abed-al Sadah